معجم
تاريخ الحج

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

معجم

تاريخ الحج

تأليف

عبد العزيز بن سعود العويد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحج أحد أركان الإسلام، ومبانيه العظام، أوجبه اللَّه - تعالى - على عباده مرة في العمر على المستطيع، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقد وردت الأحاديث الكثيرة من السنة التي تحث على الحج، وترغب فيه، فكان ذلك سببا لتعلق قلوب الناس بحج بيت اللَّه الحرام، مع ما يعاينوه من أثر روحي كبير عند الوفادة على الرحمن - جل في علاه -.

ومن تتبع كتب التاريخ وجد من المواقف الشيء الكثير الذي ينبئ عن بالغ أثر الحج في نفوس المسلمين، وهو الذي حير الناس، وبحثوه بمختلف مللهم ونحلهم.

وفي معرض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن العز والشرف الذي جَعَلَهُ اللَّه لبيته حتى قصده عظماء الناس وآحادهم، قال في «الصفدية» (١/ ٢٢٠): «لهذا كان أمر البيت مما حير الفلاسفة والطبائعية لكونه خارجاً عن قياس عقولهم وقوانين علومهم، حتى اختلقوا لذلك من الأكاذيب ما يعلمه كل عاقل لبيب؛ مثل قول بعضهم: إن تحت الكعبة بيتاً فيه صنم يُتجزَّ، ويعرف وجهه إلى الجهات الأربع، ليقبل الناس إلى الحج.

وهذا مما يعلم كل من عرف أمر مكة أنه من أبين الكذب، وأنه ليس تحت الكعبة شيء من هذا، وأنه لا ينزل أحد من أهل مكة إلى ما تحت الكعبة، ولا يحضره أحد، ولا يُبخِّر أحدٌ شيئاً هناك، ولا هناك صنم ولا غير صنم.

وكان ابن سبعين وأمثاله من هؤلاء يحارون من هذا روبما قالوا: ليت شعرنا، ما هو الطلسم الذي صنعه إبراهيم الخليل حتى صار الأمر هكذا؟

وفي تتبعي لكثير مما كتب حول تاريخ الحج وجدت من الفوائد اللطيفة، والقصص النافعة، والحوادث الغريبة ما جعلني أنشط لأجمعها في مكان واحد مصنفة حسب مواضيعها ليعم نفعها للجميع، فكانت فكرة هذه الكتاب الذي بين يديك «معجم تاريخ الحج».

وهذا الكتاب ليس بدعا من التأليف، وإنما هو جمع لبعض ما دون في كتب التاريخ والرحلات والتفسير والحديث والفقه دون استغراق أو حصر لتلك اللطائف التاريخية، فإن هذا أمر يطول، ويحتاج إلى مجلدات، مع ما فيه من تكرار لما أورده السابقون.

وقد قصدت من جمعي هذا التنويه على بعض اللطائف والفوائد التاريخية حول الحج حسب ما وقفت عليه من غير التزام لشيء محدد، ولذا قد تلحظ إطنابا في مواضع، وإيجازا في مواضع أخرى بحسب ما وقفت عليه، أو بحسب ما يقتضيه المقام.

ومنهجي في هذا الجمع كالتالي:

- اقتصرت في هذا الكتاب على الجانب التاريخي للحج دون التعرض للمسائل والأحكام الفقهية إلا نادرا إذا تضمن فائدة لطيفة مكملة لفائدة تاريخية أوردت.

- رتبت فوائد الكتاب حسب موضوعها تبعا للحروف الهجائية.

- أحرص على التدرج التاريخي للفوائد دون التزام بذلك.

- قد يصلح إيراد الفائدة في أكثر من موضع فأكتفي في موضع دون الباقي منعا لتكرار الفائدة.

- أكثر الفوائد مختصرة منعا للملل، وقد أقسم الفائدة الواحدة إلى أكثر من فائدة للمقصد ذاته.

- أذيل الفائدة بذكر مصدرها دون نقلها إلى الحاشية لكون ذلك أسهل على القارئ.

- بعض الفوائد نقلت من مصادر غير المصدر الأصلي فأعزو للمصدر الأصلي.

هذا ما يهم القارىء الكريم حول منهجية كتاب «معجم تاريخ الحج»، ولا شك أن الكتب التي تناولت المباحث التاريخية في الحج كثيرة جدا، والمقصود هو التعريف بأشهر تلك المباحث بطريقة موجزة سهلة العرض، ولعله في طبعة لاحقة - بإذن اللَّه - يتمم ناقص، ويجبر خلل.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر اللَّه العلي القدير على تيسيره وعونه وتوفيقه لإتمام هذا الجمع، وأسأله سبحانه القبول والرضا.

كما يطيب لي أن أشكر شقيقي المحب محمد بن سعود العويد على مساعدته لي في ترتيب هذه الفوائد، وطباعتها، والحمد للَّه رب العالمين.

عبد العزيز بن سعود العويد
@alowid
alowid@hotmail.com

حرف الألف

إحرام

قال ابن الجوزي: أمر المحرمون بالتعري، ليدخلوا بزي الفقراء، فيبين أثر ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٦٢)]

* * *

يجب أن يتحرر الحاج من ملابسه المعتادة قبل ارتداء ملابس الإحرام. وأية قطعة من القماش يمكن أن تفي بالغرض، لكن الشرع يحتم أن تكون هذه القطعة من القماش غير مخيطة، وألا تكون من الحرير وخالية من الزينات بكل أنواعها، واللون الأبيض هو المفضل على سائر الألوان الأخرى. وقماش الكمبريت الهندي أبيض اللون هو المستخدم عادة في هذا الغرض، لكن الحجاج الأثرياء يستخدمون شيلانا من الكشمير الأبيض، بدلًا من قماش الكمبريت الهندي، هذه الشيلان الهندية تكون أطرافها خالية من الورود التي تنقش عليه.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١٨) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الحماس الديني لدى بعض من يزورون الحجاز يصل إلى حد أنهم إذا ما وصلوا إلى مكة قبل أشهر عدة من الحج، فإنهم يقسمون على ارتداء الإحرام، عندما يقتربون من مكة، ولا يتحررون منه إلا بعد إكتمال حجهم في عرفات، وبذلك نراهم طوال أشهر عدة وهم لا يتغطون ليلًا أو نهاراً إلا بتلك الملابس الخفيفة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١٩) لجون لويس بوركهارت]

لطيفة: إن قيل ما الحكمة من تجريد الناس في الإحرام قيل: ليعلم أن باب اللّه - جل وعلا - على خلاف أبواب الملوك لأن العادة جرت أن يتزين الناس باللباس الفاخر إذا قصدوا باب مخلوق، ففرق بين بابه وباب غيره.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي ص٦٤]

❊ ❊ ❊

لبيك لبيك! ضج الركب وانطلقت ... جموعه والنشيد العذب يدفعه
أصداؤه في فجاج الأرض صاخبة ... والبيد في رحبها نشوى ترجعه
وفي الجوانح من وجد ومن وله ... ما جاش في النفس حتى فاض مترعه
ما الصبح مارقة الأنداء ضاحكة ... ما الزهر في الروض أذكاه وأضوعه
أنقى وأجمل من ترداد تلبية ... يشدو بها محرم والكون يسمعه

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٦٩)]

❊ ❊ ❊

إحسان

وعن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». قالوا: وما بر الحج يا رسول اللّه؟ قال: «بر الحج إطعام الطعام وطيب الكلام».

وسئل سعيد بن جبير أي الحاج أفضل؟ قال: «من أطعم الطعام وكف لسانه».

قال الثوري: سمعت أنه من بر الحج.

وقال أبو جعفر الباقر: ما يعبأ بمن يؤم هذا البيت إذا لم يأت بثلاثة:

ورع يحجزه عن معاصي اللّه، وحلم يضبط به غضبه، وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين. فهذه الثلاثة يحتاج إليها في الأسفار خصوصا في سفر الحج، فمن كملها فقد كمل حجه وبر، وبالجملة: فخير الناس أنفعهم للناس

وأصبرهم على أذى الناس قال رسول اللّه ﷺ: «خير الأصحاب عند اللّه خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند اللّه خيرهم لجاره».

[«فضائل الحج والعمرة» لسيد العفاني]

* * *

قال أبو عبيدة: وفد ابن جدعان على كسرى فأكل عنده الفالوذج، فسأل عنه، فقالوا: لباب البر مع العسل. فقال: أبغوني غلاما يصنعه، فأتوه بغلام، فابتاعه وقدم به مكة، وأمره فصنعه للحاج، ووضع الموائد من الأبطح إلى باب المسجد، ثم نادى مناديه: ألا من أراد الفالوذج، فليحضر، فحضر الناس.

وما زال إطعام الناس في الجاهلية وفي الإسلام، وكانت الخلفاء تقيمه ولا يكلفون أحدا من ماله شيئا، وكان معاوية قد اشترى دارا بمكة وسماها دار المراجل، وجعل فيها قدورا، ورسم لها من ماله، فكانت الجزر والغنم تنحر وتطبخ فيها، ويطعم الحاج أيام الموسم، ثم يفعل ذلك في شهر رمضان.

[«مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» لابن الجوزي]

* * *

يذكر أن عبد اللّه بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج، فإذا بامرأة جالسة على مزبلة تنتف بطة، فوقع في نفسه أنها ميتة، فوقف وقال: يا هذه! هذه ميتة أو مذبوحة؟ قالت: ميتة وأنا أريد أن آكلها وعيالي.

فقال: إن اللّه تعالى قد حرم الميتة وأنت في هذا البلد. فقالت كهذا! انصرف عني. فلم يزل يراجعها الكلام، إلى أن تعرف منزلها، ثم انصرف، فحمل معه بغلا عليه نفقة وكسوة وزادٌ، وجاء فطرق الباب، ففتحت، فنزل عن البغل وضربه فدخل البيت، ثم قال للمرأة: هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لكم.

[«مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» لابن الجوزي.]

في سنة (٣٦٦هـ) حجت جميلة بنت الملك ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد اللَّه بن حمدان صاحب الموصل، وكان معها أخوها إبراهيم وهبة اللَّه، وكانت حجة يضرب بها المثل في التجمل وأفعال الخير، كان معها أربعمائة كجاوة ولم يدلا في أيها هي، وأظهرت من المحاسن والشرف، ومن المكارم وإقامة المروءة ما لا يحكى مثله لملك أو ملكة، وأفردت للرجالة والمنقطعين ثلاثمائة جمل، وقيل خمسمائة، ونثرت على الكعبة حين شاهدتها، وقيل لما دخلتها، عشرة آلاف دينار من ضرب أبيها وما يناسب هذا، وأعتقت ثلاثمائة عبد وثلاثمائة أمة، وسقت جميع أهل الموسم السويق والطبرزذ والثلج، وأعطت المجاورين عشرين ألف دينار، وكست المجاورين بالحرمين الشريفين، وأنفقت الأموال الجزيلة ما لا يوصف بعضه عن زبيدة، ولا عن غيرها من بنات الخلفاء، ونساء الملوك، وأغنت الفقراء والمجاورين بالصلات الجزيلة، وخلعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب، وقُتل أخوها في الطريق وتصدقت بدمه.

[«البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٢٨٧)]

❊ ❊ ❊

في سنة (٣٦٦هـ) حجت جميلة بنت ناصر الدولة صاحب الموصل ومعها أخوها وكانت حجة ما رأي مثلها قط.

كان معها أربعمائة محمل، مسترة بالأطلس، لا يعرف في أيهم هي من تناسبهم، وفعلت من الخيرات ما لا يحكى عن أحد من الملوك، أفردت للرجالة المنقطعين ثلاثمائة بعير، ونثرت في الحرم حين شاهدت الكعبة عشرة آلاف دينار من ضرب أبيها، وأعتقت ثلاثمائة عبد، وثلاثمائة أمة، وسقت الناس كلهم بعرفة السويق والسكر، وكست المجاورين بالحرم، وتصدقت على البيوت بعشرة آلاف دينار، قيل إن الذي فرقت من الكسوة خمسين ألف

ثوب، ولم توقد بمكة مدة إقامتها إلا شمع العنبر إجلالًا للحرم الشريف، ثم لما رجعت قتل أحد أخويها فتصدقت بدمه، ولم تطالب به.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٢٠٦)]

❊ ❊ ❊

كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن؟ فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم. فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلو، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، وإذا صاروا إلى المدينة، قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فإذا وصل إلى مرو وجصص أبوابهم ودورهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، صنع لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وشربوا، دعا بالصندوق، ففتحه، ودفع إلى كل واحد منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه

[«مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» لابن الجوزي(١/ ١١٧)]

❊ ❊ ❊

ترافق (بهيم العجيلي) وكان من العابدين البكائين، ورجل تاجر موسر في الحج، فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى (بهيم) حتى قطرت دموعه على صدره، ثم قطرت على الأرض. وقال: ذكرت بهذه الرحلة، الرحلة إلى اللَّه، ثم علا صوته بالنحيب، فكره رفيقه التاجر منه ذلك، وخشي أن يتنغض عليه سفره معه بكثرة بكائه، فلما قدما من الحج جاء الرجل الذي رافق بينهما إليه ليسلم عليهما فبدأ التاجر فسلم عليه وسأله عن حاله مع (بهيم) فقال له: واللَّه ما ظننت أن في هذا الخلق مثله، كان واللَّه يتفضل علي في النفقة وهو معسر

وأنا موسر، ويتفضل علي في الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب، ويطبخ لي وهو صائم وأنا مفطر. فسأله عما كان يكرهه من كثرة بكائه فقال: واللَّه ألفت ذلك البكاء، وأشرب حبه قلبي حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا الرفقة، ثم ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكي بكوا، ويقول بعضهم لبعض: ما الذي جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد، فجعلوا واللَّه يبكون ونبكي. ثم خرج من عنده فدخل على (بهيم) فسلم عليه، وقال له كيف رأيت صاحبك؟ قال: خير صاحب كثير الذكر للَّه، طويل التلاوة للقرآن، سريع الدمعة، متحمل لهفوات الرفيق، فجزاه اللَّه عني خيرا.

[«فضائل الحج والعمرة» لسيد العفاني]

* * *

كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة، وكان النبي ﷺ يواظب على قيام الليل على راحلته في أسفاره كلها، ويوتر عليها.

- وحج مسروق فما نام إلا ساجدا.

- وكان محمد بن واسع يصلي في طريق مكة ليلة أجمع في محمله، يومئ إيماء ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه حتى يشغل عنه بسماع صوت الحادي فلا يتفطن له.

وكان المغيرة بن الحكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشيا، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن، فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده، ثم يلحق بالركب متى لحق بهم، فربما لم يلحقهم إلا في آخر النهار.

[«فضائل الحج والعمرة» لسيد العفاني]

* * *

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): حصل القزويني على دعم مالي من (زيب النساء) ابنة أورانجزيب، الراعي العظيم للإعانات العلمية والآداب في

عهده. ومع هذا فقد كلفه الحج نحو ١٠٠٠روبية.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص٨٨ لمعراج نواب مرزا]

❋ ❋ ❋

أشار أحد الرحالين عام (١٧٦٣م-١١٧٦هـ) إلى أن السلاطين يرسلون معاشات إلى شريف مكة وأسرته» ومع هذا المعاش حملة أربع سفن كبيرة أو خمس يرسلها سنوياً إلى جدة مشحونة بالإمدادات توزع غالباً على فقراء مكة والمدينة. وتوزع حمولة ألفي جمل من الماء يومياً مجاناً على الحجاج طوال مدة إقامتهم بمكة، فضلًا عن الهدايا الكثيرة التي كانت تزين بها الكعبة المعظمة وتُكرم بها سلالة محمد ﷺ.

[Carsten Niebuhr, Travels through Arabia and other Countries in the East, 1792، 11, p,27]

❋ ❋ ❋

تعد جولبدان بيقم ابنة (بابر) أشهر النساء الحاجات. وعندما بدأ أكبر في القيام بالتجهيزات لحج عمته هذه في عام (١٥٧٥م- ١٥٧٦م- ٩٨٣هـ ٩٨٤هـ) أشيع أن الطريق غير آمن بسبب ماكان يقوم به البرتغاليون من نهب وسلب، فأرسل أحد كبار النبلاء لطمأنة المشاركات في رحلة الحج. وأخيراً أبحرت سفينتان تحملان جولبدان وعشر سيدات أخريات وكثيراً من المسؤولين الملكيين، ولقد أمدها أكبر بنفقات سخية جداً، كما وفر نفقات ومؤناً لكل الأتقياء والفقراء والعسكر الذين ينوون الحج.

وصلت سفين هذا الفريق إلى مكة المكرمة بعد رحلة تعد حقاً مغامرة، واستقر أفراده في الديار المقدسة بضع سنوات أَدَّيْنَ خلالها الحج أربع مرات والعمرة عدة مرات. ولقد وزعت الصدقات بسخاء إلى درجة أن سكان الحجاز وسورية وآسيا الصغرى صاروا يتدافعون نحو مكة لينالوا نصيباً منها. ويدّعي بدواني أنهم ذهبوا

إلى مزارات الشيعة أيضاً في كربلاء، وقم، بالإضافة إلى مكة، وعادوا ببعض التذكارات وبعض الخدم العرب بعد رحلة مغامرة استغرقت في مجملها سبع سنوات من عام (١٥٧٦إلى عام ١٥٨٢م - ٩٨٤هـ - ٩٩٠هـ).

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٨٠ لمعراج نواب مرزا]

* * *

في العام الذي انهار كمر المروة وسقط اشترى ملك البنغال الشاه غياث الدين بن إسكندر الأعظم منزلين متصلين بباب أم هانئ، وأسس أربعة مدارس مكية من أجل علماء المذاهب الأربعة، ورتب لها وفقاً لشراء كثير من العقارات، وعين لكل مدرسة مدرساً من المذاهب الأربعة وخمسة عشر طالباً لكل مدرسة، وتكفل بإعاشتهم. وأصلح طرق عين عرفات وعين بازان وبركة المعلى ونظفها كما ينبغي فأجرى المياه إلى مكة المكرمة في سنة ٨١١هـ.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٥٦٦) لأيوب صبري باشا]

* * *

لحظ سعادة الشيخ محمد سرور صبان على بعض الحجاج ضعفاً وعدم مقدرة في الانتقال من مزدلفة على منى، فقدم سيارته الخاصة للمساعدة في نقل الضعاف.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٤٦]

* * *

قال الشيخ محمد رشيد رضا من غريب ما رأينا البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم أن بعض الناس جاء بشيء من الحبوب لحمام الحرم فاختطفوه، وصار بعض السودانيين من الدكرور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويمضغونه متغذين به كالدواب.

[«رحلة الحجاز» للشيخ محمد رشيد رضا]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ٩٢٤)]

تبرعات الحجاج، تكفي لإعاشة عدد كبير من الأشخاص العاملين في سائر أنحاء المسجد الحرام.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

في عام (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م) حج المرحوم عبد الرحمن يوسف الرومي ويذكر أنه جهّز خلال هذه الرحلة مائة راحلة على نفقته الخاصة، كما قام في مكة والمدينة بتوزيع الصدقات والمساعدات على حجاج بيت اللَّه الحرام، وكان يقيم الولائم في منى لمن كان فيها من حجاج الكويت.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

* * *

ورد في مقابلة السيد أحمد بزيع الياسين تبرع عبد اللَّه إبراهيم الأيوب رَحِمَهُ اللَّهُ بمجموعة من الإحرامات لتوزيعها على الحجاج في ميقات الطائف.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

* * *

يقول الحاج محمد عبد الرحيم العوضي كان أهل الخير في الكويت يعطون تبرعاتهم لعدد من أصحاب الحملات وبعض الحجاج لتوزيعها على فقراء مكة والمدينة الذين يسكنون في الأربطة (الرباط) قرب الحرم المكي وفي جبال مكة وقرب المسجد النبوي في المدينة.

وكنا نذهب إلى جبال مكة ونوزع آلاف الدنانير على فقراء مكة وكان الزواوي يقوم بتعريفنا بأماكن الفقراء لتوزيع الصدقات عليهم.

واستمر أبناء الكويت في تقديم المساعدات للفقراء من الحجاج ومن غير الحجاج.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

قام بعض الحجاج الكويتيين بتشييد المشاريع الوقفية الخيرية في مكة، فرفعت السيدة منيرة بنت عبد الرحمن بن صالح العتيقي علم الخير في هذا المجال إذ اشترت أرضاً في شعب بني عامر في مكة المكرمة عام (١٢٧٧هـ)، ثم أنشأت عليها مباني وحوشاً وديواناً وقاعة ومنافع وعزلتين، ثم أوقفت هذا المبنى بالكامل للَّه تعالى على خيرات وأضاحي للفقراء والمساكين.

ولما أرادت منيرة أن توصي بوقف خيري لعقارها الكائن في مكة المكرمة ولكونها مخفرة لا تختلط لزم أن يرسل لها القاضي الشرعي في ذلك الوقت مأذوناً شرعياً نيابة عنه ليسمع الوصية المطلوبة ويوثق ما جاء فيها، تمهيداً لوضعها محل التنفيذ حتى تكون حجة شرعية نافذة إلى أبد الآبدين إن شاء اللَّه تعالى.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

❋ ❋ ❋

إحصاء

من المستحيل إحصاء الحجاج الذين يقفون بعرفات كل عام سواء كانوا من داخل البلاد أو خارجها منذ ظهور الإسلام إلى اليوم، لأن ولاة مكة لم يكن يهمهم ذلك لأمرين: الأول: عدم وجود جوازات السفر للمسافرين. والثاني: عدم أخذ الرسوم من القادمين الحجاج، فلماذا يحصونهم، ولماذا يكتبون أسماءهم في السجلات والدفاتر؟

فلما تقدم الناس في الوسائل المدنية ومرافق الحياة تنبهوا لإحصاء الحجاج والقيام بخدماتهم اللازمة ومصالحهم العامة لقاء أجر معلوم، ونحن نذكر هنا عدد الحجاج الذين أمكن إحصاؤهم في بعض الأعوام من أوائل القرن الرابع عشر للهجرة، وقد ذكر المؤرخون: أنه في السنة الثالثة عشر من البعثة قبيل

هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة وقف في حج هذه السنة من المشركين من الأوس والخزرج خمسمائة نفر، ثم انصرفوا إلى المدينة ولم يكن الحج قد فرض على المسلمين، فإنه فرض في السنة الخامسة من الهجرة، لكن لابد أنه وقف أيضا من قريش نحو ألف نفر. واللَّه تعالى أعلم.

وذكروا أيضاً: أن عدد من خرج مع النبي ﷺ من المدينة من المسلمين في حجة الوداع تسعون ألفاً، ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ويقال أكثر كما حكاه البيهقي، هذا ما ذكره صاحب «تاريخ الخميس»

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٢٨)]

* * *

بسبب منع إعطاء جوازات السفر للحج، وصل في هذه السنة إلى مكة عدد قليل جداً من المسلمين الروس (من روسيا)، (٤٥٠) شخصاً فقط أي زهاء عشر العدد الذي يتوافد كما تقول الأدلة في السنوات الموفقة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٤٧]

* * *

من حيث القوميات الروسية كان العدد المذكور يتألف من (٢٥٠) قرغيزيا أغلبيتهم من مناطق سيبيريا، وحوالي (١٠٠) شخص من سكان ما وراء القفقاس أغلبيتهم من محافظة يريفان، وحوالي (١٠٠) تتري من مختلف محافظات روسيا الأوربية وبالضبط من بطرسبورغ (٦) أشخاص، من محافظة ريازان (٢١) شخصاً، من محافظة بنزا شخصان، من محافظة قازان (١٦) شخصاً، من موسكو شخصان، من محافظة نيجي نوفغورود (٨) أشخاص من محافظة سيمبيرسك (١٤) شخصاً، من محافظة أوفا (١٢) شخصاً، من محافظة سامارا (٧) أشخاص، من محافظة اورنبورغ (٩) أشخاص، من محافظة استراخان عدا أورطة بوكييف (٧) أشخاص، ثم شخص واحد من

محافظة توبولسك. ولم يكن هناك حجاج من تركستان ومن مقاطعة ما وراء قزوين ومن القرم.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٤٧]

❊ ❊ ❊

جميع القرغيز بايات (أغنياء) محليون من الرحل، ولم أر بينهم سوى اثنين من رجال الدين سافروا لقاء أجر لأداء فريضة الحج بالنيابة عن الآخرين (البدل)، وسكان محافظة يريفان الذين تظاهروا بأنهم داغستانيون لكي يتخلصوا أغلب الظن من دفع رسوم خاصة تستوفي في الحجاز من أهل الشيعة كانوا جميعهم بلا استثناء زراعاً ميسورين، القادمون الآخرون من سائر أنحاء ما وراء القفقاس كانوا على الأغلب تجار أغنياء.

وكان بين التتر (١١) ملا من أئمة المساجد، سافر منهم (٩) على سبيل البدل، أما الباقون فقط كانوا جميعهم من مرتبة التجار الميسورين إلى هذا الحد أو ذاك.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٤٩]

❊ ❊ ❊

كان جميع الحجاج (الروس) باستثناء قلة تافهة من المتقدمين في السن كانت أعمارهم تتراوح بين (٥٠ –٦٠) سنة.

أما القادمون من عائلاتهم فكانوا أربعة فقط من التتر، وكان مع أحدهم خمسة أولاد، أصغرهم سناً في الرابعة عشرة من العمر.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٤٩]

❊ ❊ ❊

في اليوم الثامن من ذي الحجة المعروف بيوم التروية يتحرك الحجاج من مكة المكرمة متجهين إلى عرفات، أحد أركان الحج وأولها، هذه الحركة عجيبة ونادرة حقاً، مائتان أو ثلاثمائة ألف إنسان يمرون من خلال تلك الأزقة الضيقة

باتجاه عرفات.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٢٩]

❋ ❋ ❋

بلغ عدد الحجاج في سنة (١٣٤١هـ) نيفاً ومائة وخمسين ألفا من عموم أقطار العالم بينهم (٣٤) ألفاً من جاوة، وما يناهز هذا العدد من الهنود.

[«جريدة القبلة» العدد ٧٠٥ ص ١ سنة (١٣٤١هـ)]

❋ ❋ ❋

شهد موقف عرفة في هذا العام (١٣٤٥هـ) (٢٥٠) ألف مسلم ثلثهم من العرب والثلثان من سائر الأمم، وامتاز هذا الموسم بكثرة عدد العلماء الذين شهدوه ولا سيما من مصر والهند.

[«مجلة الزهراء» لمحب الدين الخطيب (٣/ ٦٦٨)]

❋ ❋ ❋

تراوح عدد حجاج الخارج خلال السنوات الخمس السابقة ما بين ٨٠,٠٠٠ و١٢٠,٠٠٠، ويعزى الانخفاض في (١٩٣١م) أساساً إلى كساد الاقتصاد العالمي الذي وسم ذلك العام والأعوام التلية. ففي (١٩٣٢م) هبط العدد أكثر عن ذي قبل إلى ٣٠,٠٠٠، وفي العام الذي تلاه إلى مجرد ٢٠,٠٠٠ وهذا يمثل منتهى الانخفاض، ذلك لأنه في عام (١٩٣٤م) ارتفع عدد القادمين من الخارج إلى ٢٥,٣٧٠. ومنذ ذلك الحين استمر العدد في تحسن بطيء لكنه مطرد حتى أعادت الحرب الحالية عقارب الساعة إلى الوراء مرة أخرى. ففي العقد السابق للحرب ربما كان معدل حجاج الخارج الذين يزورون مكة كل عام نحو ٣٥,٠٠٠، وقبل هذه الفترة كان وفود الحجاج من الملايو والهند الشرقية الهولندية وحدهما كثيراً ما يتجاوز ٥٠,٠٠٠ نفس في العام؛ وقد كان هذا العنصر بصفة خاصة هو الذي تقلص إلى نسب ضئيلة بسبب الهبوط في

أسعار السلع التي ينتجونها - السكر والمطاط خاصة -.

[«حاج في الجزيرة العربية» ص١٩ لهاري سانت فيلبي، ترجمة عبدالقادر عبداللّه]

* * *

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): ثمة ١٠٠٠ حاج كانوا على متن كل من السفن الكبيرة التي كانت تبحر إلى البحر الأحمر كل عام بدعم من الدولة، وهي - على حسب رأينا - ست سفن، تضاف إليهم أعداد ليست بالقليلة من المسافرين على متن سفن أخرى.

أما رواية القزويني فتشير إلى عشر سفن تقلّ ما مجموعه خمسة آلاف حاج، أي ما معدله خمسمائة حاج لكل سفينة، ولابد من أن نضيف إلى هذا العدد الحجاج القادمين من مناطق أخرى لم نعثر على بيانات عنهم، أو أن البيانات المتوافرة ناقصة، وبخاصة تلك الواردة من مليبار وكورماندل والبنغال، فإذا أضفنا إلى ذلك العدد أولئك القادمين من جنوب شرق آسيا بالبر كان لدينا نحو عشرة آلاف حاج بلا ريب، ومع أن من المستحيل إعطاء تقدير دقيق للحجاج القادمين من الهند الشرقية وأولئك القادمين من البر، ولكننا نقترح زيادة الرقم الإجمالي خمسة آلاف حاج على الأقل، وبمعنى آخر فإن البيانات المذكورة آنفاً تدفعني إلى تقدير متحفظ وهو أن نحو خمسة عشر ألف مسلم هندي كانوا يؤدون الحج سنوياً خلال الفترة من (١٥٠٠م-١٨٠٠م) خلال مدة دراستنا.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٠٩ لمعراج نواب مرزا]

* * *

مكة التي شاهدتها قبل الحج وبعده، وأعرفها معرفة جيدة خلافاً لسائر مدن الشرق كلها، فإن نتائج أبحاثي وتدقيقي تجعلني أقدر عدد سكانها بما يتردد بين خمسة وعشرين ألف نسمة وثلاثين ألف نسمة للسكان المقيمين في كل أحياء المدينة وضواحيها، هذا بالإضافة إلى ما يتراوح بين ثلاثة آلاف حبشي

وعبد أسود إلى أربعة آلاف، ومساكن مكة كافية لاستيعاب ضعف هذا العدد ثلاث مرات. في زمن السلطان سليم الأول

(وذلك نقلا عن قطب الدين في العام (٩٢٣هـ)) جرى عمل إحصاء للسكان في مكة، وذلك قبل توزيع منحة من القمح عليهم، ووجدوا أن عدد السكان حوالي اثنى عشر ألف نسمة، رجالًا، ونساء، وأطفالًا. قطب الدين يوضح أيضاً أن عدد السكان في الأزمان المبكرة كان أكبر من ذلك بكثير، والسبب في ذلك أن أبو ظاهر، زعيم القرامطة (مذهب مهرطق من المذاهب الإسلامية) عندما هاجم مكة وسلبها في العام (٣١٤هـ) جرى قتل ثلاثين ألفا من سكان المدينة على أيدي جنوده المتوحشين الطغاة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٧١) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

بما أن مسلمي آسيا الوسطى من رعايا روسيا، وكذلك التتر والأفغان والقشقار وقسم من الفرس كانوا معروفين في جدة عموماً بأنهم بخاريون، فمن المستحيل تعيين العدد الحقيقي من الحجاج من رعايا روسيا ورعايا بخارى.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٤١]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٨٩١م) بلغ مجمل الحجاج من رعايا روسيا وبخارى القادمين إلى مكة عبر أفغانستان والهند زهاء (١٢٦٩م) شخصاً وعبر القسطنطينية (٧٨٤)، وفي سنة (١٨٩٢م) وصل إلى الحج عبر الطريق الأول (٣٠٤٣) شخصاً، وعبر الطريق الثاني (٨٠٤)، وفي سنة (١٨٩٣م) وصل إلى الحج عبر بومباي (٤٣٢٨)، وعبر السويس (١٨٠٨) أشخاص، وفي سنة (١٨٩٤م) بلغ عدد الحجاج من بلادنا (٣٣٤٩) شخصاً منهم (٢٩٣١) جاؤوا عبر الهند، (٤١٨) عبر السويس.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٤١]

يقدر عدد حجاج القافلة التي كانت تغادر دمشق في العصر العثماني بـ (٤٠٠٠٠) ومعهم (٣٥٠٠٠) حمل.

[«معان دراسة في الموقع» للدكتور سعد أبو دية ص٨٥]

❋ ❋ ❋

بلغ عدد الحجاج سنة (١٣١٥هـ) الذين مروا من قنال السويس جائين من طريق بورسعيد والإسكندرية (٨٣٥٢) عثمانياً و(١١١٣) إيرانياً، والذين جاؤوا من طريق البصرة إلى السويس ومرّوا من القنال (١٩٠)، والذين لم يمرّوا منه (١٥٣). وبلغ عدد الحجاج من البوسنة والهرسك (٨٦)، ومن مغاربة والجزائر (٢٧) وذلك لأن فرنسا أحصرت مسلمي بلادها منذ خمس سنوات ومن مغاربة الدولة العلية (١٤١). وبلغ عدد الروسيين الذين جاؤوا عن طريق الإسكندرية (٢٠٩)، وبلغ عدد المصريين (٤٥٤١)، وزد على ذلك (٢٤٠) حاجاً من المغاربة والتكارنة والسودان سافروا في وابورات الشركة العثمانية مجاناً لأنهم فقراء. ذكر المؤيد هذا الإحصاء بزيادة تفصيل، وقال: إنه أضبط إحصاء حصل للحجاج.

بلغ عدد الحجاج الذين غادروا منى من بعد التضحية: مائتي ألف نفس.

[«مجلة المنار» (١/ ١٦٣)]

❋ ❋ ❋

بلغ عدة الحجاج الوافدين في سنة (١٣٣٠هـ) مائة وخمسين ألف.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٤/ ٢٣٣)]

❋ ❋ ❋

حجاج عام سنة (١٣٤٤هـ) الذين قدموا من البحر يتجاوز السبعين ألفاً، والذين قدموا من جزيرة العرب ما يقرب من السبعين ألفاً، فيكون مجموع من حضر عرفة من الحجاج ما يقرب من المائة والخمسين ألفاً.

[«جريدة أم القرى» العدد (٧٨) ص ١ سنة (١٣٤٤هـ)]

بلغ عدد الحجاج الذين قد وقفوا في عرفات ما يقرب من مائتي ألف نسمة، منهم تسعون ألفاً ونيفاً جاؤوا عن طريق البحر، والآخرون من أطراف البلاد العربية المجاورة.

[«جريدة أم القرى» العدد (٢٣٠) ص ٢ سنة (١٣٤٧هـ)]

❊ ❊ ❊

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): بيانات تشير إلى أن الحجاج من الملايو غالباً ما يسافرون عبر سورات أو الموانئ الهندية الأخرى، وكما أشار شريكي فقد (أصبحت سورات منذ القرن السادس عشر، العاشر الهجري فصاعداً إحدى المحطات» الموانى» الثابتة للحجاج إلى مكة من الشرق).

وبالطبع فإن هؤلاء يحسبون في عداد الحجاج القادمين من الهند عموماً، وهذا يجعل من الصعب فصل الجانبين وفرز أرقام محددة لكل منهما.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٠٤ لمعراج نواب مرزا]

❊ ❊ ❊

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): لا توجد بيانات البتة عن حجاج البر المسافرين عبر شمال غرب الهند، حيث لا يشجع رجال الدين السُنّيون سلوك هذه الطريق لأنها تعبر أراضي الشيعة، وليس بإمكاننا تقدير أثر ذلك.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٠٥ لمعراج نواب مرزا]

❊ ❊ ❊

عدد الحجاج الكويتيين في سنة ١٩٩٥م يصل إلى خمسمائة حاج.

[«تاريخ الكويت السياسي» لحسين خزعل ٥/ ٤٤]

❊ ❊ ❊

اختلاط

كان الرجال والنساء يطوفون معاً مختلطين حتى ولي مكة (خالد لعبد الملك) ففرق بين الرجال والنساء في الطواف، فأجلس عند كل ركن حرساً معهم سياط، فيفرقون بين الرجال والنساء، وهو أول من فرق بينهما.

[«إتحاف الورى» لابن فهد (٢/ ١٢٠)]

❊ ❊ ❊

ولي علي بن الحسن الهاشمي مكة زمن المهتدي بن الواثق الهاشمي هو أول من فرّق بين الرجال والنساء في جلوسهن في المسجد الحرام أمر بحبال تربط بين الأساطين التي يقعدون عندها تفصل بينهن وبين الرجال.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين القريشي ص٣٠١]

❊ ❊ ❊

إخلاص

الإخلاص في الحج:

قال ﷺ: «اللَّهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة».

وقال رجل لابن عمر: ما أكثر الحاج فقال ابن عمر: ما أقلهم، ثم رأى رجلا على بعير على رحل رث خطامه حبل فقال: لعل هذا.

وقال شريح: الحاج قليل والركبان كثير، ما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه.

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى كثير وأما الواصلون قليل

كان بعض المتقدمين يحج ماشيا على قدميه كل عام، فكان ليلة نائما على فراشه فطلبت منه أمه شربة ماء، فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقي أمه

الماء، فتذكر حجه ماشيا كل عام، وأنه لا يشق عليه، فحاسب نفسه فرأى أنه لا يهونه عليه إلا رؤية الناس له، ومدحهم إياه، فعلم أنه كان مدخولا.

[«فضائل الحج والعمرة» لسيد العفاني(١/ ٢٧)]

* * *

أخوة

الحجاج يمضون أوقاتهم في خيام ينصبونها حول مسجد الخيف، ويزورون بعضهم بعضاً، وكل حاج يألف بني جنسه، ومع ذلك فإن الراغبين في التعارف مع الأجناس الأخرى ليسوا قليلين فبعض الناس يمرون على كل الحجاج فيسلمون عليهم والوقت طويل، فإذا رغب الإنسان فقد يعترف على كثير من الرجال.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٣٤]

* * *

قال الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين: حكاية: قال كاتب هذه الحروف، غفر اللّٰه له وأعاده من كل مخوف: إنه وقع لي زمنه بمكة المشرفة، وهو عام أربعة وسبعين بعد المائتين والألف، أني قمتُ بعد صلاة المغرب لأجدد الوضوء من الكيزان الموضوعة في الحرم للشرب والوضوء، كما هو المندوب، أي تجديد الوضوء، فلما أتيت لبعضها، وجدت عنده رجلًا حينما جلست، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، واشتغلت أنا وهو بالوضوء، فإذا برجل آخر سلم علينا، فرددت أنا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإذا بآخر سلم علينا، فرددت أيضاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، فاشتغلنا بالوضوء، فلما أكملناه سلمت عليهم أيضاً جميعاً، والتفتت على الأخير الذي جاءنا وقلت له: يا أخي، من أي بلاد أنت؟ فقال: أنا من ناحية الشمال، وبلادنا ليس وراءها إلا سد يأجوج ومأجوج: فنحن في حد بلاد المسلمين من تلك الناحية، فقلت: كم المسافة دونكم؟ فقال لي: نحن بلادنا صعبة، ودونها

الجبال والبحور، من جاء منا من جهة المشرق، تكون المسافة عليه أربعة أشهر ونحوها، ومن جاء من جهة الغرب، تكون ستة أشهر، ونحو ذلك، فقلت له: ومن حذاءكم من أهل التجارات؟ فقال لي: تأتينا الأتراك بتجارات على التيوس الفحول المعز، لأن بلادنا من صعوبة جبالها، لا يسير فيها من المواشي إلا تيوس المعز، فاعتبرت، والتفت إلى الذي جاءنا قبله، وقلت له: يا أخي، من أي بلاد أنت؟ قال: أن من بلاد المطلع، فقلت له: ما المطلع؟ فقال: مطلع الشمس، لأنا في موضع ما وراءه إلا الجبال التي تطلع الشمس. قال: فنحن في حد المسلمين والعمارة من تلك الناحية فقلت له، كم المسافة دونكم فقال: إن كان براً فعام، وإلا فستة أشهر أو سبعة، ونحو ذلك فاعتبرت. والتفت إلى الأول الذي وجدته جلس قبلي وقلت له: يا أخي من أي البلاد أنت؟ فقال: أنا من أقصى بلاد اليمين، بلادنا ما وراءها إلا بلاد الصين، فنحن في حد بلاد المسلمين من تلك الناحية، فقلت له: كم المسافة دونكم؟ فقال لي: أما براً، فنحو عشرة أشهر أو تسعة، وأما بحراً، فحسب التيسير: من ستة أشهر ونحوها. فقلت لهم: لم يبق إلا صاحبكم، أعني نفسي، فإني من أقصى بلاد الغرب، والمسافة بيننا مع الحرم الشريف إذا كانت براً فعام أو قريب منها كما وقع لي، وسألت كل واحد منهم عن زمن الربيع عندهم، ومجيء الأمطار، فإذا صاحب اليمين والمطلع، دهر الربيع عندهما فصل الخريف وما قاربه من الصيف، وذلك حال بلادنا التي هي الحوض ونحوه، وأما الشمال، فدهر الربيع عندهم، فصل الشتاء وما قاربه من فصل الربيع، وسألتهم ما يتصارفون به في بلادهم فقالوا كلهم: إن التصارف عندهم بالدنانير والدراهم. وسألتهم كلهم هل بلادهم فيها سلاطين، أو مستقيمة بلا سلاطين، فقالوا كلهم: إن بلادهم فيها سلاطين، ولا تستقيم دونهم، فقلت إن بلادنا لا يعرف أهلها دينارا ولا درهما، فاعتبروا غاية، وقال لي: بما التصارف عندكم، فقلت لهم بالأنعام والأثواب والعبيد، ونحو ذلك، فتعجبوا غاية العجب، وقلت لهم أيضاً، إن بلادنا لا سلطان فيها، وأهلها

مستقيمون غاية، وإنما يكون للقبيلة منها رئيس تأوي إليه في بعض أمورها، والناس مستقيمة على ذلك، وأهل علم كثير فتعجبوا من هاذين الأمرين غاية، وقالوا لي: إنهم يعرفون في الحديث، إن من أحق الناس بالأمان، قوماً لا يعرفون ديناراً ولا درهما، وما كنا نظن أنه موجود في الدنيا: فقلت لهم نعم، وهم أهل بلادنا، يعيش أحدهما العمر الطويل لم ير ديناراً ولا درهما ولا عرفه إلا إذا كان من أهل العلم، فإنه يقرؤه في العلم، فلما قلت لهم ذلك، كأنهم رأوا الفضل لبلادنا وأهلها على بلادهم وأهلهم بذلك، ومن أغرب الأشياء أنهم جميعاً أعاجم، وليس فيهم أحد يعرف لغة الآخر، ولا يعرفون لغتي أنا التي هي الحسانية، ولكنهم جميعاً أهل علم، وخبير باللسان العربي، وأنا ما تكلمت لهم إلا به ولم يتكلم منهم بعض لبعض غيري، غفر اللّه لي، وكلهم غير صاحب الشمال قال لي: إن بلاده فيها الأنعام، ومن الغريب عندي أنا لم يأتينا شخص واحد غيرنا، فالتفت إليهم، وقلت لهم: أعلمتم أن اللّه قادر على أن يجمعنا اليوم لا ريب فيه، فقالوا كلهم: نعم نعم، فقلت الدعاء، فرفعنا أيدينا، فدعوت أمنوا على دعائي، والتفت إليهم فإذا هم جميعاً متقاربون في السن، كل واحد منهم في أحسن الفتوة، فقمنا، ولم أر منهم واحداً بعد ذلك المجلس إلى الآن، نرجو اللّه أن يغفر لنا بالتمام، والسلام، في الرابع والعشرين من شوال عام تسعة عشر بعد ثلاثمائة وألف، عبيد ربه ماء العينين ابن شيخه الشيخ محمد فاضل بن مامين، غفر اللّه لهم وللمسلمين آمين.

[«الرحلة المعينية» ص١٤٧ – ١٤٩ لماء العينين بن العتيق]

* * *

كان يجاورني في الصلاة مواطن باكستاني يعمل في بنك البحرين، ومواطن تركي يعمل في بوخوم. وهذا الالتقاء العالمي هو أحد أهداف الحج.

[«الطريق إلى مكة» ص١١ لمراد هوفمان]

* * *

وهناك تقرير حديث عن الحج صدر في عام (١٩٩١م - ١٤١١هـ) شرح كيف أن مكة، المدينة المقدسة، تصبح في موسم الحج من كل عام (أكثر المدن الإسلامية تنوعاً، سواء من ناحية الأجناس البشرية الموجودة فيها، أم من الخيارات المتاحة من ألوان الطعام العالمية التي تقدم في مطاعمها، والبضائع المتكدسة في أسواقها من كل صنف ولون. ويمتد التواصل بين الحجاج، إذ يلتقون في المطاعم والمقاهي ممثلين لجميع شعوب العالم، وغالباً أول مرة، ففي مطعم أندونيسي للوجبات السريعة يقدم حاج إندونيسي الشوربة الإندونيسية الساخنة، وكرات اللحم لصديقه السنغالي، وتكون هذه المرة هي المرة الأولى التي يتناول فيها هذا السنغالي طعاماً غير طعامه المحلي، وكلا الرجلين مزارع، وهما يتحدثان بالعربية عن مستوى المعيشة في بلديهما، والتقنيات الزراعية التي يمارسها كل منهما وتجاربهما في الحج.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١١٥ لمعراج نواب مرزا]

❋ ❋ ❋

استيقظت على صوت دقات الباب، قدم أحد الناس لينبهنا إلى وقت صلاة الفجر، استيقظنا بسرعة، وانتهينا من الوضوء، وتوجهنا للصلاة، كانت السفينة كلها مثل الخلية، تُسبح بحمد اللّه، انتهينا من الصلاة، وانتظرنا لنشاهد شروق الشمس لأول مرة على ظهر السفينة وبعد ليلة هي الأولى لنا هنا، صار الناس في السفينة أصدقاء وأحباء، جاء كثير من المسافرين إلينا، يصافحوننا، ويعانقوننا بحب، أعطيت لمن قدم للسلام على بطاقتي، واكتشفت أن جميع بطاقاتي قد انتهت خلال نصف ساعة، ومن بين البطاقات التي تبادلتها مع المسافرين بطاقات لمصريين وسوريين وبطاقة وزير مالية كانو في غربي إفريقيا.

[«ياباني في مكة» ص٧٥ لتاكيشي سوزوكي]

❋ ❋ ❋

أذان

ترى المؤذنين في عموم الممالك التركية أنهم أكثر الناس صفاقة ولا شك في أن مؤذني المدينة أكثرهم صفاقة. وللصراخ بأنكر الأصوات في حضرة رسول اللَّه ﷺ يتطلب صفاقة شديدة، ولا شك بأن كل هذا الصراخ بدعوى العبادة أمام رسول اللَّه ﷺ وهو حي في قبره أمر غير جائز لا عقلًا ولا شرعاً، والصراخ بهذا القدر عند المقام يتطلب صفاقة كبيرة، والحقيقة إن صراخ المؤذنين في المساجد عادة متبعة من قبل النصارى في كنائسهم، ويعلم الجميع أن كتبنا الدينية لا تتضمن رواية في جواز ذلك فكيف يجوز مثل ذلك الآذان، وتلك الإقامة ومعها تلك البدع الشنيعة في مساجد السلاطين في اسطنبول، وخاصة بحضور خليفة المسلمين، ألا يستحون من الجهل بكل هذا الصراخ السخيف.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٦٧]

* * *

وللمسجد الحرام سبع منارات يؤذن عليها في كل الأوقات، فمتى حل الوقت، بدأ شيخ المؤذنين بالأذان على سطح قبة زمزم فيتبعه المؤذنون على المنارات بأصوات تأخذ بمجامع القلوب حيث تنقل نغماتها المطربة إلى الآذان تموجات الهواء فتمتلئ القلوب خشية ورهبة وخشوعاً.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٧٨ لسعد بن أحمد الربيعة.]

* * *

وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة زمزم، وفيها مزولة مثبتة في حائطها الجنوبي، من عمل رجل من مراكش أهداها إلى الحرم، وهي غاية في الضبط والإحكام وعليها ميقاتهم في النهار، فإذا دخل الوقت بدأ الرئيس بالآذان فيتبعه المؤذنون الذين على المنارات بأصوات يحركها الهواء على طبلة الأذن

فتحدث لها اهتزازات في القلب يمتلئ منها خشية ورهبة وخشوعاً وخضوعاً.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٩٩ لمحمد البتنوني]

* * *

ذكر الجلال السيوطي في الأوليات له عن الأزرقي: أن أول من عمل مظلة المؤذنين التي على سطح المسجد يؤذن فيها يوم الجمعة والإمام يخطب عبد اللَّه ابن محمد بن عمران الطلحي، وهو أمير مكة في خلافة الرشيد. وكان المؤذنون يجلسون هناك يوم الجمعة في الشمس شتاء وصيفاً.

[«منائح الكرم» لعلي بن بن تاج الدين السنجاري ٢/ ١٢٦]

مئذنة باب الحزورة: سقطت في ليلة مطيرة هي ليلة الإثنين ثاي جمادى الأولى سنة (٧٧١هـ) ولم تضر أحداً من مجاوريها، فلما بلغ هذا للسلطان الأشرف بن حسين أمر أمير الحاج علاء الدين بن علي بن كلبك التركماني أن يتخلف في مكة المكرمة لعمارة المئذنة فأتم عمارتها في المحرم سنة (٧٧٢هـ).

[«بدائع الزهور» لابن إياس ١/ ٩٧]

* * *

للمسجد الحرام سبع مآذن في زماننا وتسمى مئذنة، باب العمرة، ومئذنة باب السلام، ومئذنة باب على، ومئذنة باب الوداع، ومئذنة باب الندوة الزائدة، ومئذنة قايتباي، ومئذنة السليمانية، وجميع هذه المآذن موجودة الآن ويؤذن فوقها الأذان المحمدي.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٧٥٥) لأيوب صبري باشا]

* * *

في عهد الإمام الفاكهي كان رئيس مؤذني الحرم الشريف يبدأ الآذان من مئذنة باب العمرة، وكان مؤذنو سار المآذن يقتدون به واستمرت هذه الحالة إلى عهد تقي الفاسى المكي من المؤرخين الكرام، وأخذ المؤذن الإمام من ذلك العهد

يؤذن من فوق مئذنة باب السلام والآخرون يقتدون به، وفي عصرنا هذا يؤذن رئيس المؤذنين الشافعي المذهب من المحفل الشافعي الكائن فوق بئر زمزم وبعده مؤذن باب الوداع ويقتدي بقية المؤذنين بهما.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٧٥٥) لأيوب صبري باشا]

* * *

نقل حمد الجاسر عن الفاسي أن هذا الباب (باب السلام) كانت به مئذنة يؤذن منها رئيس المؤذنين أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع هجري.

[«كتاب المناسك . . .» ص٤٧٧ لأبي إسحاق الحربي]

* * *

أربطة

رباط دار الخيزران: كانت تقع قرب الصفا، وأصبحت رباطا فيما بعد، ولا يعرف من جدد بنائها. ويذكر الفاسي في كتابه «المنتقى» أنها أوقفت سنة (٤٠٢هـ)، ويقول النهروالي بأنها الذي أوقفها والي مكة، وأنها كانت مخصصة لإقامة الحجاج في فترة الموسم.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١١٨)]، [«المنتقى» للفاكهي ص٨٤]، [«الإعلام» للنهروالي ص١٩٨]

* * *

كان يقع قرب المسجد الحرام، وقد أوقف سنة (٥٢٩هـ) ولم يعرف من الذي أوقفه، وإنما شرط وقفيته على جميع الرجال الغرباء المقيمين في مكة وسائر أنحاء العراق، كما أنه كان ينزل فيه حجاج قزوين.

[«تحصيل المرام» لمحمد الصباغ ورقة ١٦٣ب]

* * *

رباط الدمشقية: أنشأ هذا الرباط تجار مدينة دمشق، وسمي رباط الدمشقية نسبة

إلى مدينة دمشق حاضرة الشام، وقد أوقف هذا الرباط سنة (٥٢٩هـ) وشرط وقفيته على الفقراء من أهل دمشق والعراق والعلماء المجاورين في مكة والحجاج.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١١٠)]

* * *

رباط الزرندي: أوقف هذا الرباط الشيخ نجيب الدين أبو الحسن محمد الزرندي من أهل زرنده على أهل ساوه وأهل زرنده المقيمين في مكة، وللحجاج القادمين من فارس لهم الحق في الإقامة فيه فترة موسم الحج.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١١١)]

* * *

رباط الحضارمة: استطاع تجار وأهالي حضرموت أن يبنوا رباطاً سنة (٥٧٠هـ) ليكون سكناً لمن يقيم في مكة من طلبة العلم وللحجاج القادمين من حضرموت، ويقع هذا الرباط في منطقة أجياد.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١١٢)]

* * *

استعداد

يتخذ مسلمونا القرار بالسفر إلى مكة المكرمة بصورة مستقلة أو بناء على نصيحة الملا (إمام المسجد) قبل موعد الحج بسنة كاملة، ومذ ذاك تبدأ الاستعدادات تدريجياً يستعلمون عن الأشخاص الآخرين الذين يعتزمون الحج، يؤلفون فرقا من أقرب الأشخاص من حيث مكان الإقامة أو من الأقارب يديرون الشؤون البيتية، يصفون جميع الحسابات النقدية، يكتبون الوصايا، وما إلى ذلك.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٥١]

* * *

يبدأ صاحب الحملة بشراء الجمال قبل موسم الحج ووضعها في الصحراء أو في حوطة يملكها كما فعل الحاج حمود الدهام والحاج سليمان الصعب بعد اختيار الجمال المناسبة لهذه الرحلة الشاقة، ويكون اختيار صاحب الحملة عادة الأنثى من الإبل وذلك لما فيها من الصفات التي تؤهلها لتحمل مشاق الطريق أكثر من الذكر، فبعد الاختيار المناسب يقوم صاحب الحملة بوضع وسم الحملة على جزء من بدن الإبل ليعرف صاحب الحملة إبله إذا سرقت أو ضلت في الصحراء، وحفاظا على خفوفها من التشقق بسبب السير الطويل في الطرق الصحراوية الوعرة فإنه يضع قطعة المن الجلد على أخفافها.

والجمل أو الناقة عادة ما يكل ويتعب ويضعب بسبب هذا المسير الطويل الوعر فما إن تصل الحملة إلى مدينة بريدة حتى تستنفد الجمال كامل طاقتها وينتابها الهزال وفي هذه الحالة يضطر صاحب الحملة إلى أن يستبدل جماله القديمة بجمال جديدة قوية من مدينة بريدة أو عنيزة حتى يمكل المسير، وكان بعضهم يحفظ جماله أمانة عند من يثق به من أهل بريدة ويستأجر أو يشتري أخرى بدلًا منها.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

❊ ❊ ❊

استقبال

كان الحجاج يتمتعون بين مواطنيهم بعمق الاحترام. ومن الأمثلة على ذلك وصف لقاء فريق من الحجاج في مدن آسيا الوسطى من وضع أ. فامبيري. اللقاء في غموشتيبة: انتشر نبأ وصولنا في كل مكان: النساء والأولاد وحتى الكلاب تدفقوا في حيرة غريبة من الخيام لكي يلقوا نظرة إلى الحجاج المقتربين، وينالوا

بلمسهم جزءاً من الأفضال والمكافآت الناجمة عن الأمر الرباني عن الحج . . . غريب الشبان والشيوخ دون تمييز في الجنس أو اللقب، الجميع رغبوا في لمس الحجاج الذين نزل عليهم غبار المدينة أو مكة المقدسة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٩]

* * *

قبيل عودة موكب الحجيج بأيام تكون أخبار القافلة قد وصلت كاملة إلى الأهالي من خلال أمير الحج الذي كانت مهمته تتمثل في إرسال مجموعة جند مسلحة بقيادة شخص يدعى (الجوخدار) ليعمل على نقل أخبار الحجيج وموعد وصولهم إلى الديار، ولدى سماع الأهالي لأول الأنباء تهرع الجموع لإقامة الأسواق الشعبية المؤقتة في الساحات الكبيرة المعروفة لدى العامة في منطقة المزريب جنوبي دمشق سواء لبيع ما يحتاجه الحجيج أو للتجارة في ما جلبوه معهم من الديار المقدسة من مواد نادرة.

[«مجلة تراث» العدد ٢«٨/ ٢٠٠١)(٢٠٠١) ص٢٨]

* * *

تفتح أبواب بيوت الحاج (الفلسطيني) للمهنئين والزوار لمدة أسبوع واحد وتزين أبواب البيت بالجريد وسعف النخيل وأغصان الزيتون، كذلك يتم تزيين البيوت بالأعلام الخضراء والمكتوب عليها (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه) كما تضاء المشاعل الملونة فوق أبواب البيوت تيمناً بالخير والبركة للحاج الذي يقوم بدوره بالإيعاز لأهل بيته بتقديم الزلابية والقطين (التين المجفف)، بالإضافة إلى ما جلبه معه من تمور وماء زمزم ومسابح وقطع سجاد للصلاة الصغيرة لتوزيعها على الناس الذين يباركون هذا الحج إلى درجة التي يتبارك فيها البعض من الحاج بتقبيل ملابسه وأكتافه التي تعفرت برياح وتراب مكة والمدينة المنورة.

[«مجلة تراث» العدد (٢٨/ ٢٠٠١) ص٢٩]

وبعض العامة قبل حضور الحجاج يبيضون بيوتهم من الخارج ويرسمون عليها رسماً بدائياً شكل رجل راكب جمل أو نحو ذلك، ثم يستقبلون الحاج بالزفة، ويقيمون الولائم، وينصبون نصة كنصبة الأفراح.

[«قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» ص١٦٢ لأحمد أمين]

* * *

اسطوانة

يبلغ طول الضلع الشرقي للمسجد الحرام، قبل التوسعة الأخيرة (١٠٨) أمتار ومثله ضلعه الغربي، وضلعه الشمالي (١٦٦) متراً، ويقرب ذلك طول ضلعه الجنوبي، وهو مكشوف تحيط به قباب قائمة على أعمدة من الرخام، وأسطوانات من الحجر. عدد أعمدته (٣١١) عموداً، وعدد أسطواناته (٢٤٤) أسطوانة، وعدد قبابه الكبار (١٥٢) قبة، وعدد قبابه الصغار - التي يسمونها (الطواجن) - (٢٣٢) قبة.

[«قرة العين في الرحلة إلى الحرمين الشريفين» ص١٧٩ للحضرمي بن الشيخ أبي بكر]

* * *

إضاءة

أول من استصبح لأهل الطواف في المسجد الحرام: عقبة بن الأزرق بن عمرو، وكانت داره لاصقة بالمسجد الحرام من ناحية وجه الكعبة، والمسجد يومئذ ضّيق ليس بين جدر المسجد وبين المقام إلا شيء يسير، فكان يضع على حرف داره وجدر داره وجدر المسجد واحد مصباحا كبيراً يستصبح فيه فيضيء له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد.

[«تاريخ مكة» للأزرقي(١/ ٢٨٦)]

* * *

أول من أجرى للمسجد زيتاً وقناديل معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٨٦)]

* * *

يذكر أن الخليفة المعتصم باللّه بن هارون الرشيد هو أول من استخدم النفط للإضاءة في الحج، حيث أنفط وأسرج ليالي الحج بين المزمين عام (٢١٩هـ) عندما وضع المصابيح للحجاج خيفة السرقة.

[«الحج في التاريخ» لفراج علي سالم ص٥٨]

* * *

بطل تسريج القناديل في الحرم الشريف من رابع شعبان سنة (١٣٣٩هـ)، وجعل بدله الكهرباء والأتاريك، فتنور المسجد الحرام بالضوء الكهربائي والأتاريك، وعلقت المصابيح التي يظهر منها الضوء الكهربائي في المطاف الشريف اثنان وسبعون.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٧٦٧)]

* * *

في رحلة بوكاهرت الألماني إلى مكة سنة (١٨١٤م) لم يكن المسجد وحده مضاء بآلاف المصابيح فحسب، بل كان كل حاج يحمل قنديلًا خاصاً به.

[«مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى» لأغسطس رالي نقله للعربية حسن سعيد غزالة ص ١٣٨]

* * *

أعلام الحرم

بعد خمس ساعات وصلنا العلمين، وهما عبارة عن هيكلين حجريين يقع كل واحد منهما على جانب من جانبي الطريق، ويبعد كل هيكل منهما عن الآخر مسافة تقدر بحوالي مائتي خطوة، ويتعين على الحجاج المرور بينهما في

الذهاب إلى عرفات وفي العودة على وجه الخصوص. هذان العلمان من الحجر الغشيم المدهون باللون الأبيض.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص٨٨ لجون لويس بوركهارت]

* * *

إعلان

في رابع ذي الحجة سنة (١٣٤١هـ) صار النداء في أرجاء مكة بالإعلان الرسمي، وهذا نصه:

ليعلم كافة الحجاج الكرام الوافدين إلى بيت اللَّه الحرام وعموم مطوفيهم وكل من يريد الحج من الأهالي وخلافهم، أنه لوقوع الاشتباه في إثبات هلال ذي الحجة ليلة الاثنين الماضية يجب على سبيل الاحتياط أن يستكمل وجود جميع الحجاج بعرفات ليلة الثلاثاء التابعة ليوم الاثنين القادم، وأن يكونوا جميعاً موجودين بعرفات قبل طلوع الفجر من تلك الليلة، وأن يقفوا يوم الثلاثاء الآتي كله بعرفات ولذلك صار إعلانه.

ثم وردت البينة إلى المحكمة على رؤية هلال ذي الحجة ليلة الأحد، فبناء على ذلك صار النداء ثانياً من قبل الحكومة ليلة الأحد السابع ذي الحجة على إثبات رؤية هلال ذي الحجة ليلة الأحد، على أن يكون الوقفة يوم الاثنين.

[«جريدة القبلة» العدد ٧٠٦ ص ١ سنة (١٣٤١هـ)]

* * *

أغوات

خدم الكعبة وأغوات المسجد الحرام:

أول من رتب العبيد لخدمة الكعبة المشرفة معاوية رضي الله عنه هذا ما ذكره

المؤرخون، والظهر أنهم كانوا عبيدً أرقاء لا خصيانا ؛ قالوا: وأن أول من اتخذ الخصيان يزيد بن معاوية؟

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي ٤/ ٢٦]

* * *

يعود تاريخ الأغوات إلى عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، فهو أول من وضع خداماً للكعبة من العبيد.

[«تاريخ الكعبة المشرفة» لحسين با سلامة ص٣٦٣]

* * *

أول من رتب الاغاوات في الحرم المكي للخدمة فيه هو الخليفة أبو جعفر المنصور.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٠١ لمحمد البتنوني]

* * *

شيخ الحرم هو كبير العبيد الأغوات الموقوفين على خدمة المسجد والحجرة الشريفة، والآغا بلغتهم كناية عن الخصي من العبيد، واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه أطهر وأنزه وأكثر فراغاً من الأشغال، إذ لا أهل له ولا ولد يشتغل بهم، وهم عددهم كثير قريب من الثمانين يزيدون وينقصون بحسب كثرة الراغبين في الوقف وقلتهم، والأربعون منهم هم الكبار الذين يأتي رزقهم ومؤونتهم من بيت المال، وما زاد على ذلك إنما يرزقون من الأوقاف التي لهم بالمدينة أو مما يأتيهم من الهدايا والصدقات من أقطار الأرض.

ويسمى ما سوى الأربعين البطالين لأنهم إنما يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال الممتهنة ولا يجلسون من الأكابر في الدكة، وإنما يجلسون خارجها، ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك، فلكل منهم واحد رتبة معلومة وشغل معلوم، فإذا مر بالأصاغر أحد الأكابر قاموا له كلهم، وكذلك الأكابر فيما بينهم فأكبرهم شيخ الحرم وهو يتجدد في الغالب إما

في سنة أو سنتين أو أكثر، ولا يأتي إلا من دار السلطان من عبيده، ويليه النقيب، ويليه المستلم، وهو الذي يتولى قبض الصدقات وما يهدى لهم أو للحجرة، وبيده مفاتيح الحجرة وحواصل الزيت والشمع، والحاصل أن جميع ما يتصرف فيه الأغوات من مصالح المساجد ومن أوقافهم كل ذلك بيده، وإذا مات أحد من الأربعين دخل أحد البطالين في موضعه، وهو من كان شيخ البطالين، والترتيب في ذلك بالتقدم، فمن تقدم مجيئه يقدم على من تأخر مجيئه، وليس فيهم شافعي ولا حنبلي، بل كلهم حنفية ومالكية على مذاهب ساداتهم الذين أوقفوهم، وذلك لأن الشافعية والحنابلة لا يرون صحة وقف الحيوان (الكائن الحي).

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣١٥)]

* * *

من أوقف عبداً من الأغوات على الحجرة نسب إليه سواء كان من التجار أو من الأمراء أو العلماء، فيقال: آغا فلان.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣١٥)]

الأغوات كلهم يبيتون في المسجد ما عدا شيخ الحرم والنقيب، وأما الآخرون فلا يبيت أحد منهم في داره إلا لعذر بين مرض أو نحوه.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣١٧)]

* * *

وعاداتهم (الأغوات) كل ليلة إذا فرغ الناس من صلاة العشاء ورواتبها قاموا بيدهم الفوانيس الكبار مشعلة ليخرجوا الناس من المسجد، فيأتون إلى المواجهة والصف الأول، فيقف بعضهم أول الصف ووسطه وآخره فيخرجون

كل من فيه، فإذا لم يبق أحد في ذلك الصف تكلموا بكلمة ذكر رافعين أصواتهم بها، فينتقلون إلى الصف الذي يليه، صم كذلك حتى لا يبقى أحد إلا هم، فيغلقون الأبواب ويطفئون المصابيح كلها إلا التي في مواجهة الوجه الشريف والتي في داخل الحجرة، فيخرجون من المسجد إلى الصحن وإلى الأروقة التي بجانبهم، فيخرجون فرشهم من الحواصل وينامون هناك، ولا ينام أحد منهم في المسجد بل ولا يأتيه إلا من قصده منهم للصلاة، وغالب نوم الصغار منهم في مؤخر المسجد.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣١٧)]

❋ ❋ ❋

وساداتنا الأغوات ﷺ لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف، وتأديب من أساء فيه بغلط ورفع صوت أو نوم ولو قائلة إلا في مؤخرة المسجد، ومن وجدوه مضطجعاً من دون نوم لاستراحة فإن مد رجليه إلى ناحية الحجرة زجروه، وإن استقبل القبلة بوجهه أو الحجرة من غير أن يكون مستدبراً لها تركوه، ولا يغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل أو نهار، فإن خرجت طائفة جلست طائفة.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٢٠)]

❋ ❋ ❋

ولهم الأغوات ديار وخدم وأتباع وضياع وخيل وسعة ودنيا، ولا يشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد، بل لبعضهم أزواج وسرار اتخذوها للتلذذ بما سوى الجماع، وأحكامهم بينهم منضبطة غاية الانضباط، ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره، ولا يولي عليهم ولا يعزل منهم إلا بأمر شيخهم، ولا يرث معهم بيت

المال شيئاً إن مات أحدهم، إنما يتوارثون بينهم، ومن وجبت عليه عقوبة أو أدب منهم أدبوه من غير أن تكون لأحد عليهم ولاية كل ذلك تعظيماً لجانب النبي ﷺ أن تكون لأحد ولاية على عبيده.

ولقد أنكرت منهم تأديب من لزمه الأدب من صغارهم في المسجد في بيت إزاء الحجرة، فكنت أرى أن لو جعلوا لذلك محلًا بعيداً من المسجد والحجرة الشريفة، ولا يدخل معهم من العبيد الذين يهدون من الآفاق إلا من أرادوا إدخاله بمال يدفعه سيده عنه أو يدفعه هو إن كان له مال، ومع ذلك يبقى في مرتب الصغار المشتغلين بالخدمة الخارجية، فإن رضوا حاله وحسنت أخلاقه تركوه حتى تأتي نوبته في الدخول في زمرة الأربعين، وإن ظهرت منه خيانة وسوء أخلاق وسرقة أو أي شيء يشينه نفوه إلى حيث شاء من البلاد.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٢٠)]

❋ ❋ ❋

إذا دخلت الحرم قبيل الفجر بقليل سمعت رنين عصى الأغوات وحراس الحرم تقرع، وأصواتهم تتصاعد بقولها: الصلاة الصلاة، وهم يدورون في جوانب الحرم موقظين النوام مما طال بهم السهر فغلبهم النوم أو رأوا أن يناموا في الحرم ليضمنوا وجود الموقظين لهم حتى يضمنوا الصلاة في وقتها، أو ممن ليس لهم مكان ينامون فيه غير الحرم.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٥]

خدمة الحرم شتى وأكثرهم من الأغوات وهم أهل صلاح يتعممون بعمامة بيضاء ويلبسون وقت الخدمة على ثيابهم بأبيض ويشدون عليه حزاماً.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص١١٦]

❋ ❋ ❋

ملبس هذا الرجل شيخ الحرم مكون من بليس جميل وفاخر، من فوق ثوب حريري مطرز، وخنجر مرصع بالماس، معلق في وسطه، وقبعة عالية على رأسه».

[ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٤) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

وأول من اتخذ الخصيان لخدمة الكعبة هو يزيد بن معاوية.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٦٧)]

❋ ❋ ❋

ويروي رفعت باشا أن أول من رتب الأغوات في المسجد الحرام هو أبو جعفر المنصور.

[«مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا (١/ ٢٦٠)]

❋ ❋ ❋

وأما أغوات الحرم النبوي الشريف فيعود إلى زمن الملك صلاح الدين بن أيوب، فهو أول من عين خصياناً لخدمة المسجد النبوي الشريف.

[«بدائع الزهود» لابن إياس (١/ ٢٤٣)]

❋ ❋ ❋

الأغوات هم فئة من الناس يقومون بخدمة الحرمين الشريفين، ويكونون عادة من الخصيان، وأول من استخدمهم في المسجد المكي والمسجد النبوي السلطان صلاح الدين الأيوبي في أيام ولايته.

[«مخصصات الحرمين الشريفين» لمحمد علي فهيم بيومي ص٣١٩]

❋ ❋ ❋

الذين يقومون بحراسة الحجرة الشريفة والخدمة فيها هم الأغاوات، وأول من رتبهم للخدمة نور الدين الشهيد، وكانوا اثنى عشر، واشترط أن يكونوا من حملة القرآن الكريم وحفظته، وجعل عليهم شيخاً منهم، وزادهم يوسف صلاح الدين

الايوبي إثنى عشر آخرين. ومن ثم أخذت الملوك والسلاطين تزيد في عددهم إلى الآن، وقد وصل عددهم في بعض الأزمان إلى أكثر من مائة شخص، ولهم أوقاف مخصوصة ومرتبات تأتيهم سنوياً من الإستانة وغيرها، ولهم دور بالمدينة يسكنون بها. وأغلب خدمة الحرم الشريف من غير مرتبات ويعيشون من خيرات ذوي البر والإحسان. والقاعدة في خدمة الحرم الشريف: أن من يموت منهم توزع وظيفته ومرتبه على أولاده جميعاً: فإذا مات الخطيب مثلاً وكان مرتبه مائة قرش تعين بنوه في مركزه ووزع مرتبه عليهم وتولى العمل مكانه أكبرهم وهكذا باقي الخدمة: لذلك ترى مرتبات الكل غير كافية بمعاشهم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٤٢ لمحمد البتنوني]

* * *

ألقاب

بعض الحجاج يتطلعون إلى الحصول على لقب «خادم المسجد» أو بالأحرى خادم الجامع، وهذا يكلف الحاج مبلغ ثلاثين دولاراً، ونظير هذا المبلغ، يحصل الحاج على ورقة، تضفي هذا اللقب على طالبها، ويتسلمها المشترى موقعة من كل من الشريف والقاضي.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٥٦) لجون لويس بوركهارت]

* * *

وليس في الأوصاف أحسن ولا أجمل ولا أكمل من قولهم فيه: خادم الحرمين الشريفين، فأكرم بها نسبة، وقد رأيت في بعض التواريخ أن أول من وصف بذلك من الملوك في الخطبة السلطان الأجل صلاح الدين بن أيوب، وأنه لما قال الخطيب ذلك وسمعه سجد شكراً للّه أن أهّله لذلك وسماه به.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٢٢)]

كثير من الناس لا يحجون إلا ليُلقبوا بالحاج فلان أو الحاجة فلانة.

[«قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» ص١٦٢ لأحمد أمين]

❊ ❊ ❊

عثرت في واحد من دكاكين الحلاقين في جدة على واحد من أولئك الذين يقطعون الأختام، وكان فارسي الأصل، كانت مهنة ذلك الرجل رائجة؛ ذلك أن الحاج بعد أن ينتهي من زيارة الأماكن المقدسة يقوم بإضافة كلمة «الحاج» إلى ختمه.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٦٧) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

كان ولا يزال لقب الحاج عند سواد المسلمين أشرف الألقاب التي يتجلى بها صدر أسماء الطبقة الصغرى.

[«الرحلة الحجازية» للأستاذ محمد لبيب التنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٨٤٩)]

❊ ❊ ❊

جاء في تاريخ الإمام الأزرقي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا العنوان «أهل مكة أهل اللَّه عز شانه» وهو عن ابن جريج عن عبد اللَّه بن عبيد اللَّه أنه كان يقول: كان أهل مكة فيما مضى يلقون فيقال لهم يا أهل اللَّه، وهذا من أهل اللَّه. قال العلامة ابن ظهيرة رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الجامع اللطيف»: المراد بأهل مكة قريش، وبما مضى حال شركهم وكفرهم كما ذكر أهل السير، فبالأولى أن يقال لهم بعد أن أكرمهم اللَّه تعالى بدين الإسلام وأعزهم بنبيه - عليه أفضل الصلاة والسلام - فطوبى لأهل مكة ثم طوبى.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٠٩)]

❊ ❊ ❊

إلحاد

عن مجاهد قال: كان لعبد اللَّه بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحال والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أراد أن يصلي صلى في الحرم، فقيل له في ذلك فقال: إن كنا نتحدث أن من الإلحاد في الحرم أن يقول الرجل: كلا واللَّه، وبلى واللَّه.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ١٣١)]

* * *

عن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: الإلحاد في الحرم: ظلم الخادم فما فوق ذلك.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ١٣٦)]

* * *

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول: احتكار الطعام بمكة للبيع إلحاد.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ١٣٥)]

* * *

إمامة

سمحت الحكومة السعودية باتخاذ الميكرفون في المسجد الحرام والمسجد النبوي، ووضعوه على المنارات ومقامات المبلغين وعند الإمام وقت الصلوات وعلى المنبر، وكان وضعه في المسجد الحرام في أول عام (١٣٨٦هـ)، وقد وضع في المقام الحنفي جهة باب الزيادة لأن في هذا المقام يبلغ حركات الإمام للمأمومين.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٣٦٧)]

* * *

في سنة (٧٥٤هـ) قبض على إمام الزيدية أبي القاسم محمد بن أحمد اليمني، وكان يصلي في الحرم الشريف بجماعته ويتجاهر بمذهبه، ونصب له منبر في الحرم الشريف يخطب عليه يوم العيد وغيره على مقتضى مذهبه، فضُرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ليرجع عن مذهبه فلم يرجع وسجن، ففر إلى وادي نخلة.

وضرب مؤذن الزيدية إلى أن مات تحت الضرب، فحضر إمام الزيدية في العام الذي بعده إلى القاضي ابن جماعة، وتاب مما كان عليه من مذهب الزيدية، وتبرأ إلى اللَّه عز وجل من إباحة دماء السادة الشافعية وأموالهم، وأنه يواظب على الصلوات، وكتب ذلك بخطه.

[«منائح الكرم» للسنجاري (٢/ ٣٦٣)]

* * *

في أواخر ذي القعدة سنة (١٣٤٣هـ) أرسل عظمة السلطان كتاباً من مخيمه باسم الأهالي ذكر فيه: أن حجاج الشرق في هذه السنة قادمون إلى مكة بكثرة، وفيهم بعض القبائل جلوف، وفيهم تعصب شديد، وفي اعتقادهم أن أهل مكة قائمون على ما هم عليه ما صلحت اعتقادهم إلى الآن، فخوفاً من وقوع الفتنة ترى المصلحة أن في شهر الحج يصلي الجمعة بالناس في الحرم الشريف رجل من علماء نجد، ثم بعد رجوع الحجاج إلى بلدهم يرجع الوظيفة إلى أهله.

فأرسلوا له جواباً: نحن مطيعون لأمر السلطان غير مخالفين له، والإمامة والخطابة وظيفة السلطان، فيقوم هو بنفسه أو يعطي لمن يشاء من رعاياه ما نتعرض له في هذا الأمر بشيء.

وفي يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة (١٣٤٣هـ) أمر المؤذن أن يؤذن أذان الجمعة قبل دخول الوقت بساعة، فأذن المؤذن في منارة باب الوداع، ثم بعد دخول الوقت طلع الخطيب وهو الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل شيخ أحد

علماء نجد على المنبر، وبعد ما جلس أذّن الريّس فوق قبة زمزم، وبعد تمام الأذان خطب الخطيب، ثم صلى الجمعة.

وبعد ما مضى شهر الحج طلب الأهالي من الحكومة إرجاع وظيفة الجمعة إليهم، فأجابت بأن ما دام الحرب قائماً فصلاة الجمعة يصليها بالناس إمامنا لا غيره.

ثم سافر الشيخ محمد بن عبد اللطيف إلى نجد، وعيّن الشيخ عبد اللّه بن حسن خطيباً.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٥/ ١٦٣)]

* * *

في القرن الثاني عشر والنصف من القرن الثالث عشر الهجري وصل عدد الأئمة في الحرمين الشريفين كل على حده خمسة وسبعين إماماً، ورواتبهم مثل رواتب القضاة تقريبا.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني» لمحمد علي بيومي ص ٣١٥]

* * *

ومما ذكر في أفعال الزيدية زيادتهم في الأذان «حي على خير العمل» بعد «حي على الفلاح» وصفوا بأنهم روافض لا يجمعون من الناس وإنما يصلون ظهراً أربعاً، ويصلون المغرب عقب فراغ الأئمة من صلاتهم، ويتبرؤون من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ويبدو أنه لم يكن لأهل مكة وعلمائها طاقة على الاعتراض فضلًا عن التغيير إلا بالقلوب لمساندة أعيان مكة لهم.

وقد عبر ابن جبير عن استنكاره للزيدية بقوله: واللّه من وراء حسابهم وجزائهم. أما التجيبي فعبر بقوله: واللّه تعالى يرشدهم إلى مذهب أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الاندلسي ص٧٨]، [«مستفاد الرحلة» للتجيبي ص٢٩٧-٢٩٩]

يبلغ عدد أئمة الحرم النبوي قريباً من مائة، وبينهم أئمة لم يروا الشريف أصلًا حتى الصلاة لا يعرف أداءها على الوجه الصحيح أو لا يريد أن يؤديها، هذه الإمامة التي ورثها عن أبيه إذا جاء دوره فيها مرتين أو ثلاثة في العام دفع إلى أحدهم بضعة قروش ووكله بالإمامة، واستمر هو في استلام راتبه كل شهر، وبين هؤلاء الأئمة أطفال لم ينبت الشعر على وجوههم بعد حفظ بضع آيات، وصوته جميل ووجهه، جميل ويلبس قميصاً رقيقاً وطويلًا، لا يعرف شروط الصلاة ولا شروط الوضوء، وهو إمام في الحرم النبوي لأن أباه كان إماماً أو أن أمه كانت بنت إمام، كل هؤلاء أئمة، والواقع أن الحرم النبوي لا يخلو من أئمة قديرين وقورين ومعمرين، ولكن لا يأتي دورهم إلا كل ستة أو سبعة أشهر، أما بقية أيام السنة فإن المحراب النبوي يحتله أولئك الصغار.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» (٢/ ٩٦٦)]

* * *

أمثال

أهل مكة أدرى بشعابها:

هذا مثل عربي قديم وهو مثل شائع إلى اليوم عند جميع الناس، نحن لم نقف عند قائل هذا المثل اللطيف، ولكنا نحب أن نشرحه هنا بما يظهر معناه. فنقول: إن مكة شرفها اللَّه تعالى تحيطها الجبال من جميع الجهات، بل هي واقعة وسط الجبال، وكان العرب من قديم العصور يسكنون حول مكة المعظمة بين وسط الجبال وما أكثر هذه الشعاب، فالغريب في مكة لا يعرف مساكن العرب بين هذه الشعاب، وإذا مشى وحده بين هذه الجبال الكثيرة ضل وانقطع وهلك من العطش والجوع، وأما العربي من أهل مكة فهو لا يضل فيها لمعرفته بشعابها ومسالكها، بل إن بهائمهم من الغنم والجمال إذا ذهبت إلى المرعى في هذه الجبال لتعرف كيف تعود وحدها بدون راع إلى منازلها ومرابضها.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٠٨)]

أمن

لا تمدنا كتب التاريخ بأي نظم أمنية أو إدارية للحج خلال ولاية إسماعيل وولده ولا في عهد أخوالهم من جرهم.

ونلحظ في ولاية خزاعة أقدم تنظيم لبعض نسك الحج يتمثل في الإذن للحجاج في الدفع والإفاضة من المشاعر المقدسة والنسيء للأشهر الحرم، حيث يقصد الحجاج بعد فراغهم من النسك القائمين على النسيء لمعرفة التبديل الذي ادخل على الأشهر الحرم لمعرفة ضمان أمنهم وسلامتهم في طريق عودتهم إلى أوطانهم.

[«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٤٥)]

بشر النبي ﷺ المسلمين بتوطيد الأمن للحج وتوسع ملكهم وسلطانهم في حديثه لعدي بن حاتم، ومما قاله - عليه الصلاة والسلام : «فواللّه ليوشكن أن تسمع المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف إلا اللّه، فكان عدي بن حاتم يقول: ورأيت المرأة تخرج على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت»، وقد تحقق ذلك في عهد الخلافة الراشدة، كما تحقق الأمن في كل العهود التي شهدت عز الإسلام.

[«تاريخ الطبري» (٣/ ١١٥)]

* * *

بانتقال الخلافة إلى بني أمية أصبحت الشام دار ملكهم، ومنزل خلفائهم، ومنها يخرج أمير الحج مصحوباً بكسوة الكعبة، وتنضوي جموع الحجيج في البقعة المقدسة تحت لواء الخلافة الأموية.

وقد حرص الخلفاء الأمويون في فترات قوتهم على الاهتمام بالحرمين الشريفين، وإيلاء الحج وشؤونه جانب من عنايتهم، وأقام عدد منهم هذه

الشعيرة بشخصه، وتحت إشرافه ورعايته.

[«تاريخ خليفة بن خياط» ص ٢٥٧ - ٢٦٩ لخليفة بن خياط بن أبي هبيرة]

❊ ❊ ❊

لقد أدت عناية الخلفاء العباسيين بالحج وشؤونه ورعاية الحجيج، والاهتمام ببلاد الحرمين وطرق الحج في العهد العباسي الأول الذي يطلق عليه بعض المؤرخين (العصر الذهبي) إلى استتباب الأمن بالحج، فمنذ قيام الدولة العباسية وحتى سنة (٢٥٠هـ) وقعت حوادث محدودة لا تهدف أمن الحجيج، ولم يكن لها تأثير مباشر على أمن الحج.

[«مروج الذهب» للمسعودي (٣/ ٣٠٦-٣١٢)]

❊ ❊ ❊

انقطع ركب الحاج العراقي لعشر سنوات متواصلة منذ حصار التتار عاصمة الخلافة افسلامية ببغداد وأنهى إستيلائهم عليها في سنة (٦٥٦هـ) الخلافة العباسية في العراق بسبب تبديل السلطة الحاكمة واضطراب الأمن، وفقدت جموع الحجيج الوافدة من القطار افسلامية الأخرى من يتولى تنظيم مواكبهم وإقامة الحج لهم تحت راية وقيادة واحدة.

عني سلاطين المماليك بمصر بالحج وشؤونه وتنظيم ركب الحجيج والإشراف بأنفسهم على خروجه والبذل السخي لأميره بالإضافة إلى اهتمامهم ببلاد الحرمين

فقد بدأ السلطان بيبرس عهده بإبطال المظالم والمكوس وجميع المنكرات، وشرع في تنظيم الحج بعدانقطاعه لعدة سنوات، ومن المؤشرات التي تدل على عناية المماليك بتسهيل مناسك الحج التنظيم المبكر لركب الحجيج والاحتفالات الخاصة بالنداء للحج وعند مغادرة المحمل إلى الديار المقدسة.

[«السلوك لمعرفة دول الملوك» للمقريزي (١/ ١٩٧)]

❊ ❊ ❊

يقول محمد المحبي عند ترجمته للشريف حسن بن ابي نمي محمد بن بركات بن محمد الذي اشترك مع والده في إمرة مكة المكرمة من سنة (٩٦١هـ)، ثم استغل بالإمارة بعد وفاة أبيه سنة (٩٩٢هـ) وحتى سنة (١٠١٠هـ)، فاستغل بسلطنة الحجاز، وقام بها أحسن قيام، وضبط الأمور والأحكام على أحسن نظام، وأمنت البلاد، واطمأنت العباد، وقطع دابر الفساد، فكانت القوافل تسير بكثرة الأموال مع لآحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك، وخافه كل مقدام فاتك.

وأضاف المحبي: لم يزل حامياً حوزة البيت المعظم، وأمن السبل الحجازية، ومهد الطرق الحرمية.

[«خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي (٣/ ٢)]

❋ ❋ ❋

ترجع اهتمامات خلفاء بني العباس بأمور الحج إلى مؤسسها الخليفة أبو العباس السفاح الذي قدم المقربين منه من العباسيين لإمارة الحج، ووضع المنار بين الكوفة ومكة لهداية المسافرين مع إقامة بعض الحصون في الطريق لحماية الحجاج، وكذلك أمر الخليفة السفاح يمسح الأرض ووضع الأميال عليها، وكذلك فعل أبو جعفر المنصور الذي تولى هذه المهمة بنفسه في عامي (١٤٧و١٥٢هـ).

[«مجلة تراث» العدد (٥١/ ٣/ ٢٠٠٣)م - ص١٨]

❋ ❋ ❋

كان الحجاج إذا طلعوا إلى أداء هذه الفريضة كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم كأنهم سائرون إلى دار حرب لا إلى دار قد أمن اللَّه فيها حياة الإنسان والحيوان بل وحياة الأشجار.

[«الرحلة الحجازية» للأستاذ محمد لبيب البتنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٨٤٩)]

❋ ❋ ❋

في كل مسقى من المساقى التي على الطريق، توجد قلعة صغيرة وخزان كبير، تُسقى منه الإبل، هذه القلاع تقوم على حراستها مجموعات صغيرة، تظل طوال العام تحرس المؤن المخزَّنة في تلك القلاع. شيوخ القبائل يلتقون القافلة عند هذه المساقى، والمعروف أن هذه المساقى مملوكة للبدو، ويحصل الشيوخ في تلك اللقاءات على الإتاوة المحددة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

قال الأستاذ محي الدين رضا: حدثني موظف في القنصلية البريطانية في جدة في مطلع عام (١٩٣٠م) بأنه عندما سمع بالأمن في الحجاز لم يصدق كل ما سمعه فجرب تجربة بأن ألقى في الشارع ريالًا ووقف خلف النافذة يرقب الأمر بنفسه، فهاله ما رأى لأنه شاهد المارة بعد ما رأوا الريال ينحرفون عن طريقه إلى أن وأخبروا الشرطي بالأمر فحضر وحمل الريال إلى دار الأمانات، وأعلن عنه في جريدة أم القرى فذهب صاحبنا وأخذه وهو لا يكاد يصدق.

وما قول القراء في أصحاب الحوانيت في الحجاز وهم يتركون حوانيتهم ليس عليها إلا شبكة ويذهبون إلى المساجد للصلاة وسماع المواعظ، فيمكثون من العصر إلى المغرب تقريباً وهم في أمن تام على سلعهم ونقودهم، ويمر أمامها جماهير من الفقراء الذين صارت جسومهم كالأشباح البالية من قلة التغذية.

[«رحلتي إلى الحجاز» للأستاذ محي الدين رضا]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠٦٦)]

❊ ❊ ❊

بالنسبة لوقوع الحرب العالمية الثانية ودخول إيطاليا فيها تسرب إلى بعض ذوي النفوس الضعيفة الخوف على أمن الطريق على الحجاز، وزاد في هذا الخوف

صدور فتوى من علماء السودان بحظر الحج إذا لم تأمن الطريق بينما الواقع أنه ليس ثَمَّ محل لهذا الخوف مطلقاً، لأننا نعلم أن بريطانيا هي المسيطرة على البحر الأحمر والبحر الأبيض، ولقد نقلت البرقيات من مدن أن جريدة (ايفننج ستاندرد) أشارت على تأكيد بريطانيا لجلالة الملك ابن سعود بشأن عدم التعرض للحجاج القاصدين مكة المكرمة بقدر ما تسمح به الحالة الحاضرة حيث قالت: إن هذا التوكيد يذكر العالم الإسلامي أن الأسطول البريطاني يسيطر على البحر الأحمر والمحيط الهندي.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٥٢]

❊ ❊ ❊

فإن قيل: ما فائدة توجه الحج في البحر مع صرف مرتبات العربان إليهم في كل عام على ما هو مقرر؟

فالجواب إن ذلك من الفوائد الكثيرة ما لا ينكر منها، وفرض العلائق ومرتبات أغلب المستخدمين واطمئنان الحاج بالاجتماع مع المحمل وعساكر المستحفظين، فإن للعساكر عند العربان هيبة ترد مساعيهم السيئة مقترنة بالخيبة، وراحة الإنسان هي المعول عليها في كل.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص٣٧]

❊ ❊ ❊

أذاع السلطان ابن مسعود بلاغاً في العالم الإسلامي، قال فيه: أن الثغور التي تحت سلطته في البحر الأحمر، لا سيما القنفذة في الجنوب، ورابغ في الشمال على استعداد لنزول الحجاج فيها، والسبيل مستطاع منها إلى مكة لمن يريد الحج هذا العام (١٣٤٣هـ)، وبالفعل أخذ الحجاج يفدون من الهند وغيرها ناوين أداء الفريضة.

أما حكومة الملك علي بن الحسين فقد أعربت عن عزمها على منع الحجاج من الوصول إلى مكة من طريق جدة، وقالت فيما يتعلق بأداء فريضة الحج من طريق

الثغور الأخرى التي في يد الوهابيين: إن في استطاعة الحكومة الحجازية التي ضربت الحصار على هذه الثغور أن تقيم في كل ميناء باخرة مسلحة من بواخرها لمنع كل سفينة تحمل حجاجاً من الدنو منها.

[«مجلة الزهراء» لمحب الدين الخطيب (١/ ٦٦٣)]

* * *

في ينبع كما في بدر يترك الحجاج بضائعهم وحاجاتهم الثقيلة جداً التي يصعب نقلها في عجلة في مخازن يستأجرونها، كما يتركون أيضاً حاجاتهم الثمينة التي يصعب المخاطرة بنقلها معهم في الفترات التي ينعدم فيها الأمن.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٤٠٨)]

* * *

أمير الحج

اقترنت إمارة الحج بالحج منذ أول حج إسلامي في السنة التاسعة من الهجرة.

[«مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة» للدكتور سليمان مالكي ص٣٨]

* * *

وقد جرت العادة أن يلقي أمير الحج بعض الخطب في جمهرة الحجيج في مكة المكرمة، وقد حددها المؤرخون بأربع خطب تلقى في أوقات متفرقة في موسم الحج.

[«الأحكام السلطانية» للماوردي ص١١٠-١١٢]

* * *

كان أول أمير للحج المصري قدم عام (٦٥٩هـ) هو الأمير علم الدين عتيق الأمير شمس الدين.

[«الدليل الشافي على المنهل الصافي» ابن تغري بردي (١/ ٣٢٣)]

* * *

يعد أمير الحج المصري من أهم الشخصيات في مصر، فهو أحد البكوات الطلبخانة - أي البكوات ذو المنزلة الكبرى الذين تضرب لهم الطبول أثناء مواكبهم - الأربعة والعشرين، بل إنه من الاثني عشر أميراً الذين يسند إليهم مهام خاصة ومحددة، وهم (كيخيا باشا) (والضباط) والبكوات الثلاثة الذين يحكمون جهات السويس، ودمياط، والإسكندرية، وأمير الحاج، وأمير الخزنة، بالإضافة إلى خمس كاشفات وهي: جرجا، والبحيرة، والمنوفية، والغربية، والشرقية.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني» لمحمد علي بيومي ص ١٦٤]

* * *

كان من حق أمير الحج أن يحصل على إرث من يُفقد أو يموت خلال الذهاب والعودة في رحلة الحجيج، وليس لورثته حق المطالبة بشيء من أمتعته أو أمواله التي كان يحملها في رحلته.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني» لمحمد علي بيومي ص ١٩٣]

* * *

ولدوادار كنائب أمير الحاج في المهمات التي لا يتولاها أمير الأمير بنفسه، وفيما تطول مشقة العمل به كتقطير الجمال، وتسهيل الطرق في المضيقات، وتسريب العقوب في الأماكن الجاري بها العادة في الزحام، والطواف على الحجاج ليلًا بالخصوص كما ذكرنا في حراستهم، ونهاراً عن الاحتياج إلى ذلك، وتتبع السراق والمفسدين، وما أشبه ذلك. وهو معين لأمير الحاج على ما هو بصدده من مهمات الركب وأحواله وعدده.

[«الدرر الفرائد المنظمة في» لعبد القادر الجزيري ص١٦٤]

* * *

يجتمع الحجاج في نجد جماعات كل مجموعة تسمى خبرة، وهي: الجماعة

في السفر يشتركون في الطعام والشراب من نفقة ذلك موزعة عليهم. ومتى اجتمع للحج عشر خبر، وصار عددهم ما يقارب المئة حاج، أمروا عليهم أميراً من أهل البلد في الحريق، ويلتحق بهم حجاج من خارج مناطقهم، ويسمى بأمير حاج الحريق (البلد) ومن جملة أمراء حاج الحريق ممن ذكر من خلال قصص الحجاج أو أشعارهم، ما يلي:

١- مشاري بن عثمان الهزاني، شقيق الشاعر محسن.

٢- حمود بن ناصر الهزاني.

٣- سعود بن محماس الهزاني (ت١٣٩٧هـ).

٤- تركي بن رشيد الهزاني (ت١٣٧٣هـ).

٥- ناصر بن محمد الهزاني (ت١٤٠٧هـ)

٦- رشيد بن تركي الهزاني (ت١٤١٨هـ).

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٣٤ لعبدالله سعد الدريس]

* * *

إنكار المنكر

كان الشيخ على بن سالم بن جلعود آل جليدان رَحِمَهُ اللَّهُ غيوراً جسوراً لا تأخذه في اللَّه لومة لائم، ولما حج ودخل المسجد الحرام رأى حلق الذكر المقامة هناك، وإذا هم يرددون لفظ الجلالة، ثم الضمير وحده (هو هو)، فلم يتمالك نفسه إلّا أن أخذ ينكر عليهم بيده ويضربهم بعصاه، فقبض عليه وذهبوا به إلى الشريف أمير مكة في ذلك الوقت، فقال: ما حملك على ذلك؟ فقال: فعلت هذا العمل كي أصل إليك، والقصد من وصولي إليك إخبارك بأن هذا العمل بدعة منكرة، وأنه لا يسعك تركهم يتلاعبون باسم اللَّه، وإني على أتم استعداد لمناظرتهم بحضرتك فخلى الشريف سبيله وتركهم على عملهم.

[«علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥/ ١٩١)]

في عام (١٣٨٨هـ) وبينما كان فضيلة الشيخ عبد اللَّه بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ يلقي الدروس بعد المغرب في المسجد الحرام خلف مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في موسم الحج، وفي حشد عظيم تغص بهم حلقة الشيخ من طلبة العلم والحجاج وغيرهم في عشر ذي الحجة، كان موضوع الدرس قوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا اللَّه. . . » الحديث فبين الشيخ معنى كلمة التوحيد، وما أثبتته من إخلاص العبادة للَّه وحده، وما نفته من عبادة ما سواه، وبيان شروطها، فبينما هو كذلك إذ تقدم رجل من علماء إيران مدرس في جامعة قم يسمى (السيد محمد) فسأل الشيخ قائلًا: ما تقول في طلب المدد من أهل البيت، وسؤالهم تفريج الكربات، وإغاثة اللَّهفان نظراً لمكانتهم عند اللَّه ومالهم من المنزلة السامية؟ فأجاب فضيلته: بأن هذا هو الشرك بعينه، وهو الذي نفته كلمة الإخلاص «لا إله إلا اللَّه» والذي بعث من أجل النهي عنه رسل اللَّه. فقال السيد محمد: لا أسلم لك هذا حيث إن طلب المدد منهم ليس هو عبادة وإنما هو شفاعة منهم لي عند اللَّه فلا يصل إلى حد الشرك. فرد فضيلته هذا هو عين العبادة. وسمه ما شئت أن تسميه فما دام أن العبد يصرف إلى المخلوق ما لا يقدر عليه إلا اللَّه من تفريج الكربات، وطلب العون من غيره فهذا هو الشرك، مع أن الشفاعة لا يجوز طلبها من الأموات ولا من غيرهم وإنما تطلب من اللَّه، فطلب الشفاعة من غيره شرك كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤] وما ذكرت عن أهل البيت وغيرهم - رضوان اللَّه عليهم - من أنهم يملكون الشفاعة وأن طلب الشفاعة من غير اللَّه ليس شركاً. . . يرده قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣] فالآية تدل على أن مشركي العرب ما كانوا يعبدون معبوداتهم من دون اللَّه إلا ليقربوهم إلى اللَّه زلفى لأنهم يعتقدون النفع أو الضر فيهم. فقال المناظر: فهمت هذا كله ولكن ما تصنع في قوله ﷺ: «لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه». فرد عليه

الشيخ: عليك إثبات هذا الحديث ومن رواه، فإنك لا تستطيع أن تجد له أصلًا، لا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا باطل، واستمرت المناظرة ثلاث ليال متوالية، ثم انتهت باعتراف المناظر وتسليمه على مرآى ومسمع من الآلاف العظيمة من الحجاج في المسجد الحرام بأن ما قاله الشيخ هو الحق، وقد لمس الحضور انقطاع حججه وعجزه عن تأييد رأيه، ومد المناظر يده وقبل رأس الشيخ: وشكره عدد من الحضور القريبين منه ورجا الشيخ أن يقبل منه هدية، فقال الشيخ: إنني أقبل هديتك بشرط أن أثيبك عليها بهدية.

[«مجلة الدارة» ترجمة الشيخ عبد اللّه بن حميد للشيخ صالح بن عبد اللّه بن حميد ص ٦٧].

* * *

حرف الباء

بئر

بئر سجلة: تقع هذه البئر بين الصفا والمروة، وقد حفرها هاشم بن عبد مناف وأصبحت من بعده لابنه عبد المطلب، ولكن عبد المطلب حينما اهتم بحفر زمزم، وأصبح يتولى سقاية الحجاج من بئر زمزم، أعطى بئر سجلة لمطعم ابن عدي.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢١٠)]

* * *

بئر طوى: حفرها عبد شمس بن عبد مناف، وتقع من مدخل مكة، وجعلها لسقاية الحجاج وسكان مكة، مما جعل لهذه البئر أهمية في العصر الجاهلي، وفي العصر الإسلامي، وتشتهر بعذوبة مائها.

[«فتوح البلدان» للبلاذري (١/ ٥٧)]

* * *

بئر خم ورم: بعد أن ضعف مصدر المياه في مكة، اهتم عبد شمس بزيادة حفر الآبار في مكة إذ حفر بئرين سماهما: «خم ورم» وجعلهما لسقاية أهل مكة والحجاج.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٢١٩)]

* * *

بئر الحفر: حفرها أمية بن عبد شمي، وتقع بطرف أجياد، وجعلت لسقاية أهل مكة.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٢٢٠)]

عندما تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة اهتم بإصلاح الآبار في مكة ففي سنة (٨٩هـ) أمر بحفر بئرين بئر بثينة وطوى والبئر الآخرة عند الحجون.

[«الإعلام بأعلام بيت اللّه الحرام» لقطب الدين النهروالي ص٩٥]

* * *

من أعمال السيدة زبيدة لخدمة حجاج بيت اللّه الحرام إجراء مياه عين نعمان في قناة إلى جبل الرحمة بعرفة، ثم من هناك إلى جبل خلف المأزمين، ثم منه إلى مزدلفة، ثم تسير القناة إلى أن تصل خلف منى، فتصب عند ذلك في بئر عظيمة مطوية تسمى بئر زبيدة.

[«الأعلام بأعلام بيت اللّه الحرام» لقطب الدين النهروالي ص٢٨٢]

* * *

ما إن يصل الحاج العراقي إلى بيته حتى تنحر أمام قدميه الذبائح، ويوزع قسم من لحومها على الجيران والمحتاجين، والقسم الأخر يطبخ لإعداد وجبة غداء أو عشاء للضيوف الذين يأتون للسلام على الحاج الذي يقدم هدية لضيوفه بعض المسابح أو سجادات الصلاة ويعطرهم بماء الورد ويسقيهم من ماء زمزم.

[«مجلة تراث» عدد (٥١/٢٠٠٣) ص٢٢]

* * *

وصلنا إلى قرية «خصيبة» وهي منخفض من الأرض سكنها فرقة من قبيلة متطوعة، ولما يقبلوننا مهما كانت الحال، فقلنا لهم نحن مسلمون وقصاد بيت اللّه وفي حاجة ماسة إلى الماء، فلم يزدادوا إلا عتواً، وكان في مقدورنا النزول على الماء عنوة ولكننا خوفاً من حدوث ما لا تحمد عقباه قفلنا راجعين وتابعنا المسير.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٣٨ لسعد بن أحمد الربيعة]

* * *

خرج الحاج الوالد سليمان المرشود مع حملة الحاج عبد اللّه النفيسي على الإبل وكان معه ما يقارب الستين جملًا، وقد وصلت هذه الحملة إلى بئر يسمى بئر اللّهابة، وكل من كان في الحملة في حالة شديدة من العطش الذي كاد يهلك من كان فيها رجلًا حجاجاً وإبلًا.

فوجدوا البئر على عمق ثلاثين باعاً ليس فيها ماء، وكان صاحب الحملة على يقين بوجود الماء ولكن ما السبب على عدم وجود الماء؟

هنا أخذ الحاج النفيسي يحث الناس في الحملة على التطوع بالنزول إلى البئر ليخبرهم عن عدم وجود الماء، مع علمه بأنها بئر معروفة بوفرة الماء، فلم يستجب أحد لندائه الأول، فأخذ ينادي أين الرجال؟! فاستجاب له بعد النداء الثالث رجل شجاع يقال له أحمد خالد الدريعي، فتم إنزاله بالحبل في البئر، ومرت فترة من الزمن لينتظروا منه إشارة أو خبر فلم يرد منه شيء.

فاحتار صاحب الحملة فبدا بالمناداة حاثاً على النزول في البئر لمعرفة خبر صاحبهم النازل فيه، فاستجاب الوالد سليمان المرشود، فنزع ثيابه واستعد للنزول لينقذ الرجل أو يعرف مصيره، فقام العم محمد المرشود فضم الوالد مانعاً إياه من النزول خشية أن يصيبه مكروه كما أصاب الدريعي، فأخذ الوالد البندقية ليخيف بها العم ويتخلص منه، وفعلًا حصل له ما أراد، فنزل الوالد القليب، وأثناء نزوله ولم يتبق إلا القليل على الوصول إلى القاع شعر بالتعب في يديه الماسكة بالحبل فسقط حالًا داخل البئر، وما شعر إلا وهو في حضن الحاج الدريعي الذي فوجئ به، وسأله من أنت قال: أنا سليمان المرشود جئت لإنقاذك فأجابه الدريعي: الحمد للّه أنا بخير، ولكن انظر إلى القاع لقد سدت البئر بالخياش من الرمل، فبدأ الاثنان بإزالة الرمل والخياش من القاع فبدأ قليلًا قليلًا يظهر الماء وارتفع الماء حتى الركب فأخذت الحملة ترتوي منه وتسقي جمالها، ولما خرج الدريعي والمرشود حدثا صاحب الحملة بما وجدا

في البئر فأجابهما أن بعض قطاع الطرق من القبائل قد فعلوا ذلك حتى لا يرتوي أحد من تلك البئر.

وقدّر اللّه لصاحب الحملة عبد اللّه النفيسي أن يلتقي الملك عبد العزيز فحدثه بأمر بئر اللَّهابة فرد عليه الملك: ألم أحذرك ألا تذهب إلى بئر اللَّهابة؟!

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي

باب

يبلغ عدد أبواب المسجد الحرام الرئيسة (٢٥) باباً منها ثمانية في الشمال، وسبعة في الجنوب، وخمسة في الشرق، ومثلها في الغرب.

لكن مع ازدياد عدد المصلين وتيسيراً على الحجاج فقد خضعت هذه الأبواب للتغيير والتطوير والإضافة حتى بلغ عددها (١١٢) باباً صنعت من أجود أنواع الخشب، وكسيت بمعدن مصقول ضبط بحليات نحاسية حتى بدت في كثير من الأحيان تحفة فنية رائعة.

[«مجلة تراث» العدد ٦٣/ ٢٠٠٤م ص٢٥]

* * *

الأبواب الرئيسة فهي من الجهة الشرقية:

١- باب السلام ويعرف بباب بني شيبة، وهو الباب الذي يدخل منه الحجيج لأداء طواف القدوم.

٢- باب مدرسة السلطان قايتباي، وهذا الباب نافذ من المسجد الحرام إلى شارع المسعى.

٣- باب العباس بن عبد المطلب، وسمي بذلك لأنه يقابل دار العباس بن عبد المطلب بالمسعى، ويعرف أيضاً بباب الجنائز.

٤- باب علي رضي الله عنه، وقيل باب بني هاشم.

أما الأبواب الجنوبية فهي:

١- باب بازان وسمي بهذا الاسم لقربه من عين بازان، وعرف أيضاً بباب بني سفيان.
٢- باب الصفا سمي بذلك لأنه يلي الصفا، ويعرف أيضاً بباب بني مخزوم.
٣- باب أجياد الصغير، ويعرف أيضاً بباب الخلفيين.
٤- باب المجاهدية، ويقال له باب الرحمة
٥- باب مدرسة الشريف عجلان أو باب بني تميم.

أما أبواب الجهة الغربية:

١- باب الحزورة والحزورة لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان وأدخلت في المسجد الحرام.
٢- باب إبراهيم نسبة إلى رجل اسمه إبراهيم كان يزاول عمله عند هذا الباب.
٣- باب مدرسة الشريف غالب.
٤- باب مدرسة الداوودية.
٥- باب المعمرة وسمي بذلك لأن المعتمرين منالتنعيم اعتادوا الدخول والخروج منه غالباً.

أبواب الجهة الشمالية:

١- باب السدة، وسمي بالعتيق لكونه قريباً من دار ابن عتيق وكان من الأعيان.
٢- باب مدرسة الزمامية
٣- باب الباسطية، ويسمى باب العجلة.
٤- باب القطبي وسمي بذلك أنه كانت تقع بجواره مدرسة قطب الدين الحنفي.
٥- باب المحكمة وسمي بذلك لكونه ممراً للمحكمة الشرعية.
٦- باب السليمانية نسبة إلى السلطان سلمان خان.
٧- باب الدريبة.

[«موقع إسلام أونلاين» http://islamonline.net]

للمسجد الحرام تسعة عشر باباً، تفتح على ثمانية وثلاثين طاقاً، منها:

من الجانب الشرقي أربعة أبواب:

الأول: وهو الباب المعروف بباب بني شيبة، ويقال له أيضاً باب السلام.

الثاني: ويعرف بباب الجنائز لأن الجنائز يخرجون منها غالباً.

الثالث: يعرف بباب العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه لأنه يقابل داره بالمسعى.

الرابع: باب علي

وبالجانب الجنوبي سبعة أبواب:

الأول: يقال له باب بازان، لأن عين مكة المعروفة ببازان قربه، وعرفه الأزرقي بباب ابن عائذ.

الثاني: يعرف بباب البغلة.

الثالث: باب الصفا لأنه يليه وهو خمسة أبواب. قال الأزرقي: ويقال له اليوم باب بني مخزوم.

الرابع: يعرف بباب أجياد الصغير، وسماه بذلك ابن جبير.

الخامس: ويعرف بباب المجاهدية، لأن عنده مدرسة الملك المؤيد المجاهد صاحب اليمن.

السادس: يعرف الآن بباب مدرسة الشريف عجلان صاحب مكة، لأنها عنده.

السابع: يعرف الآن بباب أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها.

وبالجانب الغربي ثلاثة أبواب:

الأول: باب عزورة، وهي الحزورة.

الثاني: يقال له: باب إبراهيم في الزيادة التي بهذا الجانب، وإبراهيم المنسوب

إليه هذا الباب خياط كان عنده على ما قيل.

الثالث: باب العمرة، لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه في الغالب.

وبالجانب الشمالي ويقال له الشامي خمسة أبواب:

الأول: باب السدة.

الثاني: باب العجلة، لكونه عند دار العجلة.

الثالث: بزيادة دار الندوة في ركنها الغربي.

الرابع: بالزيادة المذكورة في جانبها الشامي.

الخامس: باب الدريبة عند المنارة التي عند باب بني شيبة.

[«شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» للفاسي (١/ ٤٤٩)]

* * *

في سنة (٨٣٠هـ) ورد مرسوم بعزل البوابين القديمين أي بوابي الحرم الشريف، وكانوا قضاة فقهاء، وتولى أبواب الحرم بوّابون فقراء لا حرفة لهم ولا صناعة، وألزموا بملازمة أبواب الحرم والنوم عليها، وأن يقرر لكل بواب من المعلوم في كل سنة من أوقاف الحرمين عشرة أشرفية.

[«درر الفرائد» لعبد القادر الجزيري ص٣٢٤]

* * *

في سنة (٨٣٠هـ) وصل مرسوم صحبة الحاج يتضمن منع الباعة من بسط البضائع أيام الموسم في المسجد الحرام، ومن ضرب الخيام في المسجد على المساطب وأمامها، وأن يترك المنبر الذي يخطب عليه يوم الجمعة في مكانه مسامتا لمقام إبراهيم ومقام الشافعي، ولا يجر إلى جانب الكعبة، لأنه عند جره على عجلاته يزعج الكعبة إذا اسند إليها، وأن يخطب الخطيب عليه

هناك، وأن يسد أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب: باب السلام، وباب العمرة، وباب إبراهيم، وباب الصفا لا غير، وأن يسد الأبواب الشارعة من البيوت إلى سطح المسجد، فامتثل جميع ذلك، ولم يعرف قط أن أبواب المسجد غلقت إلا في هذه الحادثة، فتضرر الفقراء والصالحون والمتعبدون في الحرم الشريف، وصعب عليهم سد البواب، فروجع السلطان في ذلك فأمر بفتح باب الزيادة وباب الجنائز.

وقال الأديب شهاب الدين أحمد بن سعد بن أحمد الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يخاطب أهل مصر في غلق أبواب المسجد ومنبر الخطيب وعزل القاضي:

يا أهل مصر يا كرام الورى … ما بالكم جئتم بأمر غريب
أغلقتم الأبواب على طائف … وعن مصل داخل من قريب
ومنبر الخطبة أضحى إذا … من فرقة البيت حزيناً كئيب
ومنصب الشرع الشريف الذي … شيبتمُوه قبل وقت المشيب
فبالذي شرفكم دائماً … بخدمة البيت وقبر الحبيب
منوا على سكان أم القرى … بعود قاضيهم وقرب الخطيب
وفتح الأبواب التي غلقت … حتى يرى ما كان ضنكاً رحيب
فضلًا فقد أصبح جيرانها … في حيرة عظمى وأمر مهيب

ثم جاء في الموسم مرسوم صحبة الراكب المصري: أن تفتح الأبواب كلها، ويعزل البوابون القديمون وكانوا قضاة وفقهاء ويولى على أبواب الحرم بوابون ليس لهم حرفة ولا صناعة ولا شغل فقراء مساكين، فحضر الأمراء والقضاة وقرئ المرسوم، وقرر لكل باب بواب، وعزل من كان بواب قبل ذلك من الفقهاء والقضاة وألزم البواب بملازمة باب الحرم والنوم عليه ليلًا نهاراً، وأن لا يغيب عليه إلا لضرورة، وأن يتعهد البواب بابه بالكنس والرش والتنظيف، ومنع الكلاب والجواري الحاملات لقرب الماء والحمال من الدخول في

المسجد الحرام، واستطراقه والمرور فيه لغير الحاجة، ورسم السلطان أن يقرر لكل بواب عشرة أشرفية معلوماً كل عام يُحمل له من أوقاف الحرمين صحبة المسفر على مودع الحكم.

[«إتحاف الورى» لابن فهد (٣/ ٦٤٤)]

* * *

ذكر حمد الجاسر في تعليقه على كلام الحربي الذي ذكر أن في الرواق الذي في ظهر الكعبة أبواباً، منها باب على ثلاثة طاقات يقال له: باب الحناطين. . . أن الأزرقي سمى هذا الباب: باب الخياطين، وأنه نقل عن البكري أن إبراهيم المنسوب إليه الباب كان خياطاً يجلس عنده، وأن ابن عساكر وابن جبير وغيرهما وهموا بنسبته إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وأن هذا الباب لا يزال معروفاً بباب إبراهيم، وإنما الخلاف هل هو في القديم باب الخياطين أو باب الحناطين؟، وهل كان إبراهيم خياطاً أو حناطاً يبيع الحنطة؟

[«كتاب المناسك» ص٤٧٧ لأبي إسحاق الحربي]

* * *

يوم الثلاثاء ١٦ ذي الحجة من سنة (١٣٠٧هـ) في أثناء ذلك اليوم أحصيت أبواب المسجد الحرام فبلغت أربعين كما تراها: باب السلام ٣، باب الدريبة ١، باب القاضي ١، باب زيادة ٣، باب الباسطية ١، باب الزمامية ١، باب العتيق ١، باب العمرة ١، باب الداودية ١، باب إبراهيم ١، باب الوداع ٢، باب اليماني ٢، باب جياد ٣، باب البغلة ٢، باب أمهاني ٢، باب الصفا ٥، باب الباشا ٢، باب سيدنا علي ٣، باب العباس ٣، باب النبي ٢، وأما المنائر فهن سبع منائر.

[«الفتوحات الكوازية إلى الاراضي الحجازية» ص٣٢ للشيخ عبدالله أفندي أعيان]

باب إبراهيم منسوب إلى شخص اشتغل بالخياطة ويسمى (إبراهيم) كان لهذا الشخص بجانب الباب المذكور حانوت كبير نوعا ما وكانت شهرته في صنعته ذائعة.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» الجزء الثاني ص٥٦٠ لأيوب صبري باشا]

* * *

باب الكعبة

عمل باب الكعبة المشرفة:

١- فأول من جعل للكعبة باباً يغلق أسعد الحميري وهو تبّع أحد ملوك اليمن قبل البعثة بزمن بعيد، وهو أيضاً أول من كساها كسوة كاملة ونحر عندها.

٢- قريش لما بنتها جعلوا لها باباً مرتفعاً عن الأرض، ولم تبق الكعبة بدون باب بعد ذلك وإنما كان يجدد لها الباب.

٣- عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما لما بناها جعل لها بابين لاصقين بالأرض، وجعل لكل منهما مصراعين وهو كذلك إلى اليوم.

٤- الحجاج بن يوسف الثقفي فإنه لما بناها سد الباب الغربي، ورفع الباب الشرقي عن الأرض وذلك سنة (٧٤هـ).

٥- عمل السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان أحمد خان باباً للكعبة، وذلك بعد عمارته لها بخمس سنين، فركب عليها بمحفل كبير وذلك في يوم الخميس عشرين من شهر رمضان سنة (١٠٤٥هـ)، وجعل فيه من الحلية الفضية ما زنته مائة وستون رطلًا بالذهب البندقي بما قيمته ألف دينار، واستمروا ثلاثة أيام في تركيب هذا الباب حتى صار محكماً ثابتاً.

ونقل الشيخ حسين با سلامة عن السنجاري أنه قال في تاريخه ما ملخصه: أنه في آخر ذي القعدة سنة (١١١٩هـ) قلعوا خدود باب الكعبة، والطراز من الذهب الخايف فأصلحوا كل ذلك، وكتبوا على الطراز تاريخاً، وكتبوا فيه

أنه بتجديد السلطان أحمد خان وذلك بحضور الشريف عبد الكريم وشيخ الحرم الأمير إيواز بك والسيد يحي بن بركات، وقاضي الشرع ولعض المعلمين انتهى منه.

لكن السنجاري لم يبين أي سلطان أحمد خان يعينه. فنحن نقول: إن الذي يعنيه هو السلطان أحمد خان الثالث حيث جلس هذا على تخت الملك سنة (١١١٥هـ).

٦- عمل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ باباً للكعبة مصفحاً بالذهب والفضة، فركب عليها باحتفال كبير، وذلك في يوم ٢٣ من ذي القعدة سنة (١٣٧٠هـ) وقلع الباب القديم الذي عمله السلطان مراد خان الرابع، ولم يجعل الملك عبد العزيز قفلًا جديداً للباب لصلاحية القفل القديم.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٧٢)]

* * *

قيل: أول من جعل لها باباً أنوش بن شيث بن آدم على القول أنها كانت مبنية بالحجر في زمن شيث، وقيل: تبّع الثالث الذي كساها ونحر لها، وقيل: جرهم.

[«درر الفرائد» لعبد القادر الجزيري ص٢٨]

* * *

ذكر الفاسي: أن أول من بوب الكعبة أنوش بن شيث بن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ. وذكر عن الفاكهي: أن أول من بوبه وجعل له غلقاً جرهم.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣٧٤)]

* * *

لما حفر عبد المطلب بئر زمزم وجد فيها أسيافاً ودروعاً وغزالتين فضرب عبد المطلب الأسياف بباب الكعبة، وضرب من الباب الغزالتين، فكان أول ذهب

حليت به الكعبة، ومن ثم جاء عن ابن عباس: واللَّه إن أول من جعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب.

[«السيرة الحلبية» للحلبي (١/ ٥٥)]

* * *

لما بنت قريش الكعبة قبل البعثة بخمس سنوات جعلوا باب الكعبة المشرفة مرتفعاً عن الأرض حتى لا تدخلها السيول، ولا يدخلها إلا من أرادوا، وكان بابها قبل ذلك ملتصقاً بالأرض.

ولما كان باب الكعبة يعلو عن الأرض بنحو مترين وليس عليه درجة مبنية من الخارج، فإنه لا يمكن طلوعها إلا بمرقاة وهي الدرج أو السلم، والمرقاة إليها نوعان في عصرنا الحاضر: نوع يشبه السلم الصغير يرقى إليه من الكعبة شخصاً شخصاً، وهذا السلم يستعمل بعد افتتاح الكعبة بصفة خاصة فلا يسمح بالدخول فيها إلا القليل من الناس.

ونوع يشبه الدرج يرقى إليها منه إليها جماعات جماعات، ويوجد من هذا النوع مدرجان بجوار بئر زمزم، فإذا فتحت الكعبة لعموم الناس دفعوا أحدهما حتى يسندوه إلى باب الكعبة فيشتد الزحام في الصعود عليها، لكن أحد هذين النوعين قد تلف فلم يبق له من أثر.

فدرجة الكعبة الخارجية من النوعين معمول من الخشب السميك القوي، وهو يشبه منابر المساجد غير أن هذه ثابتة في مكانها ن والمدرج يتحرك بعجلات تحته، فيدفع في محله إلى أن يسند إلى باب الكعبة فيطلع الناس عليها، فإذا أغلق بابها يدفع المدرج ثانياً حتى يصل إلى محله الأول.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٤٠)]

* * *

ذكر القرشي أن باب الكعبة كان قبل بناء ابن الزبير رضي الله عنه مصراعاً واحداً، فجعل لها ابن الزبير مصراعين، طوله أحد عشر ذراعاً من الأرض إلى منتهى أعلاه.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٠٩)]

* * *

حين بنى سيدنا إبراهيم عليه السلام الكعبة جعل لها بابين لاصقين بالأرض، فكان الناس يدخلون من الباب الشرقي ويخرجون من الباب الغربي، وكان هذان البابان غير مبوبين أي عبارة عن فتحتين يمكن أن يوضع في كل منهما باب، حتى كان تبع» أسعد الحميري» فجعل لها باباً وغلقاً أي قفلًا فارسياً، وحين بنت قريش الكعبة أغلقوا بابها الغربي وجعلوا بابها الشرقي بمصراعين، ورفعوه عن الأرض حتى لا يرقى إليه أحد إلا بسلّم.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٦٣)]

* * *

في سنة (٧٥هـ) حج عبد الملك بن مروان فعمر المسجد ولم يزد فيه شيئاً، بل رفع جدرانه، وسقفه بالساج، وأمر أن يجعل في رأس كل اسطوانة خمسون مثقالاً من الذهب.

قال الفاسي: أول من عمل الذهب على باب الكعبة عبد الملك.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٤٥)]

* * *

قال الدكتور حمد عبد الكريم دواح: ولم أجد في كتب التاريخ أن أحداً جدد هذا الباب بعد السلطان مراد أو رممه بعد السلطان أحمد خان، حتى دخل العهد السعودي الزاهر، أي بقي على حاله ما يقرب من مائتين وخمسين سنة.

[«مكة المكرمة في الفكر الإسلامي» للدكتور حمد عبد الكريم دواح ص٣٤٧]

في سنة (٧٣٣هـ) خلع الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر باب الكعبة، ووضع باباً من الفضة ثمنه خمسة وثلاثون ألف درهم.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٩٠)]

* * *

اهتم السلطان الأشرف شعبان بن حسين بتحلية باب الكعبة المعظمة الذي كان قد عمله الناصر حسن سنة (٧٦١هـ)، فقد حلاه سنة (٧٧٦هـ) باثنين وثلاثين ألف درهم أو ثلاثة وثلاثين ألف درهم.

[«العقد الثمين» للفاسي (٥/ ٤١٠)]

* * *

أول مرة صنع فيها ستار على باب الكعبة في عام (٨١٠هـ).

[«عمارة المسجد الحرام» للدكتور عبد اللطيف بن دهيش ص٢٤٣]

* * *

قال محمد صادق باشا عند فتح باب الكعبة في زمانه: وقد تفتح الكعبة في موسم الحج خلاف أيام المواسم لمن يريد الدخول للزيارة بشرط أن يدفع ريالًا لمن يفتح الباب من طرف الشيخ الشيبي إن لم يكن ذا ثروة وإلا أخذوا منه مبلغاً كبيراً.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص٥٥]

* * *

غريبة: في سنة (١٠٨٣هـ) أراد إسحاق أفندي الوارد من جهة الروم صحبة الحج وكان من كبار الدولة، أن يدخل الكعبة الشريفة ليلًا، فأراد الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبي الحجبي أن يفتح له البيت فتعسر فتحه، فدعى بحداد نعت له بالمعرفة، فأمره أن يفش القفل، فاضطربت يده وما قدر فقال له الشيخ عبد الواحد فيما أخبرني الثقة: ما بالك؟ فقال له: ألا تسمع ما أسمع؟

قال الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبي: فأصغيت فإذا بالباب كأنه يُدفع من داخل البيت، وأحسست بالدفع والقوة المانعة. قال: فصرفت الناس وقلت: أيها الناس! إن هذا البيت يريد بيد اللَّه يفتحه لمن يريد. فانصرف الناس ومنهم إسحاق أفندي، ولم يتيسر له الدخول.

[«منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٣٩٢)]

❊ ❊ ❊

الكتابة التي بأعلى باب الكعبة:

قال الشيخ محمد طاهر الكردي: ما كنا نظن أنه توجد كتابة بأعلى باب الكعبة على العقد من الخارج، لعدم ظهور شيء بسبب برقع باب الكعبة - أي الستارة التي عليه - لكن ظهر لنا جزء يسير من الكتابة مصادفة لانحسار البرقع من أعلى الباب قليلًا، ولما كان عقد الباب عالياً أكثر من خمسة أمتار لم نتمكن من قراءة ما هو مكتوب عليه خصوصاً والمطاف مزدحم بالطائفين من الناس، فقد انشغل بالنا كثيراً لمعرفة الكتابة حتى يسر اللَّه تعالى لنا الوصول إلى ما فوق الباب الشريف فقرأناها بكل هدوء وراحة.

ولقد كانت هذه الكتابة في عهد السلطان أحمد خان الثالث أحد سلاطين آل عثمان، وذلك حينما جدد خدود باب الكعبة، والطراز الذهب الخايف، كما سبق بيان ذلك في مبحث «عمل باب للكعبة المشرفة».

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٨٠)]

❊ ❊ ❊

الكتابة الموجودة على عقد باب الكعبة:

مكتوب فوق عقد باب الكعبة من الخارج فهو هذا: مكتوب بأعلى باب الكعبة سطران بخط الثلث الواضح الجميل على ألواح من الذهب الخالص.

فالسطر الأول: مكتوب فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

والسطر الثاني: مكتوب فيه ثلاثة أبيات وهي:

لقد رقم الحنكار باباً لبيته ... له كل مخلوق يصلي ويسجد
وخلف ذخر الأجر من بعد جده ... بني مالك عثمان أحمد يحمد
فقل فيه مدحاً ما استطعت مؤرخاً ... بتجديده بالبيت قد فاز أحمد

أي انه حصل تجديد خدور باب الكعبة في سنة (١١١٨هـ) في عهد السلطان أحمد خان الثالث أحد سلاطين آل عثمان.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّٰه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ١٩٥)]

* * *

باخرة

تقوم أربع شركات للملاحة بنقل الحجاج لاحقاً إلى جدة أو إلى ينبع.

١- الشركة الروسية للملاحة والتجارة التي تنقلهم إلى الإسكندرية فقط، وتسلمهم إلى عميل شركة الملاحة ماغري ريني وشركاه فينقلهم بالسكة الحديدية إلى السويس لأجل نقلهم لاحقاً على بواخر الشركة.

٢- الشركة الصغيرة ماغري ريني وشركاه التي لا تملك سوى باخرتين سيئتين وقديمتين جداً تعملان بين مرافئ البحر الأحمر.

٣- البواخر الخديوية المصرية السابقة التي اشترتها الشركة الإنجليزية Khedivial mail steamship and graving dock وهذه الشركة تملك (١١) باخرة غير كبيرة يعمل بعض منها خصيصاً على نقل الحجاج في زمن حركة الحج، فتقوم برحلات مباشرة من القسطنطينية عبر قناة السويس إلى جدة ذهاباً وإياباً.

٤- البواخر الحكومية التركية وهي أسوأ البواخر وأقذرها، وتنقل الحجاج هي أيضاً برحلات مباشرة معرّجة على أصغر المرافئ كافة في أسيا الصغرى وسوريا.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٥٥]

❋ ❋ ❋

بخشيش

البدو بين الحرمين يطلبون في كل منزل بخشيشاً من الركاب الذين يحملونهم على جمالهم، إنها عادة وكل اثنين من الحجاج يعطيان خمسة قروش عن كل منزل، ومن الحجاج من يعطي أكثر، وبعضهم لا يريد أن يعطي شيئاً، وإذا كان الحاج فقيراً فالبدوي لا يطالبه بالبخشيش، أما إذا كان الحاج غنياً ورفض أن يعطي البخشيش للجمّال فإن ذلك الحاج يكون معرّضا للقتل في كل لحظة.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» (٢/٩٥٨)]

❋ ❋ ❋

الحجاج عندما يسافرون بالقطار أو الباخرة في روسيا لابد أن يدفعوا قرشاً واحداً بخشيشاً لمن يقدم لهم من الخدم الروس، أو الخادمات فنجاناً من الشاي، يعطي القرش عن طيب نفس، وإذا كانت الخادمة صبية فلابد أن تعطى قابيكا (ستة قروش).

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» (٢/٩٥٨)]

❋ ❋ ❋

بريد

توجد في مكة مؤسسة للبريد والبرق تحفل دائماً بالعمل أثناء تجمع الحجاج، والبريد المحلي لا يقبل الطرود ولا الإرساليات النقدية، ولا حتى الرسائل

المسجلة، وأثناء الحج يقتصر عمله كله في قبول وتسليم الرسائل البسيطة فقط، ونقل البريد على ظهور الحمير إلى جدة في اتجاه وإلى الطائف في اتجاه آخر، يقوم به أحد السكان المحليين، أما النقل إلى المدينة المنورة فيقوم به البدو على الهجائن. غالباً ما سمعت الشكاوى من أن الرسائل البسيطة وبخاصة في زمن الحج تضيع بكثرة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٠٢]

* * *

مكة موصولة بخط برقي (تلغرافي) مع جدة والطائف أثناء إقامة الحجاج في منى يفتتحون فيها محطة مؤقتة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٠٢]

* * *

في غضون (٣-٤) أشهر في السنة حين يجري نقل الحجاج من ينبع إلى أوطانهم لا تدخل سفن البريد إلى هذا المرفأ إطلاقاً نظراً لمضايقات الحجر الصحي.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٠٢]

* * *

في مكة مكان للتلغراف والبوستة بناه المرحوم عثمان باشا نوري عند بنائه لدار الحكومة (الحميدية) وغيرها منذ كان والياً عليها لأول مرة سنة (١٨٨٢م)، والتلغراف في هذه المدينة لا نظام فيه بالمرة لعدم وصول غالب الإشارات التي ترسل من وإلى أربابها!! ولعل ذلك ناشئ من كثرة الأعمال في زمن الحج، وأما البوستة فشيء لا نظير له بالمرة في بوسطات العالم، فإن المكاتيب تحضر في زمن الموسم من جدة إلى مكة على الجمال في عدة زكايب، فتلقى في طرقه مكتب البوسة الضيقة، ويأتي المطوفون أو صبيانهم أو الحجاج أنفسهم

فيفرزونها ويأخذ كل ما يعثر عليه صدقة باسمه أو باسم معارفه، وعليه فأغلب الخطابات لا تصل إلى أربابها، وأظن أن هذا النظام أو اللانظام لا مبرر له بالمرة، لأن الحكومة العثمانية في استطاعتها أن تكثر من عمال البوستة في موسم الحج.

[«الرحلة الحجازية» للأستاذ محمد لبيب البتنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٧٨٤)]

* * *

بكاء

قال سفيان بن عيينة: حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض، ووقعت عليه الرعدة، ولم يستطع أن يلبي، فقيل له: لم لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقال لي: لا لبيك ولا سعديك، فلما لبى غشي عليه، ووقع عن راحلته، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجته.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور سيد العفاني (١/ ٦٣)]

قال ابن رجب الحنبلي: الحج المبرور مثل حج إبراهيم بن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح الذي صحبه من بلخ، فرجع من حجه زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة وخرج من ملكه وماله وأهله وعشيرته وبلاده، واختار بلاد الغربة، وقنع بالأكل من عمل يده، وأما من الحصاد، أو نظارة البساتين.

حج مرة مع جماعة من أصحابه فشرط عليهم في ابتداء السفر أن لا يتكلم أحد إلا للّه تعالى، ولا ينظر إلا له، فلما وصلوا وطافوا بالبيت رأوا جماعة من أهل خراسان في الطواف، معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر وإبراهيم يسارقه النظر ويبكي. فقال له بعض أصحابه: يا أبا إسحاق ألم تقل لنا: لا تنظر إلا للّه تعالى؟ فقال: ويحك هذا ولدي وهؤلاء خدمي وحشمي:

هجرتُ الخلقَ طُرّا في هواكا وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا
فلو قطعتني في الحُب إرْباً لما حنَّ الفؤادُ إلى سواكا

[«لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي ص٢٤٥]

* * *

بناء الكعبة

بنايات الكعبة المعظمة:

بنيت الكعبة المعظمة إحدى عشر مرة بنتها: ١- الملائكة. ٢- ثم آدم. ٣- ثم شيث. ٤- ثم إبراهيم. ٥- ثم العمالقة. ٦- ثم جرهم. ٧- ثم قصي. ٨- ثم قريش. ٩- ثم عبد اللَّه بن الزبير. ١- ثم الحجاج. ١١- ثم السلطان مراد بن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان، وذلك سنة أربعين وألف هـ، وقد نظم بعضهم أسماء هؤلاء فقال:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقة
ملائكة الرحمن، آدم، ابنه كذاك خليل اللَّه، ثم العمالقة
وجرهم يتلوه قصي، قريشهم كذا ابن الزبير، ثم الحجاج لاحقه
ومن بعدهم آل عثمان قد بنى مراد حماه اللَّه ثم كل طارقة

وقال بعضهم أيضاً:

بنى البيت خلق وبيت الإله مدى الدهر من سابق يكرم
ملائكة آدم، ولده خليل، عمالقة، جرهم
قصي، قريش، نجل الزبير وحجاج بعدهم نعلم
وسلطاننا الملك المرتضى نراد هو الماجد المكرم

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٤٢٤)]

* * *

قال الفاسي: وتحصل من مجموع ما قيل أنها بنيت عشر مرات. انتهى

والمشهور أنها بنيت خمس مرات، الأول بناء الملائكة، والثاني بناء سيدنا آدم، والثالث بناء إبراهيم عليه السلام والرابع بناء قريش في الجاهلية وحضرة النبي ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، والخامس بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه، وفي إطلاق البناية تجوز.

وقيل: بنيت عشر مرات: بناها الملائكة، ثم آدم، ثم أولاده، ثم الخليل، ثم العمالقة، ثم جرهم، ثم قصي بن كلاب، ثم قريش، ثم ابن الزبير، ثم الحجاج.

قال القاضي تقي الدين الفاسي: ووجدت بخط عبد اللّه بن عبد الملك المرجاني: أن عبد المطلب جد النبي ﷺ بنى الكعبة بعد قصي بن كلاب، وقيل بناها قريش، ولم أر ذلك لغيره، وأخشى أن يكون وهماً.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٥٩)]

* * *

قال الحسين باكثير المكي:

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم ... ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقة
ملائكة الرحمن آدم ولده ... كذاك خليل اللّه ثم العمالقة
وجرهم يتلوهم قصي قريشهم ... كذا ابن الزبير ثم حجاج لاحقه
ومن بعدهم من آل عثمان قد بنى ... مراد بخير أطلع اللّه شارقه

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٦١)]

* * *

عن قتادة في قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]

قال: ذكر لنا أنه بناه من خمسة أجبل من طور سيناء، طور زينا، ولبنان، والجودي، وحراء، وذكر لنا أن القواعد من حراء.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٨٦)]

قال الفاسي عن قتادة: بنى الخليل البيت من خمسة أجبل: طور سيناء، وطور زيتا، ولبنان، والجودي، وحراء. وقد جمع هذه الخمسة الأجبل بعض العلماء فقال:

ومن أجبل خمس بنى البيت آدم فخذ ببيت قد أتاك بتبيان
فمن طور سيناء ثم زيتا ومن حرا ومن جبل الجودي أيضاً ولبنان

قال السهيلي: وتنبه لحكمة اللَّه تعالى حيث جعل اللَّه بناءها من خمسة أجبل ليناسب معناها، إذ هي قبلة للصلوات الخمس وعمود الإسلام، وقد بني على خمس.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٩١)]

❊ ❊ ❊

قال العلامة القسطلاني: ليس على وجه الأرض أشرف بناء من الكعبة، لأن الآمر ببنائها الملك الجليل، والمبلغ والمهندس جبريل، والبناء إبراهيم الخليل، والتلميذ العامل فيه إسماعيل.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣١٢)]

❊ ❊ ❊

لما عزم عبد اللَّه بن الزبير على هدم الكعبة، وبنائها على بنيان إبراهيم عليه السلام، خرج أهل منة إلى منى، خوفا أن يكون فعله معصية، وخرج عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما إلى الطائف.

فعلا عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما بنفسه على الكعبة وبيده المعول، وجعل يهدمها. فلما رآه الناس ولم يصب، صعدوا معه فهدموا، وأرقى عليها عبيداً من الحبش رجاء أن يكون منهم ذو السويقتين الذي وصفه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة» رواه البخاري. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: كأني به

أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري ٢/ ١٨]

❊ ❊ ❊

حدث للكعبة المشرفة من الترميمات والإصلاح في بعض أجزائها وفي عمومها بعد عمارة عبد اللّه بن الزبير ومنها:

❊ ترميم الجدار الذي بناه الحجاج مما يلي الحجر وقد تم ترميمه بالجص الأبيض بعد أن انفتح بمقدار نصف اصبع من وجهها ودبرها.

❊ في سنة (٢٤٠هـ) في خلافة أمير المؤمنين المتوكل على اللّه تم تجريد ظهر الكعبة وتغيير جميع زواياها من الفضة إلى الذهب، وتم الانتهاء منه سنة (٢٤١هـ).

❊ في سنة (٥٤٢هـ) تم ترميم سقف الكعبة المشرفة والدرجة التي بباطنها في عهد الوزير محي الدين وزير صاحب الموصل.

❊ في عام (٦٢٩هـ) تم ترميم بعض أجزاء الكعبة في عهد الإمام أبو جعفر المنصور.

[«أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي» لسعيد الزهراني ص ١٢]

❊ ❊ ❊

الداعي إلى بناء الكعبة المشرفة في زمن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان هو أن كان قد انهمر الغيث مصحوباً ببرد، ابتدأ بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان المعظم عام (١٠٣٩هـ)، واستمر إلى أثناء ليلة الخميس، فسال في آخره سيل جارف لن ترى الأعين مثله، ودخل المسجد الحرام فملأ أرجاءه، وبلغ منتصف جدارها من داخلها، ومات بهذا السيل في

رحبة المسجد الحرام وأطنابه، وخارجه خلق كثير كباراً وصغاراً وأجلاء ووضعاء. فسقط الجدار الشامي، وبعض الجدارين الغربي والشرقي من الكعبة المشرفة وذلك في آخر نهار الخميس عشرين من شعبان بعد صلاة العصر. فوقع حينئذ الضجيج العام، وشمل الانزعاج قلوب الأنام.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص١٦٢]

* * *

في القرن الحادي عشر الهجري وفي سنة (١٠٢٠هـ) وقع في جدار الكعبة من التصدع، وعمل نطاق من حديد عليه صفائح الذهب والفضة وصل لمكة في موسم سنة (١٠٢٠هـ) فحزم به البيت، وقد كانت تكاليف هذا النطاق ثمانين ألف دينار.

[«إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام» للشيخ محمد أحمد المكي ص ١٤٩]

* * *

في سنة (١٠٧٣هـ) انكسرت خشبة من سقف الكعبة فاقتضى الحال إلى كشف السقف، وإزالة تلك الخشبة، وعمر السقف عمارة جديدة، وأحيطت الكعبة بسقايل الخشب من الأرض إلى السقف، وستروا على العلمين باللخف من الخارج إلى أن تم العمل على يد سليمان بيك صنجق جدة، وقد فوض إليه مشيخة الحرم ونظاره العمارة.

[«تاريخ الكعبة المشرفة» لحسين با سلامة ص ١٣٨-١٣٩]

في شعبان (١٤١٧هـ) قام صاحب السمو الملكي الأمير عبد اللّه بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني - حفظه اللّه - ونيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ بالاحتفال بمناسبة الانتهاء من ترميم شامل للكعبة المشرفة، حيث تم ترميم وتجديد شامل لسقف الكعبة المشرفة والأعمدة الثلاثة وحوائط الكعبة

من الداخل والخارج والأرضيات ورخام السطح والحوائط والأرضيات والسلم الداخلي والشاذروان وجدار حجر سيدنا إسماعيل وميزاب الكعبة، وقد استمر العمل لمدة ثلاثة أشهر.

[«أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي» لسعيد الزهراني ص٢٤]

* * *

فائدة: أخرج الأزرقي أن قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة إعظاماً لها الوليد بن المغيرة، فجرى بذلك سنة.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٦٤]

* * *

فائدة:

قال النووي في «شرح مسلم»: ولا تغير الكعبة عن بنائها. ونقل القاضي أبو الطيب عن الشافعي أنه قال: أحب أن تترك الكعبة على بنائها ولا تهدم لئلا تذهب حرمتها.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري ٢/ ٢١]

* * *

في رحلة العبدري يقول صاحبها: ويقال للكعبة البَنيّة اسم مشتق من البناء.

[«رحلة العبدري» لمحمد بن محمد ص١٨٠]

وفي لسان العرب لابن منظور: والبنية على فعلية: الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبنى، وفي حديث البراء بن معرور: رأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر. يريد الكعبة، وكانت تدعى بنية إبراهيم عليه السلام لأنه بناها.

[«لسان العرب» مادة بنى لابن منظور (١٤/ ٩٥)]

* * *

قال ابن زياد النووي في كتابه «تحذير الإسلام عن تغيير بناء البيت الحرام» نقلا

عن الطنبداوي الصديقي عن النووي قال في «شرح مسلم»: قال العلماء ولا يغير هذا البناء - صريح في منع الزيادة في السمك والطول والعرض.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٣١)]

❊ ❊ ❊

فائدة:

قال العلامة ابن الضياء الحنفي: في كتابه «الضياء المعنوي في شرح مقدمة الغزنوي»: لا يطلق الهدم على البيت. انتهى

قلت: قد وقع في الحديث كأني بذي السويقتين إلى آخره.

ولعل هذا الإطلاق ما فيه من الفضاعة لكونه من أشراط الساعة. فتأمل وفقك اللّه.

[«منائح الكرم» لعلي بن بن تاج الدين السنجاري (٤/ ٧٧)]

❊ ❊ ❊

حرف التاء

تأشيرة

يحصلون على التأشيرات من القناصل الأتراك للسفر حتى القسطنطينية حيث الحجاج ملزمون بأخذ جوازات السفر التركية التي لا يصلح غيرها لمواصلة السفر، ولذا يترك بعض من المسافرين إلى مكة جوازات السفر الوطنية في القسطنطينية ولا يعرضونها فيما بعد وفي أي حال من الأحوال في أي مكان تخوفاً من المصاعب أثناء العودة إلى روسيا، وعلاوة على ذلك يستحصل البعض في الإسكندرية أو في السويس جوازات سفر مصرية لا يقبلون بدونها الركاب، في حال العودة على بعض بواخر الشركة الخديوية التي لا تنقل غير سكان مصر.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٥١]

❊ ❊ ❊

قال محيي الدين رضا في حوار له مع وزير المالية في حكم الملك عبد العزيز الشيخ عبد اللّه سليمان - رحمهما اللّه -: قلت لمعالي الوزير: إن صحفاً أمريكية نقلت أن الحجاج السود الذين يسمون تكارنة يعرضهم البحارة للموت؟ فهل هذا صحيح؟

فقال معاليه: إن هذا يقع بكل أسف، ويقع في السودان بأن ينقل بعض البحارة من السودان حجاجاً من السود الذين يسمون تكارنة في مراكب شراعية بصفة غير رسمية وينزلونهم بعيداً عن الشواطئ الحجازية، وبعيداً عن الموانئ الآهلة.

وهذا يعرضهم للغرق، والذين يسلمون من الغرق تحرقهم حرارة الشمس في الطريق وهم يعلمون هذا التخلص من دفع رسوم الحج والكورنتينا، ولقد

احتججنا على حكومة السودان لوقع ذلك في بلادها، وطالما ساعدنا بإنقاذ الذين ترامى على سمعنا خبر نزولهم بإرسال السيارات ومواد الإسعاف والتغذية إليهم لتخليصهم من الموت الفظيع.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٠٦]

* * *

تبخير

لو فكرنا في إمكانية اتخاذ التدابير الفنية فلا أدري بماذا ينصح المتخصصون الخبراء، فإذا قالوا إنه التبخير، ففي رأيي أن التبخير غير عملي، وذلك لأن الشرع حدد اليوم والساعة في عرفات ومنى، ولا يمكن تصور تبخير ثلاثمائة ألف بل نصف مليون من البشر خلال تلك الأوقات المحددة، كما أن تطبيق التبخير على الحجاج هناك لا ينتج عنه إلا إيقاظ الفتنة، فقبل عشر سنوات أنشأوا مكاناً ضخماً للتبخير بين مكة ومنى، ووضعت فيه الأجهزة، وبعد استكمال الاستعدادات، وفي الليلة التي سبقت التبخير هجم العربان والحجاج فسووا ذلك المبنى الضخم بالأرض خلال ساعات، كما فجروا الآلات التابعة له. لقد ثار كل العربان، وكادت تقع فتنة عظيمة ولو حاولت الحكومة وقتها المقاومة لراح مئات الألوف من الناس ضحايا هذا التصرف.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٤٢]

* * *

لقد بحثت الأمر مع أحد الأطباء وبينت له عدم إمكانية تطبيق طريقة التبخير، كما أبدى الطبيب رأيه بكل صراحة، وهذا هو رأي الطبيب: يجري غلي قدور ضخمة جدا في طريق منى وتخلع ملابس الحجاج وتدخل في القدر، ثم تخرج وتعطى للحاج.

انظروا إلى الكلام الصادر عن هذا الطبيب باسم الخبرة والاختصاص سيضع ملابس ثلاثمائة أو أربعمائة ألف حاج في القدور في يوم واحد ليقتل الجراثيم، تصوروا أن صحة البلاد أمانة في يد أمثال هذا الطبيب.

كان اللّه في عوننا إذا كانت الصحة العامة في البلاد أمانة بيد أمثال ذوي الأفكار الطفولية.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٤٣]

❋ ❋ ❋

تبوك

طريق الحاج الشامي يبدأ من تبوك، ووصفها ابن رشيد بأرض خصبة تزخر جناناً ويكثر فيها النخيل لتوفر الماء فيها.

[«ملء العيبة» لابن رشيد (٥/ ٧)]

❋ ❋ ❋

تجارة

في مكة يصنع هؤلاء التكارنة مدافئ أو وجارات صغيرة من الطين يسمونها كانون ويدهنونها باللونين الأصفر والأحمر، والحجاج يشترون هذه المواقد أو بالأحرى الوجارات، ويستعملونها في غلي أواني القهوة، بعض ثالث من هؤلاء التكارنة يصنع سلالًا صغيرة وحصيراً من سعف النخيل، أو يقوم بإعداد وتحضير الشراب المسكر الذي يسمونه البوظة، وبعض رابع من هؤلاء الزنوج يخدم في مجال السقاية بمعنى أنهم يعملون سقائين وجالبي مياه.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت ٢/ ٢٢]

❋ ❋ ❋

ويعتمد أهل الحجاز في معيشتهم على موسم الحج الذي يدوم حوالي ثلاثة

شهور، فالمباني تؤجر لسكنى الحجاج بأجور مرتفعة والتجار والصناع يعرضون ما يدخرونه من البضائع والمصنوعات على الحجاج، وهناك طائفة الصيارفة ينتشرون في زمن الحج ويربحون أرباحاً طائلة من تبادل أنواع العملة المختلفة التي يحملها الحجاج. وعلى وجه العموم فإن أهل مكة يعتمدون على قوام معيشتهم خلال بقية أيام العام على ما يجنونه من أرباح مواسم الحج.

[«رحلة في قلب نجد والحجاز» ص١٥٣ لمحمد شفيق أفندي]

❊ ❊ ❊

ليس الحج بأقل من منجم ثراء لتجار دمشق والقاهرة وباقي المحطات على طول الطريق تماماً كما سيكون لأهل مكة لاحقاً.

[«F.E. Peters, Jerusalem and Mecca, 1986»]

❊ ❊ ❊

يحمل بعض التجار الذين رافقوا القافلة الثياب الحريرية، في حين يحمل آخرون المرجان، وبعضهم الصفيح، وبعضهم الآخر القمح والأرز وكل أنواع الحبوب الغذائية. ويبيع بعضهم في الطريق، وآخرون في مكة، بغرض جني الربح مما يبيعون؛ لأن التجارة لم تنقل بالبر لا تستوفى عنها رسوم جمركية في حين تستوفى هذه الرسوم عن التجارة البحرية ١٠٪. وتعني الإشارة بوضوح كل تاجر؛ لأنها تفرق لاحقاً بين الحجاج الذين ليس لديهم غال يفقدونه لصالح اللصوص، في حين يتعرض التجار لنهب ثرواتهم.

[Anon., in Hakluyt, V. pp.340, 342, 346, my emphasis]

❊ ❊ ❊

الارتباط بين الحج إلى مكة والتجارة اليسيرة وثيق دائماً في الإسلام. ومن الناحية العلمية فإن كل الحجاج يمارسون المقايضة في طريق السفر إلى الحجاز والعودة منه. فهم يبدؤون رحلتهم حاملين معهم بعض عوارض

التجارة من أوطانهم ويبيعون أغلبها في مراحل الرحلة. ثم عند الرحيل يشترون من مكة التوابل والمجوهرات والبن العربي والموسلين - نوع من القماش - والشالات والفلفل المستورد من الهند. ويتصرفون فيها بالبيع في طريق العودة لأوطانهم.

[Gibb and Bowen, I, pp,2-301]

❋ ❋ ❋

سكان مكة ليس لهم مصادر غذائية أو إمدادات أخرى مستقلة عدا تلك التي ترد إليهم من الحجاج وعن طريق السفن الهندية والمصرية، ولأن مكة كما قال اللَّه: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾.

Bernard Lewis ed., Islam. From the prophet Muhammad to the capture of]
[P.32 ،2vols, II ،1974 ،Constantinople, New York

❋ ❋ ❋

إن التجار السعوديين يحصلون على أرباح كبيرة في أيام قليلة أكثر مما يربحون في العام كله من خارج الموسم.

[The Independent London quoted in the Sydney morning Herald, June2, 1991]

❋ ❋ ❋

ومع أن مكة ليس لديها إسهام كبير في تجارة التوابل العظيمة، فإنها كانت في البداية إلى النهاية مجتمع المقاولين والمتعهدين المحترفين، وإن كانوا يمارسون العمل بوصفهم هواة أحياناً. ويتكون مجتمعها من المتطلعين إلى وظيفة عالية موسمية، وهي توظف طاقات المجتمع بدءاً من الشريف، نزولاً إلى المتسول. ويذهب كل السكان إلى جدة لشراء البضائع الهندية، ويأخذونها إلى مكة قبل قدوم قوافل الحجاج. وهناك يبيعونها للحجاج بأرباح قد تصل إلى ٥٠٪ ويغلق هؤلاء التجار متاجرهم بانتهاء موسم الحج، ويذهبون إلى

مصيف الطائف في الجبال أو في جده حيث يمتلك أغلبهم منازل هناك.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص٢٨٥ لمعراج نواب مرزا]

* * *

هذا الخليط من الأعراق في جدة ناتج عن الحج الذي يقوم خلاله التجار الأثرياء بزيارة الحجاز ومعهم صفقات كبيرة من البضاعة. بعض هؤلاء التجار يعجزون عن التعجيل بتحصيل مديونياتهم وتسوية حساباتهم، مما يضطرهم إلى البقاء عاماً آخر، خلال هذه الفترة يسكن هؤلاء، حسب تقاليد البلاد وأعرافها، مع بعض الإماء الحبشيات اللاتي سرعان ما يتزوجونهن، وعندما يجد هؤلاء التجار أنفسهم بصحبة أسرة يقتنعون بالبقاء في جدة والإقامة فيها. وبذلك نجد أن كل موسم من مواسم الحج يضيف أعداداً جديدة من السكان لا في جدة وحدها، وإنما في مكة أيضاً، وهذا أمر ضروري نظراً لأن معدل الوفاة في المدينتين أعلى بكثير من معدل المواليد.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ٢/ ٣٩ لجون لويس بوركهارت]

* * *

نظراً لأن الحجاج الأتراك قد يحتاجون إلى المال في الحجاز، فهذا يضطرهم إلى التفريط في أشيائهم الثمينة، وغالباً ما تكون الساعة أول ما يفرط فيه الحاج التركي، ثم بعد ذلك المسدس، ومن بعده الخنجر المعقوق، وأخيراً الغليون الفاخر، ثم بعد ذلك طبعته المفضلة من القرآن. هذه السلع والأدوات غالباً ما توجد بكثرة في أسواق المزاد في كل من جدة ومكة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٦٩) لجون لويس بوركهارت]

* * *

مع اقتراب موسم الحج، ترتفع أسعار المؤن والتموينات كلها، وبالتالي أيضاً أسعار السلع الأخرى. وبذلك يضمن هؤلاء الذين لديهم مخازن عامرة بالقمح،

والأرز، والبسكويت حصولهم على أرباح كبيرة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٣٦) لجون لويس بوركهارت]

* * *

المغربيون (المغاربة) على سبيل المثال، يحضرون طرابيشهم الحمراء وعباءاتهم الصوفية، والأتراك الأوروبيون يحضرون معهم الأحذية، والشباشب، والخردوات المعدنية، والأقمشة المطرزة، والمسكَّرات، والكهرمان، والحلى الصغيرة أوروبية الصنع، وأكياس النقود والحافظات المصنوعة من الحرير.. إلخ، أما أتراك الأناضول فيحضرون معهم السجاد، والحرير، والشيلان المصنوعة من صوف الأنجورا، أما الفرس فيحضرون معهم الشيلان الكشميرية والغتر المصنوعة من الحرير، ولكن الأفغان يحضرون معهم المساويك، التي يطلق الناس عليها اسم المساويك القطرية، التي يصنعونها من الأغصان الإسفنجية لشجرة تنمو في بخارى، كما يحضرون معهم الخرز الذي يصنعونه من حجر أصفر يشبه الصابون، كما يُحضرون معهم أيضاً شيلاناً سادة خشنة، يصنعونها في بلادهم، أما الهنود فيجلبون معهم المنتجات المتعددة التي تنتجها بلادهم الواسعة الثرية، أما حجاج اليمن فيحضرون معهم الثعابين والأفاعي، التي تعد من مستلزمات الشيش والغلايين الفارسية، كما يجلبون معهم أيضاً النعال، ومصنوعات جلدية أخرى متباينة، والأفارقة يحضرون معهم سلعاً مختلفة تناسب تجارة العبيد.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

التكارنة يؤجرون أنفسهم فور وصولهم إلى جدة أو مكة؛ بعض منهم يعمل شيالًا في نقل البضائع والقمح من السفن إلى المخازن، وبعض آخر يعمل في تنظيف الأحواش، وجلب الحطب من الجبال المجاورة، وأهل جدة ومكة

يعتمدون اعتماداً تاماً على هؤلاء التكارنة في جلب ذلك الحطب؛ نظراً لأن الفقراء من أهل جدة وأهل مكة لا يقومون بهذا العمل، على الرغم من أن الواحد منهم قد يحصل على أربعة قروش كل يوم نظير القيام بهذه المهمة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ٢/ ٢٢ لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

ما يصرفه الحجاج بمكة ليس بالشيء الذي يستهان به، لأن إذا فرضنا أن متوسط عددهم يبلغ سنوياً مائتي ألف نفس، وأن متوسط ما يصرفه الواحد منهم مدة اقامته بمكة خمس جنيهات، فيكون مجموع ما يصرفه الحجاج في مكة على أقل تقدير مليوناً من الجنيهات في نحو شهر من الزمان: في أجرة مسكن وبعض المأكل وأجرة مطوف وزمزمي وبعض هدايا يشتريها لذويه وأهله.

ومع هذا كله فإن بعض أهالي مكة لا ينظرون الى الحاج (بقطع النظر عن كونه ضيف اللّه وفي بلده الحرام) بالعين التي يجب عليهم أن ينظروه بها، وعلى الأقل من الجهة الاقتصادية التي هي مصدر حياتهم. لأنهم مع احتقارهم له يسيئون معاملته ويرون في ماله كلا مباحاً لهم، ويتقوّلون في ذلك الأحاديث التي لا يخرج معناها عن قولهم (الحاج رزق لأهل الحرمين ورزق الحاج على اللّه).

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٦٢ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

التروية

التروية: يسمى الثامن من ذي الحجة بيوم التروية سمي بذلك لأن الناس كانوا يتروون فيه لما بعد.

[«الدر النقي» لابن المبرد(٢/ ٤٢٢)]

❋ ❋ ❋

يوم التروية: قيل لأن إبراهيم الخليل عليه السلام أصبح يتروى في أمر الرؤيا. قاله الأزهري

[«حاشية ابن حجر الهيثمي» ص٣٠٤]

❊ ❊ ❊

تسول

لما كان المسجد النبوي أصغر من المسجد المكي، ولما كان المسجد النبوي يخضع أيضاً لنظام بوليسي صارم عن طريق الطواشية، فإنه لا يعاني كثيراً من الشحاذين والعاطلين الذين تقل أعدادهم في المسجد النبوي.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٩) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

أشد هؤلاء الهنود بؤساً يستجدون المارة ويتوسلون إليهم وهم رقود على ظهورهم في منتصف الشارع وهم يحاصرون أبواب المساجد بصورة دائمة، والبعض منعم يجعلون المقاهي وأسبلة الماء مقاصد لهم، ولا يستطيع أي أحد من الحجاج ابتياع شيء من التموينات في الأسواق دون مضايقات من هؤلاء الهنود الذين يطلبون أو يشحذون شيئاً من هذه التموينات.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ٢٤)]

❊ ❊ ❊

بدأ حاج يمني يشكو من أن زوجته هربت منه ومعها النقود وجواز سفره. وسرعان ما امتدت يد كل فرد إلى حافظة نقوده.

[«الطريق إلى مكة» ص٢٠ لمراد هوفمان]

❊ ❊ ❊

ومما يلاحظه زوار مكة كثرة الشحاتين من السودانيين الذين يسمونهم

«التكارنة» وهؤلاء ممن تضيق بهم سبل العيش فينزحون إلى جوار الحرم الشريف رجاء العيش مما يجود به أهل الخير، وقد شهدت نفراً من أولئك التكارنة بحالة تفتت الأكباد وليست أدري ما هو نصيبهم من حسنات حكومتهم الغنية في ديارهم.

[«رحلة في قلب نجد والحجاز» ص١٥٣ لمحمد شفيق أفندي]

❊ ❊ ❊

ولم يزعجني إلا المتسولون الذين ينتشرون في كل أحياء المدينة، ويكادون جميعاً يكونون من الهنود، قدموا من أوطانهم للحج، وتقطعت بهم سبل العودة لنقص في المال، ولما لم يكن لهم أي موارد، فإنهم ظلوا هنا عالة على الناس.

[«رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة» ص١٤٢ لشارل ديدييه]

❊ ❊ ❊

في رحبة باب إبراهيم تجد ألافاً من فقراء حجاج التكارنة والهنود والمغاربة وفيهم كثير من المقعدين الذين لا يقدرون على الحركة، فيمضون هناك أيامهم عائشين من حسنة أرباب الخير، وربما كان منهم بالمسجد ما تلجئهم الضرورة إليه مما لا يصح التوسع في شرحه! وهذا أمر لا يليق بكرامة حرم اللَّه! فهل لحكومة الحجاز أن تفكر في أمر هؤلاء البؤساء وتقيم لهم دار ضيافة يأوون اليها ولو في مدة الموسم.

وعسى أن ديوان الاوقاف بمصر أو الاستانة يتدراك ما أهملته حكومة الحجاز فيكون له الثواب الجزيل.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٩٨ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

الشحاذون، وكذلك الحجاج الفقراء أو الضعاف يطاردون المسافرين

ويلاحقونهم في شوارع مكة طلباً لشربة من الماء العذب، هؤلاء الشحاذون يتحلقون حول طاولات الماء، التي توجد في كل ركن من أركان المدينة، حيث يباع الماء في موسم الحج بواقع بارتين للجرة الواحدة وبارة واحدة للجرة في غير موسم الحج.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٤٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

تعليم

قال سيدى الحسين الورثيلانى في رحلته للحج: فبدأنا بتقبيل الحجر مع الزحمة العظيمة من الرجال والنساء فاكتفى الكثير منا بالتكبير ومعي جماعة كثيرة تكاد أن لا تحصى أطوف بهم علمتهم كيفية الطواف.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٥٤ لسيدي الحسين الورثيلانى]

* * *

إذا كان اليوم السابع من ذي الحجة، ويمسى يوم الزينة يأتي الناس إلى المسجد الحرام وقت صلاة الظهر، ويوضع المنبر ملاصقاً للبيت عن يمين الداخل، فيصلي الإمام الظهر، ثم يخطب خطبة واحدة بليغة، ولا يجلس في موضعها ويفتتحها بالتلبية يتعلم الناس فيها مناسكهم كما هو المستحب.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١١٥ للحسن بن محمد الغسال]

* * *

في أيام الجمعة، وبعد الصلاة، يقوم بعض العلماء الأتراك بتفسير بعض سور القرآن لإخوانهم المواطنين الذين يتجمعون حول هؤلاء العلماء. وبعد إنتهاء درس التفسير يقوم كل واحد من الحاضرين بتقبيل يد المفسر، ويضع شيئاً من النقود في غطاء رأس المفسر. وأنا شخصياً أعجبتني جداً طلاقة واحد من هؤلاء العلماء، على الرغم من أني لم أفهم منه أي شيء، نظراً لأن الرجل

كان يلقى المحاضرة باللغة التركية. كانت خارج ألفاظ الرجل ونغمات صوته مؤثرة للغاية، لكن الرجل، مثل الممثلين عندما يكونون على المسرح، كان يضحك ويصرخ في آن واحد، ويكيف ملامحه مع الهدف الذي يبتغيه بمهارة فائقة. كان هذا العالم من مواطني بروسا Brusa، وجمع مبلغاً كبيراً من المال.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٩٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

تكارنة

الزنوج أو بالأحرى التكارنة يصلون إلى الحجاز عن طريق المرافئ الثلاثة: مصوّع، وسواكن، والقصير هؤلاء الزنوج الذين يأتون عن طريق سنار والحبشة إلى ميناء مصوع يكونون كلهم من الفقراء المعدمين، ومبلغ دولار واحد يكفي لنقل هؤلاء المعدمين من مصوع إلى ساحل اليمن وهم غالباً ما ينزلون في ميناء الحديدة، وفي الحديدة ينتظر أولئك الزنوج وصول أعداد كبيرة من أبناء جلدتهم لكي يشكل الجميع قافلة صغيرة، ثم يبدءون بعد ذلك في الصعود إلى جبال اليمن الممتدة بطول الوديان الخصبة التي يسكنها عرب كرماء، ويروحون يستجدونهم مصاريف الطريق إلى جدة أو مكة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ٢١)]

❊ ❊ ❊

التكارنة يؤجرون أنفسهم فور وصولهم إلى جدة أو مكة، بعض منهم يعمل شيالًا في نقل البضائع والقمح من السفن إلى المخازن، وبعض آخر يعمل في تنظيف الأحواش وجلب الحطب من الجبال المجاورة، وأهل جدة ومكة يعتمدون اعتماداً تاماً على هؤلاء التكارنة في جلب ذلك الحطب نظراً لأن الفقراء من أهل جدة وأهل مكة لا يقومون بهذا العمل على الرغم من أن

الواحد منهم قد يحصل على أربعة قروش كل يوم نظير القيام بهذه المهمة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ٢٢)]

❋ ❋ ❋

من مكة يسافر هؤلاء التكارنة إلى المدينة المنورة بطريق البحر من ميناء ينبع، وفي المدينة المنورة يعمل هؤلاء الناس في جلب حطب الوقود أيضاً، وواقع الأمر أنهم يمكن أن يقعوا في حيص بيص إذ لم يتمكنوا من الحصول على خدمات الأعمال المضنية التي يقوم بها هؤلاء الزنوج، وقد استمر هؤلاء التكارنة في أداء فريضة الحج طوال فترة الغزو الوهابي، ويقال إن سعود كان يقدر هؤلاء التكارنة تقديراً خاصاً.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ٢٢)]

❋ ❋ ❋

هؤلاء الزنوج يعودون بعد الحج وزيارات مكة إلى جدة ليستأنفوا العمل من جديد إلى أن يتهيأ لهم فرصة الإبحار إلى سواكن نظراً لأن قلة قليلة من هؤلاء الزنوج هم الذين يعودون عن طريق الحبشة، وهم عندما يغادرون الحجاز تكون بحوزتهم جميعاً مبالغ كبيرة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ٢٢)]

تكلفة

الحد الأدنى من المبلغ الضروري للقيام بالحج فقط أي بدون زيارة المدينة المنورة هو في السنوات التي لا يقتضي فيها الحال الحجر الصحي (٣٠٠) روبل، أما في حال الرغبة في زيارة قبر النبي ﷺ فينبغي حوالي (٥٠٠) روبل، وعلى العموم يأخذ حجاجنا من ذوي اليسر المتوسط حوالي (١٠٠٠) روبل في الطريق، وإذا افترضنا أنه ينبغي على الراغب في الحج أن يبقي في بيته مبلغاً مماثلاً لتأمين عائلته حتى عودته فإن فريضة الحج تكون الزامية من

وجهة نظر الشريعة على جميع المسلمين الذين يستطيعون إنفاق مبلغ ألفي روبل، وعادل يأخذ البديل مبلغاً يتراوح بين (٥٠٠ - ١٠٠٠) روبل.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٥٠]

* * *

اختلفت قيمة الحجة من نجد من زمن لآخر؛ نظراً لظروف الحج الأمنية، ولما أصاب الجزيرة من قحط وجدب، وما تبعها في ارتفاع الأسعار مما يحتاج الحاج، وتتراوح قيمة الحجة العشرة ريالات إلى مئتي الريال في حدود القرن الرابع عشر الهجري.

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٣٣ لعبداللّه سعد الدريس]

* * *

التكية

قال محيي الدين رضا: وقد كنت كلما طفت بالكعبة أشاهد وجوهاً مصرية وضّاءة، وكنت أدخل البيت الحرام من باب أجياد على مقربة من باب التكية المصرية فأشاهد تلك التحفة الفنية النفسية التي أهداها للحرام الحاج يعقوب عبد الوهاب بك، وهي نجفة من الأنوار وضعت أمام الداخلين من ذاك الباب، وكتب عليها أنها هدية من يعقوب عبد الوهاب بك من أهل مصر، فسجل لمصر بها عملًا طيباً بجوار عملها الخيري الدائم الحسنات والمشبع بالبركات، وأعني به التكية المصرية التي تفيض على الفقراء وغير الفقراء في كل صباح حيث توزع عليهم الخبز الأبيض اللذيذ والحساء الطازج، وليسمح لي القراء أن أسجل لناظر التكية المصرية الحاج عبد اللّه جاد ناحية طيبة في عمل الخير، وقد ذكر لي الشيخ سليمان الصنيع وهو من كبار رجل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن الحاج عبد اللّه هذا يدعو بعض الذين يثق بذمتهم وصدقهم ويطلب منهم أن يوزعوا الصدقات وبعض المال على جيرتهم

من الذين يمنعهم الحياء من الوصول إلى التكية ولا تصل إليهم عادة أيدي الموزعين للصدقات، وهذا عمل جليل شكرته لحضرته وسجلته هنا ليكون نبراساً وهادياً إلى الخير، بارك اللَّه فيه وأتم عليه نعمة العافية.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٧]

* * *

في الحرمين الشريفين عدد بيوت الحجاج المعروفة بتكايا القازانيين، يسمونها تكية ولكنها ليست تكايا بل بيوت الحجاج، والحجاج القادمون من روسيا ينزلون في هذه التكايا ويسكنون فيها طيلة مدة إقامتهم، وناظر التكية يهتم بشؤون الحجاج أي يصير خادماً لهم وبواباً، فإذا سر منه الحاج أعطاه مما عنده من بدل وصدقة عمرة وبعضهم لا يعطيه شيئاً وأحياناً تحدث النزاعات والمشادات، ولا يعرف ما كان يقصده بناة هذه التكايا وواقفوها، وهل كانت هناك حاجة لمثل هذه البيوت، فإن فوائد هذه التكايا تساوي أضرارها أما التكية التي نسكن فيها فهي تحت نظارة الشيخ محمد مراد أفندي وتعتبر من أكمل التكايا في مكة وأحسنها تنظيماً.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٢١]

تنصير

اشتركت مع هذا القطيع للاجتماع في الخروج إلى الحج من الهند، وأضعت ساعتين من وقتي ولكنني لم أتكلم من الدفاع بسبب عدم إجادتي اللغة الأوردية، وكان المنصرون يستغلون تجمع الحجاج في أماكن متعددة من بومبي في تلك الأيام ليمارسوا نشاطهم التنصيري.

والواقع أن المنصرين يستغلون كل فرصة عند تجمعات الناس في المدن

الكبرى في الهند ليقوموا بواجبهم بحضور امرأتين بصفة شهود.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٨٩٦]

❊ ❊ ❊

تنظيم

وفي نحو الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين، غادرنا منى في طريقنا إلى جدة، وكانت الطرقات مكتظة بالسيارات الخارجة من منى، الواقفة المتأهبة للخروج، مما اضطر المسؤولون عن تنظيم المرور إلى توزيع السماح لهم بالسير في دفعات، كل دفعة تضم غالباً عشر سيارات من كل خط، وهكذا، بالتناوب بين الخطوط. فكانت السيارة تسير ببطء شديد حتى مفترق الطرق، حيث تخف الزحمة هناك، ويستتب انتظام سيرها بسرعتها العادية.

[«قرة العين في الرحلة إلى الحرمين الشريفين» ص٢١٢ للحضرمي بن الشيخ أبي بكر]

❊ ❊ ❊

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبداللَّه سنة (١٤٢٠هـ): في هذا الوقت بالذات، هناك نحو مليوني شخص ذاهبون إلى نفس المكان، فإذا حسبنا أن الأوتوبوس الواحد يحمل نحو خمسين شخصاً، يكون هناك أربعون ألف أوتوبوس على الطريق، ولو وقفت هذه الأوتوبوسات الواحد خلف الآخر، أظن أن ذلك سيكون كافياً لبلوغ عرفة.

لنفكر باللوجستية. مرة في السنة، عليهم أن يؤمنوا نقل هذا العدد الكبير من الناس، إنها مهمة كبيرة. على مقربة من المكان الذي نحن فيه صناديق كبيرة للنفايات سوف تمتلئ من جديد خلال الساعات المقبلة، لكن سلطات تنظيم الحج التي أشرفت على تنظيم الحج طيلة سنوات عدة تعرف كيف تتصرف وأنا مُعجبة بها، إنه لشرف كبير أن يعتنوا بالحجاج لكنها، أيضاً مسؤولية كبرى.

لقد تم بناء طرقات جديدة، وأنا متأكدة أن تنظيم نقل هذا العدد الكبير من الناس هو مهمة شاقة.

[«الطريق إلى السلام» ص٧٧-٧٨ لأبو بكر أحمد باقادر]

* * *

وعلى الرغم من أن جوانب المسجد مفتوحة، فإننا لم نكن نتوقع أن تكون درجة الحرارة بداخل المسجد ٢٨ درجة مئوية فقط، وهو ما أثار دهشتنا لم تلبث أن تبددت حينما علمنا أن المسؤلين السعوديين يمررون ماء مثلجا تحت المسجد، ولابد أن هذا الماء يأتي من مسافة بعيدة، لان الحرارة الناتجة عن عملية التبريد كانت كفيلة بأن تصل بهذه المدينة إلى درجة الغليان.

[«الطريق إلى مكة» ص١١ لمراد هوفمان]

* * *

حجاج الهند منظمون بطريقة جيدة، وهم في هذا الشأن أفضل من حجاج البلدان الأخرى، وقريباً من الحرم، وعلى هضبة عالية يقع (رواق الهند) وهو مبني بالحجارة والأسمنت، على النظام الحديث.

[«ياباني في مكة» ص٢٤٢ لتاكيشي سوزوكي]

* * *

التنعيم

التنعيم: سمي لأنه عن يمينه جبل نُعيم، وعن يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان، وهنالك المسجد المنسوب لعائشة رضي الله عنها.

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللّه الحرام» ص٩٥ للمُرادى، تحقيق محمد زينهم]

* * *

التنعيم: حد الحرم من جهة المدينة النبوية هو أمام أدنى الحل على ما ذكره

المحب الطبري، قال: وليس بطرف الحل ومن فسره بذلك تجوز وأطلق اسم الشيء على ما قرب منه، وأدنى الحل إنما هو من جهته، وليس موضع في الحل أقرب إلى الحرم منه، وهو على ثلاثة أميال من مكة، والتنعيم أمامه قليلًا في صوب طريق وادي مر الظهران. انتهى بنصه.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١٢٨/٢)]

❋ ❋ ❋

التنعيم من الحل بين مكة وسرف على فرسخين من مكة، وقيل: على أربعة أميال وسميت بذلك: لأن جبلًا عن يمينها يقال له: نعيم وآخر عن شمالها يقال له: ناعم والوادي نعمان.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٥٤٠/١)]

❋ ❋ ❋

طريق التنعيم طريق فسيح، والناس يتحرون كنسه في كل يوم رغبة في الأجر والثواب، لأن من المعتمرين من يمشي فيه حافياً.

[«رحلة ابن بطوطة»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢٣٧/١)]

❋ ❋ ❋

التنعيم: هو الذي عنده المساجد المعروفة بمساجد عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، سمي بذلك لأن على يمينه جبلًا يقال له: نعيم، وعن شماله جبل يقال له: ناعم، والوادي: نعمان.

[«الأرج المسكي في التاريخ المكي» لعلي بن عبد القادر الطبري ص٥٣]

❋ ❋ ❋

التنعيم: واد ينحدر شمالًا بين جبال بشم وجبل الشهيد جنوباً فيصب في وادي يلج، وهو ميقات لمن أراد العمرة من المكيين، وتسمى عمرته: عمرة التنعيم،

أي مكان الاعتمال، وذلك تمييزاً لها عن الجعرانة، وكان يسمى نعمان.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق بن غيث البلادي ص٥٠]

❊ ❊ ❊

توبة

من علامات القبول أن يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: لا رياء فيه ولا سمعة، ولا رفث ولا فسوق، وقيل: الذي لا معصية بعده.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٥٩)]

❊ ❊ ❊

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحج المبرور أن ترجع زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٥٩)]

❊ ❊ ❊

ذكر بعض العلماء منهم الغزالي وغيره: أن مما يذكر بأحوال الآخرة، والموت أفعال الحج، فإن الإنسان حين شروعه في الحج يقدم التوبة الخالصة والخروج من المظالم، ورد الحقوق إلى أربابها إن كان ثم، والوصية بما أحب، ووداع أهله وأولاده وذويه.

وخروجه مع قافلة الحاج إلى أول المنازل كأول أحوال الموت.

وإحرامه من الميقات كقيامه من القبر ونشر مجرداً عرياناً حافياً مقبلًا على اللَّه تعالى، ذليلًا أشعث أغبر، وطوافه بالكعبة كملاذ بالأنبياء - عليهم السلام - والأولياء والشفعاء يوم القيامة.

والوقوف بعرفات المعظم كالعرض على اللَّه تعالى يوم فصل القضاء.

ورجوعه إلى أوطانه كاستقراره في دار القرار، فكانت أفعال الحج تذكرة له بهذه الأحوال.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٦٥)]

❋ ❋ ❋

يقول أحد الزهاد: الحج هو القصد، فقصد إلى بيت الحق، وقصد إلى الحق.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٦٢)]

❋ ❋ ❋

يقول أحد الزهاد: قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ والحصر بأمرين: بعدو أو مرض.

فليعلم أنه إن استولى عدو النفس لم تجد أبداً من الإناخة بعقوة الرخص، فعند ذلك تتحلل بموجب العذر والاضطرار إذ لا مزاحمة مع الحكم.

وإن مرضت الواردات، وسقمت القصود، وآل الأمر إلى التكليف، فليجتهد أن لا ينصرف، كما أنه في الشعائر يجتهد أن لا ينصرف لكل مريض، أو أن احتاج إلى اللبس والحلق وغير ذلك بشرط الفدية.

ثم عجز اشترط أن محله حيث حبسه، فكذلك يقوم ويقعد في أوصاف القصد وأحكام الإرادة، فإن رجع - والعياذ باللّه - لم يقابل إلا بالرد والصد، كما قيل:

فلا عن قليَ كان التغرب بيننا ... ولكنه دهر يشتّ ويجمع

وقال الآخر:

ولست وإن أحببت من يسكن الفضا ... بأول راج حاجة ولا ينالها

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٦٢)]

❋ ❋ ❋

يقول علي بن الموفق: حججت ستين سنة، فلما كان بعد ذلك جلست في

الحجر أفكر في حالي، وكثرة ترددي إلى ذلك المكان، ولا أدري هل قبل مني حجي أم رد، ثم نمت فرأيت في منامي قائلًا يقول لي: هل تدعو إلى بيتك إلا من تحب، قال: فاستيقظت وقد سر عني.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٣٠٢)]

❋ ❋ ❋

قال الشيخ علي الطنطاوي سنة (١٩٥٦م): كنت في مصر من بضع سنين وكانت في الجامعة بعثة من الطلاب تستعد لتمضي إلى الحج، فعلق بها طالب يعرفه إخوانه شيوعياً خبيثاً حرباً على الإسلام، وأهله، مجادلًا لدعاته. فأبوا عليه الصحبة، وألحَّ هو، راغباً فيها، فخبرني بذلك أستاذ في الجامعة فقلت له: أنا أرى أن تأخذوه معكم، فلعل اللَّه قد أذن بصلاحه فبعث هذه الرغبة في نفسه، فاستبعد ذلك، فقلت: إن هذا الطالب كالآلآف من أمثاله ممن نشأ على الإسلام، وربي عليه في بيته، فرسخ الإيمان في قلبه لأن الكفر والإيمان ومبادئ الخير والشر، إنما يكون رسوخها في سن الطفولة والصبا، إنه مؤمن في قرارة نفسه ولكن ضعف الدعوة إلى الحق، وقوة الدعوة إلى الباطل هي التي صارت به إلى هذا المصير. إنه طلاء إذا سطعت عليه شمس الحجاز إذا به فكأنه ما كان. وأخذوا برأيي وصحبوه، ولما رجعوا، ولقيت هذا الأستاذ قال لي: لقد كان ما قدرت، ولكنه كان شيئاً عجيباً، دهش له كل من كان معنا، حتى الطالب نفسه، فإننا ما بلغنا حدود الحرم ونزعنا ثيابنا، حتى تبدل نفساً بنفس، كأنما نزع مع الثياب دنياه كلها من قلبه، وأفكار السوء من رأسه، وترك الباطل الذي كان يحيا فيه، وعاد الفتى المؤمن يجهر بالتلبية أكثر من جهرنا، ويخشع لها أكثر من خشوعنا، فحسبنا ذلك تظاهراً منه لنا، وتزلفاً إلينا، حتى إذا بلغنا باب الحرم، وبدت لنا الكعبة، غلبت عليه حال يستحيل أن تكون تصنعاً وتمثيلًا، وراح يبكي وينشج حتى لقد أبكانا. ثم كان أكثرنا

صلاة وطوافاً واستغراقاً في العبادة، قلت هذا أثر الحرم في نفس المسلم. وهب أن هذا الشاب كان فاسقاً أو كان شيوعياً، أفما صلى مرة واحدة في عمره... أما رأى من يصلي؟ فكيف يصلي ولا يتعلق بهذا البيت؟

[«من نفحات الحرم» لعلي الطنطاوي ص٧- ٨]

* * *

ومما يروى لمحسن الهزاني:

يا ليتنا من حجنا سالمينا ... كان الذنوب اللي علينا خفيفات
رحنا نبي نخفف ذنوب علينا ... وجينا وعلينا كثرهن عشر مرات

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٧٦ لعبدالله سعد الدريس]

* * *

إليك قصدي ربَّ البيتِ والحجرِ ... فأنت سؤلي من حجي ومن عمري
إليك قصدي قبل البيتِ والأثر ... وقبل سعيي بأركان البيت وبالحجرِ
صفاءُ دمعي الصفا لي حين أعبرهُ ... وزمزمي دمعةُ تجري من البصرِ
عِرفانكم عرفاتي إذ منى منىً ... وموقفي وقفةٌ في الخوف والحذرِ
وفيك سعيي وتطوافي ومزدلفي ... والهديُ جسمي الذي يغني عن الجزرِ
ومسجدُ الخيفِ خوفي من تباعِدكم ... ومَشعري ومَقامي دونكم خطري
زادي رجائي لكم، والشرقُ راحلتي ... والماء مُن عبراتي والهوى سفريِ

[«لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي ص ٢٦٦]

* * *

توسعة

كان المسجد الحرام محاطاً بجدار قصير غير مسقف، إنما يجلس الناس حول المسجد بالغداة والعشي يتبعون الأفياء فإذا قلص الظل قامت المجالس.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٦٩)]

في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٧هـ) كان المسجد الحرام صغيراً، ولم يكن عليه جدار إنما كانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس بها من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوراً فهدمها، وهدم على أقوام أبوا أن يبيعوا، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها بعد، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً، وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٢/ ١٥٧)]، [«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٥٩٣)]

* * *

توسعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (١٧هـ):

اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدور التي كانت محدقة بالمسجد الحرام، وكانت تضيق على الناس المسجد من جميع النواحي، والذين أبو البيع قام بهدم منازلهم ووضع أثمانها في بيت المال حتى أخذوها فيما بعد، وجعل على المسجد جداراً قصيراً (سور)، وقال للناس الذين أبو يبيعوا دورهم: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٩٣)]

* * *

جاء في كتاب «تاريخ مكة» للأزرقي: أن المسجد الحرام لم يكن له جدران محدقة به من كل جانب، غير أن بين الدور المحيطة به أبواباً يدخل منها الناس من كل نواحيه.

فلما ضاقت على الناس اشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوراً فهدمها لتوسعة المسجد الحرام وأبى بعض أصحاب الدور من يأخذ ثمنها وتمنع من البيع فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعد ذلك ثم أحاط عليه جداراً وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فنائها، ولم تزل الكعبة عليكم.

ثم كثر الناس في عهد عثمان بن عفان ﵁ فوسع المسجد، واشترى من قوم وأبى آخرون أن يبيعوا، فصيحوا به فدعاهم فقال: إنما جرأكم علي حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح أحد، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمهم فيه عبد اللَّه بن خالد بن أسيد فنزلهم.

ثم توسعة المسجد الحرام في عهد عبد اللَّه بن الزبير، وهو أول من بنى بالأساطين الرخام، ثم في عهد عبد الملك بن مروان، ثم في الوليد بن عبد الملك وهو أول من أزر المسجد الحرام بالرخام، ثم في عهد أبي جعفر المنصور وهو أول من أنشأ المنارات، ثم في عهد المهدي أمير المؤمنين، ثم عمارة المعتضد العباسي، ثم زيادة المقتدر، ثم عمارة ملوك الجراكسة فعمارة السلطان العثماني سليمان خان، ثم السلطان سليم خان، ثم السلطان مراد، ثم التوسعة السعودية الأولى في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ﵀ بعد أن ظل المسجد الحرام (١٠٦٩هـ) بدون أي زيادة مما أدى إلى التصاق البيوت بالمسجد لدرجة أن المسعى انفصل عن المسجد وبات مجرد طريق تقوم المساكن والدكاكين على جانبيه.

[«أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي» لسعيد الزهراني ص٢٤]

* * *

في زمن عثمان بن عفان ﵁ (٢٦هـ) كثر الناس في زمن عثمان بن عفان ﵁ فوسع المسجد، واشترى من قوم، وأبى آخرون أن يبيعوا فهدم عليهم، فصيّحوا به فدعاهم فقال: إنما جرّأكم علي حلمي عنكم، فقد فعل بكم هذا عمر فلم يصيّح به أحد، فاحتذيت على مثاله فصيحتم بي، ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كلمه فيهم عبد اللَّه بن خالد بن أسيد فتركهم.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٢/ ١٥٨)]

* * *

توسعة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة (٢٦هـ):

عمل توسعة للمسجد الحرام، فقام بشراء عدد من الدور فوافق بعض القوم على البيع ورفض آخرون، فهدم بيوتهم فصيحوا، فدعاهم فقال: إنما جرأكم علي حلمي عنكم، فقد فعل بكم عمر هذا فلم يُصيح به أحد، فاحتذيت على مثاله فصيحتم بي. ثم أمر بهم إلى الحبس، حتى كلمه فيهم عبد اللَّه بن خالد بن أسيد فتركهم، وقد كانت زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه في (٢٦هـ).

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٥٩٣)]

❋ ❋ ❋

يعتبر الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أول من اتخذ الأروقة في المسجد الحرام لكي يتظلل بها المصلون من حرارة الشمس صيفاً، والأمطار شتاءً، لأن المسجد كان غير مسقوف، وكان الناس يجلسون حول الكعبة المشرفة في العراء.

[«تهنئة أهل الإسلام» لإبراهيم المأموني ص٨١]

❋ ❋ ❋

توسعة عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه سنة (٦٥هـ):

سار على نهج أسلافه فاشترى الدور المتاخمة للمسجد فهدمها، وأدخلها في المسجد من الناحية الشرقية وناحية الصفا، وأعلى من المسجد من جانبه الشامي كما عمل توسعة من ناحية المسجد من جانبه اليماني.

وفي نفس السنة أجريت بعض التصليحات والترميمات في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله دون عمل أي توسعة في المسجد الحرام.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٥٩٣)]

❋ ❋ ❋

زيادة عبد اللَّه بن الزبير سنة (٦٥هـ) وسع عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما فاشترى دوراً

ملاصقة للمسجد وهدمها وأدخلها في المسجد من ناحية الصفا أي من جانبه الشرقي، وهو أعلاه مما يليه من جانبه الشامي، كما وسعه من جانبه اليماني، وكان مما وسع به من الجانب الشرقي نصف دار الأزرقي جد الأزرقي صاحب كتاب «أخبار مكة» اشترى ذلك ببضعة عشر ألف دينار.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٠٣)]

* * *

في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك تم لأول مرة نقل أساطين الرخام (أعمدة الرخام) من مصر والشام إلى مكة على العجل، وزاد في مساحة المسجد الحرام من الجهة الشرقية رواقاً دائراً على حافته، وقد بلغت هذه التوسعة (٢٣٠٠) متر مربع، وكان الوليد بن عبد الملك هو أول من آزر المسجد بالرخام من داخله، كما أهدى إلى الكعبة المشرفة هلالين وسريراً من ذهب.

[«مجلة تراث» العدد ٦٣/ ٢٠٠٤م ص٢١]

* * *

توسعة محمد المهدي - يرحمه اللَّه - سنة (١٥٨هـ - ١٦٧هـ):

كانت توسعة المهدي على مرحلتين ومن جانبين الجانب اليماني والجانب الغربي.

المرحلة الأولى: سنة (١٦١هـ) تم عمل رواقين مكان البيوت والدور التي تم شراؤها أدخلت في المسجد، كما تم شراء جميع الدور والتي كانت بين المسجد والمسعى وأدخلت في المسجد.

المرحلة الثانية: سنة (١٦٧هـ) أمر بها عند حجته الثانية فتم شراء الدور المطلة على الوادي من الجهة الجنوبية من المسجد وتم هدمها، وجعلها مسيلًا وأدخل الوادي الأصلي في المسجد بعد أن صرف مجرى الوادي للمجرى الجديد، ثم أقام الأروقة على أعمدة من الرخام جلبت من مصر والشام وبعد هذه التوسعة

العظيمة لم يتمك زيادة في المسجد الحرام حتى نهاية العصر العباسي.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٧٤)]

❊ ❊ ❊

عمارة السلطان فرج بن برقوق رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٨٠١هـ - ٨٠٨هـ):

وكانت هذه العمارة نتيجة لما أصاب المسجد الحرام من الدمار بعد سيل عظيم في سنة (٨٠٢هـ)، وحريق كبير حول معظم المسجد الحرام إلى ركام وأتربة، وعندما علم السلطان بذلك سارع بإعادة تعمير ما احترق، وكلم الأمير بيسق الظاهري بالإشراف على عمارة المسجد الحرام، وكان أمير الحج المصري فوصل في سنة (٨٠٣هـ) وتخلف بعد الحج للإشراف على تعمير المسجد فبنى الاسطوانات وشد عليها قضبان الحديد، وصب عليها الرصاص، وعقد عليها العقود، وتمت عمارة الأعمدة في آخر شعبان سنة (٨٠٤هـ) ولم يبق غير السقف، ونظراً لعدم وجود الأخشاب اللازمة سافر إلى مصر وجهز الأخشاب المناسبة، ثم عاد في سنة (٨٠٧هـ) وشرع في عمل السقف، ثم علق القناديل في سلاسل من نحاس وحديد، وجدد المقامات الأربعة، وصرف الأموال العظيمة في هذه العمارة، حتى تمت على أحسن وجه، وفي الفترة الثانية من حكمه سنة (٨١٠هـ) قام بتجديد مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبنى عليه قبة عالية من الخشب، قائمة على أربعة أعمدة دقيقة من الحجارة المنحوتة، وجعل عليه أربعة شبابيك من حديد.

[«عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي» لعبد اللطيف بن دهيش ص ٦٧-٦٩]

❊ ❊ ❊

عمارة السلطان الأشرف قايتباي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٨٨١هـ):

قام الأشرف قايتباي ببعض الإصلاحات في المسجد الحرام عند توليه الملك في سنة (٨٨١هـ) بإصلاح بئر زمزم، وترميم مقام إبراهيم، وغير رخام الحجر،

وعمل منبر جديد مرتفع، كما أرسل كسوة جديدة للكعبة المشرفة، وأنشأ مدرسة المذاهب الأربعة عند باب السلام في سنة (٨٨٤هـ)، وقد تم بناؤها على يد الأمير سنقر الجمالي الأشرفي، وكان يدرس فيها مختلف العلوم الإسلامية، والفقه على المذاهب الأربعة، وكان بالمدرسة عدد من طلاب العلم، وأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، كما أرسل من مصر مكتبة أوقفها على طلال ب العلم، وبنى بجوار المدرسة منارة بقاعدتها المربعة يعلوها خوزة على شكل القلة.

[«الأعلام بأعلام بيت اللّه الحرام» للنهرواني ص ٢٤٠]

* * *

ترميمات السلطان سليمان القانوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ السنوات (٩٣٢هـ - ٩٥٩هـ - ٩٦٢هـ):

في عهده لقي المسجد عناية خاصة ففي عام (٩٣١هـ) رمم السقف الشرقي واستبدلت الأعمدة الموجودة حول المطاف بأعمدة مصنوعة من النحاس الأصفر وجعل بينها أخشاباً لتعليق القناديل عليها، وفي عام (٩٣٢هـ) قام بتعمير المقام الحنبلي والمالكي وباب بني شيبة (السلام) وباب علي، وفي عام (٩٤٧هـ) أمر بهدم المقام الحنفي وبنى مكانه مبنى جديد للمقام نفسه، كما أنشأ عدداً من الغرف من الجانب الشرقي للمسجد لحفظ المؤن من شموع وقناديل مسارج، وأخشاب، وفي سنة (٩٥٩هـ) جددت الأروقة، وبنى الرواق الشرقي، كما قام بترميم مدخل الباب الغربي، ومدخل باب إبراهيم، وفرش صحن المطاف ببلاط جديد، وأعيدت بناء المآذن الثلاث، كما أمر بتجديد سطح الكعبة المشرفة، وأهدى للمسجد منبراً من الرخام مطعماً بأحجار كريمة مختلفة، وعليه قبة لتقي الخطيب من الشمس أثناء خطبته، وقد استمرت هذه الترميمات حتى سنة (٩٦٢هـ).

[«الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان» ترجمة سعد الدين أونال ص ١٩]

ترميمات السلطان مراد الثالث رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٩٨٢هـ):

واصل مراد الثالث ما بدأه سلفه ففي عام (٩٨٤هـ) انتهى من إعادة إعمار المسجد الحرام، فبلغ عدد القباب (١٥٢) قبة محمولة على (٨٨١) عقداً كبيراً، وأكثر من (١٠٠٠) عقد صغير، ومحمول على (٢٧٨)، وكان قطر العمود (١,٢٥) ذراعاً حوالي (٦٠) سم، وفي سرة كل قبة قنديل، والأروقة محاطة من الداخل والخارج بالشرفات، التي بلغت حوالي (١٣٨٠) شرفة، وبلغ عدد أبواب المسجد (٢٦) باباً.

[«الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان» ترجمة سعد الدين أونال ص ١٩]

❊ ❊ ❊

ترميمات السلطان عبد الحميد الثاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٢٩٣هـ):

رفع في عهده من القائم مقام أركان حرب السيد محمد صادق ضابط ومهندس عثماني عن أحوال الحرم المكي الشريف بصفته المسئول عن الحرمين الشريفين آنذاك، وقد تضمن التقرير الإصلاحات والترميمات التي يحتاجها المسجد الحرام، وقد تضمن التقرير اثني عشر مطلباً ملحاً منها ما يخص بئر زمزم وجدران الحرم والحجارة المفروشة في صحن المطاف والمقامات وإطار الحجر الأسود، وباب السلام والأرضية تحت الأقبية، وجدار الكعبة من الناحية الشرقية وكذلك الحاجة إلى عمود رخامي، وتغيير الحصى، وجعل مكان مخصص للنساء، ومكان الأغوات.

وكانت الاستجابة سريعة من السلطان، ولكن عاقها الموقف السياسي الذي كان يحيط بالدولة العثمانية وعلى الرغم من ذلك تمت بعض الإصلاحات نقل كتب مكتبة الحرم بعد أن كانت في مبنى سقاية العباس بعد إزالتها، وفي عام (١٣٢٧هـ) عندما دخل المسجد سيل عظيم غطى الحجر الأسود وأدخل بـ (٢٢) إسطوانة رخامية، وسمي بسيل الخديوي لأن عباس حلمي خديوي مصر

قد حج في ذلك العام، واستمر العمل في نظافة المسجد نحو نصف شهر.

[«الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان» ترجمة سعد الدين أونال ص ١٩]

❊ ❊ ❊

التوسعة في عهد الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سنة (١٣٣٤هـ) حتى سنة (١٣٦٨هـ):

قام الملك عبد العزيز بتجديد وترميم عمارة السيل القديم لزمزم وفي السنة التالية فرش أرض المسعى بالبلاط، كما قام بتسقيفه، وفي أوائل سنة (١٣٤٦هـ) أجرى عمارة لعموم المسجد الحرام من الداخل والخارج، وفي السنة التي تليها أمر بعمل صيانة للمصابيح، كما أمر بتركيب مصابيح جديد في سائر أنحاء المسجد الحرام، وفي عام (١٣٤٩هـ) أمر بشراء مولدات كهربائية لضمان عدم انقطاع الكهرباء عن المسجد، وفي عام (١٣٥٤هـ) أمر بتشكيل لجنة مستمرة لمتابعة أي إصلاحات يحتاجها المسجد الحرام، وفي عام (١٣٦٦هـ) أمر بعمل مظلة لكامل أرض المسعى، وفي عام (١٣٦٨هـ) أمر بتوسعة شاملة لجميع أنحاء المسجد.

[«عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي» لعبد اللطيف بن دهيش ص ٩٩-١٠٩]

❊ ❊ ❊

توسعة الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ من سنة (١٣٧٥هـ) حتى سنة (١٣٨٣هـ):

أعلن الملك سعود عن توسعة للمسجد الحرام وعمارة بأحدث أساليب العمارة، وكون هيئة الإشراف على التوسعة برئاسة ولي عهده في ذلك الوقت الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأزيلت الكثير من البيوت والدور وأدخلت في التوسعة والتي اعتبرت من أكبر توسعات الحرم المكي، وفي عام (١٣٨٠هـ) تأسست شركة بن لادن فتولت أعمال البناء والإنشاء، فعملت أعمدت الدور الأرضي من الأروقة الجنوبية للمسجد وسقفه، وتم عمل ممر

دائري فوق منطقة الصفا على مستوى الطابق الأول للمسجد والمسعى، وفي عام (١٣٨١هـ) شرع في إنشاء الأقبية الواقعة على الجانبين الشمالي والجنوبي الغربي من المسجد الحرام وتسقيفها، وفي عام (١٣٨٣هـ) تقرر توسعة صحن المطاف ونقل المنبر من موقعه.

وقد قامت شركة بن لادن في هذه المرحلة من (١٣٧٥هـ) إلى (١٣٨٣هـ) بإنجاز المشروعات المنوطة بها على أكمل وجه من حيث التصميم والإنشاء والتعمير.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٧٧]

* * *

توسعة الملك فيصل بن عبد العزيز - يرحمه اللَّه - من سنة (١٣٤٨هـ) حتى سنة (١٣٩٣هـ):

واصل الملك فيصل العمل في التوسعة والتي بدأت في عهد الملك سعود ففي عام (١٣٨٤هـ) تم إزالة المنازل والمتاجر لإقامة الميادين الخمسة حول الحرم، وشرع في بناء أعمدة الرواق الشمالي ما بين باب السلام وباب الباسطية.

وفي عام (١٣٨٦هـ) تمت مواصلة أعمال التوسعة والعمارة حتى انتهت في عام (١٣٩٣هـ) مع المحافظة على الرواق العثماني وتحت إشراف مكتب إتحاد المهندسين الاستشاريين الباكستاني، وفي هذه المدة تم إنشاء المكبرية وتم ربط الطابق الأول من المسعى عند نهاية المروة بجسر يوصله بالشارع العام في المنطقة المؤدية إلى حي القرارة، وفي عام (١٣٩٣هـ) تم عمل شبابيك حديدية لواجهات المسعى، كما تم إضافة بدروم في منطقة المثلث عند الصفا، وتم تجهيزه بمداخل داخلية وخارجية.

وفي عهده زاد عدد الحجاج زيادة كبيرة لم تشهدها مكة من قبل، كما أضاف

أعمال خارجية كالأنفاق والجسور والميادين ودورات المياه وتهيئة الشوارع المحيطة بالحرم.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٧٨]

❊ ❊ ❊

توسعة الملك خالد ين عبد العزيز - يرحمه اللَّه - سنة (١٣٩٩هـ):

في عهده - يرحمه اللَّه - تمت أعمال كبيرة في ترميم المسجد الحرام شملت نقل مدخل قبو زمزم وتوسعة صحن المطاف، كما أمر - يرحمه اللَّه - بتركيب مكيفات صحراوية ومراوح في المسعى، وتمت أعمال الزخرفة والبناء والإنارة في منارات الحرم السبعة، وفي عام (١٤٠٠هـ) اكتملت جميع أعمال التوسعة المقررة.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٧٩]

❊ ❊ ❊

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه اللَّه - سنة (١٣٩٩هـ):

تعتبر هذه التوسعة من أكبر التوسعات التي شهدها المسجد الحرام، فقد شملت زيادة مساحة المسجد من الناحية الغربية والتي تمتد من باب الملك عبد العزيز إلى باب العمرة زيادة أفقية ورأسية حيث تم تركيب ثلاث سلالم كهربائية متحركة، وأصبحت المداخل الرئيسة للحرم أربعة بالإضافة للمداخل الفرعية التي وصل عددها إلى أربعة وخمسين مدخلًا بجانب ست بدرومات، وأضيفت مأذنتان جديدتان تشبهان المآذن السبعة السابقة، وبلغت مساحة الزيادة (٧٦,٠٠٠) متر، وهي ثلاثة أمثال مساحة المسجد الحرام قبل الزيادة السعودية الأولى، كما أضيقت مساحات جديدة للمصلين من الناحية الشرقية وتقع أسفل جبل قبيس، وبلغ مساحتها (٤٠,٠٠٠) متر وتم تجهيزها بكافة ما

يحتاجه المصلين، بالإضافة إلى مساحات واسعة من الناحية الجنوبية الغربية، وفرشت أرضها بالرخام الأبيض لتتخذ كمصلى خاصة وقت الزحام في رمضان والحج.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٧٩]

❊ ❊ ❊

توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللّه بن عبد العزيز - حفظه اللّه -:

اهتم حفظه اللّه كأسلافه إهتماماً شديداً بالحرمين الشريفين فأمر سلمه اللّه بتخصيص مبلغ عشرة مليارات ريال لتوسعة الحرم المكي والمشاعر المقدسة، وأهم هذه التوسعات المسعى والجمرات.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨٠]

❊ ❊ ❊

تمت التوسعة السعودية على عدة مراحل:

المرحلة الأولى: بدئ العمل بها بأمر من الملك سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام (١٣٧٥هـ) تم بناء المسعى من طابقين، ويبلغ طول المسعى من الداخل (٥،٣٩٤) متر، وعرضه (٣٥) متر.

المرحلة الثانية: بدأت العمارة في هذه المرحلة عام (١٣٧٩هـ) وتم الجزء الخارجي للمبنى الجديد، وخلال هذه المرحلة وسعت منطقة المطاف، وأصبحت في شكلها الحالي، كما أقيمت السلالم الحالية لبئر زمزم.

المرحلة الثالثة: بدأت هذه المرحلة بالقرار الذي أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتعديل التصميم الأصلي للتوسعة، وذلك للاحتفاظ بمباني المسجد العثماني، وفي هذه التوسعة بنيت المكبرية وشقت الطرق المحيطة بالحرم المكي، وأنشئت الميادين المتسعة لتنظيم المرور حول الحرم

والدكاكين وغيرها من المرافق.

وقد أصبحت عمارة المسجد الحرام (١٩٣,٠٠٠) متر مربع بعد أن كانت (٢٩,١٢٧) متر مسطحاً.

وفي شهر صفر عام (١٤٩٠هـ) قام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ بوضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام، وتضمنت التوسعة إضافة جزء جديد على مبنى المسجد الحالي من الناحية الغربية في منطقة السوق الصغير بين باب العمرة وباب الملك عبد العزيز، ويتضمن مبنى التوسعة مئذنتين جديدتين، وتم إضافة مبنيين للسلالم المتحركة.

وفي شهر رمضان عام (١٤٣٢هـ) رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللَّه بن عبد العزيز - حفظه اللَّه - حفل وضع حجر الأساس لمشروع التوسعة الجديدة للمسجد الحرام على مساحة تقدر بـ(٤٠٠) ألف متر مربع

[«مجلة الحج» العدد الثاني صفر (١٤٣٣هـ) ص٢٢-٢٣]

* * *

مبنى التوسعة الجديدة لمشروع خادم الحرمين الشريفين الملك عبداللَّه بن عبدالعزيز لتوسعة المسجد الحرام يضم ٩ أدوار و٨ مستويات تتضمن ٦ أدوار للصلاة، تشتمل على الدور الأرضي والسطح وبلغت المساحة الاجمالية المنتهية للتوسعة ٧٠٩٤٦٠ م٢، وتشمل مساحة مبنى التوسعة والساحات والجسور والمصاطب، فيما تبلغ المساحة الكلية لمبنى التوسعة ٤٠٢٦٠٠م٢، وتشمل مساحات الاقبية والاسطح وفراغات الصواعد الميكانيكية واسطح الغرف العلوية المنتهي منها ٣٣١٤٠٠ م٢ وهي لا تشمل مساحات الاقبية والاسطح، فيما بلغت المساحة الكلية لمبنى الخدمات المصاطب (المتوقعة التقريبية) ٤٣٩٤٠٠ م٢، وتشمل سطح مبنى الخدمات من حد المبنى المطل على الساحات الشمالية الى حدود الممتلكات ومسطحات مباني الحرم

والجهات الامنية ومهابط الطائرات المروحية والمنتهي منها المتوقعة تقريبا ٣٢١٤٠٠ م٢، فيما بلغت المساحة الكلية لساحات التوسعة التي تحتضنها جسور مبنى التوسعة ٦٨٧٥٠ م٢ والمنتهي منها ٥٦٦٦٠ .

و ستكون الطاقة الاستيعابية لأعداد المصلين في التوسعة إجمالاً ٨٧١٢٠٠ مصل، والطاقة الاستيعابية لأعداد المصلين في مبنى التوسعة ٢٩٧٤٠٠ مصل بحساب المصلين في قاعات الصلاة الممرات في أوقات الذروة، والطاقة الاستيعابية لأعداد المصلين في مبنى المصاطب (تقريبية) ١٨٧٥٠٠مصل والطاقة الاستيعابية لأعداد المصلين في ساحات التوسعة (تقريبية) ٣١٥٤٠٠ مصل والطاقة الاستيعابية لاعداد المصلين في الجسور ٧١٠٢٠٠ مصل واضافت المصادر أن عدد بوابات المبنى ٥٤ منها ٢ رئيسيان في الشمال والجنوب والثانوية ٨ والفرعية المتوقع فتحها اليا ٣٦ بابا تحت العقود بالواجهات الشرقية والغربية والشمالية ٨ تحت الجسور وسيكون ارتفاع القبة الرئيسية والمتحركة (من مستوى سطح المبنى إلى قمة القبة)٢١مترًا وعدد قباب الأفنية المتحركة ١٢ .

كما تضم التوسعة ١٦جسراً لتفريغ الحشود من مبنى التوسعة عبر مبنى المصاطب وهناك ٩ مظلات في الساحة ذات المقاس الكبير وسيكون أبعاد وارتفاع المظلة الكبيرة ٥٣x٥٣ مترا - أما عدد وأبعاد مظلات الساحة ذات المقاس الصغير ٢٨ مترا ١٨x مظلة ٢٤ وهناك ٨ بطاريات للسلالم المتحركة في مبنى التوسعة كل بطارية تحتوي على ٤ سلالم في ممرات الخدمة بكل دور ٤ بطاريات (كل بطارية تحتوي على ٤ سلالم)على الجسور ٤ إلى الساحات (كل بطارية تحتوي على ٢ سلم) وتشمل التوسعة الجديدة ١٦مصعدا لخدمة المصلين عاديين ومعاقين، أما عدد إجمالي دورات المياه في مبنى التوسعة فيبلغ ٣١٢٠ دورة مياه بالإضافة إلى ١٣٨٠مواضئ فى قبو مبنى

التوسعة، وسيكون إجمالى عدد دورات المياه فى مبنى المصاطب (المتوقعة تقريبًا) ٥٧٠٠ دورة مياه وإجمالى عدد المواضئ في مبنى المصاطب تقريبًا ٧٥٠٠ . . ، وسيكون عدد وحدات خدمة ضيوف الرحمن والجهات الأمنية في التوسعة ٤ وحدات، حيث يبلغ مسطح الوحدات لخدمة ضيوف الرحمن والجهات الأمنية ٢١٩٠٠متر٢ .

وستشتمل التوسعة على أحدث وأرقى النظم الكهربائية والميكانيكية، وسيكون مشابهًا للطراز المعماري الحالي للمسجد الحرام ومتناسقا معه، وتقع توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللَّه بن عبدالعزيز في الناحية الشمالية من المسجد الحرام على مساحة تقدر بأكثر من ثلاثمائة ألف متر مربع، تشمل مباني التوسعة والساحات المحيطة بها والجسور المعدة لتفريغ الحشود، ترتبط بمصاطب متدرجة وتلبي التوسعة كل الاحتياجات والتجهيزات والخدمات التي يتطلبها الزائر، مثل نوافير الشرب والأنظمة الحديثة للتخلص من النفايات وأنظمة المراقبة الأمنية.

كما تشتمل التوسعة على تظليل الساحات الخارجية، وترتبط التوسعة بالتوسعة السعودية الأولى والمسعى بواسطة جسور متعددة لإيجاد التواصل الحركي المأمون من حيث تنظيم حركة الحشود، وستؤمن التوسعة منظومة متكاملة من عناصر الحركة الرأسية، حيث تشمل سلالم متحركة وثابتة ومصاعد قد روعي فيها أدق معايير الاستدامة من خلال توفير استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية، بحيث تم اعتماد أفضل أنظمة التكييف والإضاءة التي تراعي ذلك، وسوف تستوعب التوسعة بعد اكتمالها أكثر من مليون ومائتي ألف مصل تقريباً.

[المصدر: جريدة «المدينة» ١٤/ ٦/ ١٤٣٣ هـ]

* * *

حرف الثاء

ثبير

ثبير: معظم جبال مكة الكبار كانت تسمى الأثبرة جمع ثبير، فمنها: ثبير غيناء وهو أشمخ هذه الأثبرة، وهو الذي تسميه عامة أهل مكة اليوم الرّخم ذلك أن على رأسه غر الطير لا يفارقه، وكان يسمى أيضاً ثبير الأثبرة أي كبيرها، وكان يسمى في الجاهلية سميراً ثم سمي صفراً، وكان يقال لقمته ذات القتادة وهو المقابل لجبل النور (حراء) من الجنوب والمشرف على منى من الشمال، ويسمى منته الشرقي ثقبة بثلاث فتحات.

وكان الجاهليون لا يفيضون من مزدلفة حتى تشرق الشمس على رأسه.

ولذلك يقولون: أشرق ثبير كيما نغير.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٥٥]

* * *

ثبير: إذا طلعت عليه الشمس سار الحاج من منى إلى عرفة، وهو على ما قال المحب الطبري في شرح التنبيه بثاء مثلثة مفتوحة ثم باء موحدة مكسورة: أعلى جبل بمنى، ثم قال: وهو يشرف على منى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف أمامه قليلًا إلى اليسار الذاهب إلى عرفة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٢/ ١٧٦)]

* * *

أما ثبير الذي كانوا يقولون في الجاهلية إذا أرادوا أن يدفعوا من مزدلفة: أشرق ثبير كما نغير، ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه هو جبل بالمزدلفة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٢٨٠)]

ثبير غيناء: وهو أضخم جبال مكة يشرف على الأبطح من الشرق ويشرف على منى من الشمال ويقابل حراء من الجنوب، وتعرفه العامة اليوم بجبل الرّخم.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق بن غيث البلادي ص١٢]

* * *

ثبير النصع: جبل المزدلفة.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق بن غيث البلادي ص١٢]

* * *

ثلج

حج الخليفة المهدي بالناس سنة (١٦٠هـ) وحمل له الثلج إلى مكة واليه على البصرة محمد بن سليمان، وكان المهدي أول خليفة نُقل له الثلج.

وأكرم أهل الحرمين ووزع فيهم أموالًا وبالغ في إكرامهم حتى أصبح إكرام الحرمين على هذه الصورة سنة في خلفاء بني العباس.

[«الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم» لصالح بن سليمان الوشمي ص٩٥]

* * *

ثور

جبل ثور: على قدر فرسخ من مكة - شرفها اللَّه تعالى - على طريق اليمن، وفيه الغار الذي أوى إليه رسول اللَّه ﷺ حين خروجه مهاجراً من مكة - شرفها اللَّه - ومعه الصديق رضي الله عنه حسب ما ورد في الكتاب العزيز.

والناس يقصدون زيارة هذا الغار المبارك، فيرومون دخوله من الباب الذي دخل منه النبي ﷺ تبركاً بذلك، فمنهم من يتأتي له، ومنهم من لا يتأتى له

وينشب فيه، حتى يتناول بالجذب العنيف، ومن الناس من يصلي أمامه ولا يدخله.

[«رحلة ابن بطوطة»]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٣٨)]

* * *

قال بعض الحجاج الأكياس: إن سبب صعوبة الدخول إليه هو أن بداخله مما يلي هذا الشق الذي يدخل منه حجراً كبيراً معترضاً، فمن دخل من ذلك الشق منبطحاً على وجهه وصل رأسه إلى ذلك الحجر، فلم يمكنه التولج، ولا يمكنه أن ينطوي إلى العلو ووجه وصدره يليان الأرض، فذلك هو الذي ينشب فيه ولا يخلص إلا بعد الجهد والجذب إلى الخارج، ومن دخل منه مستلقياً على ظهره أمكنه، لأنه إذا وصل رأسه إلى الحجر المعترض رفع رأسه، واستوى قاعداً، فكان ظهره مستنداً إلى الحجر المعترض وأوسطه في الشق ورجلاه من خارج الغار، ثم يقوم قائماً بداخل الغار.

[«رحلة ابن بطوطة»]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٣٩)]

* * *

قال ابن بطوطة: ومما اتفق بهذا الجبل لصاحبين من أصحابي: أحدهما الفقيه المكرم أبو محمد عبد اللَّه بن فرحان الأفريقي التوزري، والآخر أبو العباس أحمد الأندلسي الوادي آشي أنهما قصدا الغار في حين مجاورتها بمكة - شرفها اللَّه - في سنة (٧٢٨هـ) وذهبا منفردين لم يستصحبا دليلًا عارفاً بطريقه، فتاها وضلّا طريق الغار، وسلكا طريقاً سواها منقطعة، وذلك في أوان اشتداد الحر وحمى الغيظ، فلما نفد ما كان عندهما من الماء وهما لم يصلا إلى الغار، أخذا في الرجوع إلى مكة شرفها اللَّه تعالى، فوجدا طريقاً فاتبعاه، وكان يفضي إلى جبل آخر، واشتد بهما الحر وأجهدهما العطش، وعاينا الهلاك، وعجز الفقيه أبو محمد عبد اللَّه بن فرحان عن المشي جملة، وألقى بنفسه إلى الأرض،

ونجا الأندلسي بنفسه، وكان فيه فضل قوة، ولم يزل يسلك تلك الجبال حتى أفضى به الطريق إلى أجياد، فدخل إلى مكة شرفها اللَّه تعالى وقصدني وأعلمني بهذه الحادثة، وربما كان من أمر عبد اللَّه التوزري وانقطاعه في الجبل، وكان ذلك في آخر النهار، ولعبد اللَّه المذكور ابن عم اسمه حسن، وهو من سكان وادي نخلة، وكان إذ كان بمكة، فأعلمته بما جرى على ابن عمه، وقصدت الشيخ الصالح الإمام أبا عبد اللَّه محمد بن عبد الرحمن المعروف بخليل إمام المالكية - نفع اللَّه به - فأعلمته بخبره، فبعث جماعة من أهل مكة عارفين بتلك الجبال والشعاب في طلبه، وكان من أمر عبد اللَّه التوزري أنه لما فارقه رفيقه لجأ إلى حجر كبير، فاستظل بظله، وأقام على هذه الحالة من الجهد العطش، الغربان تطير فوق رأسه، وتنتظر موته، فلما انصرم النهار وأتى الليل وجد في نفسه قوة وأنعشه برد الليل، فقام عند الصباح على قدميه ونزل من الجبل إلى بطن واد حجبت الجبال عنه الشمس، فلم يزل ماشياً إلى أن بدت له دابة فقصد قصدها، فوجد خيمة للعرب، فلما رآها وقع إلى الأرض ولم يستطع النهوض، فرأته صاحبة الخيمة، وكان زوجها قد ذهب إلى ورد الماء فسقته ما كان عندها من الماء فلم يُرو ن وجاء زوجها فسقاه قربة ماء فلم يرو، وأركبه حماراً له، وقدم به مكة فوصلها عند صلاة العصر من الثاني متغيراً كأنه قام من قبر.

[«رحلة ابن بطوطة»]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٤٠)]

❊ ❊ ❊

حرف الجيم

جدة

صارت جدة محطاً للمواكب البحرية سنة (٢٥هـ).

[«الرحلة الحجازية» لمحمد بن عثمان السنوسي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٥٩٩)]

* * *

جدة أهم مرفأ على ساحل البحر الأحمر، وعبره تمر حركة الحجاج الرئيسية سواء عند نزولهم على ساحل الجزيرة العربية أم على طريق العودة إلى الوطن.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٢٥]

* * *

الجعرانة

جعرانة بكسر الجيم وإسكان العين وتخفيف الراء وفتحها، وقيل: بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة.

[«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ٥٥)]

* * *

وإنما سميت جعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها: رايطة براء وطاء مهملتين بينهما مثناة تحتية بنت كعب، ولقبها جعرانة، وهي امرأة أسد بن عبد العزى، عن ابن عباس أنها هي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾... الآية [النحل: ٩٢].

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٣١)]

* * *

الجعرانة: الموضع الذي أحرم منه النبي ﷺ لما رجع من الطائف بعد فتح مكة، هو موضع مشهور على بريد من مكة.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٥/ ٦٩)]

* * *

وادي جعرانة واد مبارك كثير الأنوار، وبه أحجار يستخرج منها الفضة، وقد سمع بذلك بعض الصواغين بمكة وهو أبو بكر الملا، فخرج إلى الجعرانة ووجد شيئاً من تلك الأحجار، فاختبرها واستخرج منها فضة، فكان الخارج بقدر المنصرف ولم يحصل شيء زائد يكون ربحاً، فترك ذلك ولو فعل ذلك ذو قوة وآلات وعدد لربما يستخرج منها ما يحصل له ربح.

[«السالنامة الحجازية» ص ١٥٩]

* * *

الجعرانة اليوم: قرية صغيرة في صدر وادي سرف فيها مسجد يعتمر منه أهل مكة المكرمة، ولها مركز إمارة وتربطها بمكة طريق معبدة، وفيها زراعة قليلة. وكان النبي ﷺ اعتمر منها بعد غزوة الطائف، خرج منها ليلًا وعاد من ليلته. ماؤها يضرب المثل بعذوبته.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٦٤]

* * *

جمال

خرج الأعمش إلى مكة حاجاً، فكان الجمال يؤذيه، فكان الأعمش يقوم إليه كثيراً فيضربه، فقال له الجمال يوماً: الميعاد بيني وبينك الإحرام، فلما أحرم الأعمش تعرض إليه الجمّال، فقام إليه ليضربه بعصاه، فقال له: الإحرام،

الإحرام يا أبا محمد، قال: ضربي إياك من مناسك الحج.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٧١)]

* * *

الجمرات

الجمار هي الصغار من الحجار جمع جمرة، وبها سموا المواضع التي ترمى جماراً وجمرات لما بينهما من الملابسة المحل بالحال، وقيل: لجمع ما هناك من الحصى من تجمر القوم إذا تجمعوا، وجمر شعره إذا جمعه على قفاه.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٤)]

قال الفاسي: وقد حرر بعض أصحابنا وأنا معه فكان مقدار ما بين جمرة العقبة والجمرة الوسطى مائتي ذراع وثمانية أذرع بذراع الحديد، وكان مقدار ما بين جمة الوسطى والجمرة الأولى مائتي ذراع وخمسة وسبعين ذراعاً بذراع الحديد، وكان مقدار ما بين الجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخيف إلى باب مسجد الخيف الكبير على يمين الذاهب إلى عرفة ألف ذراع ومائتي ذراع وأربعة وخمسين ذراعاً وسدس بذراع الحديد.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٤٩)]

* * *

فائدة: سئل رسول اللَّه ﷺ عن رمي الجمار فقال: اللَّه ربكم تكبرون، ملة إبراهيم تتبعون، ووجهة الشيطان ترجمون، وسنة نبيكم تتبعون.

[أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٣٨)]

* * *

فائدة: قال بعضهم: لو كان القصد بالرمي النكاية لجاز بنحو النُّشَّاب، أو

الإهانة لجاز بنحو البعر، أو الإكرام لجاز بنحو النقد، فلم يبق إلا التعبد المحض، واتباع النص.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٥)]

❋ ❋ ❋

قال محيي الدين رضا عن سليمان داود المصري أحد الأمراء الذي حج سنة (١٣٦٥هـ) ولقد حدثني هذا النبيل طالباً أولياء الأمور في الحجاز أن يخففوا على الراجمين مشقة زحامهم، فاستحسن أن تجعل ساحة أمام كل شيطان من الشياطين الذين نرجمهم، وأن تسور الساحة بالحديد، ويجعل لها بابان يدخل الراجمون من أحدهما، فمن انتهى من رجمه رجع من الباب الثاني، وهكذا يخف ضغط الجماهير.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٠]

قال أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي في رحلته للحج سنة (٨٥١ هـ): ثم ذهبنا إلى موضع الجمار بمنى وهي ثلاث جمرة العقبة وحذاها قبة هائلة سمعت من العوام أنها يقال لها: قبة العشرة.

[«رحلة القلصادي» ص١٤٣ لأبي الحسن القلصادي]

❋ ❋ ❋

ذكر الفاسي عن الأزرقي: أن جمرة العقبة زالت عن موضعها الأصلي، أزالها جهال الناس برميهم الحصى في غير محله، فردها إلى موضعها الذي لم تزل عليه إسحاق بن سلمة الصايغ، الذي أرسله المتوكل لما يتعلق بأمر الكعبة. وبنى ورائها جداراً أعلى منها، ومسجداً متصلًا بذلك الجدار، لئلا يصل إلى أعلاها من يريد الرمي، لأن السنة في الرمي أن يكون من بطن الوادي.

[«منائح الكرم» لعلي بن بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٦٣)]

❋ ❋ ❋

يا جيرة حلوا بوادي منى … أصرمتم في القلب منكم جمار

أنتم كرام يا فريق التقى وجاركم من كل جور يُجار

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٩٣ تأليف / المُرادى]

❊ ❊ ❊

لما دخل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ منى، وهبط من العقبة، تمثل له إبليس عند جمرة العقبة، فقال له جبريل: ارمه، فرماه إبراهيم بسبع حصيات، فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى، فقال له جبريل: ارمه، فرماه بسبع حصيات، فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة السفلى، فقال له جبريل ارمه، فرماه بسبع حصيات، مثل حصى الحذف، فغاب عنه إبليس، ثم مضى إبراهيم في حجه، وجبريل يوقفه على المواقف، ويعلمه المناسك، حتى انتهى إلى عرفة، فلما انتهى إليها، قال له جبريل: أعرت مناسكك؟

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٩١)]

❊ ❊ ❊

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبداللَّه سنة ١٤٢٠هـ: وقد أخبروني أن علي أن آتي بمشعل (ببطارية) كي يسهل علي جمع الحصى. (حوالي خمسين)؛ سوف تستخدم هذه الحصى لرجم الأعمدة الثلاث (الجمرات) في منى. لكني نسيت تماماً، وأنا هنا في الظلام أحاول جمع الحصى التي يجب أن تكون صغيرة. شيئاً فشيئاً بدأت أعتاد على الظلام وأصبحت قادرة على الرؤية قليلًا.

[«الطريق إلى السلام» ص٨٦-٨٧ لأبي بكر أحمد باقادر]

❊ ❊ ❊

جن

ذكر العصامي في تاريخه سنة (١٠٩٥هـ): وفيها في شهر ربيع الآخر وُجد رجل من أبناء المدينة يقال له: محمد بن عمار الصعيدي بالمسجد النبوي بعد

أن فتش المسجد وأغلق، فأخرجوه، ثم لما أن كان من أعمال شيء من الليل وجدوه أيضاً تجاه القبر الشريف يقرأ في مصحف فأخرجوه من المسجد.

وفي ليلة الجمعة وقت التذكير دخلوا لإيقاد قناديل الحجرة الشريفة، فوجدوه عند بابها داخلًا تحت الستر نصفه ونصفه الآخر خارجه، فتقدموا إليه أخرجوه، وأتوا به إلى شيخ الحرم وأخبروه بما وقع، فوضع في بعض المخازن وأغلق الباب وعلى الباب حرس، ثم فتحوا الباب بعد ساعة فلم يجدوه، وسألوا عنه فإذا هو في بيته عند والده وأهله. واللّه أعلم بحقيقة حاله.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٩٩)]

جنازة

قال الشيخ علي السنجاري: في يوم الأحد الحادي عشر شوال سنة (١١٢٣هـ) وقعت لطيفة وهي من كمال الغفلة وسببها: أن جارنا باكير جلبي دورلي ماتت عنده جارية، فبعد تمام غسلها وتجهيزها طلبوا التابوت لوضع الميت فيه، فأدخلوه مستراً وخرجوا، ثم دخلوا لأخذ الميت ظناً منهم بأنهم قد وضعوه فيه، وشيع الناس الجنازة إلى المسجد، فعند وضعها تحت باب الكعبة ظهر لهم خفتها، فنظر بعض الناس جوف التابوت فوجدوه خالياً، فرجعوا بالنعش إلى البيت لوضع الميت فيه، وجلس الناس في المسجد ينتظرونهم حتى ظن بعض الناس بهذا الفعل أن الميت رجعت له روحه، ثم وصلوا به ثانياً إلى باب الكعبة، وصلوا عليه بعد العصر ودفنوه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٥١٣)]

* * *

جنون

في سنة (١٠٨١هـ) يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان دخل المسجد رجل

أعجمي بيده سيف والخطيب يخطب، وهو ينادي بالفارسية ما معناه أنه المهدي، وجلس في صحن الطواف إلى أن فرغ الخطيب، فلما أراد أن ينزل قصده الأعجمي بالسيف وأراد ضربه فرد في وجهه باب المنبر، وكان الخطيب ذلك اليوم القاضي محمد بن موسى القليوبي المكي، فتلاحقه العامة من العساكر والمجاورين، فضربوا الأعجمي بالسيوف إلى أن أثخنوه جراحه وسحبوه إلى أن أخرجوه من باب السلام، ثم جرته العامة من أولاد السوق إلى المعلاة، وجعلوا عليه قمامة وأحرقوه فيها، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

[«منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٣٠٢)]

في سنة (١١٢٣هـ) يوم الجمعة رابع عشر ذي القعدة تعرض للخطيب رجل من السوقة وفي يده جنبية مسلولة، فعند وصول الخطيب إلى المنبر ضربه بها فتلقى عنه المرقي، وفعل هكذا ثانياً وثالثاً والمرقي يتلقاها، ثم هرب الخطيب وصعد الرجل المنبر والسكينة في يده يومئ بها إلى من طلع إليه، فطلع إليه رجلان، تركي وعبد زنجي، ومسكوه ونزلوه من المنبر، فوقعت فيه العامة ضرباً، وأخرجوه من المسجد وأثخنوه إلى أن مات.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٢٣)]

* * *

وفي شهر رجب سنة (١٢٠٣هـ) وقعت حادثة بمكة وهي: أن يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشي، فتعرض له عند المنبر بنقالي قيل مجنون قبل الصلاة وضربه بسكيناً قطع بها أمعاؤه، فكانت هي القاضية، ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام أن المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام، وعما قليل زال الإلباس، وتقدم خطيب آخر وصلى بالناس، وأمر مولانا الشريف غالب أمير مكة بصلب ذلك القاتل، فصلب.

[«خلاصة الكلام» لأحمد بن زيني دحلان ص ٢٢٦]

في ثاني جمعة من رمضان من سنة (١٢٩٦هـ) بينما الخطيب على المنبر بالمسجد الحرام إذ جاء رجل سناري من ناحية باب الصفا يشتد ويسعى حتى رقي المنبر وفي يده سيف بحدين، فتلقاه المبلغ فضربه الرجل في جبهته، فبرك عليه حتى دحرجه فوكزه الناس وضربوه حتى وصلوا به إلى الديوان، واضطرب المسجد الحرام في تلك الساعة فقائل: هذا المهدي، وقائل غير ذلك، ولما قضيت الصلاة ضربوه نحو مائتين من السياط، ثم وضعوه في الخشب وأرسلوه إلى الطائف لحضرة سيدنا أمير مكة المكرمة مولانا الشريف حسين باشا، فلما وقف بين يديه قال له: أنت المهدي؟ قال: لا ولكني رجل أقرأ ورداً، وإذا قرأته يصير بي حال، فكتبت بعض المواعظ وقصدي أعطيها للخطيب ليعظ بها الناس، فضربوني وجرح نفسه مكبر الخطيب، فقال أمير مكة: رجل مجنون، ووضعه في السجن.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٢٤)]

❊ ❊ ❊

جهل

قال العياشي رَحِمَهُ اللهُ: حكى لي بعض المجاورين أنه وُجد في بعض المواسم رجل مع امرأة في الحرم الشريف، فحملا إلى المحاكم فشهدت البينة أنها زوجته، وقيل: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: إنه لا أولاد لنا فرجوت أن تحمل المرأة ببركة هذا الحرم فعذر بجهله ولم يعاقب.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٧٢)]

❊ ❊ ❊

قال العياشي: أخبرني مخبر عن عرب الدرب (درب الحج) أنه سأل بعضهم هل صام أم لا؟ وهو رجل كبير كهل، فقال: إني إلى الآن لم أصم، ولكن ابي

صام ثلاثة أيام، فاستفهمه عن ذلك فقال: إن الرجل عندنا إذا قارب أوان الهرم والشيخوخة صام ثلاثة أيام، فيقولون: فلان صام، وذلك علامة بلوغه حد الكبر، وأما قبل ذلك فلا يعرف صياماً ولا غيره.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٢٦)]

* * *

ومن عادة جهال الحجاج أنهم يلتقطون منها (المغر بعد تبوك) أحجاراً بقدر الأنملة، يزعمون أنه من دود سيدنا أيوب النبي- على نبينا وعليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام- ويزعمون أنه إذا دق ينفع للجراحات ذروراً، والمسافة اثنا عشر فرسخاً.

[«النفحة المسكية في الرحلة المكية» للشيخ عبداللَّه السويدي. ص٣٦٢]

* * *

جواز السفر

الحجاج من رعايا روسيا كانوا يفضلون كما من قبل استعمال جوازات السفر التركية والفارسية والبخارية القديمة، وحتى جوازات السفر الصينية، ومرد ذلك إلى التعقيدات البيروقراطية التي كانت ترافق الحصول على جوازات السفر في روسيا، وإلى المنع الدوري مثلًا في سنوات (١٨٩٢-١٨٩٥م) ومنذ النصف الثاني من سنة (١٨٩٦م) إلى سنة (١٩٠٠م) من إعطاء جوازات السفر للحجاج نظراً لخطر الأوبئة في الشرق.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٤]

* * *

في باطوم أيضاً حيث يعيش الفارسي خوجا علي يتعرض حجاجنا لابتزاز الأموال وعمليات التعسف لأنهم يحملون جوازات سفر، فإن خوجا علي لا

يفعل غير أن يبيع حجاجنا بواسطة يولداش وكولداش من بخارى تذاكر هوية فارسية قديمة وأوراق بخارية قديمة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٦]

❊ ❊ ❊

تعتبر القسطنطينية النقطة التالية بعد باطوم من حيث ابتزاز الأموال وغير ذلك من عمليات التعسف، ففيها يتعرض حجاجنا حتى وإن كانوا يحملون جوازات سفر من قبل مختلف الأدلة لأساليب متنوعة، منها أخذ جوازات السفر منهم لأجل إجراء معاملة الفيزا من القنصلية العامة الإمبراطورية ولأجل تسليمهم بموجبها تذاكر تركية. وبعد أن يتقاضى الأدلة النقود عن هذا وذاك يعطون الحجاج التذاكر عند سفرهم بالذات، ويعيدون لهم جوازات السفر بدون فيزا القنصلية، وبما أن كلفة جواز السفر الروسي مع فيزا القنصلية تبلغ (١٢) روبلا و(٦٠) كوبيكا فإن هذا قد أدى إلى خسارة تكبدتها الخزينة تتراوح بين (٢٠٠) و(٣٠٠) ألف روبل كل سنة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٦]

❊ ❊ ❊

جوف الكعبة

فائدة: الصحيح أنه لم يدخلها ﷺ (الكعبة) إلا مرة واحدة في فتح مكة.

[«شرح الزرقاني على الموطأ» (٢/ ٤٧٢)]

❊ ❊ ❊

عن ابن عمر: أنه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل، ويجعل الباب قبل ظهره، حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريباً من ثلاثة أذرع فيصلي، يتوخى المكان الذي أخبره بلال أن رسول اللّه ﷺ صلى فيه.

[«رواه البخاري» (١٥٢٢) (٢/ ٥٨٠)]

❊ ❊ ❊

قال عطاء: لأن أصلي ركعتين في الكعبة أحب إلي من أن أصلي أربعاً في المسجد الحرام.

قال موسى بن عقبة: طفت مع سالم بن عبد اللّه بن عمر خمسة أسابيع، كلما طفنا سبعاً دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» للشيخ عبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ١/ ٥٠١]

❊ ❊ ❊

وصف درج الكعبة في عصرنا:

درج الكعبة الداخلية الوصلة إلى سطحها واقعة في الركن الذي على يمين الداخل للكعبة أي في الركن الشمالي مما يلي باب الكعبة، وهذه الدرج محجوبة في البناء غير ظاهرة، ولها باب عليه قفل خاص يقفل ويفتح، وليس فيها شباك أي طاقة ولا منفذ، لذلك صارت الدرج ظلاماً يحتاج الصاعد إلى سطح الكعبة إلى السراج والضوء، ومسبل على باب الدرج ستارة حريرية جميلة مكتوبة ومنقوشة بالذهب والفضة.

فالدرج مبنية على أربعة جدران اثنان منها أصل جدار الكعبة وهما: جدار وجه الكعبة، وجدار حجر إسماعيل، والجداران الآخران مبنيان للدرج من داخل الكعبة من أرضها إلى سطحها، فعرض الجدار الأول من هذين الجدارين الذي فيه باب الدرج، متران وخمسة وعشرون سنتمترا، وعرض الجدار الثاني المتصل به متر واحد ونصف متر.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٤٦)]

❊ ❊ ❊

وأما ما يطلب في الكعبة من الأمور التي فعلها عليه السلام فالتكبير، والتسبيح، والتهليل، والتحميد، والثناء على اللّه - تعالى -، والدعاء، والاستغفار

للأحاديث الدالة على ذلك في الصحيحين وغيرهما.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٠١)]

❊ ❊ ❊

فائدة: ومن الأمور التي صنعها رسول اللَّه ﷺ على ما قيل (في جوف الكعبة): أنه ألصق بطنه وظهره بها، واستحب ذلك الحافظ العراقي. ونقل الطبري في القرى الكراهية في ذلك.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٠٢)]

❊ ❊ ❊

لدخول الكعبة آداب كثيرة منها:

الاغتسال، كما روي عن بعض العلماء.

ومنها: نزع الخفين والنعل، لما في سنن سعيد بن منصور عن عطاء ومجاهد، وكرهه مالك، وهو مذهب أحمد.

وأخرج الأزرقي: أن قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان أول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة إعظاما لها: الوليد بن المغيرة، فجرى ذلك سنة.

ومنها: أن لا يرفع بصره إلى السقف، لحديث عائشة قالت: دخل رسول اللَّه ﷺ الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها. أخرجه البيهقي في سننه والحاكم في مستدركه.

قال المحب الطبري: وإنما كره ذلك لأنه يولد الغفلة واللَّهو عن القصد.

ومنها: أن لا يزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذي بها. نص عليه النووي وغيره.

ومنها: أن لا يكلم أحداً إلا لضرورة، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر.

ومنها: أن يلزم قلبه الخشوع والخضوع، وعينيه الدموع إن استطاع ذلك.

انتهى ما في الجامع اللطيف.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٠٢)]

❊ ❊ ❊

في يوم السبت الخامس والعشرين من الشهر المذكور ذهبت إلى زيارة الكعبة المشرفة، فدخلتها، وصليت فيها ثمان ركعات، كل ركعتين على حدة، في أماكن مختلفة، لعلي أصادف المحل الذي صلى فيه رسول اللَّه ﷺ، وكان الأولى بي أن أصلي ركعتين فقط، اقتداء برسول اللَّه ﷺ، ولكن الدهشة أنستني تلك السُّنَّة.

[«الرحلة السعودية الحجازية النجدية. . . » ص٤٥ لمحمد سعود العورى]

❊ ❊ ❊

وقد بنيت الكعبة من الحجارة الزرقاء، ولها باب يرتفع عن الأرض بنحو مترين، دخلتها ثلاث مرات، مرتان بنفسي؛ وشُقَّت في الأولى منها عباءتي، وفي الثانية قميصي، وفي الثالثة دخلتها مستصحباً معي والدتي وخالتي، ومع أن الزحام على أشده فقد تمكنا من الدخول بدون كلفة وذلك أنه بعد أن أعيتني الحيل استأجرت خمسة من العبيد الأشداء بخمس مجيديات كافحوا عنا الزحام وأصعدونا، وفي المرات الثلاث لم أتمكن من تبين داخلها لشدة الظلام والحر وكثرة الداخلين، وهي قائمة على ثلاثة أعمدة لم أتبين شكلها.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٧٩ لسعد بن أحمد الربيعة]

❊ ❊ ❊

قال العلامة الشيخ أبو بكر ظهيرة في كتابه «شفاء الغليل»: وفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفراً.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري ٢/ ٢٦٣]

❊ ❊ ❊

فائدة:

قال القاضي محمد بن جار اللَّه: من الحوادث بعد الست مائة بدعتين أحدثهما بعض الفجرة.

إحداهما: العروة الوثقى، وذلك أنهم عمدوا إلى موضع عال في جوف الكعبة مقابل للباب، وأوقعوا في عقول الضعفاء أن من ناله فقد استمسك بالعروة الوثقى، وكان الجهال يقاسون في ذلك عناء، حتى يركب بعضهم بعضاً، وحتى تركب المرأة على الرجل، والرجل على المرأة.

والثانية: أنهم نظروا إلى مسمار في وسط أرض الكعبة سموه أرض الدنيا، وحملوا العامة على أن يكشف أحدهم بطنه، ويضع سرته فوق ذلك المسمار - فلا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

واستمر ذلك إلى سبعمائة وواحد.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٢٧٦)]

* * *

لطيفة: ذكر الشيخ أحمد الشماع في ترجمة الشيخ عبد اللَّه البصري: أنه قرأ في جوف الكعبة الشريفة صحيح البخاري سنة تسع ومائة وألف، وكان في داخلها عمارة، وكذلك أقرأه في داخلها مرة أخرى سنة تسع عشرة ومائة وألف، وكان أمر بتجديد بابها مولانا السلطان أحمد والقائم بذلك صاحب جدة وشيخ الحرم الشريف، وكذلك إقراء مسند الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ جميعه في الروضة الشريفة عند رأس جناب المعظم ﷺ في ست وخمسين مجلساً، وذلك في سنة ألف ومائة وإحدى وثلاثين.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ١/ ٤٠٤]

* * *

لطيفة:

بل منقبة شريفة مما تفرد به شيخ مشايخنا العلامة خاتمة المحققين الشيخ محمد ابن علان الصديقي المكي: أنه قرأ البخاري في جوف الكعبة بطرفيه في مدة هذه العمارة، كما رأيته بخطه، وهو ما لم يتفق لغيره من الأمة، فسبحان من اختص سكان هذه البلدة الشريفة بخواص الرحمة.

ومما يعد من مناقب إمامنا الأعظم أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب، أنه دخل الكعبة وصلى ركعتين بالقرآن جميعه في كل ركعة نصفاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ١٢٢)]

* * *

حرف الحاء

الحجر

الحجر بكسر أوله له عدة معان، والمراد هنا هو نصف الدائرة الذي يحيط بالجانب الشمالي بالكعبة المعظمة من جانب الميزاب، وحجر إسماعيل أصله من عمل أبيه إبراهيم - عليهما السلام - فقد جعله من شجر الأراك.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٥٦٩)]

* * *

حجر إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - محسوب من البيت لما روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدي فأدخلني الحجر وقال: صلي فيه إن أردت دخول البيت فإنما هو قطعت من البيت.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٥٧٠)]

* * *

حجر إسماعيل هو حائط قصير دون القامة على شكل نصف دائرة من جهة ميزاب الكعبة، وينسب الحجر إلى إسماعيل لأن أباه إبراهيم - عليهما الصلاة والسلام - هو الذي جعل الحجر إلى جنب البيت جعله عريشاً من شجر الأراك تقتحمه غنم إسماعيل فكان زرباً لغنمه أي حظيرة لغنمه، ولا اعتراض على ذلك فإن خليل اللَّه إبراهيم - صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين - لا يفعل شيئاً إلا بأمر ربه، فبقى الحجر على أساسه من ذلك العهد محترماً محسوباً من البيت فلا يصح الطواف إلا من ورائه، لذلك نسب الحجر إلى إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. ولقد كان البيت في بنائه عَلَيْهِ السَّلَامُ طويلًا

يصل إلى منتصف أرض الحجر تقريباً في زماننا اليوم أي كان الحجر ضيقاً، وقد بقي كذلك إلى أن بنيت قريش الكعبة فأخرجته منها لقلة النفقة الحلال، وذلك أنهم لما أرادوا بناء البيت الحرام جمعوا له من أطيب أموالهم فلم يدخلوا فيه مالًا من ربا ولا مالا من ميسر ولا مهر بغي، ولكن ما جمعوه من النفقة لم يكف لعمارة البيت كله فاستقصروا في بنائه على قواعد وتركوا بقيته في الحجر وأداروا عليه جداراً يطوف الناس من ورائه.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٥٧١)]

* * *

لم تجر العادة من قديم الزمان إلى اليوم أن يغطى حجر إسماعيل عليه السلام بالكسوة غير أنه في القرن التاسع الهجري أي عام اثنين وخمسين وثمانمائة وصلت كسوتان من قبل السلطان جقمق الجركسي لجدار الحجر الدائر فوضعوا إحداهما عليه من داخله والثانية من خارجه وكانتا من الحرير الأسود ككسوة الكعبة المشرفة. ثم لم يكس جدار الحجر بعد ذلك فكانت هذه الكسوة هي الأولى والأخيرة.

قال العلامة القطب في كتابه «الإعلام»: ووصل في ذلك العام أي عام (٨٥٢هـ) كسوة لحجر إسماعيل من كسوة البيت الشريف لأنه لم تجر بذلك عادة قبل هذا ووضعت في البيت الشريف، ثم كسي بها الحجر من داخله في العشر الأخير من ذي الحجة سنة (٨٥٣هـ) بعد أن حفظت في جوف البيت الشريف سنة كاملة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٥٧٨)]

* * *

لم يكن حجر إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - مفروشاً بالبلاط والرخام، فكان أول من وضع عليه حجارة الرخام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة

مائة وأربعين هجرية، فإنه لما حج وطاف دعا زياد بن عبد اللّه الحارثي وهو يومئذ أمير مكة، فقال له: إني رأيت الحجر حجارته بادية، فلا أصبح حتى يستر جدار الحجر بالرخام، فدعا زياد بالعمال فعملوه على السرج قبل أن يصبح، وكان قبل ذلك مبنياً بحجارة بادية ليس عليها رخام.

ثم إن الخليفة محمد المهدي العباسي في سنة مائة وإحدى وستين وأربع وستين زاد في المسجد الحرام، وأمر بتجديد رخام الحجر ففرشوه بالرخام المرمر بإتقان تام، وكان رخاماً أبيض وأخضر وأحمر وصرف في ذلك مبالغ طائلة، ثم إن الخلفاء والسلاطين عملوا فيه وفي المسجد الحرام عمارات ليس هنا محل بيانها ولا بأس أن نشير بأن السلطان مراد خان الرابع هو أول من جدد عمارة حجر إسماعيل من آل عثمان حينما بنى الجدار الشامي من البيت، وذلك سنة أربعين وألف، ثم عمره السلطان عبد المجيد خان سنة ستين ومائتين وألف، ثم حصل تجديد نصف ارض الحجر من جهة مقام الحنفي، وذلك في عهد السلطان عبد العزيز خان العثماني سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٥٧٨)]

* * *

كان حجر إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - مفروشاً بالرمل والبطحاء كأرض المطاف، ثم فرش بحجارة بادية، فلما حج أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور سنة (١٤٠هـ) دعا زياد بن عبيد اللّه الحارثي، وكان يومئذ أمبير مكة فقال له: إني رأيت الحجر حجارته بادية فلا أصبحن حتى يستر جدار الحجر بالرخام، فدعا زياد العمال فعملوا على السرج قبل أن يصبح، ثم جدد رخامه المهدي.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٥)]

* * *

الرخامة الخضراء التي تحت ميزاب الكعبة بحجر إسماعيل لا يوجد مثلها إلا في المسجدين الحرامين، ولا في قطر من الأقطار، ولا مبالغة في قولنا هذا، ولوناها لا يضرب إلى الخضرة الخالصة، وإنما هو أخضر داكن أي خضرة مائلة إلى السواد قليلًا منقوشة بنقط خضراء خالصة أكسبتها منظراً جميلًا، كل ذلك من أصل الخلقة لا دخل للصناعة فيها شيء.

وتوجد بجانبي الرخامة المذكورة الشرقي والغربي قطعتان من جنس هذه الرخامة ولونها، كل منهما على هيئة دائرة، قطر كل منهما (٢٥) سنتمتراً، وكل واحدة منهما تبعد عن الرخامة التي تحت الميزاب بمقدار مترين تماماً، والدائرة الغربية متصدعة إلى ثلاث قطع والدائرة الشرقية متصدعة إلى قطعتين.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٨)]

* * *

وحقيقة أمر الرخامتين أن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن عباس بن محمد الهاشمي أمر أنة يقلع له لوح من رخام الحجر يسجد عليه أي يصلي فوقه فقلع له في الموسم، فأرسل أحمد بن طريف مولى العباس بن محمد الهاشمي مكان ذلك اللوح برخامتين خضراوين من مصر هدية لحجر إسماعيل وذلك سنة إحدى وأربعين ومائتين، فجعلت الرخامة البيضاوية الشكل على سطح جدار الحجر مقابل الميزاب أي في وسط جدار الحجر، وجعلت الثانية تحت الميزاب تلي جدار الكعبة، ثم في سنة ثلاث وثمانين ومائتين نقلت الرخامة البيضاوية من جدار الحجر وجعلت مع الرخامة الثانية تحت الميزاب كما ذكره الأزرقي في تاريخه.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٩)]

* * *

كانت أول إشارة إلى حجر إسماعيل في سنة (٨٥٢هـ) حيث أرسل السلطان

الظاهر جقمق المملوكي مع كسوة الكعبة المشرفة كسوة لحجر إسماعيل من الخارج في ذلك العام، ولم يكس الحجر إلا مع العام التالي وهو سنة (٨٥٣هـ) حيث كسي حجر إسماعيل.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني» لمحمد علي بيومي ص ٢٧٥]

* * *

روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كنت أحب أن أدخل البيت فأصلي فيه، فأخذ رسول اللَّه ﷺ بيدي فأدخلني الحجر، وقال: صلي فيه إن أردت دخول البيت فإنما هو قطعة من البيت.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٨٨]

* * *

وعلة الرخامتين تحت الميزاب علاوة على قلع اللوح الذي كان تحتهما والذي كان حاملًا على بعثهما: هي أن ذلك الموضع أفضل مكان في الحجر، فإنه يروى عن أبي هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين أنهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٩)]

* * *

من لطيف الإشارات من الدولة العثمانية التركية أنهم لما عمروا حجر إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - جعلوا في وسط جدار الحجر من الداخل رخامة ورسموا عليها قبة جميلة وهي قبة بيت المقدس، وذلك إشارة إلى أن بيت المقدس يقع في هذه الجهة أي يقع في الجهة المقابلة لجدار حجر إسماعيل الذي هو على شكل نصف دائرة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ١٦)]

* * *

الحجر الأسود

عن عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: «سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إن الركن والمقام ياقوتتان من الجنة طمس اللّه نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب».

[رواه البيهقي بإسناد صحيح]

***

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ في الحجر: «واللّه ليبعثن اللّه يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق».

[رواه أحمد بإسناد صحيح]

***

عن ابن عمر رضي الله عنهما: «استقبل النبي ﷺ الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلًا، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي، فقال: يا عمر ههنا تسكب العبرات».

[رواه ابن خزيمة وفي إسناده ضعف]

***

روى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قبل الحجر، ثم قال: واللّه لقد علمت أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ يقبلك ما قبلتك وقرأ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ولما قال ذلك قال له أبي بن كعب رضي الله عنه إنه يضر وينفع إنه يأتي يوم القيامة وله لسان زلق يشهد لمن قبله واستلمه. وفي أخرى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لعمر: بلى يا أمير المؤمنين إنه يضر وينفع فإن اللّه تعالى لما أخذ العهد على ولد آدم كتب في ورق والقمه الحجر، وقد سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: يؤتى

بالحجر يوم القيامة وله لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد. فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن، لا أحياني اللَّه في مفضلة لا يكون فيها ابن أبي طالب حياً. وإنما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقالته تلك عن الحجر لأن الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام، وقريبي صلة بعبادة الأصنام فخشي أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم الحجارة كما كانت العرب تفعله في الجاهلية، فأراد أن يعرف أن استلامه اتباع لفعل رسول اللَّه ﷺ لا لنفع حجر وضرره ما كانت الجاهلية تعتقد في الأصنام.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٣٨]

* * *

قالت امرأة وهي تطوف مع عائشة: انطلقي، فاستلمي يا أم المؤمنين، فجذبتها، وقالت: انطلقي عنا وأبت أن تستلم.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٥٩)]

* * *

قال طاووس: قلما استلم الركنين إذا رأى عليهما زحاماً قال: وقال ابن عباس: لا تؤذي مسلماً، ولا يؤذيك، إن رأيت منه خلوه، فقبّله أو استلمه وإلا امض.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٥٥)]

* * *

أول من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير، فاستحسنت ذلك الولاة بعده فاتبعته. أخرجه الأزرقي.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٢٧]

* * *

وكان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة لما أصابه الحريق، ثم قد كانت

الفضة قد رقت ونزعت حول الحجر الأسود حتى خافوا على الركن أن ينقض، فلما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد وجاور في سنة (١٨٩هـ) أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فثقب بالماس من فوقها وتحتها، ثم أفرغ عليها الفضة.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٩٠)]

❊ ❊ ❊

من طريف ما ذكر أن الرجال والنساء كانوا يطوفون معاً حتى ولي خالد بن عبد اللّه القسري - العهد الأموي - فبلغه قول بعض الشعراء:

يا حبذا الموسم من موفد ... وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللائي يزاحمننا ... عند استلام الحجر الأسود

فقال أما إنهن لا يزاحمنك بعد، وأمر في التفريق بين الرجال والنساء، وأجلس عند كل ركن جماعة معهم السياط.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٤٨]

❊ ❊ ❊

دخل أبو طاهر بن أبي سعيد مكة في ذي الحجة سنة (٣٧٧هـ) ودخل فيها ثلاثة عشر ألفاً، وقطع الركن يوم النحر وهو القائل لعنه اللّه:

فلو كان هذا البيت للّه ربنا ... لصب علينا النار فوقنا صبّاً
لأننا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً
وإنا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لا تبغي سوى ربها رباً
ولكن رب العرش جل جلاله ... ولم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجباً

قتل اللعين في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء وهم متعلقون بالكعبة وردم بهم زمزم، وفرش بهم المسجد وما يليه.

وقتل في سكك مكة وشعابها من أهل خراسان، والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفاً، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك.

واقتلع الحجر الأسود من موضعه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وذهب به معه إلى هجر، فأقام عند القرامطة إلى أن ردّ في يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة (٣٣٩هـ).

اثنان وعشرون سنة إلا أربع أيام يزال الحجر من موضعه، والمزيل له القرامطة. وبطل الحج من العراق بسبب هذا القرمطي اللعين ثلاث سنين متوالية من هذه السنة.

[«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي ص ٧٤]

* * *

في ١٤ ذي الحجة (٣١٧) قلع الحجر الأسود من مكانه، وذهب به إلى بلاد هجر، وبقي موضعه خالياً يضع فيه الناس أيديهم للتبرك نحو اثنتين وعشرين سنة، ثم أعاده القرامطة بعد ذلك قائلين: أخذناه بقدرة اللَّه ورددناه بمشيئة اللَّه.

[«الإعلام بأعلام مكة» للقطبي ص١٦٢-١٦٤]

* * *

قال الفاسي: لم أتحقق أن الحجر قلع بعد وضع القرامطة إلى يومنا. غير ان بعض الفقهاء المصريين أخبرني أنه قلع من موضعه سنة سبعمائة وإحدى وثمانين لتحليته في هذه السنة بحلية بعث بها سيدون باشا. ورأيت غير واحد من المكيين ينكر هذا، وهو يثبته ويقول: أنه شاهده مقلوعاً، وسمعه منه غير واحد من قبلي، وسألته وحققته منه.

وكان إخباره لنا في موسم سنة ثمانمائة وأربعة عشر. وهو الفقيه نور الدين علي الميرقي.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٩٥)]

* * *

في سنة (٣٤٠هـ) قلع الحجبة الحجر الأسود وجعلوه في الكعبة خوفاً عليه،

وأحبوا أن يجعلوا له طوقاً من فضة يشد به كما كان قديماً حين عمله ابن الزبير، فأخذ في إصلاحه صانعان حاذقان، فعملا له طوقاً من فضة زنته ثلاثة آلاف وسبعة وتسعون درهما ونصف، وأحكماه.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١٩٣)]

❊ ❊ ❊

في سنة (٣٤٠ هـ) قلع الحجبة الحجر ووضعوه في الكعبة خوفاً عليه، وجعلوا له طوقاً من فضة ثم ردوه إلى مكانه.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٤٦]

❊ ❊ ❊

في سنة (٣٦٣هـ) بينما الناس في وقت القيلولة وشدة الحر وما يطوف إلا رجل أو رجلان، فإذا رجل عليه طمران مشتمل على رأسه ببرد يسير رويدا، حتى إذا دنا من الركن الأسود ولا يُعلم ما يريد، فأخذ معولًا وضرب الركن ضربة شديدة حتى خفته الخفتة التي فيه، ثم رفع يديه ثانياً يريد ضربه فابتدره رجل من السكاسك من أهل اليمن حين رآه وهو يطوف، فطعنه طعنة عظيمة بالخنجر حتى أسقطه، فأقبل الناس من نواحي المسجد فنظروه فإذا هو رجل رومي جاء من أرض الروم، وقد جُعل له مال كثير على ذهاب الركن ومعه معول عظيم قد حدد وذكر بالذكور، وقتل الذي أراد ذهاب الركن، وكفى اللّه شره. قال فأخرج من المسجد الحرام وجمع حطب كثير فأحرق في النار.

[«درر الفرائد» لعبد القادر الجزيري ٢٤٥]

❊ ❊ ❊

في سنة (٣٦٣هـ) دخل الحرم الشريف وقت القيلولة رجل عليه طمران مشتمل على رأسه ببرد يسير رويداً، وقد خف الطواف ولم يكن فيه إلا رجل أو رجلان فإذا معه معول من جديد، فضرب الحجر ضربة شديدة، ثم رفع يده ثانياً يريد ضربه، فابتدره رجل من أهل اليمن فطعنه بخنجر معه حتى ألقاه. وأقبل الناس

من نواحي المسجد، فإذا هو رجل رومي جاء من نواحي الروم، وجُعل له مال على ذهاب الركن، فأُخرج من المسجد وأُحرق بالنار.

[«منائح الكرم» لابن علان (٢/ ٢٠٤)]

❋ ❋ ❋

في سنة (٤١٣هـ) يوم النفر الأول ضرب رجل الحجر ثلاث ضربات فانخدش وتساقطت منه شظايا مثل الأظافر وتشقق، وجمعت بنوا شيبة الشظايا وعجنوها بالمسك وملؤوا الشقوق وطلوها بطلاء.]

❋ ❋ ❋

ذكر الذهبي في» العبر» أن في سنة (٤١٣هـ) تقدم بعض الباطنية من المصريين فضرب الحجر الأسود بدبوس فقتلوه في الحال.

[«العبر في خبر من غبر» للذهبي (٣/ ١١٢)]

❋ ❋ ❋

وفي سنة (٤١٤هـ) بعد رجوع الناس من منى يوم النفر الأول جاء رجل شاهراً سيفه وممسكا بيده الأخرى حديدة، فضرب بها الحجر ثلاث ضربات فتخدش، وقبض الناس عليه في الحال وقطعوه وحرقوه، ثم اتضح أن معه عصابة فحكم أمير مكة على أربعة ممن ثبت عليهم التآمر ضد مقدسات المسلمين بالقتل.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٤٦]

❋ ❋ ❋

في سنة (٤١٤هـ) قال الفاسي: كانت فتنة بمكة نهب الحجاج لأهلها. وسببها كما قال بان الأثير: لما كان النفر الأول، وكان يوم الجمعة دخل رجل من أهل مصر أحمر أشقر بيده سيف مسلول ودبوس من حديد، فتقدم بعدما فرغ الإمام من صلاة الجمعة، وقصد الحجر الأسود فضربه بالدبوس ثلاث مرات، وقال: إلى متى يعبد هذا الحجر؟ ومحمد وعلي؟ فليمنعني مانع من هذا فإني أريد أن أهدم

هذا البيت، فخافه أكثر الحاضرين، وكاد أن يفلت فثار إليه رجل، فضربه بخنجر فقتله، وقطعه الناس وأحرقوه، وقتل ممن أتهم بمصاحبته أكثر من عشرين إنساناً غير ما خفي منهم، ووضع الناس كذلك أيديهم في المغاربة والمصريين بالنهب والسلب وغيرهم في الطريق إلى الليل. فلما كان غدوة يوم السبت ماج الناس وهاجوا واضطربوا، وأخذوا أربعة أنفس من أصحاب ذلك الرجل فقالوا: نحن مائة رجل فضربت أعناق الأربعة. انتهى ما يتعلق بالحجر

وقال الذهبي: إن ذلك كان سنة أربعمائة وثلاثة عشر، وفي خبره زيادة: أنه كان على باب المسجد عشرة أنفس على خيولهم حماية لذلك الرجل الداخل لضرب الحجر.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٢١٤)]

* * *

عن عبد اللَّه بن عامر بن كريز أنه قدم مع جدته أم عبد اللَّه بن عامر معتمرة، فدخلت عليها صفية بنت شيبة فأكرمتها وأجازتها، فقالت صفية: ما أدري ما أكرم به هذه المرأة، أما دنياها فعظيمة، فنظرت حصاة مما كان نقر من الركن الأسود حين أصابه الحريق، فجعلتها لها في حق، ثم قالت لها: انظري هذه الحصاة فإنها حصاة من الركن الأسود، فاغسليها للمرضى، فإني أرجوا أن يجعل اللَّه سبحانه لهم فيها شفاء، فخرجت في أصحابها، فلما خرجت من الحرم ونزلت في بعض المنازل صُرع أصحابها، فلم يبق منهم أحد إلا أخذته الحمى، فقامت وصلت ودعت ربها عز وجل، ثم التفتت إليهم فقالت: ويحكم انظروا في رحالكم ماذا خرجتم به من الحرم فما الذي أصابكم إلا بذنب، قالوا: ما نعلم أنا خرجنا من الحرم بشيء، قال: قالت لهم: أنا صاحبة الذنب، انظروا أمثلكم حياة وحركة، قال: فقالوا: لا نعلم منّا أحد أمثل من عبد الأعلى، قالت: فشدوا له راحلة ففعلوا. قال: ثم دعته فقالت: خذ هذا الحق الذي فيه هذه

الحصاة فاذهب به إلى أختي صفية بنت شيبة فقل لها: إن اللَّه سبحانه وضع في حرمه وأمنه أمراً لم يكن لأحد أن يخرجه من حيث وضعه اللَّه تعالى، فخرجنا بهذه الحصاة فأصابتنا فيها بلية عظيمة، فصرع أصحابنا كلهم فإياك أن تخرجيها من حرم اللَّه عز وجل. قال عبد الأعلى: فما هو إلا أن دخلت الحرم فجعلنا ننبعث رجلا رجلًا.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٣٤)]

* * *

قال العز بن جماعة: قد رأيت الحجر الأسود أول حجتي سنة (٧٠٨هـ) وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد، ثم رأيت البياض بعد ذلك نقص نقصاً بيناً.

وقال ابن خليل: أدركت فيه ثلاث مواضع بيضاً نقية، من الناحية إلى باب الكعبة إحداها وهي أكبرها قدر حبة الذرة الكبيرة، والأخرى إلى جنبها وهي أصغر منها، والثالثة إلى جنب الثانية وهي أصغر منها، ثم إني أتلمح تلك النقط فإذا هي كل وقت في نقص.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٣٣)]

* * *

ذكر الشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي في خبر تولي الشريف أحمد عبد المطلب سنة (١٠٣٨هـ) وما جرى من أحداث وفتن: أن بعض العسكر سكر، فدخل الحرم، وضرب الحجر الأسود بسيفه، وضرب البيت الشريف، فأريد تأديبه، فتعصب له جماعة ومنعوه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ١٤)]

* * *

آخر شهر محرم سنة (١٣٥١هـ) جاء رجل أفغاني فسرق قطعة من الحجر الأسود، وسرق قطعة من أستار الكعبة وقطعتي فضة من الدرج الفضي، فأعدم

عقوبة له وردعاً لأمثاله، ثم أعيدت القطعة المسروقة يوم ٢٨ ربيع الثاني من السنة المذكورة إلى مكانها فوضعها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن وضع لها الأخصائيون المواد التي تمسكها الممزوجة بالمسك والعنبر.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٤٤)]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٣٥١هـ) وفي أواخر شهر المحرم منها جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان فاقتلع قطعة من الحجر الأسود، وسرق قطعة من ستارة الكعبة، فشعر به حرس المسجد الحرام فاعتقلوه، ثم أعدم عقوبة له.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٤٦]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٣٥١هـ) وفي أواخر الشهر المحرم منها جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان فاقتلع قطعة من الحجر الأسود، وسرق من ستارة الكعبة، فشعر به حرس المسجد الحرام فاعتقلوه، ثم أعدم عقوبة له.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٤٦]

❊ ❊ ❊

يقال أول من قام بعمل إطار للحجر الأسود هو عبد اللّه بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم الخليفة العباسي هارون الرشيد.

أما في العهد السعودي فقد جدد الإطار الفضي المحيط بالحجر الأسود مرتين كان آخرها عام (١٣٩٩هـ)، وقد بلغت كمية الفضة المصنوع منها الإطار خمسين كيلو جرماً، وصنع في مكة وبأيد سعودية.

[«وقفة أمام الكعبة» لفايز بدر ص١٧٤]

❊ ❊ ❊

فائدة: قال ابن الضياء في «البحر العميق»: أن قلع القرامطة للحجر الأسود قلع

خامس، وأنه قلع زمن جرهم، وإياد والعماليق، وخزاعة، والقرمطي - كذا نقله عن ابن جماعة. ثم قال: ولم أر من ذكره عن العماليق.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٩٧)]

* * *

قال العلامة الأسدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن قلت: هل يسمى بالأسود قبل اسوداده أو تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده؟

قلت: قال العلامة الفخر ابن ظهيرة: لم أر في ذلك نقلًا، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السؤدد، فيكون المراد بالأسود ذا السؤدد، ويحتمل أنه لم يسم بذلك إلا بعد اسوداده.

[«إخبار الكرام» للأسدي ص ٣٣]

* * *

لطيفة: قال العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن»: اعترض بعض الملحدين على هذا الحديث فقال: ما سودته يد المشركين فينبغي أن تبيضه يد المسلمين، فأجاب عنه ابن قتيبة قال: لو شاء اللّه لكان ذلك، ثم قال: أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ ولا ينصبغ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ. هذا قول ابن قتيبة.

والذي أراه أنا من الجواب: أن بقاء أثر الخطايا فيه - وهو السواد - أبلغ في باب العبرة والعظة من تغيير ذلك، ليُعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم، فيجب لذلك أن تتجنب.

[«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» لابن الجوزي ص ٢٦١]

* * *

لما بنى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ معه أراد أن يجعل حجراً يجعله علماً للناس أي يبتدؤون الطواف منه ويختمون به، ذهب إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الوادي

يطلب حجراً، فنزل جبريل عليه السلام بالحجر الأسود يتلألأ منه نوراً أي فكان يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من كل ناحية.

[«فتح الباري» لابن حجر (٦/٤٠٦)]

* * *

السنة في تقبيل الحجر الأسود أن يكون بلا تصويت ولا تطنين ولا لحس، وإن أمكنه أن يسجد عليه فعل لأنه جائز عندنا، وعند الشافعي وأحمد لأنه تقبيل وزيادة سجود للَّه - تعالى -. وقال مالك: إن السجود بدعة. واللَّه أعلم.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/٣٠٢)]

* * *

اختلف أهل العلم هل رفع ابن الزبير الحجر الأسود عن محله لما هدم الكعبة؟!

قال الشيخ محمد حجازي الشعراوي نقلا عن مشايخه مثل الشيخ على المقدسي وآخرين: أنه لم يرفعه، وقال: ما كنت لأرفع حجراً وضعه النبي ﷺ.

ووافقه على ذلك مفتي السادة الحنفية بمصر الشيخ عبد اللَّه النحراوي.

والذي في الأزرقي وغيره من التواريخ، وفي شرح السيرة للسهيلي وغيره من كتب السيرة: أنه رفعه من محله ووضعه في صندوق، وجعله في دار الندوة، ولما ارتفع البنيان أمر بوضعه فنقر حجرين من المدماك، الذي فوقه والذي تحته بقدر الحجر الأسود، وطابق بينهما.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/٢٣)]

* * *

كانت عادتي في إستلام الحجر الأسعد التقبيل، لا وضع الفم فقط، إذ لم أر ذلك يشفي العليل أو يطفئ الغليل، وربما اقتصرت على الوضع في القليل، وفي المعنى قيل: وقالوا:

إذا قـبّـلتِ وجـنـة مـن تـهـوى فلا تُسمعي صوتاً ولا تعلي النجوى

فقلت:

ومـن يـمـلك شـفـاهـاً مـشـوقـة إذا ظفرت يوماً بغايتها القصوى

وهل يـنـفـع الـتـقـبـيل إلا مُصوتاً وهل يردد الأحشا سوى الجهر بالشكوى

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٨٥ تأليف / المُرادى، تحقيق محمد زينهم]

❊ ❊ ❊

قال النبي ﷺ: كان الحجر الأسود أشد بياضاً من الثلج حتى سودته خطايا بني آدم.

قال المناوي: لم يبيضه توحيد أهل الإيمان لأنه طمس نوره لتستتر زينته عن الظلمة، فالسواد كالحجاب المانع من الرؤية، أو لأن اسوداده للاعتبار ليعرف أن الخطايا إذا أثرت في الحجر ففي القلوب أولى.

[«فيض القدير» للمناوي (٦/ ٢٨٢)]

❊ ❊ ❊

قال ابن حجر: اعترض بعض الملحدين على الحديث الماضي فقال: كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد؟ وأجيب بما قاله ابن قتيبة: لو شاء اللَّه لكان ذلك، وإنما أجرى اللَّه العادة بأن السواد يصبغ، ولا ينصبغ العكس من البياض.

[«فتح الباري» (٣/ ٥٤١)]

❊ ❊ ❊

لطيفة:

قال بعض السلف: استلام الحجر الأسود هو أن لا يعود إلى معصية.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٧٧)]

❊ ❊ ❊

أما الحجر الأسود فكان في الركن اليماني من الكعبة المعظمة، وكان على

رأس صخرتين من وجه الأرض قد نحت من صخور البيت مقدار ما أدخل فيه، وهو أملس حالك السواد في قدر الكف المنحنية، وجوانبه مشدودة بمسامير من الفضة.

[«العقد الفريد» لابن عبد ربه (٦/ ٢٥٦-٢٥٧)]

* * *

يقع الحجر الأسود في ركن الكعبة الشرقي وارتفاعه عن أرض المطاف متر واحد ونصف المتر، ولا يمكن وصفه الآن بدقة، لأن الذي يظهر في زماننا ونستلمه ونقبله إنما هو ثماني قطع صغيرة ومختلفة الحجم، وأما الباقية فإنه داخل في بناء ركن الكعبة الشرقي.

[«قصة التوسعة الكبرى» لحامد عباس ص٨٥]

* * *

لطيفة: أحسن ما ذكر في تسويده بالخطايا أنه للاعتبار ليعلم أن الخطايا إذا أثرت في الحجر، فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع، فوجب لذلك أن تجتنب.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٢٣]

* * *

من خواص الحجر الأسود أنه إذا جعل في الماء لا يغرق بل يطفو ويرتفع، وإذا جعل في النار لا يحمى ولا تعمل فيه النار بل يبقى بارداً على حاله كذا نقله الطرطوسي.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٢٥]

* * *

يقول عند استلام الحجر الأسود: بسم اللَّه واللَّه أكبر إيماناً بك وتصديقاً بكتابك، ووفاء بعهدك، وإتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ.

[«التلخيص الحبير» ابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٤٧)]

أما عن إطار الحجر الأسود فيقال: إن أول من قام بعمل إطار للحجر الأسود هو عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه، ثم الخليفة العباسي هارون الرشيد.

أما في العهد السعودي فقد جدد الإطار الفضي المحيط بالحجر الأسود مرتين كان آخرها عام (١٣٩٩هـ)، وقد بلغت كمية الفضة المصنوع منها الإطار خمسين كيلو غراماً، وصنع في مكة وبأيد سعودية.

[«وقفة أمام الكعبة» فايز بدر ص١٧٤]

❊ ❊ ❊

أُنزل الحجر الأسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء، فأخذه آدم عليه السلام فضمه إليه استئناساً به.

[«مثير الغرام» للصنعاني ص٣٧٣]

❊ ❊ ❊

ما من أحد يدعو عند الركن الأسود إلا استجيب له، وكذا عند الميزاب.

[«زبدة الأعمال» للإسفرائيني ص٩٣]

❊ ❊ ❊

عجيبة: من خواص الحجر الأسود أنه إذا جعل في الماء لا يغرق بل يطفوا ويرتفع، وإذا جعل في النار لا يحمى.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٣٥)]

❊ ❊ ❊

تعلقْ بستارِ البيتِ ضارعةً … يداه زاخرةٌ بالشوق أضلعهُ
ويلثم الحَجَرَ الميمونَ شاهدةً … على تفانيه في الإيمان أدمعهُ
وفي الحوائج من وَجْدٍ ومن وَلَهٍ … ما جاش في النفس حتى فاض منزعهُ

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١١١)]

❊ ❊ ❊

حجر صحي

محجر الطور قائم على شاطئ البحر على نحو ٦٤٠ متراً جنوبي (مدينة الطور في سيناء) ومساحته نحو ٤ كيلو مترات مبرعة. يحدهُ من الغرب خليج السويس ويحيط به من جهة البر شبكة من الأسلاك مرفوعة على عمد خشبية متينة علوها نحو أربعة أمتار. وهو محجر مصر العام والحجاج المصريين، أسس منذ سنة ١٨٥٨م ولكنه لم يبدأُ بتنظيمه على الطرز الجديد وتجهيزه بأحدث المعدات والأدوات الصحية إلّا بعد صدور الأمر العالي بذلك سنة ١٨٩٣.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص١٣٥]

❊ ❊ ❊

أصدر (مجلس الصحة البحرية والكورنتينات) ومركزه الإسكندرية. وسكرتيره العام النبيل المقدام جورج زنانيري باشا. وفي ١٩ فبراير سنة ١٩١٤ إحصاء عن الحجاج الذي دخلوا محجر الطور من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٤ فكان عددهم ٣٥٨,٣٤١ حاجاً وهم: ٧٦,٠٧٦ عثمانياً و١٥٢,٦٨٣ مصرياً و١٨,٧٨٧ جزائرياً و٧,٦٧٧ تونسياً و١١,٧٠٩ مراكشياً. و٨٢٢ بوشناقياً. ٦,٢٦٨ عجمياً و٧٨,٧٨٨ روسياً و٥,٥٣١ من أمم مختلفة. ويؤخذ من هذا الإحصاء: أن الحج اعتبر نظيفاً من كل داء في كل تلك المدة مرتين فقط أي سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٤. وانهُ أعتبر ملوثاً بالهواء الأصفر في سني ٢ و٨ و١١ و١٢ و١٩١٣ وبالطعون في السنين الأخرى، وان الذين مرضوا داخل المحجر في تلك المدة بلغ عددهم ١١,١٦٥ حاجاً. منهم ١٠,٩٩٤ أصيبوا بأمراض عادية و١٦٤ بالهواء الأصفر و٧ بالطاعون. شفي منهم ٨,١١٧ وتوفى ٣٠٤٨. وان أقل عدد دخل المحجر من الحجاج كان في سنة ١٩٠٣ دخله فيها ١١,٢٦٦ حاجاً، وأكبره كان في سنة ١٩٠٧ دخله فيها ٤٣٢٧١ حاجاً ودخله هذه السنة ٢٦٤٢٦ حاجاً.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص١٣٦]

في زمن الحج يرسلون في مأمورية ثلاثة أطباء إلى مكة وطبيباً إلى المدينة المنورة، وفي كل هاتين المدينتين يوجد ما يسمى بالمحجر الصحي (الكرنتينة)، وتوجد لوازم لأجل مستشفى متنقل يتسع لثلاثين سريراً يتعين فتحه إذا ما نشب وباء.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٤]

* * *

المحجر الصحي المكي يتنقل مع الحجاج إلى عرفات، ثم ينتقل معهم إلى منى حيث يوجد مبنى مكيف خصيصا من أجله، وفي هذين المكانين وكذلك في مكة يعطي المستشفى الأدوية مجاناً، ويقدم الإسعاف الطبي الجوال للحجاج المرضى، ومن النافل القول أن المستشفى الذي يتسع لثلاثين شخصاً يكون عاجزاً تماماً إذا نشب وباء جدي خطير بين مثل هذا العدد من الحجاج.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٤]

* * *

ضمن حدود البحر الأحمر أنشئت لأجل الحجاج يوجد محاجر صحية في جدة وكمران والطور وأبو زليم.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٥]

* * *

قامت محاولة لإنشاء مقصورة بخارية في جوار مكة لأجل تعقيم البسة وأمتعة الحجاج العائدين من منى، ولكن مبنى المقصورة الذي انتهى بناؤه للتو دمره البدو في سنة (١٨٥٩م) حين كان الحجاج عند عرفات.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٥]

* * *

الحجر الصحي إجراء احتياطي يتخذ لحماية الصحة العامة، وحيث أنه ثبت

علمياً بأن الهند هي بؤرة مرض الهيضة (الكوليرا) وهناك احتمال بأن تتمكن جرثومة ماهرة بالاختباء في ثنايا أحد الحجاج المتوجهين إلى الحجاز، وإذا أفلحت هذه الجرثومة في الوصول إلى الحجاز مع أحد الحجاج فإنها والعياذ باللَّه ستتطور في جسم ذلك الحاج وتظهر في اليوم السابع، وقد حدد العلم سبعة أيام لظهور هذه الجرثومة، بالإضافة إلى المدة التي أمضيناها في بومبي إلى قماران فإن خمسة أيام أخرى تعد احتياطية، وإذا لم يظهر مرض الكوليرا خلال هذه المدة فذلك يعني أنه لا توجد جرثومة تنوي الوصول إلى الحجاز، فيخلون بذلك سبيل الحجاج.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩١٠]

❊ ❊ ❊

محجر الطور قائم على شاطئ البحر على نحو ٦٤٠ متراً جنوبي (مدينة الطور في سيناء) ومساحته نحو ٤ كيلو مترات مبرعة. يحدهُ من الغرب خليج السويس ويحيط به من جهة البر شبكة من الاسلاك مرفوعة على عمد خشبية متينة علوها نحو أربعة أمتار. وهو محجر مصر العام والحجاج المصريين، أسس منذ سنة ١٨٥٨م ولكنه لم يبدأُ بتنظيمه على الطرز الجديد وتجهيزه بأحدث المعدات والأدوات الصحية الَّا بعد صدور الأمر العالي بذلك سنة ١٨٩٣م.

[«تاريخ سينا» ص١٣٥ لنعوم بك شقير]

❊ ❊ ❊

وعندهم شروعهم عند التبخير تنزع ثيابهم بأجمعها في مكينة التبخير، ثم يأمر الطبيب باصطفاء الحجاج ليختبر صحته ثم يرش عليهم بمادة كريهة الرائحة، ومتى تم تطهيرهم أخرجوا من غير الطريق التي سلكوها أولًا عند دخولهم، فيجدون في محل آخر أمتعتهم ملقاة على الأرض تبخيرها جميعها فمنها ما هو محروق، ومنها ما يقطر ماءً تصعد منه روائح كريهة ولا تسمع إلا صياح

الحجاج، ثم يخرجون من ثمة إلى محجر الكرنطينة محاطين بهم العساكر النظامية، وهذا الموضع كلها رمال بعيدة المسافة يقطعها الحجاج على أرجلهم سواءً أكانوا رجالًا أو أطفالًا أو نساءً في شدة الشمس الرمضاء ولا شفقة ولا رحمة.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١٣٣ للحسن بن محمد الغسال]

❊ ❊ ❊

والحجر المذكور مشتمل على صفوف خزاين القرين محاطاً عليها بشباك من السلك كالقفص، وأما ضروريات الأكل والشرب التي تباع هناك بثمن غال تعافها النفوس لولا الضرورة، وفي كل يوم يكشف الطبيب على الحجاج بحيث إذا رأي أحد الحجاج انحرف مزاجه انحرافاً ما فإنه يدخلها طوعاً أو كرهاً ويذهب به إلى المستشفي ويحول بينه وبين رفقائه ولا تسأل على معاملتهم إياك إذ يقصر الحكم عن وصفها، ويذوب الفؤاد من هولها وحين يقرب انتهاء مدة الكرنطينة بنحو ثلاثة أيام يرخص الطبيب للحجاج الحضور على تبخير صناديقهم، فلا تسري جلها إلا مكسورة والحوايج التي كانت فيها ممزقة تلعب فيها ويغطيها الغبار، ولما رأيت هذا الفساد الفادح فلم يسعني إذ ذاك إلا أني بذلت عليها دراهم من طرف خفي للملاحظين الذين يتفقدون الصناديق أو تشكل بالأخف الضررين، وبسبب ذلك سلمت حوائجي من الآفات والحمد للّه، هذا بعض ما يقاسيه الحجاج في محجر الطور.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١٣٣ للحسن بن محمد الغسال]

❊ ❊ ❊

الحجرة النبوية

ومن عاداتهم (أهل المدينة) في الإملاكات أن يكون عقد النكاح بالمسجد، ولقد حضرت إملاك هندي قدم من مكة مع الشيخ عيسى في الرجبية، وكان بينه وبين الشيخ صحبة فأراد العقد لولده على ابنة رجل آخر من كبار تجار الهند ن فلما كان وقت العقد ذهب بي الشيخ معه وكرهت خلاف أمره، وما

كنت أحب حضور محافل أهل الدنيا المشوبة بأنواع من التصنع والمباهة خصوصاً في ذلك المحل الذي حق الإنسان فيه أن يخضع ويخشع ويضع نفسه بالمحل الذي وضعها اللّه فيه من الذل والافتقار، فجلس الشيخ مسنداً ظهره للمنبر النبوي وجلست بإزاءه، وجلس ارباب المراتب من العلماء والخطباء وأكابر الناس صفين من المنبر إلى الحجرة الشريفة، صف مستقبل القبلة وصف مسند ظهره إلى جدار القبلة، وجلس عن يسار الشيخ كبير الخطباء بالمدينة الخطيب احمد البري، وبإزاءه المتعاقدان أبو الابن وأبو البنت، فشرع في الخطبة وأطال وأجاد في الثناء على اللّه وعلى رسوله، ثم وفى ذكر المتعاقدين ورضيا بذلك، كل ذلك بلسان ذلق وصوت جهوري، وذلك الذي أنكرته مع المبالغة في الثناء على المتعاقدين بما أكثره زور وباطل بحضرة أشرف الخلق وفي روضة الجنة فصغرت نفسي عندي وتضاءلت، ووددت أني لم أحضر ذلك المجلس، ولو كنت اعلم أن صورة المجلس عى هذا الوجه ما حضرته.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٠٦)]

❊ ❊ ❊

التصريح بدخول هذا المسوَّر، الذي يطلقون عليه اسم الحجرة، لا يعطى إلا لكبار الشخصيات: من أمثال الباشوات، أو رؤساء قوافل الحج، ويكون بالمجان، لكن بوسع الناس الآخرين شراء هذا التصريح أو الحصول عليه من الطواشية نظير مبلغ من المال، يتردد بين اثنى عشر دولاراً وخمسة عشر دولاراً، يجرى توزيعها على سبيل الهدية ين الطواشية، لكن قلة قليلة من الحجاج هم الذين يستطيعون الحصول على مثل هذا الأذن أو التصريح، والسبب في ذلك أن الناس يعرفون أنهم لن يروا أكثر من ذلك الذي رأوه وهم ينظرون من بين قضبان النوافذ، التي تظل مفتوحة طول الوقت.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١٠) لجون لويس بوركهارت]

داخل الحجرة النبوية لم أود لفت الانتباه إلا لمجرد إشباع طفولي وتطلعي. والذي يظهر من الداخل عبارة عن ستارة دائرية بينها وبين السور الحديدي ممشى أو ممر مكشوف لا يزيد عرضه على خطوات قليلة. يتساوى ارتفاع الستارة بارتفاع الحاجز الحديدي، لكني لم أستطع أن أتبين من الأسفل ما إذا كانت الستارة مفتوحة من أعلى مثل السور الحديدي. هناك غطاء (على حد قول الطواشية) من المادة نفسها المصنوعة منها الستارة؛ هذه الستارة من الحرير الفخم متباين الألوان والمجدول مع ورود وأربيسك فضي، وفيها أيضاً مجموعة من النقوش المذهَّبة التي تمتد بطول المنطقة الوسطى من الستارة، وهذا الغطاء شبيه بغطاء الكعبة. هذه الستارة لا يقل إرتفاعها عن ثلاثين قدماً، والستارة لها أبواب صغيرة في الجانب الشمالي، هذه البوابة مغلقة بصورة دائمة، ولا يسمح لأي شخص مهما كان بالدخول إلى هذا المكان المشرَّف، اللَّهم باستثناء كبار الطواشية، الذين يرعون هذا المكان، والذين يقومون أثناء الليل، بوضع الستارة الجديدة الواردة من اسطنبول، كلما بليت أو تحللت الستارة القديمة، أو عندما يعتلي العرش سلطان جديد. ويجرى إعادة الستائر القديمة إلى إسطنبول، لتستخدم في تغطية قبور السلاطين والأمراء.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

القصص السائدة في أوروبا، من أن قبر النبي ﷺ معلق في الهواء، لا أصل ولا وجود لها في الحجاز، ولم أسمع عن هذه القصص في أي بلد آخر من بلاد الشرق.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١٢) لجون لويس بوركهارت]

في هذه الحجرة الشريفة غير هذا، كثير من الجواهر الفاخرة التي لا تقدر بثمن: منها قطعة كبيرة على مثال الكردان مكتوب فيها بالماس اسم السيدة فاطمة الزهراء وهي موضوعة على مقصورتها الداخلية في الجانب الشرقي،

والى جوارها عقد من اللؤلؤ الكبير الحج، لا يماثله شئ في عظمه وجوهره، وعقود أخرى من المرجان النادر المثال، ويوجد فيها شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة، منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين، أهداهما إليها السلطان عبدالمجيد خان في سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، وشمعدانان آخران أهداهما السلطان محمود. والى جانب هذه الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ، ومراوح مرصعة بالأحجار الكريمة، وعصاقي ومباخر مرصعة، وهذا عدا ما يوجد في خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف المجوهرة والتحف الفاخرة، وكثير من الأحجار الكريمة والجواهر الثمينة التي لم تكن مشغولة، وغير ذلك من الاساور والاقراط وخلافها. وبالجملة فقد قدر ثمن ما للحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٤٨ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وخدمة الحجرة الشريفة يغسلونها في السنة ثلاث مرات: واحدة في يوم ٩ ربيع الأول، والثانية في أول رجب، والثالثة في الثامن عشر من ذي القعدة. ويكون لذلك احتفال كبير، وماء غسيلها يفرقونه في قوارير على أكابر المسلمين للتبرك به.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٥٠ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

الحجون

الحجون: جبل بالمعلاة مقبرة أهل مكة على يسار الداخل إلى مكة ويمين والخارج منها إلى جهة منى.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٥٠)]

❊ ❊ ❊

الحديبية

الحديبية الموضع الذي نزل عنده النبي ﷺ لما قدم من المدينة محرماً يريد دخول مكة فعاقه المشركون عن ذلك، يقال: إنه الموضع الذي فيه البئر المعروفة ببئر الشميسي بطريق جدة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٢٨)]

❊ ❊ ❊

قال صاحب الطالع: إن الحديبية قرية ليست بالكبيرة، وسميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة. انتهى

والحديبية أفضل مواقيت العمرة بعد الجعرانة والتنعيم عند الشافعية ما خلا الشيخ أبا حامد، فإن الحديبية عنده مقدمة على التنعيم.

الحديبية: هي قرية متوسطة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة.

[«المنتقى في أخبار أم القرى» ص ٨٣] [«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/ ٢٢٩)]

❊ ❊ ❊

حراء

جاور الشيخ أبو مهدي عيسى بن حزرون المكناسي بمكة سنة (٢٨هـ)، وخرج إلى جبل حراء مع جماعة المجاورين، فلما صعدوا الجبل ووصلوا لمتعبد رسول اللَّه ﷺ ونزلوا عنه، تأخر أبو مهدي عن الجماعة، ورأى طريقاً في الجبل، فظنه قصيراً فسلك عليه، ووصل أصحابه إلى أسفل الجبل، فانتظروه فلم يأت، فتطلعوا فيما حولهم فلم يروا له أثراً فظنوا أنه سبقهم، فمضوا إلى مكة شرفها اللَّه تعالى.

ومضى عيسى في طريقه، فأفضى به إلى جبل آخر، وتاه عن الطريق، وأجهده

العطش والحر، وتمزقت نعله، فكان يقطع من ثيابه ويلف على رجليه إلى أن ضعف عن المشي، واستظل بشجرة أم غيلان، فبعث اللّه أعرابياً على جمل حتى وقف عليه، فأعلمه بحاله، فأركبه وأوصله إلى مكة، وكان على وسطه هميان فيه ذهب فسلمه إليه، وأقام نحو شهر لا يستطيع القيام على قدميه، وذهبت جلدتهما، ونبتت لهما جلدة أخرى.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٢٨)]

* * *

قال الشيخ علي الطنطاوي: وكان البدوي يطأ الصخر وطء متعسف جبار، ويدحرج الحجارة بقدميه فصرخت به أن ترفق ويحك فإن هذي الصخور قد سمعت يوماً أول كلمة من حديث السماء في أذن الأرض، إنها شهدت أول آية خطت في كتاب اللّه، الذي هبط به سيد الملائكة على سيد البشر، ولو استطعت لمشيت على الرأس تقديساً وإجلالًا، فما أجرؤ أن أطأ بقدمي الجبل الذي ضم ذراعيه يوماً على محمد.

[«من نفحات الحرم» ص٢٠ لعلي الطنطاوي]

الحرم

عن مجاهد: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] قال: كان لعبد اللّه بن عمرو بن العاص فسطاطان أحدهما في الحال، والآخر في الحرم، فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل، وإذا أن يصلي صلى في الحرم، فقيل له في ذلك فقال: إنا كما نتحدث أن من الإلحاد أن تقول: كلا واللّه وبلى واللّه.

[«تاريخ الأزرقي» (٢/ ١٣١)-١٣٢]

* * *

ذكر الأزرقي: أن إبراهيم عليه السلام أول من نصب أنصاب الحرم، وأن جبريل دلّه

على مواضعها، وأن النبي ﷺ أمر يوم فتح مكة تميم بن أسد فجددها.

[«تاريخ الأزرقي» (١/ ٤٠٣)]

* * *

عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ نصب أنصاب الحرم يريه جبريل، ثم لم تحرك حتى كان قصي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان رسول اللَّه ﷺ فبعث تميم بن أسد الخزاعي فجددها، ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبعث أربعة من قريش كانوا يتبدون في بواديها فجددوا أنصاب الحرم، منهم مخرمة بن نوفل، وأبو هود سعيد بن يربوع، وأبو حويطب بن عبد العزى، وأزهر بن عبد عوف الزهري.

[«تاريخ الأزرقي» (١/ ١٢٩)]

* * *

قال الفاسي: ثم نصبها عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم معاوية، ثم عبد الملك بن مروان، ثم المهدي العباسي، ثم أمر الراضي العباسي بعمارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم في خمس وعشرين وثلاثمائة، واسمه عليهما مكتوب، ثم أمر المظفر صاحب إربل بعمارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة في سنة ست وعشرين وستمائة، ثم أمر الملك المظفر صاحب اليمن في سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١٠٧)]

* * *

قال الفاسي: في سنة سبعمائة وثلاثين حج العراقيون معهم فيل بعثه صاحب العراق أبو سعيد محمد بن بنداخدا ملك التتار، وما عرف مقصوده بإرساله، فحضروا به المواقف كلها، ثم خرجوا به إلى المدينة المنورة، فلما وصل إلى الفريش الصغير قبل البيداء التي ينزل منها إلى ذي الحليفة، صار كلما أراد أن

يقدم رجلًا تأخر أخرى بعد مرة، فضربوه ليسير وهو يأبى إلا الرجوع إلى القهقرى، فصار كلما أكره على التقدم إلى جهة المدينة تأخر إلى وراءه، هذا وهم يضربونه، وهو يتأخر إلى أن سقط ميتاً - كذا قاله الفاسي.

قال العفيف المطري مؤرخ المدينة: وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين من ذي الحجة، وذلك من معجزات سيدنا وشفيعنا محمد رسول اللَّه ﷺ.

وهذا من غريب العجائب - قاله الإمام النووي رحمه الله في تاريخه.

وصرف عليه من العراق إلى وقت موته أكثر من ثلاثين ألف درهم، ولما رآه الناس تفاءلوا بالشر، فكانت في ذلك الموسم واقعة أمير المصريين وأهل مكة، حتى قتل الأمير وابنه وجماعة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٣٤٥)]

* * *

قال ابن فهد: وفي سنة خمس وستمائة في شعبان أنشئت الأعلام الثلاثة التي هي بين منتهى أرض عرفة ووادي عرنة، أمر بإنشائها المظفر كوكبري بن علي بكتكين صاحب إربل.

[«إتحاف الورى» لابن فهد (٣/ ٨)]

قال السنجاري أيضاً: قال العلامة الفاسي: ولم أر من تعرض لمقدار دور الحرم إلا ابن خرداذبة في كتاب المسالك، قال: وطول الحرم حول مكة سبعة وثلاثون ميلًا، وهي التي تدور بها أنصاب الحرم.

[«منائح الكرم» للسنجاري (١/ ٢٢٠)]

* * *

أما الحرم فهو ما طاف بمكة من جوانبها، وحده من طريق المدينة دون التنعيم عند بيوت بني فنار على ثلاثة أميال، ومن طريق العراق على ثنية جبل بالمنقطع

على سبعة أميال، ومن طريق الجعرانة بشعب آل عبد اللَّه بن خالد على تسعة أميال، ومن طريق الطائف على عرفة من بطن نمرة على سبعة أميال، ومن طريق جدة منقطع الشعائر على عشرة أميال، فهذا حد ما جعله اللَّه حرماً لما اختص به من التحريم وباين بحكمه سائر البلاد.

[«الأحكام السلطانية» للماوردي ص٢٤٠]

❊ ❊ ❊

قال الشبرخيتي على شرح خليل: قال بعضهم: إن الأساطين التي حول المطاف هي حد الحرم الذي كان في زمن النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وما وراء ذلك فهو الزيادة.

[«تحصيل المرام» للصباغ (١/ ٢٨٢)]

❊ ❊ ❊

نظم بعضهم حدود الحرم شعراً فقال:

وللحرم التحديد من أرض طيبة ... ثلاثة أميال إذا رمت إتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف ... وجدة عشر ثم تسع جعرانه
ومن يمن سبع بتقديم سينها ... فسل ربك الوهاب يرزقك غفرانه
وقد زيد في حدٍ لطائف أربع ... ولم يرض جمهور لذا القول رجحانه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢١٨)]

❊ ❊ ❊

فائدة: أفضل محل بالحرم بعد المسجد دار خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهو بجانب جوار فاطمة رضي الله عنها، وهو بزقاق الحجر على يمين الذاهب إلى المسجد الحرام، وإلى جانبه محل يقال له قبة الوحي، ويحيط بالجميع جدار فيه باب ينزل منه إلى هذه الأماكن، الأول مما يلي يمين الداخل فهو مولد فاطمة، وبجنبه بيت خديجة، وإلى جانبه قبة الوحي، وله زيت معين من زيت الحرم

يسرج به قناديل ثمة، وله خادم بمعلوم معين، ومدرس، وتبيض المعمارية الواردة هذا المحل إذا احتاج إلى التبييض.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/٢٢٨)]

❊ ❊ ❊

فائدة: قال بعض العلماء: كنت أفكر في هذه الآية ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧] مع ما وقع بالحرم من الفتك وعدم الأمن، فهتف بي هاتف وهو يقول: ومن دخله كان آمنا من النار.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/١٨٩)]

❊ ❊ ❊

أنصاب الحرم أي العلامات الموضوعة في حدودها مازالت موجود إلى اليوم تجد في كل عصر عند حدوث تلف فيها وهي علامات مبنية بالحجر ومجصصة بالنورة، ومواضع هذه العلامات أي الأنصاب كما يأتي:

١- توجد عند التنعيم عند مسجده وفي الحال من هذه الجهة أي بعد العلامات بمسافة قريبة توجد محطة شركة الكهرباء السعودية التي تمد مكة بالكهرباء، وبين العلامات وهذه المحطة مخفر للشرطة للمحافظة على عدم تسرب الأجانب غير المسلمين إلى داخل حدود الحرم.

٢- توجد عند عرفات قبل مسجد نمرة بقليل للذاهب إلى عرفات.

٣- توجد قبل مزرعة الشرائع التي بطريق السيارات للطائف ونجد.

٤- توجد قبل محطة البيضاء التي بطريق اليمن.

٥- يوجد علمان عند الشميسي المسمى قديماً بالحديبية بطريق جدة القديم، وهما يقابلان كيلو (١٩) قبيل مسجد الشميسي للنازل من مكة إلى جدة، والشميسي يقع في كيلو (٢٢) فيكون الشميسي في الحل، وهذان العلمان قديماً يقعان في الطريق القديم لقافلة الجمال، ثم إنه في جمادى الأولى

سنة (١٣٧٦هـ) بني علمان آخران في مقابلة العلمين القديمين، وبنيا في طريق السيارات» الأوتومبيلات» المعبد بالإسفلت عند كيلو (١٩) تماماً للمسافر إلى جدة، وكان ذلك بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز رحمه الله.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٩٨)]

❊ ❊ ❊

اختلف العلماء في المسجد الحرام:

فقيل: مسجد الجماعة الذي يحرم على الجنب الإقامة فيه - حكاه الطبري -.

وقيل: المراد الحرم كله. وقيل المراد الكعبة خاصة. وقيل: المسجد المعد للطواف.

وفي رسالة الحسن ما يقتضي تضاعف كل مائة بألف. وصوم يوم بمكة بمائة ألف، وصدقة درهم بمائة ألف، وكل حسنة بمائة ألف.

قال المحب الطبري: إن فيما تقدم من أحاديث مضاعفة ثواب الصلاة والصوم دليل على اطراد التضعيف في جميع الحسنات إلحاقاً بهما، ويؤيده قول الحسن السابق. انتهى.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٣٣)]

❊ ❊ ❊

الحرم لا يطلق على بكة ولا على مكة وإن كانتا جزءاً منه، فالحرم محيط بمكة من جميع جهاتها إلى مسافات طويلة كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى بيان مقدار هذه المسافات.

وأهل مكة اليوم يطلقون الحرم على نفس المسجد الحرام فيقول أحدهم: إني ذاهب إلى الحرم، وجئت من الحرم، ويعني بذلك المسجد الحرام.

ويدل على ذلك ما جاء في «مختار الصحاح»: بكة اسم بطن مكة سميت بذلك لازدحام الناس... الخ. فعليه يطلق بكة بالباء على بطن مكة بالميم، وبطن مكة يعني وسطها، ووسطها هو ما بين أخشبيها «جبل قبيس وقيقعان» وهو الموضع الذي فيه البيت الحرام مهما اتسع العمران، ويدل على ذلك صراحة نفس الآيــة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فالبيت والمقام في نفس بكة وهي وسط مكة بلا خلاف.

وأما مكة فهي البلد الحرام كما في «مختار الصحاح» يعني نفس البلدة مهما اتسعت.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٢٣)]

* * *

حريق

ذهبت امرأة في زمن قريش تجمر الكعبة، فطارت شرارة في أستار الكعبة فاحترقت أستارها، واحترقت الكعبة، واحترق الركن الأسود، وتوهنت الكعبة، وكان الذي هاج قريشاً على هدمها وبناءها.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٨٩)]

* * *

في عصر ابن الزبير أيام حاصره الحصين بن نمير الكندي احترقت الكعبة، واحترق الركن، فتفلق بثلاث فلق، حتى شعبه ابن الزبير بالفضة فسواده لذلك.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٨٩)]

* * *

في سنة (٩٥٤هـ) اتفق في يوم السابع من ذي الحجة الحرام بمكة المشرفة أن الحجاج بينما هم في الحرم يطوفون، ويشاهدون سحراً إذ رأوا دخاناً صاعداً من

جانب باب الكعبة الشريفة، فبادر الأكابر من الشريف أبي نُمي وولده الشريف أحمد، ومصطفى باشا، وأكابر الحجيج يسعون إلى باب الكعبة، وفتحوه بعد أن حصل عند عامة الناس غاية الوجل، فوجودا النار في عقب الدرفة اليمنى، ففكت الدرفة وأطفئت النار، وأعيد الباب إلى حاله، وسكنت هذه الحادثة ولله الحمد.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٥٥٢]

* * *

حطيم

موضع الحطيم قال الأزرقي عن ابن جريج ملخصاً: الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر، فسمي هذا الموضع الحطيم، لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم ن فقل من دعا هنالك على ظالم إلا هلك، وقل من حلف هنالك إثماً إلا عجلت له العقوبة فكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم ويتهيب الناس الأيمان، فلم يزل كذلك حتى جاء اللّه بالإسلام فأخذ اللّه ذلك لما أراد إلى يوم القيامة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/٤٤٨)]

* * *

الحطيم ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم والحجر، سمي بذلك لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان، ويستجاب دعاء المظلوم على الظالم.

[«إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام» لمحمد الأسدي ص٥٧]

* * *

ذكر الأزرقي عن ابن جريج قال: الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر.

قال: وسمي هذا الموضع بالحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان،

ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقلّ من دعا هنالك على ظالم إلا هلك، وقلّ من حلف هنالك آثما إلا عجلت له العقوبة، فكان ذلك يحجز بين الناس على الظلم، وتهيّب الناس الأيمان هنالك، فلم يزل كذلك حتى جاء اللَّه بالإسلام، فأخر اللَّه ذلك لما أراد إلى يوم القيامة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي ٢/ ٢٣]

* * *

في «الجامع اللطيف»: والحطيم عندنا هو الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم وهو الموضع الذي يصب فيه ميزاب البيت، وإنما سمي بالحطيم لأنه حطم من البيت أي كسر. كذا في عامة كتبنا.

[«الجامع اللطيف» لابن ظهيرة ص ٤٦]

* * *

الحطيم فهو ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل، وسمي بذلك لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على الظالم، فقل من حلف هنالك كاذباً إلا عجلت له العقوبة.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٣٠]

* * *

يسمى هذا الموضع حطيماً لأن الناس كانوا يحطمون هناك بالإيمان، ويستجاب فيه الدعاء للمظلوم على الظالم، فقيل: من دعا هناك على ظالم هلك، وقال: من حلف هناك آثما عجلت عقوبته.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٣٧٥)]

* * *

الحطيم ما بين الباب إلى المقام.

[«المدونة الكبرى» للأصبحي]

حطيم مكة هو ما بين الركن والباب، وقيل هو الحجر المخرج منها، سمي بذلك لأن البيت رفع وترك هو محطوماً، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فتبقى حتى تنحطم بطول الزمان فيكون فعيلًا بمعنى فاعل.

[«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/ ٤٠٣)]

* * *

عن ابن جريج قال: الحطيم ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر.

[«تاريخ مكة» للأزرقي ٢/ ٢٣]

* * *

عن ابن عباس رضي الله عنهما: الحطيم الجدار - يعني جدار حجر الكعبة - أخرجه أبو داود.

قال في البحر العميق في فضائل البيت العتيق المشهور: أن الحطيم اسم الموضع الذي فيه الميزاب وبينه وبين الباب فرجة.

[«البحر العميق في فضائل البيت العتيق» لابن الضياء القرشي ١/ ق٢٥]

* * *

وكنت أصلي مع أول جماعة من أي مذهب كانت، وأكثر جلوسي وصلاتي في المسجد القديم، وأكثره في الحطيم.

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٨٥ للمُرادى]

* * *

حلق

شعراً:

يقول ابن القيم عن الحلق:

ولكنهم دانوا بوضع رؤوسهم وذلك ذلك للعبيد ومِيسم
ولما تقضّوا ذلك التفث الذي عليهم وأوفوا نذرهم ثم تمموا
دعاهم إلى البيت العتيق زيارة فيا مرحبا بالزائرين وأكرم

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢١٤)]

* * *

شعراً: يقول الإمام الصنعاني:

وفيها نحرنا الهدي طوعاً لربنا وإبليس لما نحرنا نحرناه
وبالخيف أعطانا الإله أمننا وأذهب عنا كل ما نحن نخشاه

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢١٤)]

* * *

في أواخر سنة (١٣٧٥هـ) هدمت جميع المنازل والبيوت التي كانت بالمسعى عند المروة، وتحت هذه الدور والمنازل دكاكين متعددة على الجانبين من اليمين والشمال، فجميع الدكاكين التي عند المروة تماما من جانبيها يشغلها الحلاقون والحجامون يعني نحو عشرة دكاكين عن يمين المروة ومثلها عن شمالها مما يلاصق المروة تماماً لا يشغلها سوى الحلاقين المزينين والحجامين ليس بينهم أجنبي عن صنعتهم مطلقاً، وأن هذا الأمر ليس جديداً مستحدثاً في عصرنا بل هي عادة اتبعها الحلاقون من قديم الزمان، فلقد قال الإمام الأزرقي المولود بمكة في القرن الثاني من الهجرة في تاريخه عند الكلام على رباع آل داود بن الحضرمي ما يأتي: ومن رباعهم أيضاً الدار التي عند المروة في صف دار عمر بن عبد العزيز ووجهها شارع على المروة والحجامون في وجهها. . . الخ ا.هـ.

فيعلم صريحاً من كلام الأزرقي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الحجامين في زمنه كانوا يشغلون الأماكن التي كانت عند المروة، ونحن نعتقد أن اشتغال الحجامين عند المروة

يرجع إلى صدر الإسلام، وصنعة الحجامة تقتضي معرفة الحلاقة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٦)]

❊ ❊ ❊

حمام الحرم

بمكة حمام مملوك وحمام غير مملوك، أما الحمام المملوك فأجناس مختلفة وأشكال متباينة يقتنيه الناس كما في البلدان الأخرى، وأما الحمام الغير مملوك فهو حمام الحرم الذي نعقد له هذا الفصل، وقد أطلق عليه حمام الحرم لكثرته، وعد تعرضهم له بالصيد والصيد لا في الحرم ولا في الحل، وإن كان يجوز أكله في الحل غير المحرم.

ولهذا الحمام شكل خاص لا يختلف وخلقته ولا تتغير لا تتبل، ولونه واحد لا يختلف ما دام من جنس نسله، أما إذا كان أحد الأبوين من حمام الحرم والثاني من الحمام المملوك فإن لونه وشكله يتغير.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٧٥)]

❊ ❊ ❊

أول كما كانت بمكة حمام اليمام، حمام مكة الحرمية ذلك الزمان - أي زمان حادثة الفيل الشهيرة -، يقال إنها من نسل الطير التي رمت أصحاب الفيل حين خرجت من البحر في جدة. هذا ما ذكره الأزرقي عن بعض المكيين.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٧٥)]

❊ ❊ ❊

ويتميز حمام الحرم فقط بمكة جملة أمور ومنها:

١- أن حمام الحرم لا يألف حماماً من غير جنسه ولا يتزاوج منه إلا إذا حبس شخص حمامة من حمام الحرم يشارك المملوك في أكله وشربه إذا وجد إلى

ذلك سبيلًا بخلاف العكس.

٢- حمام الحرم اشد منها وأكثر أكلًا من الحمام الآخر، وإذا طرد حين يأكل فلا يطير سريعاً ويرجع حلًا إذا طار.

٣- حمام الحرم أعظم نشاطاً وأسرع حركة من الحمام المملوك سواء في طيرانه وحد نظره وخصامه مع جنسه وانقضاضه لالتقاط الحبوب فلا تفوته الفرصة قط.

٤- إذا نثر أحد حبوباً في المسجد الحرام أو في أي مكان تجد حمام الحرم يسقط لالتقاطها بالآلاف من غير عدد ولا تجد بينها حمامة واحد من غير جنسه.

٥- إذا نثر شخص حبوباً أياماً متوالية في مكان مخصوص وفي وقت معلوم فإن حمام الحرم يأتي إلى ذلك المكان في نفس الوقت المحدد على الدوام.

٦- حمام الحرم إذا بنى عشه لبيضه وفراخه لا يبنيه في الخرابات والجبال وإنما يبنيه في وسط العمران ومنازل الناس وفوق الأبواب والطاقات وبين الفجوات.

٧- حمام الحرم له شكل خاص وخلقة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل على ممر السنين والأعوام ما دام محافظاً على نسل جنسه، وأما إذا سافد غير جنسه من الحمام الأبيض أو الملون فإن شكله يتغير بدون شك، كما ذكرنا في أول الكلام.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٧٦)]

❊ ❊ ❊

روى الإمام الأزرقي عن عبد اللَّه بن نافع عن أبيه قال: كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرخص أن يكشكش للحمام. وروى أيضاً عن مجاهد قال: أمر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحمامة فأطيرت فوقعت على المروة فأخذتها حية فجعل عمر فيها شاة، قال: وأمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حمامة فأطيرت من واقف فوقعت على واقف فأخذتها حية، فدعا نافع بن الحارث الخزاعي فحكما فيها عنزاً عفراء.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٨٤)]

❊ ❊ ❊

قال ابن جبير في حمام الحرم الذي يحط على الكعبة: وقرأت في أخبار مكة أنه لا ينزل عليه طائر إلا عند مرض يصيبه، فإما أن يموت لحينه أو يبرأ، فسبحان من أورثته التشريف والتكريم

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٥٦)]

* * *

قال القاسم بن يوسف التجيبي: وعجائب هذا البيت الكريم شهيرة، وفضائله كثيرة، فمن عجائبه أنك تراه لا يخلو من طائف أبداً لا ليلًا ولا نهاراً، إلا في وقت المغرب خاصة، ومنها أنه قائم في وسط الحرم الشريف، وحمام الحرم لا تحصى كثرة ن وليس منها ما ينزل عليه، وقد لاحظت ذلك مدة إقامتي بها، فما رأيت حمامة نزلت عليه إلا مرة واحدة نزلت على الركن الذي فيه الحجر الأسود، ودرجت إلى الركن اليماني، فعجبت من ذلك، وسألت عنه شيخنا الإمام الفاضل رضي الدين أبا إسحاق الطبري ثم المكي أعاد اللَّه تعالى من بركاته فذكر لي ما معناه: أن العادة جرت عندهم بأنه لا ينزل طائر إلا مستشفياً من مرض، واللَّه تعالى أعلم.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٨٨)]

* * *

ثمة أناس فقراء من أهل مكة المكرمة يأتون للحجاج حاملين معهم نوعاً من الأواني مصنوعة من السمار مليئة بالحبوب ويتوسلون من الحجاج طالبين منهم شراء بعض الحبوب لإطعام حمامات النبي ﷺ، وقد سمعت أن هذه الحمامات لا تطير أبداً فوق الكعبة كما لو كانت تعلم أنها بيت اللَّه الحرام.

[«رحلة جوزيف بتس الحاج يوسف» ترجمة عبد الرحمن عبد اللَّه الشيخ ص٥٢]

* * *

فمن يعتقد من فقهاء أهل الأندلس إسقاط هذه الفريضة عنهم فاعتقاده صحيح لهذا السبب، وبما يُصنع بالحاج مما لا يرتضيه اللَّه - عز وجل - فراكب هذا السبيل راكب خطر ومتعسف غرر، واللَّه قد أوجد الرخصة فيه على غير هذه الحال، فكيف وبيت اللَّه الآن بأيدي أقوام قد اتخذوه معيشة حرام، وجعلوه سبباً إلى استلاب الأموال واستحقاقها من غير حل ومصادرة الحجاج عليها، وضرب الذلة والمسكنة الدنية عليهم، تلافاها اللَّه عن قريب يرفع هذه البدع المجحفة عن المسلمين بسيوف الموحدين أنصار الدين، وحزب اللَّه أولي الحق والصدق، والذابين عن حرم اللَّه - عز جل - والغئرين على محارمه، والجادين في إعلاء كلمته، وإظهار دعوته، ونصر ملته، إنه على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٤٨/١)]

❊ ❊ ❊

حرف الخاء

خاتمة

كان الشيخ عيسى بن حسن البيانوني رَحِمَهُ اللَّهُ ينزع إلى ضرب من السعي الخيري، والاهتمام بفقراء المدينة المنورة جيران رسول اللَّه ﷺ، فقد كان الشيخ يجمع المال من المسلمين كل عام، ويرسله مع جماعة من أمناء الحج ليوزع على فقراء المدينة المنورة، وقد جعل ذلك ديدنه، حتى أنه قبيل انتقاله إلى جوار ربه أعطى ما معه من أمانات مجبية لهذه الغاية لتوزع على الفقراء ولحق بالرفيق الأعلى، كل هذا يضاف إلى تدريسه الأخلاق في المدرسة الخسروية، ودروسه العامة في المساجد.

وقد حج الشيخ عيسى بن حسن البيانوني رَحِمَهُ اللَّهُ سبع حجات، وبعدما أتم مناسك الحج في حجته الأخيرة عام (١٣٦٢هـ) أصابه «زُحار» فأسرع رفاقه باستدعاء الطبيب ففحصه وأعطاه علاجاً، وكانوا حينئذ على أهبة التوجه إلى المدينة المنورة، فركب السيارة مع رفاقه، فأصابهم على الطريق سيول جارفة أخرت سيرهم ليلتين، احتمل فيها الفقيد مشقة عظيمة على الرغم مما بذله رفاقه الكرام من خدمة له واعتناء به، جزاهم اللَّه خيراً.

ولما وصلوا إلى المدينة المنورة، أخذوه إلى المستشفى، ولم يزل ينحط جسمه، وتضعف قواه حتى توفي ليلة الأحد بعد العشاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة عام (١٣٦٢هـ) فشيعوا جثمانه، وصلوا به في المسجد النبوي الشريف، وساروا به في موكب عظيم حتى وصلوا به البقيع المبارك، فوقف الأستاذ الشيخ محمد الحكيم أحد رفاقه في سفر الحج فأبّنه وعرّف الناس قدره، وواروه ترابه في منتصف المسافة بين ضريح سيدنا إبراهيم ولد النبي ﷺ

وقبور الشهداء رضي الله عنهم.

[«أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي» للدكتور عبد المجيد البيانوني ص ٢٣]

* * *

ذكر بعضهم عن الشيخ محمد بن سيف العتيقي رحمه الله أنه لما حج خرج خرجت القافلة خارج المدينة وعزم المذكور على الذهاب معهم إلى بلده رأى النبي ﷺ في النوم، وقال له: يا محمد كيف تخرج من عندنا وأنت من جيراننا؟ فلما أصبح نأى عن السفر ورجع إلى المدينة، وأقام فيها أيام قلائل، ثم توفاه اللّه تعالى فيها.

* * *

توجه الشيخ المعطي بن عبد اللّه بن العربي رحمه الله للدار البيضاء برسم النيابة عنه في القضاء، فمكث هناك مدة قائما بوظيفة الأحكام القضائية وغيرها من الرياسات الدينية، ولما أذنت الشبيبة منه بالتولي أزمع على الرحيل بقصد فريضة الحج وزار الحرمين الشريفين، وعند قفوله فاجأه الأجل المحتوم فتوفي بجدة في صفر الخير عام أحد وثلاثمائة وألف، ويحكى أنه كان آخر كلامه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء ١٠٠]، وبمجرد نطقه بالهاء من اسم الجلالة فارقته الروح وختمت أنفاسه - عليه رحمة اللّه -.

[«الاغتباط بتراجم الرباط» لأبي عبد اللّه محمد بن الحاج مصطفى بو جندار الرباطي]

* * *

خادم الحرمين

أول من لقب بخادم الحرمين الشريفين هو السلطان سليم خان، من سلاطين الأتراك آل عثمان، فإنه لما دخلت البلاد العربية ومنها الحجاز في حكمه وتحت

سلطته خوطب بلقب حامي الحرمين الشريفين، لكن السلطان سليم لم يرض بهذا اللقب وقال: إن حاميها هو اللَّه عز شأنه، وأما أنا فخادم الحرمين الشريفين.

فرحم اللَّه سلاطين الأتراك الذين كانوا يعرفون حرمة الحرمين الشريفين، فيحترمون أهلها ويجعلون لهم مرتبات شهرية وقواعد سنوية يرسلونها إليهم في موسم كل حج تصرف لهم واسطة ولاتهم في الحجاز، فرحمهم اللَّه تعالى رحمة الأبرار وجزاهم عن أهل الحرمين الشريفين خير الجزاء آمين.

ويروى عن الإخشيدي الذي كان حوالي سنة (٣٣١هـ) حاكماً على مصر والشام وبلاد الحرمين كتب إلى ملك الروم يقول: إنه لو لم يكن لي شرف إلا إمارة الحرمين لكفاني ذلك.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٢٠)]

❋ ❋ ❋

قال الشيخ علي الطنطاوي سنة ١٩٥٦م: وإذا كان خلفاء بني عثمان يحبون أن يلقبوا بأنهم خدام الحرمين الشريفين، فإن أحق الناس بلقب (خادم الحرمين الشريفين) من ترك في الحرمين هذه المآثر.

[«من نفحات الحرم» ص١٢ لعلي الطنطاوي]

❋ ❋ ❋

الخدمة في الحرمين الشريفين محترمة جداً ويتشرف بالنسبة اليها الخلفاء والسلاطين من زمن بعيد الى الآن. ويوجد ضمن رتب الدولة العالية رتبة مخصوصة اسمها (خادم الحرمين).

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٠١ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

خدمات

شيخ الحرم هو الوالي عادة. وللحرم الشريف نائب، وقائم بمقام للنائب، ومدير يقوم بشؤونه. وعدد خدمة الحرم الشريف ٧٠٠ نفس: منهم ١٢٢ خطباء وأئمة للمذاهب الاربعة و١٠٧ مدرسون و٤٥ مؤذنون و١٠ مشدون و١٢ فراشون و٨ وقادون و٢٠ كناسون و٣٠ بوابون و١١ جبادون (ملاءون) من بئر زمزم و١٠٨ غالون لقناديل الحرم.

وهناك وظائف أخرى أخصها وظائف الأغاوات وعددهم ٥١ وهم يقومون بخدمات مختلفة في الحرم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٠١ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

الخدمة في الحرم وراثية في الغالب ما عدا شيخه ومديره فإنهما يعينان من طرف السلطنة العظمى، ووظيفة الاول تكاد تكون سياسية أكثر منها إدارية.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٠١ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

ويوجد بالحرم النبوي للخدمة فيه نحو ألف نفس منهم ٤٦ خطيباً، يتولى الواحد منهم خطبة الجمعة مرة واحدة في السنة، طبقاً لترتيب مخصوص لا يتعدونه ولهم وكلاء كثيرون يتناوبون الخطبة عند غياب الخطيب، و٣٨ إماماً، و٦٢ مساع إمام يتناوبون الإمامة في الصلاة، و٥٠مؤذنا، و٢٦ مساعد مؤذن، ٥١ كناساً، ١١ بواباً، و٢٦ صائغاً وحاجبا وخياطا وخلافهم، و١٠ سقائين، و٤ ملائين، و٥٧٠ لغسيل وتنظيف وتعبئة قناديل الحرم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٤٢ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

كان شرب الماء هو الأهم، ولحسن الحظ لم نعان على الإطلاق نقصاً في مياه الشرب، فالمسئولون السعوديون يوزعون أثناء الحج ٨٠ مليون كيس من البلاستيك يحوى كل منها لتراً من مياه الشرب، كما يقومون عند كل تقاطعات الشوارع الكبيرة بإلقاء أكياس تحتوى على عصير الفاكهة إلى هذا الحشد الكبير من الحجاج.

[«الطريق إلى مكة» ص٢٥ لمراد هوفمان]

❊ ❊ ❊

بدأت وزارة الحج عام (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) مشروع إنشاء الحاسب الشامل بحيث يكون لكل حاج رقم معين لكي تتمكن الوزارة من متابعة الحاج، وما قدم له من خدمات، ومن قدمها له، وكيف قدمت له، للاطمئنان بأن جميع الخدمات التي أديت كانت على أفضل ما يكون الأداء، واستخدم الجزء المهم والأساسي على هذه الخطوة في موسم حج (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

[«مجلة الحج» العدد العاشر / شوال (١٤٣٢هـ)]

❊ ❊ ❊

خدمة المسجد يقوم بها عدد من الأراد. الخطباء، والأئمة، والمفتون، والعاملون في زمزم، والمؤذنون، وأعداد من العلماء، الذين يلقون محاضرات، ووقادي المصابيح، وجمع كبير من خدم الاعمال اليدوية الصغيرة، كل هؤلاء يعملون في خدمة بيت اللّه، هؤلاء الناس يتقاضون أجوراً بصفة منتظمة من المسجد، فضلًا عن أنصبتهم من الهدايا التي يقدمها الحجاج للمسجد، بغية توزيعها على من يخدمونه، أما التبرعات التي ليست لهذا الغرض فيجرى الاحتفاظ بها لصيانة المسجد. مداخيل المسجد الحرام كبيرة جداً، على الرغم من حرمانه من أفضل مصادر دخله.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٩٩) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

خرافة

ذكر السيد أحمد دحلان في سالنامته الحجازية: ذكر القزويني في «عجائب المخلوقات»: أن من خواص جبل أبي قبيس أن من أكل فيه الرأس المشوي يأمن من وجع الرأس، فصار كثير من الغرباء يحرصون على فعل ذلك، ولا سيما حجاج الجاوا.

وقال العلامة الملا علي القاري في «شرح اللباب»: أن ذلك كلام باطل لا أصل له.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٨)]

❊ ❊ ❊

ففي مرة من المرات، على سبيل المثال، مررت بمجموعة من النساء يحفرن بعناية حفراً غير عميقة في الرمال ليدفن فيها خصلات من شعرهن مما كان يتقطع بالتمشيط.

[«حاج في الجزيرة العربية» ص٣٧ لهاري سانت فيلبي]

❊ ❊ ❊

بالقرب من بوابة المسجد الحرام التي يسمونها باب السلام، يجلس بعض الشيوخ العرب يومياً، ومعهم محبرة وبعض الأوراق، مستعدين لكتابة الخطابات، والتواريخ، والعقود أو أية مستندات أخرى لمن يطلب ذلك، هم أيضاً يعملون في الرقى والتعازيم المكتوبة، مثل تلك التعاويذ والرقى السائدة في بلاد السودان، مثل الأحجبة، وأعمال (تعاويز) الحب، التي يسمونها. كتب محبة القبول. هؤلاء الشيوخ يلجأ إليهم البدو بصفة أساسية، وهم يطلبون تعويضات كبيرة عما يقومون به من أعمال الدجل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (١/ ١٩٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

خشوع

ثم ذهبنا للكعبة المكرمة وقد فُتحت في وجوهنا، فوقفنا مع الحاضرين وسدنتُها بداخلها يطيبونها ويحمدونها، فوقف خطيب بعتبتها، ودعا للسلطان بخير، وإذا برجل تعلق بأستار الكعبة يشهق ويبكي، فأمره بالنزول، ثم سقط مغشياً عليه، فحمل إلى ناحية المسجد، وبقي كأنه في النزع، فتعرفه الناس واستكشفوا خبره، وإذا هو رجل مغربي اسمه: عبد الرحمن من أهل تونس. ثم حمل كذلك مغشياً عليه إلى منزله، ثم غاب عنا خبره.

[«رحلة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني» ص١٩٢ لعبد السلام بن محمد العمراني]

* * *

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبد اللّه سنة (١٤٢٠هـ): هناك نوع من الاجتماع سيعقد في شقتنا حيث سيحدثنا مرشد دين عن الحج. إنه يتكلم اللغة الملاوية جيداً. بكينا جميعاً عندما صلّى (دعا) من أجل أن نؤدي فريضة الحج بصورة جيدة.

[«الطريق إلى السلام» ص٧٥ لأبي بكر أحمد باقادر]

* * *

خطبة

لما فرغ معاوية من شأن الحسن رجع إلى الشام وحج الناس سنة (٤٤هـ) وخطب الناس بمكة على منبر من خشب له ثلاث درجات، وهو أول خليفة خطب على منبر بمكة، واستمر ذلك المنبر إلى زمن الرشيد.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٦٣٨)]

* * *

كان الخطيب، أو الواعظ، يصعد المنبر وهو يلبس عباءة بيضاء اللون، تغطي رأسه وجسمه، ويمسك عصا في يده، وهذا الأمر كانت تجرى مراعاته في مصر

وسوريا، من باب أحياء ذكرى زمن الإسلام الأول، عندما كان الخطباء والوعاظ يتحتم عليهم التسلح تحسباً لأن يداهمهم أحد. وكما هو الحال في المساجد الأخرى يجرى وضع علمين أخضرين على جانبي الخطيب.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٨ لجون لويس بوركهارت]

* * *

ولما صعد الخطيب المنبر صعد معه أحد الأغوات وجلس على الدرجة التي تلى قدميه: وهذا بلا شك عادة قديمة كانت للمحافظة على الخطيب أثناء اشتغاله بإلقاء الخطبة حتى لا تتسرب إليه يد أثيمة، وأظن أنهم استغنوا عن ذلك فيما بعد بعمل أبواب للمنابر خصوصاً وقد صارت الخطبة لغير الأمراء والرؤساء.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٥ لمحمد البتنوني]

* * *

كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة في الحرم وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الاسود والركن اليماني، فإذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولا ثم دعا وصعد المنبر. وبعد الخطبة كان ينقل المنبر إلى مكانه بجوار زمزم فلما أهدى السلطان سليمان إليه منبره الرخامي بقي مكانه واستمرت فيه الخطبة الى اليوم.

* * *

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٠٠ لمحمد البتنوني]

* * *

صلينا الجمعة في المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والتحية، وكان الزحام شديداً، وبعد أن زار الخطيب المقصورة الشريفة واستأذن للخطبة، من الحضرة النبوية، على حسب عادتهم حضر لابساً قاووقا يسمونه كودايان، تحف به الأغاوات من كل جانب، ثم صعد المنبر ومال إلى جهة اليمين أعنى إلى المقام الاشرف الأقدس النبوي، وبعد أن سلم بغاية الأدب، حمد اللّه

وجعل خطبته كلها مبنية على سرد كثير من الاحاديث الشريفة في موضوع الحج والزيارة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٤١ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

وذهبنا في ١١/١١/١٣٤٥هـ إلى الجامع في بريدة لأداء فريضة الجمعة، وفي الساعة ٥:٣٠ دخل الخطيب وهو الشيخ عبد اللَّه بن سليم بكسر السين واللام، وأذن المؤذن وصعد المنبر وابتدأ يلقي الخطبة الأولى من ورقه بيده وكلها تدور عن الحج كأنه يلقي رواية عن خروج الناس من أوطانهم إلى إكمالهم مناسك الحج بعبارات سهلة مقفاة لا لحن فيها وبكى واستبكى. واستغرقت الخطبة الأولى ١٦ دقيقة. أما الخطبة الثانية فقد استغرقت عشر دقائق وهي مكتوبة أيضاً.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٤٦ لسعد بن أحمد الربيعة]

❋ ❋ ❋

لما كان يوم الجمعة السادس والعشرون من شهر رمضان من سنة (١٠٨١هـ) هذه السنة دخل المسجد رجل أعجمي بيده سيف والخطيب يخطب وهو ينادي بالفارسية ما معناه أنه المهدي، وجلس في صحن الطواف إلى أن فرغ الخطيب.

فلما أراد أن ينزل قصده الأعجمي بالسيف، وأراد ضربه به، فرد في وجهه باب المنبر، وكان الخطيب ذلك اليوم القاضي محمد بن موسى الغلبوي الملكي فتلاحقته العامة من العساكر المجاورين فضربوا الأعجمي بالسيوف حتى أثخنوا جراحه، وسحبوه إلى أن أخرجوه من باب السلام، ثم جرته العامة من باب السوق إلى المعلاة، وجمعوا عليه قمامة وأحرقوه فيها، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ٣٠٢)]

❋ ❋ ❋

خفارة

قال الصولي: والحج قد بطل من سنة (٣١٧هـ) إلى هذه السنة (٣٢٧هـ)، فكاتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي الفاطمي من العراق أبا طاهر القرمطي وكان يحبه لشجاعته وكرمه أن يخلي سبيل الحاج على مكس يأخذه، ويعطيه على كل جمل خمسة دنانير، فأجابه إلى ذلك، فخرج من العراق فرقتان إحداهما على طريق الكوفة والأخرى على طريق البصرة، وأخذ أبو طاهر منهم من كل محمل عشرين ديناراً، ومن كل جمل خمسة دنانير، ومن كل راحلة عشرين درهماً، وهي أول سنة مكس الحاج فيها، ولم يعهد ذلك في الإسلام. فنفذ الحاج وليس معهم أحدٌ من أصحاب السلطان إلا رجل علوي من أهل الكوفة وهو أبو علي عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، بكتاب القرمطي إليه وذمامه، وكان أمير القافلة، يسيرون بسيره، وينزلون بنزوله إلى أن عادوا سالمين.

وكان خرج في هذه السنة مع الركب القاضي أبو علي بن أبي هريرة الشافعي، فلما طولب بالخفارة لوى رأس راحلته ورجع، وقال: لم أرجع شحاً على الدراهم ولكن سقط الحج بهذا المكس.

[«البداية والنهاية (١١/ ١٨٩)]

❊ ❊ ❊

وكان خفر المحمل يؤلف ٣٠٠ إلى ٤٠٠ عسكري من المدفعية والمشاة وعليهم ضابط برتبة لواء معه سلطة القتل والسجن.

وكانت حكومة مصر ترسل إلى القلاع التي في الطريق نجارين لترميم السواقي وملء البرك قبل وصول الركب. وترسل الزاد للعساكر والعلف لركائبهم.

[«تاريخ سينا» ص٢٦٣ لنعوم بك شقير]

خيف

مسجد الخيف وهو مسجد مشهور عظيم الفضل.

قال ابن فارس اللغوي: الخيف: ما ارتفع عن الأرض وانحدر من الجبل، ومسجد منى المشهور يسمى: مسجد الخيف لأنه في سفح جبلها.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ٢/ ٥٢]

❊ ❊ ❊

مسجد الخيف: قال أهل اللغة: الخيف ما انحدر عن غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وبه سمي مسجد الخيف، وهو مسجد بمنى عظيم واسع فيه عشرون باباً.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ٣٥٢)]

❊ ❊ ❊

قال سيدي الحسين الورثيلاني في رحلته للحج: نكتة: وهذا المسجد أعني مسجد الخيف يسمي مسجد علي قيل أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من بناه وهو موضع منزل النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في حجة الوداع.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٦٩ لسيدي الحسين الورثيلاني]

❊ ❊ ❊

قال أبو الوليد: اسم الجبل الذي مسجد الخيف بأصله: الصفائح، واسم الجبل الذي في وجاهه علي يسارك إذا أتيت من مكة: القابل وهو من الأثبرة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ١٨٠)]

❊ ❊ ❊

الخيف: بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء ثم الفاء: في الحجاز أكثر من عشرة مواضع بهذا الاسم منها ثلاثة حول مكة، غير أن الوارد في الشعر

العربي هو خيف منى الذي ينسب إليه مسجد الخيف، وهو في سفح جبل منى الجنوبي، وكان هذا الجبل يسمى الصابح، ثم غلب عليه اسم جبل منى.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٩٩]

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً منهم موسى.

[أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٥٢)]

* * *

قال ابن عباس: صلى في مسجد الخيف سبعون نبياً كلهم مخطمون بالليف.

قال مروان: يعني رواحلهم.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٥٦٧)]

* * *

قال مجاهد: حج خمسة وسبعون نبياً كلهم قد طاف بالبيت، وصلى في مسجد منى، فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة في مسجد منى فافعل.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٤/ ٢٦٨)]

* * *

في أواخر سنة (٨٥٤هـ) والتي قبلها في سلطنة الأشرف قايتباي المحمودي بنى مسجد الخيف بناءً عظيماً محكماً، وجعل في وسطه قبة عظيمة هي حد مسجد رسول اللّه ﷺ في خيف منى، وبنيت جدرانه المحيطة به، وبنى أربع بوائك من جهة القبلة فصارت قبة عالية فيها محراب النبي ﷺ، وبلصق القبة مأذنة غير المأذنة التي على عقد باب المسجد، وبنى داراً بلصق الباب كانت مسكن أمراء الحج، وعلى الباب في الدار سبيلًا يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد يمتلأ من المطر، وجعل للمسجد باباً آخر جهة عرفة، وخوخة

صغيرة إلى الجبل الذي في سفحه غار المرسلات.

[«إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام» لعبد الكريم القطبي ص١٠١]

❊ ❊ ❊

يقع هذا المسجد المبارك (مسجد الخيف) في منى، وفقراء الحجاج وخاصة الهنود منهم والبلخيون ينزلون في هذا المسجد، ونادراً ما تجد بينهم بخاريين.

والحجاج يخصصون للجلوس داخل المسجد مكاناً نظيفاً، كما يتركون باتجاه الأبواب طريقاً ومتنفساً، أما بقية الفراغات فيملئونها بالقاذورات جعلوه مكاناً لقضاء الحاجة والتغوط فلا نجد داخل المسجد مكاناً نظيفاً تمر منه.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٣٤]

❊ ❊ ❊

حرف الدال

دخان

في ٢٣ شوال سنة (١٣٤٣هـ) أعلنت الحكومة بلاغاً هذا صورته:

بلاغ عام في عدم شرب الدخان

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

تعلن الحكومة أن أهم ما يجب على الجميع الحرص عليه هو تطهير هذا البيت من جميع ما يدنّسه، وعمل كل ما فيه مصلحة للعباد في أمر دينهم ودنياهم وأبدانهم، وعلى ذلك فجميع المسكرات ممنوع استعمالها منعاً باتاً، ومن ثبت أنه استعملها أقيم عليه الحد الشرعي، وكذلك الدخان فلا شك في تحريمه، لأن فيه نوع مما يسكر، وأنه مضر بالبدن، وتبذير للمال، وعليه فكل من شوهد وهو يشربه فيجازى على الوجه الآتي:

١- يسجن الشارب لأول مرة ثلاثة أيام، وبعد انتهائها يقوم بدفع مجيدي واحد يسلم للسجان عمد خروجه.

٢- إذا شوهد الشارب للمرة الثانية يحبس عشرة أيام، ويلزم بدفع عشر ريالات مجيدية يسلمها للبلدية بمقابل وصل يأخذه منها.

٣- ومن شوهد وهو يشرب الدخان للمرة الثالثة يضاعف له الجزاء واللَّه يتولى الجميع بتوفيقه.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٥/ ١٦٢)]

* * *

دخول الكعبة

كانت الكعبة المشرفة تفتح في الجاهلية يوم الاثنين والخميس - وزاد الشيخ علي عبد القادر الطبري في الأرج المسكي: والجمعة أيضاً فقال: وكانت تفتح الكعبة في الجاهلية في يوم الاثنين والخميس والجمعة انتهى -، وفي صدر الإسلام يوم الجمعة والاثنين، وفي أوقات أخر من أيام السنة ومنها: بكرة الثاني عشر من ربيع الأول، وفي بكرة ثاني عشر من رجب وثالث عشر ذي القعدة، وفي بعض أيام الموسم في الثمان الأول من ذي الحجة وفي لياليها.

قال الشيخ الغازي: وأما في زماننا فتنفتح في أوقت من كل سنة فتوحات عامة لجميع الناس ستة عشر مرة، ثمان للرجال وثمان للنساء أولها: صبح عاشر المحرم للرجال وثانية للنساء، ثانيها: ثاني عشر ربيع الأول للرجال وثانية للنساء، ثالثها: أول جمعة من رجب للرجال والسبت للنساء، رابعها: في سبعة وعشرين منه للرجال وثامن وعشرين للنساء، خامسها: يوم النصف من شعبان والسادس عشر للنساء، سادسها: أول جمعة من رمضان للرجال والسبت للنساء، سابعها: آخر جمعة من رمضان للرجال والسبت للنساء، ثامنها خمسة عشر من ذي القعدة للرجال وستة عشر للنساء، وفتحها جميع ما تقدم محو ثلاث ساعات بكرة النهار ثم تغلق، وقد نفتح مراراً أخر لأجل الدعاء، أو غسل أرضها، أو تلبيس كسوتها، أو ما يقتضيه الحال.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» للشيخ عبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥١٣)]

* * *

يعمل السدنة في المسجد على فتح باب الكعبة كل يوم اثنين وجمعة إلا في رجب فبابها مفتوح يومياً، ويفتح من بداية شروق الشمس، ويوضع منبر له درج للراغبين في دخول الكعبة له تسع درجات مستطيلة منصوبة على قوائم خشبية ذات أربع عجلات ليسهل جره ويوضع بإزاء باب الكعبة فيصعد زعيم

آل شيبي إليها وهو شيخ كبير السن جميل الشكل والملابس، وبيده مفتاح القفل ومعه أحد السدنة في يده ستر أسود يمسح يديه به أمام باب الكعبة، فإذا فتح القفل قبل العتبة، ثم يدخل زعيم آل شيبي وحده، ويقفل الباب خلفه لأداء ركعتين ثم يدخل باقي الشيبيين بعده للصلاة، ويفتح الباب بعدها، ويبادر الناس بالدخول، وفي أثناء فتح باب الكعبة يقف الناس أمام بابها داعين اللَّه ومستغفرين وقائلين: اللَّهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٧٠]

* * *

ويعمل السدنة في المسجد على فتح باب الكعبة كل يوم إثنين وجمعة إلا في رجب فبابها مفتوح يومياً ويفتح من بداية شروق الشمس ويوضع منبر له درج للراغبين في دخول الكعبة له تسع درجات مستطيلة منصوبة على قوائم خشبية ذات أربع عجلات ليسهل جره ويوضع بإزاء باب الكعبة فيصعد زعيم آل الشيبي إليها وهو شيخ كبير السن جميل الشكل والملابس وبيده مفتاح القفل ومعه أحد السدنة في يده ستر أسود يمسح يديه به أمام باب الكعبة فإذا فتح القفل قبل العتبة ثم يدخل زعيم آل الشيبي وحده ويقفل الباب خلفه لأداء ركعتين ثم يدخل باقي الشيبيين بعده للصلاة ويفتح الباب بعدها ويبادر الناس بالدخول وفي أثناء فتح باب الكعبة يقف الناس أمام بابها داعين اللَّه ومستغفرين وقائلين: «اللَّهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين».

[«الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف نواب ص٢٣٠- ٢٣١]

* * *

على بعد خطوات قليلة في الناحية الغربية من زمزم، وفي مقابل باب الكعبة تماماً، يوجد سلم نقال، يجرى تحريكه ونقله على جدار الكعبة، في الأيام التي يجرى فيها فتح الكعبة، والزوار يستخدمون هذا السلم النقال في الصعود

إلى باب الكعبة، هذا السلم مصنوع من الخشب، وفيه بعض الزينات المحفورة فيه، والسلم يتحرك على عجلات منخفضة، وعرضه يسمح بصعود أربعة أشخاص في وقت واحد. أول سلم من هذا النوع جاء من القاهرة في العام ٨١٨ الهجري من قبل مؤيد أبو الناصر، ملك مصر، وسبب ذلك أن الحجاز كان يفتقر إفتقاراً شديداً إلى الحرفيين، إلى حد أن المسجد الحرام عندما كان يحتاج إلى أي عمل من الأعمال، كان لابد من إحضار ميكانيكيين من مصر ومن إسطنبول في بعض الأحيان.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (١/ ١٨٦) لجون لويس بوركهارت]

* * *

درج الكعبة

لا يعرف من الذي وضع سلم باب بيت اللّه لأول مرة. إلا أن الملك المؤيد المصري قد أرسل في سنة ٨١٧ه سلماً مزيناً ومنذ ذلك العهد أخذ يجدد من قبل النواب الهنود.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٨١٨) لأيوب صبري باشا]

* * *

لباب بيت اللّه سُلَّمان، أهدى أحدهما في سنة (١٢٤٠ه) من حاكم مدارس منور خان وأهدى الآخر في سنة ١٢٩٧ه من حاكم رامبور كلب علي خان وقد وضع الجديد منهما فوق عجلتين متحركتين، وقد صنعت بعض أجزائه من الحديد، وقد غطيت كل جهاته من مراقيه وارتفاعها والدرابزين وكل ما يرى في خارجه وكل أماكنه بفضة، وطليت بماء الذهب ستة من الأصص التي وضعت في مواضع ستة من السلم، والخشبة الموضوعة فوق الدرابزينين الجانبيين، والفراغات الموجودة تحت كل درجة، والفراغ الموجود تحت الدرجة الأخيرة للسلم، وأطراف فراغات السلم كافة، وعامة كل السلم كما

يرى في الصورة الخاصة به، وبما أن ذلك السلم المزين زادت زخرفته عن كل حد قرر العلماء بالاتفاق أن يستعمل ذلك السلم في طلوع النساء ونزولهن، وكلما أريد أن يفتح باب الكعبة لزيارة النساء يجلب ذلك السلم أمام باب كعبة اللّٰه، إن سمك الألواح الفضية لذلك السلم قدر مليمتر واحد وعيار فضته من نفس عيار الروبية الهندية.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٨١٨) لأيوب صبري باشا]

❊ ❊ ❊

حك فوق السلم القديم جملة (عبده منور) وإن بدأ بزينة مصنوعة في غاية الجمال وقد صبت من النحاس الأصفر وزخرفت بالذهب وقد صنعت أطرافها من خشب الأبنوس وبمهارة فوق تخمين البشر.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٨١٨) لأيوب صبري باشا]

❊ ❊ ❊

كان الرسول الذي أوصل السلم الذي أهداه كلب على خان طلب أن يهدى إليهم السلم الذي أهداه (منور خان) للتبرك به ولما عرض الأمر على سلطات الخلافة للاستئذان صدر الأمر السلطاني بأن يحفظ السلمان لاستخدامهما بالتناوب وخصص السلم الذي أهداه منور خان لاستخدام الرجال والسلم الذي أهداه كلب على خان لاستخدام النساء كما سبق ذكره أعلاه وعلى هذا عندما يفتح باب الكعبة للرجال يستخدم السلم الذي أهداه منور خان وعندما يفتح باب الكعبة للنساء يستخدم السلم الذي أهداه كلب على خان.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٨١٩) لأيوب صبري باشا]

❊ ❊ ❊

وصف كل من ابن جبير والتجيبي وابن بطوطة درج الكعبة وشبهوه بكرسي كبير يشبه المنبر مصنوع من الخشب له تسع أدراج مستطيلة تسع أربعة أشخاص للصعود عليه في صف واحد، وبه قوائم من خشب بها أربع بكرات

كبار مغلقة بالحديد لتسهيل حركته وجره من مكانه قرب المقام إلى باب الكعبة، حيث تلامس أعلى درجة منه أرض عتبة الكعبة المشرفة.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٧٠] [«مستفاد الرحلة» للتجيبي ص٢٦٢]
[«رحلة ابن بطوطة» لابن بطوطة ص١٣٤]

* * *

دعاء

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: جاء إبراهيم يطالع إسماعيل - عليهما السلام - فوجده غائباً ووجد امرأته الآخرة وهي السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، فوقف فسلم فردت عليه السلام واستنزلته وعرضت عليه الطعام والشراب فقال: ما طعامكم وشرابكم؟ قالت: اللحم والماء قال: هل من حب أو غيره من الطعام؟ قالت: لا قال: بارك اللَّه لكم في اللحم والماء.

قال ابن عباس - رضوان اللَّه عليهما -: يقول رسول اللَّه ﷺ: لو وجد عندها يومئذ حباً لدعا لهم بالبركة فيه فكانت تكون أرضاً ذات زرع.

قال سعيد بن جبير: ولا يخلي أحد على اللحم في غير مكة إلا وجع بطنه وإن أخلى عليهما بمكة لم يجد لذلك أذى.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٣٥)]

* * *

قال الشعبي: لقد رأيت عجباً كنا بفناء الكعبة أنا وعبد اللَّه بن الزبير، وأخوه مصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان، وعبد اللَّه بن عمر فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقم رجل رجل فليأخذ الركن اليماني ويسأل اللَّه حاجته فإنه يعطي من سعته، قم يا عبد اللَّه بن الزبير فإنك أول مولود ولد بعد الهجرة، فقام وأخذ الركن اليماني وقال: اللَّهم إنك عظيم ترجى لكل عظيم أسألكم بحرمة

وجهك وحرمة نبيك محمد ﷺ وحرمة عرشك أن لا تميتني حتى تولّيني الحجاز، ويسلم علي بالخلافة، وجاء وجلس، ثم قالوا: قم يا مصعب بن الزبير، فقام حتى أخذ الركن فقال: اللَّهم إنك رب كل شيء وإليك مصير كل شيء أسألك بقدرتك على كل شيء أن لا تميتني حتى تولّيني على العراق، وتزوجني سكينة ابنة الحسين، وجاء وجلس، ثم قالوا: قم يا عبد الملك بن مروان، فقام فأخذ الركن وقال: اللَّهم رب السموات السبع ورب الأرض ذات النبات بعد القفر أسألك بما سألك به عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني من الدنيا حتى تولّيني شرق الأرض وغربها ولا ينازعني أحد إلا أتيت برأسه، ثم جاء وجلس، ثم قالوا: قم يا عبد اللَّه بن عمر فقام حتى أخذ الركن، ثم قال: اللَّهم إنك رحمن رحيم أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك أن لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة. قال الشعبي: فما ذهبت عيناني من الدنيا حتى رأيت كل واحد منهم وقد أعطي ما سأل، وبشر عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجنة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٤٩)]

❊ ❊ ❊

يروى عن الأوزاعي أنه قال: رأيت رجلًا متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

يا رب إني فقير كما ترى ... وصبيتي قد عروا كما ترى
وناقتي قد عجفت كما ترى ... وبردتي قد بليت كما ترى
فما ترى فيما ترى ... يا من يَرى ولا يُرى

فإذا بصوت من خلفه: يا عاصم يا عاصم الحق عمك قد هلك بالطائف، وخلّف ألف نعجة وثلاثمائة ناقة، وأربعمائة دينار، وأربعة عبيد، وثلاثة

أسياف يمانية، فامض وخذها فليس له وارث غيرك.

قال الأوزاعي: فقلت له: يا عاصم إنك دعوت قريباً فقال: يا هذا أما سمعت قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٥٤)]

❊ ❊ ❊

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: الدعاء مستجاب هناك في خمسة عشر موضعا:

مكان الطواف جميعه، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وداخل الكعبة، وعند زمزم، وخلف المقام، وعلى الصفا، وعلى المروة، وفي المسعى، وفي عرفات، وفي مزدلفة، وفي منى، وعند الجمرات الثلاث.

وزاد غيره: وعند الحجر الأسود، وهو الحطيم وهو الحجر، وعند المستجار، وبين الركن والمقام، وفي موقف النبي ﷺ بعرفات.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ٢/ ٨٥]

❊ ❊ ❊

قال ابن جبير: وأعلمنا صاحب القبة (قبة زمزم التي يُؤذن عليها) المتولي لعرضه علينا أن أهل مكة متى أصابهم قحط أو نالتهم شدة في أسعارهم أخرجوا المصحف المذكور، وفتحوا باب البيت الكريم، ووضعوه في القبة المباركة مع المقام الكريم: مقام الخليل إبراهيم - صلى اللّه على نبينا وعليه - واجتمع الناس كاشفين رؤوسهم داعين متضرعين، وبالمصحف الكريم والمقام العظيم إلى اللّه متوسلين، فلا ينفصلون عن مقامهم ذلك إلا ورحمة اللّه - عز وجل - قد تداركتهم، واللّه لطيف بعباده لا إله سواه.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف ١/ ٥٨]

❊ ❊ ❊

قال ابن جبير: وذكروا أن الإمام أبا حامد الغزالي دعا اللَّه - عز وجل - بدعوات، وهو في حرمه الكريم في رغبات رفعها اللَّه - جل وعلا -، فأُعطي بعضاً ومُنع بعضاً، وكان مما مُنع نزول المطر وقت مقامه بمكة، وكان تمنى أن يغتسل به تحت الميزاب، ويدعوا اللَّه - عز وجل - عند بيته الكريم في الساعة التي أبواب سمائه فيها مفتوحة مُنع ذلك وأُجيب دعاؤه في سائر ما سأله، فله الحمد وله الشكر على ما أنعم علينا.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٦١)]

❋ ❋ ❋

قال ابن جبير في خبر حج أعراب اليمن: والقوم عرب صرحاء فصحاء جفاة أصحاء، لم تغذهم الرقة الحضرية، ولا ذهبتهم السيرة المدنية، ولا سددت مقاصدهم السنن الشرعية، فلا تجد لديهم من أعمال العبادات سوى صدق النية، فهم إذا طافوا بالكعبة المقدسة يتطارحون عليها تطارح البنين على الأم المشفقة، لائذين بجوارها، متعلقين بأستارها، فحيثما علقت أيديهم منها تمزق لشدة اجتذابهم لها وانكبابهم عليها، وفي أثناء ذلك تصدع ألسنتهم بأدعية تتصدع لها القلوب، وتنفجر لها الأعين الجوامد فتَصُوب فترى الناس حولهم باسطي أيديهم، مؤمّنين على أدعيتهم، متلقّين لها من ألسنتهم على أنهم طول مقامهم لا يتمكن معهم طواف، ولا يوجد سبيل إلى استلام الحجر.

وذكر أن عبد اللَّه بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يحترم وقت طوافهم ويتحرى دخول جملتهم تبركاً بأدعيتهم، فشأنهم عجيب كله.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٧٦)]

❋ ❋ ❋

جاءت اليوم امرأة من الزيلع المعروفين بالجهل إلى حيال الحجر الأسود، فسمعت طائفة منهم يدعون بدعاء حسن، ويسألون مطالب لهم، فقالت: اللَّهم إنك تعلم أني لا أحسن أن أدعوا مثل دعائهم، وتعلم أني أسأل منك مثل الذي يسألون، فاعطني مثل ما تعطيهم، ثم انصرفت.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب " للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٨٦)]

* * *

قال طاووس: رأيت علي بن الحسين هو زين العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ساجداً في الحجر، فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب لأسمعن ما يقول وأصغيت إليه، فسمعته يقول: عُبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك، فواللَّه ما دعوت بها في كرب إلا كشف عني.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٨٦)]

* * *

قال عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث: عدا رجل من بني كنانة من هذيل في الجاهلية على ابن عم له، فظلمه واضطهده، فناشد اللَّه والرحم وعظم عليه، فأبى إلا ظلمه، فقال: واللَّه لألحقن بحرم اللَّه تعالى في الشهر الحرام، فلأدعون اللَّه عليك، فقال له ابن عمه مستهزئاً به: هذه ناقتي فلانة فأما أقعد على ظهرها، فاذهب فاجتهد.

قال فأعطاه ناقته، وخرج حتى جاء الحرم في الشهر الحرام.

فقال: اللَّهم إني أدعوك دعاء جاهد مضطر على فلان ابن عمي، لترمينه بداء لا دواء له.

قال عبد المطلب: فحدثت هذا الحديث ابن عباس، فقال: أنا رأيت رجلًا دعا

على ابن عمه بالعمى، فرأيته يقاد أعمى.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٩٦)]

❊ ❊ ❊

قال ابن عباس: سمعت عمر بن الخطاب يسأل رجلًا من بني سليم عن ذهاب بصره، فقال: يا أمير المؤمنين، كنا بني ضبعاء عشرة، وكان لنا ابن عم، وكنا نظلمه، ونضطهده، وكان يذكر لنا اللَّه والرحم أن لا نظلمه، وكنا أهل جاهلية نرتكب كل الأمور، فلما رأى ابن عمنا أن لا نكف عنه، ولا نرد إليه ظلامته، أمهل حتى إذا دخلت الأشهر الحرم، انتهى إلى الحرم، فجعل يرفع يديه إلى اللَّه سبحانه وتعالى، ويقول:

اللَّهم إني أدعوك دعاء جاهداً اقتل بني الضبعاء إلا واحداً
ثم اضرب الرجل فذره قاعداً أعمى إذا ما قيد عني القائدا

فمات أخوة لي تسعة في تسعة أشهر، في كل شهر واحد، وبقيت أنا، فعميت، ورمى اللَّه في رجلي، وكمهت، فلا يلائمني قائد.

قال: فسمعت عمر بن الخطاب يقول: سبحان اللَّه إن هذا لهو العجب.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٩٦)]

❊ ❊ ❊

حج أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي آخر حجاته سنة (١٩٧هـ) فلما كان بجمع وصلى استلقى على فراشه وقال: وافيت هذا الموضع سبعين مرة، وأقول في كل سنة اللَّهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من اللَّه من كثرة ما أسأله ذلك. فرجع فتوفي في السنة الداخلة.

[«العقد الثمين» للفاسي (٤/ ٥٩١)]

❊ ❊ ❊

ومن عجيب الإتفاق: أن أهل مكة كانوا إذ ذاك كثيراً ما يسألون السقي، حتى أن إمام المحراب الشافعي - وهو مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام - كلما قرأ القنوت؛ جهر بعد الرفع من ثانية الصبح؛ افتتح أدعية طلب السقي. فلما فتحت (الشمائل) وتعلق الغرض من البسملة بتخلقه ﷺ بالرحمة الإلهية من وصفي الرحمن الرحيم، وجعلت أسرد الأحاديث الدالة على تخلقه بكمال الرحمة؛ أقبل المطر الغزير، وفتحت السماء أبوابها، وضجت الخلائق فرحاً وسروراً. . .

فرأيت شيخنا يطوف في ذلك المطر الغزير، فكملت الدرس، وقمت وطفت فيه اقتداء به، وشربت من ميزاب الرحمة. . . . والحمد للَّه.

[«رحلة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني» ص١٩٦ لعبد السلام بن محمد العمراني]

* * *

دعوة

ولما شعر الحجاج بوجودي في السفينة كلفوا رفيقي السيد فائق الأنصاري أن يبلغني رغبتهم في تعليمهم مناسك الحج، وإلقاء الدروس الشرعية، فأجبتهم لسؤلهم؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ وخوفا من أن يصدق على هذا العاجز الحديث الشريف «كاتم العلم ملعون»، ثم إنهم هيئوا مكاناً لإلقاء الدروس فيه، وعينوا وقتاً لذلك، فحضرت إلى المكان في الوقت المعين، وشرعت في إلقاء الدروس مستعيناً باللَّه تعالى، عساه أن يطلق لساني؛ إذ بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

[«الرحلة السعودية الحجازية النجدية. . . . » ص٢١ لمحمد سعود العوري]

* * *

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبد اللَّه: لقد عدت إلى بيتي، ولقد وجدت جذوري، جذوري التي هي أبعد من اليوم الذي ولدت فيه وتزوجت وأنجبت

أولاداً. جذوري تعود إلى يوم خُلِقَتْ روح الإنسان. لقد وجدت أخيراً حق الولادة وجذوري: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ صدق اللّه العظيم [البقرة: ١٥٦].

يا إلهي العزيز، الحمد لك على كل شيء! الحمد لك لأنك خلقتني وأتيت بي إلى هنا، أنا سعيدة وقلبي في سلام، أنا في بيتي في العالم. علي أن أشارك هذه الفرحة الجميلة وهذه السعادة مع أسرتي في إيطاليا؛ يجب أن أدعوهم إلى الإسلام.

[«الطريق إلى السلام» ص٣٩ لأبي بكر أحمد باقادر]

* * *

في الباخرة مصليات سبع من غير هذا المصلى الكبير في درجاتها الأخرى وعين سيدنا الشيخ مربيه ربه لكل مصلى منها فقيها يكون إماماً لمن بدرجته من الحجاج، وأمره بتعليمهم مناسك الحج، وإرشادهم لأمر دينهم، والمعينون المذكورين سبعة:

١- الفقيه السيد محمد عبد اللّه بن السيد العربي الزركي الصحراوي المتقدم ذكره.

٢- السيد عبد السلام بن الخضر من أهل القصر الكبير.

٣- السيد العياشي بن حسون من جبالة.

٤- السيد عبد القادر بن عبد السلام الريفي الغماري.

٥- السيد عبدالسلام بن سيد احسين من بني حمد.

٦- الفقيه السيد محمد بن عبدالسلام النويني الودراسي، قاضي قبيلته.

٧- السيد علي بن الحاج شعيب بن عمر القصري.

[«الرحلة المعينية» ص١١٣ لماء العينين بن العتيق]

* * *

وفي كل يوم خميس يقوم كبير أئمة هذا المسجد بالصعود على ذلك الكرسي لكي يقوم بشرح القرآن وتفسيره لأولئك الناس الذين تجمعوا وجلسوا في خشوع

وهم يحيطون به من كل جانب.

[«رحلة في بلاد العرب الحجاز» ص١٩٧لمحمد بن آل زلفة]

* * *

دليل

قال الشيخ علي الطنطاوي: سرنا إلى الجنوب، نخبط في ظلال الليل، لا نتبع جادة مسلوكة، ولا طريقاً واضحاً، يقودنا الحاج نمر، ويااليت اسمه الحاج غراب، فقد أضلنا، كما «قد ضل من كانت الغربان تهديه» حتى بلغنا قرية كبيرة اسمها «أم الجمال» فيها بنيان كثير، وأزقة وطرقات، وفيها برج عال قديم، ولكنها مهجورة منذ قرون.... ليس فيها ديار ولا نافخ نار، وهي موحشة في رأد الضحى فكيف بها في الليلة الظلماء؟ فما كان من صاحبنا الحاج غراب إلا أن دير به، وغثت نفسه، وجعل من الدوار والغثيان يقيء، وفقد رشده، فصبرنا عليه حتى أفاق فسألناه عن أمره فإذا هو لم يركب في عمره سياره قط، ولذلك دار رأسه، فعالجناه حتى برئ، فلما برئ رأى الطريق مختلطاً عليه، فأمرنا بالوقوف في هذه البليدة الموحشة التي لا يسكنها إلا الجن... وذهب في سيارة يكشف لنا الطريق. فانتظرناه الى الفجر فلم يرجع، وكانت ليلة ما أذكر أني رأيت مثلها برداً، ونحن في العراء فأحسست واللّه كأن عظامي ترتجف من البرد، وبلغ منا النعاس وما نطيق أن ننام، وأين وكيف ننام؟ فلما طلع النهار، وتعارفت الوجوه، رأينا الحاج غراب على بعد خمسين متراً منا، وإذا المحترم ينتظر أن نأتي اليه.

[«من نفحات الحرم» لعلي الطنطاوي ص٨٣]

* * *

خرجت يوماً مبكراً في الصباح أتمشى والتنزه ولما تقدمت بناء الجامعة السورية وكلية الحقوق استوقفتني لوحة كان مكتوباً عليها «ثكنة معاوية بن أبي سفيان»

ووقفت استعذب هذه الكلمات التي جددت ذكريات التاريخ الماضي، واستعرض العهد الذي كان فيه سيدنا معاوية بن أبي سفيان هو أمير المسلمين في العالم وأكبر ملك على وجه الأرض، كانت سورية كلها فضلًا عن دمشق ثكنته وقد ذهلت في تأملاتي هذه عن المحيط فرابت وقفتي هذه وتحديقي البصر في ثكنة من الثكات الحارس الواقف على الباب في بدلته العسكرية فتقدم إلى وقال: من أنت؟ قلت: رجل من المسلمين؟ قال: ولماذا تحدق البصر في هذا المركز العسكري؟ قلت: لاشيء إنما استوقفتني هذه اللوحة وشغلني هذا الاسم العظيم ولكنه لم يفهم هذا الذوق التاريخي ولم يصدقني في ما أقول، ولعله ظنني جاسوساً من جواسيس اليهود وكانت ملابسي الهندية مزركشة فقال: أين «هويتك» يعني جواز السفر قلت في البيت قال: لماذا لا تحمله معك أنا أقودك إلى نقطة البوليس قلت يا هذا أنا مسلم وقرأت له بعض الآيات، أثبت ببعض الدلائل إسلامي ولكنه لم يقتنع، وكاد يقودني إلى مركز الشرطة ولكن اللَّه ألهمني أن أقول له أنا حاج وأنا في طريقي إلى مكة، وهذه هي اللغة التي يفهماها هؤلاء الأميون، ففي جميع بلاد المسلمين وخصوصاً في مصر والشام تقدير عظيم وإجلال لهم وهنا استسلم العسكري وخلى سبيلي.

[«مذكرات سائح في الشرق العربي» ص٣٠٧ لأبي الحسن الندوي]

* * *

دورات المياه

قال محمد صادق باشا في حج سنة (١٢٥٨هـ) وأما المراحيض فإنها خارجة في بعض جهات مخصوصة، وللوضوء حنفيات خارج المسجد.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا الطبعة الأولى ص٥٧]

* * *

حرف الراء

رابغ

مدينة رابغ قريبة من شاطئ البحر، ولما كان الطريق من قضيمة إلى رابغ رملياً مستوياً فالسير فيه سهل مريح. والطرق التي من مكة المعظمة إلى المدينة المنورة تتفرع من رابغ، وتتعدد ويطلق على أكثر هذه الطرق زحاماً «الطريق السلطاني».

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٥٦) لأيوب صبري باشا]

* * *

الحجاج المسلمون الذين يتحركون سواء أكان من مكة المكرمة أو من المدينة المنورة إذا وصلوا إلى هذه المدينة (رابغ) فإنهم يقيمون فيها يوماً أو بعض أيام للراحة وليست المدينة ميقاتاً للحجاج الواردين من الاطراف أو غيرهم، فالذين يذهبون من المدينة إلى مكة المكرمة وحجاج وقوافل مصر والشام يحرمون من هذا المكان.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٤٧) لأيوب صبري باشا]

* * *

لما كانت مدينة رابغ ممر محامل قوافل الشام ومصر فالذخائر اللازم إعطاؤها للمحامل تحفظ في داخل المخازن التي في القلعة وهناك مجموعة من العساكر السلطانية وبعض المدافع مع أنفارها.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٤٨) لأيوب صبري باشا]

* * *

تجردت لما أن وصلت لرابغ ... ولبيّت للمولى كما حصل الندا
وقلت: إلهي عندك الفوز بالغنى ... وإني فقير قد أتيت مجردا

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٧٨ تأليف للمُرادى]

وفي رابغ ركب الحجيج تجرداً ليسأل مولاه الأمان من الردا
خضوعاً أذلاء سائلين إلههم يفيض عليهم أبحر الجود والندا

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٧٨ تأليف/ المُرادى، تحقيق محمد زينهم]

❊ ❊ ❊

راحلة

فائدة: الراحلة اسم يقع على الجمل والناقة، وليس المراد بها الناقة النجيبة فقط، والهاء فيها هاء المبالغة، وإنما سميت راحلة لأنها ترحل - بضم التاء - أي يشد عليها الرحل.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٧٧]

❊ ❊ ❊

الإبل التي تنقل القافلة إلى هذه المسافة يتعين استبدالها؛ والسبب في ذلك أن الجمل الأناضولي لا يقوى على تحمل متاعب رحلة من هذا القبيل. يضاف إلى ذلك أن مدن القسم الشرقي من سوريا كلها تقدم إبلها لهذا الغرض؛ ولذلك يتعاقد كبار شيوخ البدو في المناطق الحدودية، مع حكومة دمشق على أعداد كبيرة من هذه الإبل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ٢/ ٨ لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

جرت العادة أن يتعاقد الحجاج على الرحلة مع واحد من المُقَوِّمين؛ والمقوَّم هو واحد من أولئك الذين يتعهدون بتوفير الإبل والمؤن والتموينات المطلوبة للحج. والمقوم الواحد يتولى أمر عدد من الحجاج يتردد بين عشرين حاجاً وثلاثين حاجاً، والمتعهد هو الذي يوفر الخيام ويوفر على الحجاج متاعب الطريق ومشاقه، هذا يعني أن المقوَّم هو الذي يقوم على أمر الخيام، وإعداد القهوة، وتوفير الماء، وإعداد الفطور والغذاء اللازمين للحجاج، وبذلك لا

يشارك الحجاج على أي نحو من الأنحاء في هذه الأمور، وإذا ما نفق جمل من الإبل تعين على المقوَّم الإتيان بغيره، وبغض النظر عن عدم توفر التموينات على الطريق، فإن المقوِّم، هو المسئول عن توفير الوجبات المطلوبة للحجاج.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

في عام (١٨١٤م)، كان أجر المقَّوم، بما في ذلك الطعام بحوالي مائة وخمسين دولاراً من دمشق إلى المدينة المنورة، يضاف إليها خمسن دولاراً للجمَّال الذي يقتاد الجمل أثناء السير في الليل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

يتلقى المقوَّم علاوة على الأجر المحدد، بعض الهدايا من الحجاج. وعند العودة إلى سوريا، يكون المبلغ أقل، نظراً لعودة عدد كبير من الإبل بلا أحمال.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الحجاج الذين يحملون صناديق فوق ظهور الإبل، أو على سرج الإبل الشبيهة بالهودج، قد ينامون في الليل، ويمضون الرحلة بلا مضايقات.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

رحالة

تمكن أفراد طائفة من الإفرنج من دخول الحجاز، بل من زيارة البقاع المقدسة والأماكن المطهرة، ولنهم لم يكتبوا فيها بالمرة، وإن كتبوا فمن باب الاستطراد، ومن هذه الفئة أولاً: الثلاثة النصارى الذين رآهم نيبور في مكة، فقدر روى أن ملحاً إنجليزياً توجه إليها في سنة (١١٧٥هـ) قاصداً أوربا عن طريق القسطنطينية

وأن رجلًا آخر أتي اليمن عن طريق مكة، وركب البحر سراً إلى بلاد الهند، وأن جراحاً فرنسياً ذهب إلى مكة لمعالجة أمير الحج بعد أن أعطاه القوم الأمان على نفسه وعلى دينه، ولكنهم اضطروه في أثناء الطريق إلى الدخول في دين الإسلام.

ثانياً: توماس كيبت وهو عسكري اسكتلندي أسره المصريون في محاربة الانجليز مع محمد علي الأكبر بمدينة الإسكندرية سنة (١٢٣٢هـ) وانتهى أمره أن صار والياً على المدينة المنورة، ثم قتل في محاربة الوهابيين.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٣٩٧)]

* * *

الكابتن جورج فورستر سادلير ذهب إلى المدينة في سنة (١٢٣٥هـ) رسولًا إلى إبراهيم باشا زيه الإفرنكي، ولكنه لم يقترب من أسوار المدينة، أرسلته شركة الهند الشرقية ليهنئ البطل المصري على انتصاراته ويعرض عليه مساعدة المراكب الانجليزية، ثم عاد من ينبع، وهو أول أوربي اجتاز شبه جزيرة العرب من الشرق إلى الغرب.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٣٩٧)]

* * *

برتو لوتش كان قنصلًا لدولة السويد ذكر يشار برتني أنه أول أوربي زار مكة دون أن يرتد عن دينه، ولكنه عندما وصلها تملكه الجزع والهلع، فلم يمتلك من الدرس والبحث.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٣٩٧)]

* * *

في سنة (١٣٠هـ) تمكن الدكتور المورسلي الفرنسي من الحج، وقد كان مقيما في الجزائر، وهو من الأوربيين الذين تمكنوا كل التمكن من زيارة الكعبة

المعظمة، وهو قد أسلم إسلاماً عظيما خالصاً لا يتعوره أدنى ريب.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٣٩٨)]

* * *

السويسري جون سود ويج بركرت في سنة (١٣٢٠هـ) باسم الشيخ حاج إبراهيم.

وذكر الريحاني أيضاً في «تاريخ نجد» (ص: ٧٧-٨١) دخول هؤلاء الثلاثة أي باديا وأرليخ وبركهرت فقال: إن ثلاثة من علماء المستشرقين المستعربين دخلوا مكة بعد أن انضمت مكة لحكم آل سعود أول هؤلاء رجل أسباني اسمه دومنغو باديا إي لبلخ، انتحل اسماً ونسباً وديناً عربياً، وجاء من قادش عن طريق الجزائر إلى الحجاز هو علي بك العباسي الأمخير المكرم، والعالم المحترم رسول بونابرت إلى البلاد العربية. أجل قد جاء حاجاً مستكشفاً فنزل في جدة تحف به الخدم والحشم، وسار إلى مكة المكرمة محرماً مثل من جاؤوها من أهل نجد فدخلها في ٢٣ يناير سنة (١٨٠٧م) وأربع عشرة ذي الحجة سنة (١٢٢١هـ)، وقد شاهد أتابع الإمام محمد بن عبد الوهاب وحج معهم واعتمر، وكان ظاهره قحا عربياً ومسلماً حقاً لا يعيبه كلمة بقوله ولا تخونه فعلة أو إشارة، فما شك أحد في دينه أو في نسبه. وقد اجتمع علي بك بالشريف غالب فقال: أنه في العقد الرابع من العمر، وإنه على جهله ذو حصافة ودهاء. رآه لأول مرة في مجلسه وهو يدخن النارجيلة التي كانت محجوبة خوفاً من الوهابيين فلم ير السائح الأوربي غير النبريج الذي كان يتصل من خرق في الحائط بالنارجيلة، ورآه في الغرفة المجاورة للمجلس. والعباسي هذا كان عالماً يحمل في حقائبه أدواة للرصد والمساحة فاستخدمها في مكة وجوارها دون أن يعترضه أحد من الناس، بل كان محترماً من الجميع، وقد حاز فوق ذلك شرفاً لم يحزه سواه من المستشرقين، ولا يحوزه

إلا الأفراد القلائل من المسلمين ألا وهو شرف كناسة الكعبة، ولكنه على ما يظهر لم يفلح حتى النهاية في تنكره، فعندما قصد إلى المدينة زائراً صده عنها الوهابيون، فعاد إلى ينبع، ومنها إلى مصر فباريس، حيث اجتمع بنابليون وعين في حاشية أخو يوسف بونابرت، وقد عاد علي بك إلى الشرق في سنة (١٨١٨م)، فسافر من دمشق ليرحل رحلة ثانية إلى البلاد العربية، ولكنه وهو لا يزال في أول الطريق أصيب بالديزنتارية فمات في المزاريب.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّٰه الحرام» لعبد اللّٰه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/٣٩٨)]

❋ ❋ ❋

من المستشرقين الذين ساحوا في الحجاز: السويسري المشهور بركهرت المسمى بالحاج عبد اللّٰه صديق محمد علي، جاء الحجاز عندما كان محمد علي باشا هناك فنزل في جدة في ١٥ تموز سنة (١٨١٤م)، وسار منها إلى الطائف، ثم دخل مكة المكرمة في ١٩ رمضان سنة (١٢٣٠هـ)، ٤ أغسطس سنة (١٨١٤م) بعد استئذان صديقه العظيم وهو يومئذ سيد الحرمين، فحج مع من حجوا في ذاك العام، وأقام في مكة ثلاثة أشهر، ثم سافر إلى المدينة فأدى الزيارة في إبريل سنة (١٨١٥م) يوم كان محمد علي باشا هناك، ولكنه مرض في المدينة فعاد إلى القاهرة في ربيع ذاك العام، وتوفي فيها، كان بركهرت في قيافته وفي إسلامه محترماً موقراً، وقد قال يصف نعمة تبحبح بها: وما شعرت في مكان آخر بمثل الطمأنينة التي كنت أشعر بها وأنا في مكة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّٰه الحرام» لعبد اللّٰه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/٣٩٩)]

❋ ❋ ❋

في سنة (١٨٠٩م) تمكن الفرنساوي روش وكان مترجما مقرباً عند الأمير عبد القادر الجزائري من الدخول بصفة زي عربي إلى مكة المكرمة، حيث حظي بلقيا وحفاوة شريفها سيدي محمد بن عون وأعلمه أنه وافد من قبل الأمير ليحصل على

التصديق من علماء العرب على فتوى أفتاها علماء مصر والقيروان ة، وسافر من مكة للطائف، ولدى عودة من مكة حضر جمع من الحج الشريف، ولكن دل عليه بعض الحجاج الجزائريين فكشفوا خبره وفضحوا أمره، وقبضوا عليه وساقوه إلى السجن، والناس حوله تحاول الفتك به، فسلمه شريف مكة كتاب أمان وبعض نقود يستعين بها على سفره، وأشخصه إلى جدة.

[«مجلة المنار» العدد الأول ص ٧٨٣]

❊ ❊ ❊

أفراد الفرنجة الذين قصدوا مكة أو المدينة في أزمنة مختلفة وكتبوا على حسب نزعتهم سياسية، أو دينية، أو عمرانية، أو جغرافية إنما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد أن يعرفوا اللغة العربية، ويدعون أنهم على الدين الإسلامي، ونخص بالذكر منهم: بروكات السويسري، وبورتون الإنجليزي، وهورجرنج الهولندي، وكور تلمون الفرنساوي، وأولهم هو أسبقهم إلى التورط بنفسه في بلاد العرب وبروكارت سويسري الجنس لوزاني المولد، وفد إلى مصر، ودخل الأزهر بعد أن ادعى الإسلامية وسمى نفسه إبراهيم المهدي، وتعلم فيه العربية، ثم سافر إلى بلاد العرب، وأقام بها نحو سبع سنين، وكتب عنها كتابه الذي هو أحسن ما كتبه الفرنجة خصوصاً صفة بلاد العرب وقبائلها. ومات في مصر على زيه الإسلامي.

[«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب ص ٤٧]

❊ ❊ ❊

رفادة

كان عمرو بن لحي الخزاعي هذا أول من أطعم الحاج بمكة سدائف الإبل ولحمها. وكان قوله فيهم دينا متبعاً.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣٤٧)]

وهذا أهل الجاهلية كانوا يكرمون الحجاج ويطعمونهم الطعام ويسقونهم الماء العذب الموضوع فيه التمر والزبيب وهو المسمى عندهم بالسقاية والرفادة، وكانت مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين، قال الغازي في تاريخه: قال السيد التقي الفاسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الإسلام واستمرت إلى أيامنا. قال وهو طعام يصنع بأمر السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج، قال القطب: وأما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك ولا أدري متى انقطع ا.هـ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٩)]

* * *

وفي تاريخ الأزرقي أن عمرو بن لحي أول من أطعم الحاج بمكة سدايف الإبل ولحمانها على الثريد وأنعم في تلك السنة جميع حجاج العرب بثلاثة أثواب من برود اليمن، وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم ديناً متبعً لا يخالف. . .الخ ا.هـ.

والسدايف جمع سديفة وهي الناقة السمينة والسديف شحم السنام قاله المنجد. روى الأزرقي في تاريخه أن قصي بن كلاب قال لقريش: يا معشر قريش إنكم جيران اللّه وأهل الحرم، وإن الحجاج ضيفان اللّه وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالهم يدفعونه إلى قصي فيصنعه طعاماً للحجاج أيام الموسم بمكة ومنى، فجرى من أمره في الجاهلية على قومه وهي الرفادة حتى قام الإسلام وهو في الإسلام إلى يومك هذا وهو الطعام الذي يصنعه السلطان بمكة ومنى للناس حتى ينقضي الحاج. ا.هـ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٩)]

* * *

رقيق

الأرقاء الذين يباعون في الحجاز ينتمون بوجه الحصر إلى قوميتين:

الزنوج السود تماماً من السودان الذين يعتبرونهم في الحجاز أفضل الكادحين، والذين يشترونهم سواء منهم الرجال أم النساء لأجل العمل فقط، ثم الأحباش وهم أقل سواداً ويشترون النساء منهم كمحظيات.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٢]

* * *

يستجلبون الأرقاء من الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، وهناك أغلب الظن نظام متكامل لإيصالهم إلى السوق الرئيسية في مكة.

والأرقاء الحاليون هم بمعظمهم أولاد مخطوفون يشتريهم في محالهم تجار محتكرون يجلبونهم إلى الساحل ثم ينقلونهم بحراً وخفية على سمابك إلى سواحل الجزيرة العربية حيث يشتريهم بسعر يتراوح للواحد منهم بين (٥-١٥) ليرات تركية وهناك وسطاء يتعاطون نقلهم لاحقاً.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٢]

* * *

يشتري الحجاج العبيد لكي يعتقوهم، لكي يعيدوا إليهم الحرية لأن إعتاق العبيد يعتبر بموجب تعاليم الإسلام من أكثر أنواع الإحسان إرضاء الرب، وفي جميع مدن الحجاز وفي جميع القبائل البدوية يوجد عدد كبير من الأرقاء السابقين الذين اعتقهم أسيادهم أو افتداهم الحجاج، وبلدة خيبر الكبيرة الواقعة في جوار المدينة المنورة تتألف حصراً من الأرقاء السابقين، والإعتاق ترافقه وثيقة خطية خاصة ينظمها القاضي المحلي، وإذا كان الرقيق المعتوق

قاصراً فيوضع تحت وصاية شخص ما حتى بلوغه سن الرشد.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٣]

* * *

يشغل سوق النخاسة في مكة حوشاً مفتوحاً غير كبير تطل عليه أبواب غرف يحبسون فيها المباعين لقضاء الليل. وعندما زرت هذا السوق كان هناك زهاء (٨٠) شخصاً معظمهم شابات حبشيات مع اثنين أو ثلاث منهم أطفال رضع، وجميعهن مزينات ومصفوفات فرقاً على دواوين طويلة، وكان هناك مقعدان يجلس عليها كادحون راشدون من الزنوج، لابسون بعناية ومقصوصوا الشعر والباقي كانوا أولاداً من ذكور وإناث يلعبون بمرح وهناء في أماكنهم. أشرف على البيع تاجر عربي نشيط راح بمدح بصوت مدو مزايا بضاعته. اختار بعض الشراة من البدو النساء، وتفحصوا عيونهن وأفواههن، وأجبروهن على خلع ملابسهن.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٤]

* * *

قامت الحكومة التركية بمحاولة لإغلاق سوق النخاسة فصدر قانون أثر ذلك في سنة (١٨٥٥م) فرمان سلطاني خاص، ولكن هذا الفرمان استثار انتفاضة في عموم الحجاز. وفي سنة (١٨٥٨م) قتلوا في جدة جميع الأوربيين الذين كانوا يعتبرونهم عن حق وصواب مسؤولين عن صدور القانون الجديد، كما قتلوا القنصل الفرنسي في جدة، وفي السنة التالية (١٨٥٩م) ألغي الفرمان وبقي امتلاك العبيد قائماً على أسسه السابقة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٤]

* * *

الركن اليماني

رفع الشريف عبد اللَّه بن حسن بن أبي نمي سؤالا إلى العلماء مضمونه: إذا شهد المهندسون بخراب الجدار اليماني هل يهدم أم لا؟

فأجاب الشيخ خالد بجواز ذلك إذا شهد أرباب الخبرة.

ونقل الشيخ علي بن إبراهيم الحلبي عن الشيخ شهاب الدين بن حجر صاحب التحفة ما لفظه: ومن الواضح المبين أن ما وهي وتشقق منها في الحكم المنهدم أو المشرف على الانهدام فيجوز إصلاحه، بل يندب، بل يجب.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ٩٣)]

* * *

سبب تسميته باليماني لأنه على جهة أهل اليمن.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٥٨]

* * *

الركن اليماني وهو ركن الكعبة المشرفة الذي يسبق الحجر الأسود في الطواف وكلاهما على القواعد الأولى للبيت التي رفعها إبراهيم عليه السلام.

[«أخبار مكة» للفاكهي (١/ ١٢٥-١٣٣)]

* * *

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم ما مررت بالركن اليماني إلا وعنده ملك ينادي آمين آمين، فإذا مررتم به فقولوا: اللَّهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٢٧]

* * *

عن عثمان بن المغيرة الثقفي قال: رأيت سعيد بن جبير إذا مر بالركن اليماني تناوله بيده، ثم وضع يده على فيه.

[«أخبار مكة» للفاكهي (١/١١٨)]

* * *

عن هشام بن عروة قال: إن أباه كان لا يدع الركن اليماني أن يستلمه في كل طواف إلا أن يُغلب عليه.

[«أخبار مكة» للفاكهي (١/١٤٠)]

* * *

عن مجاهد قال: ما من إنسان يضع يده على الركن اليماني ويدعوا إلا استجيب له، وإن بين الركن اليماني والركن الأسود سبعون ألف ملك لا يفارقونه هم هناك منذ خلق اللّه البيت.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٥٨]

* * *

رواق

وبمرورك تحت الرواق ذي الأعمدة سوف تمر عليك أعداد كبيرة من المصابيح ذات الزجاج الأسود والمتدلية إلى الأسفل على أربع سلاسل صغيرة مصنوعة من الفولاذ، وكل واحد منها مختوم أو مثبت على عمود. وتتم إضاءتها في كل مساء منذ المغرب وحتى العشاء، وعند حلول شهر رمضان يكون الإجراء هو مضاعفة عددها.

[«رحلة في بلاد العرب الحجاز» ص١٩١ لمحمد بن آل زلفة]

* * *

والكعبة محاطة برواق دائري الشكل يضم أعمدة برونزية تشكل نوعاً من

الشمعدانات، يحتوي كل واحد منها على سبع شموع تتم إضاءتها بصورة منتظمة كل مساء. وإلى الخارج من هذه، وليس ببعيد عن تلك الأعمدة، يوجد كرسي من الرخام الأبيض، وبغرض الصعود إليه يتم استخدام درج مزين، ويتكون من أعمدة صغيرة تم نقشها بعناية فائقة.

[«رحلة في بلاد العرب الحجاز» ص١٩٧ لمحمد بن آل زلفة]

❊ ❊ ❊

الروضة الشريفة

الروضة الشريفة في غرب المقصورة الشريفة: وهي مسافة ما بين القبر الشريف ومنبر الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه لقوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» وهي تبلغ ٢٢ متراً طولًا في نحو ١٥ عرضاً. ويفصل الروضة عن زيادتي عمر وعثمان اللتين جنوبها، دربزين من النحاس الأصفر ارتفاعه نحو متر.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٢٤٠ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

الروضة على الدوام خاصة بالناس لشرف مكانتها. وفيها مما يلي هذا الدربزين ربعات قرآنية كثيرة، وعدد كبير من المصاحف المختلفة الحجم، منها ما هو بحرف الطبع، ومنها ما هو بخط اليد الجميل، وإلى جانبها نسخ كثيرة من دلائل الخيرات، وكل ذلك موقوف عليها للقارئين من الزوار. وفي غرب الروضة الشريفة قبلته ﷺ، وهي آية من آيات اللَّه في كمال بهجتها، وجمال صنعتها، وهي على استقامة المقصورة الشريفة من جهة القِبلة، وضعها عليه الصلاة والسلام يوم الثلاثاء الموافق نصف شعبان من السنة الثانية للَهجرة عندما أمره اللَّه تعالى بالصلاة إلى الكعبة المكرمة. وإلى غرب القبلة المنبر الشريف وهو من الرخام المنقوش بالليقة الذهبية الفاخرة وعلى غاية في الجمال ودقة الصناعة، أرسل هدية من السلطان مراد الثالث العثماني إلى

الحرم سنة ثمان وتسعين وتسعمائة للّهجرة، فوضع في مكان المنبر الذي كان به لقايتباي، وهو نفس المكان الذي كان به منبر رسول اللَّه ﷺ.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٢٤١ لمحمد البتنوني]

* * *

في سنة (٥٥٧هـ) حسّنوا للسلطان نور الدين الشهيد أن يرسل بعض خدم طواشيته إلى المدينة المنورة يكونون سدنة لقبر رسول اللَّه ﷺ وحرمه المحترم فاستحسن ذلك، إلا أنه قال: كيف نعمل شيئاً ما سبقنا إليه أحد من الخليقة قبلنا؟ فلم يزالوا به حتى وافقهم على ذلك، فجعل اثني عشر طواشياً لا غير، وشرطوا أن يكونوا حفاظاً للقرآن ولربع العبادات متقنين لذلك، وأن يكونوا حبوشاً، فإن لم يكونوا فأروما، فإن عدموا فتكارنة، وإن لم يوجد فهنوداً، واستمر الأمر مستقيماً مدة، ثم ما زال فقد شيء بعد شيء حتى صار الآن من الهنود، وصاروا عامّية ليسوا بأهل علم، وكانوا اثني عشر، فعادوا فوق الأربعين، فسبحان اللَّه من يغيّر ولا يتغير، وأنكر علماء المدينة ذلك، وألّفوا في ذلك تآليفاً، ولكن يد الخلافة لا تطاولها يد.

[«إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن» لمحمد الطبري المكي (١/ ١٠٤)]

* * *

الرياض

في الرياض يجتمع كثير من الحجاج القادمين من شرق الجزيرة العربية كمنطقة البحرين والإحساء، حيث يقوم الحجاج أثناء مرورهم بالتوقف في الرياض التي اشتهرت منها محلة كان يمكث فيها هؤلاء الحجاج ويتزودون منها بالمؤن ويبيتون فيها المعروفة بخان جليلة - ويسمى اليوم بخان شليلة -، حيث قامت ابنة أمير الرياض حجر اليمامة جليلة بن الأمير عبد المحسن بن سعيد الدرعي الحنفي بالعناية بها وإيقافها على الحجاج وما يحتاجون إليه منها وقد مدحها شاعر

الرياض جعيثن اليزيدي الحنفي بقوله:

جليلة معروف الحساني إلى حني — عذوق نواميها سواه البواكر
ودافي ذراها في شتاها إلي سرى — من الشرق هبّات الرياح البواكر
فمن لا يؤدي حقها في ربوعها — بضرب الهنادي واحتمال الجراير
يموت على غبن كليل من العمى — وعقب العمى غدا إلى النار صاير

ولم ينقطع مرور الحجاج عن الرياض إلا في العهود القريبة منذ أواخر الستينات الهجرية من القرن الرابع عشر، حيث كان كثير منهم يبيتون في مساجدها ثم يواصلون رحلتهم منطلقين منها.

[«قوافل الحج المارة بالعارض» لراشد بن محمد بن عساكر ص ٣٢]

رؤيا

قال القاسم بن يوسف التجيبي: ومن لطف اللَّه تعالى بنا أنا ألفينا المجاورين بالحرم الشريف ممن قدم عهده فيه، وطال مقامه به يتحدثون على جهة التعجب عن كف يد الشريف أبي نمي عن أخذ أموال الحجاج والمجاورين، ومن ظهرت له نعمة وعافية، وأن الناس قد صاروا يأمنون على دمائهم وأموالهم، وكذلك رأيناهم نحن بها آمنين، ومن كانت لديه دنيا أظهرها ولبس الثياب الحسنة إذا شاء، وتأنق في المطاعم آمناً بعد أن كانوا قبل ذلك لا يلبسون ثوباً حسناً فيما بلغنا ولا يأكلون إداماً إلا يوماً في أيام، خوفاً منه لما يظهرون من التقشف، وسألناهم عن كفه عنهم: ما هو؟ فذكروا لنا أنه رأى رؤيا هالته، مقتضاها أن النبي ﷺ وبخه على أفعاله، ونهاه عن ظلم الحجاج والمجاورين، وأخبره أنه إن لم يرجع عما يفعله من ذلك أنه بريء منه، فخاف من هذه الرؤيا خوفاً شديداً، ورجع عن كثير مما كان يفعل، وحسنت توبته، هذا أو معناه أو قريب منه.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٩٥)]

قال ابن بطوطة: لما وصلنا إلى المدينة كرمها اللَّه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ذكر لي علي بن حجر المذكور أنه رأى تلك الليلة في النوم قائلًا يقول له: اسمع مني واحفظ عني:

هنيئاً لكم يا زائرين ضريحه أمنتم به يوم المعاد من الرجس
وصلتم إلى قبر الحبيب بطيبة فطوبى لمن يُضحي بطيبة ويمسي

وجاور هذا الرجل بعد صحبه بالمدينة، ثم رحل إلى مدينة دلهي قاعدة بلاد الهند في سنة (٧٤٣هـ) فنزل في جواري، وذكرت رؤياه بين يدي ملك الهند، فأمر بإحضاره فحضر بين يديه، وحكى له ذلك، فأعجبه واستحسنه، وقال له كلاماً جميلًا بالفارسية، وأمر بإنزاله، وأعطاه ثلاثمائة تنكة من ذهب، ووزن التنكة من دنانير المغرب ديناران ونصف الدينار، وأعطاه فرساً محلى بالسرج واللجام، وخلعه، وعين له مرتباً في كل يوم.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٣١)]

* * *

حرف الزاي

زاد

البدو الذين يحملون التموين لا يتحركون إلا أثناء النهار فقط، وفي مقدمة القافلة التي يتجاوزون مخيمها في الصباح، ثم تجري بعد ذلك هؤلاء البدو، ثم تتجاوز القافلة في الليلة التالية وهم في مكان راحتهم، والرحلة مع بدو المؤن والتموينات أسهل من السير مع القافلة الرئيسية نظراً لأن بدو التموينات يحظون براحة ليلية منتظمة، لكن طابع هؤلاء البدو السيئ هو الذي يمنع الحجاج من اصطحابهم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

الحجاج في الوقت الراهن لا يسمح لهم إلا بما يكفي استهلاكهم فقط خلال فترة الحج، يزاد على ذلك أن مسألة حمل الحجاج لمؤنهم وتمويناتهم معهم وبخاصة الزبد، والدقيق، والبسكويت، والسمك المملح الذي يشترونه بأسعار رخيصة من مصر طوال هذه المدة هي التي جعلت الحجاج يفضلون رحلة البحر على رحلة البر، وبسبب ذلك أن من يسافرون بطريق البر يضطرون إلى شراء تمويناتهم من مكة حيث الأسعار العالية جدا.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

زحام

قال سيدي الحسين الورثيلاني في رحلته للحج: وأتينا مكة فطفنا ووطيء إنسان على بنصر رجلي اليسرى، ولا أظنها إلا انكسرت وأتممت الطواف وأنا

أحجل ولم أقبل الحجر مباشرة في أكثر الأشواط:

هل أنت إلا إصبع دَمِيتِ وفي سبيل اللّه ما لقيت

وخرجت إلى السعي وسعيت من الصفا إلى المروة ومن المروة إلى الصفا على رجلي وتعبت جدا فعجزت عن إتمامه راجلا فأتيت بدابة فركبت وأتممته راكبا.

[«نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٧٠ لسيدي الحسين الورثيلاني]

❊ ❊ ❊

قال أيوب صبري باشا: وقد وصلت - أنا الفقير جامع هذه الحروف - أيوب صبري باشا إلى مكة المشرفة في منتصف شعبان الشريف سنة ١٢٨٩، وعندما رأيت ازدحام الحرم الشريف تصورت أنه لن يكون هناك مكان لإقامة الصلاة لمن سيأتي بعد ذلك من الحجاج. حيث بلغ الزحام في هذه البلدة المكرمة مبلغاً عظيماً، حتى إنه إذا ألقيت إبرة في الأسواق والأماكن التجارية لن تسقط على الأرض من شدة الزحام. ولم يعد هناك مكان واحد خاليا داخل المسجد الحرام ليجلس فيه إنسان، وبعد مرور فترة قصيرة تبينت أن ضيق مساحة البلدة لا يمكن أن يمنع الحجاج من الطواف والزيارة فصححت أفكاري.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص٩٤ لأيوب صبري باشا]

❊ ❊ ❊

زمزم

زمزم: بفتح الزاي وسكون الميم وتكرارهما، وشهرته تغني عن ذلك: هي البئر المباركة المشهورة في المسجد الحرام. قيل: سميت زمزم لكثرة مائها، وقيل إن هاجر قالت عندما انفجر ماء زمزم: زم زم، بصيغة الأمر أي نم وزد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو تركت لساحت على وجه الأرض حتى تملأ كل شيء.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ١٢٣]

ذكر المؤرخون أسماء عديدة لبئر زمزم وهي حسب ما يلي تبيانه: هزمة جبريل، سقيا اللّه إسماعيل، بركة، سيدة، نافعة، مضنونة، صافية، برّة، عافية، مغذية، طاهرة، حرمية، مؤنسة، طعام طعم، شفاء سقم، سابقة، ظبية (سميت بهذا الاسم تشبيهاً لها بالظبية وهي الخريطة)، تكتم، شباعة، ايصال، شراب الأبرار، قرية النمل، هزمة إسماعيل، حفيرة العباس، نقرة الغراب.

وشرح الأزرقي اسمها هذا: نقرة الغراب: بأن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه إلى ذلك وقيل له: عند نقرة الغراب الأعصم، جاء إلى المسجد باحثاً عن موضع الحفر بما رأى في نومه من العلامات، فبينما هو على ذلك إذ نحرت بقرة عند الحزورة فانفلتت من الذابح تجري حتى غلبها الموت في موضع زمزم فجزرت في ذلك الموضع، فأقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية النمل، فقام عبد المطلب فحفر هناك. ومعنى الغراب الأعصك لغة: الغراب الذي في جناحه ريشة بيضاء.

[«التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام» لعبد القدوس الأنصاري ص ٩٤]

* * *

سبب تسميتها بزمزم: ففيه أربعة أقوال:

الأول: لكثرة مائها لأن الزمزمة عند العرب: الكثرة والاجتماع.

الثاني: لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يميناً وشمالاً.

الثالث: وقيل سميت بزمزم لزمزمة الماء وهو صوته.

الرابع: لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت عليها.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٣٥١)]

* * *

ذكر العلماء - رحمهم اللّه تعالى - أن لماء زمزم وبئره خواصاً:

منها: أنها تبرد الحمى لحديث ابن عباس أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بماء زمزم». رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وابن حبان.

ومنها: أنها تذهب الصداع.

ومنها: أن جميع المياه العذبة التي في الأرض ترفع وتغور قبل يوم القيامة إلا ماء زمزم. قالها الضحاك.

ومنها: تفضل مياه الأرض طباً وشرعاً، كما ذكر عن الإمام بدر الدين ابن الصاحب المصري أنه قال: وازنت ماء زمزم بماء عين مكة، فوجدت زمزم أثقل من العين نحو الربع، ثم اعتبرته بميزان الطب، فوجدته يفضل مياه الأرض كلها.

ومنها: أنه يحلو ليلة النصف من شعبان ويطيب، ويقال: إن عين سلوان تتصل بزمزم تلك الليلة.

ومنها: أنه يكثر ليلة النصف من شعبان كل عام، بحيث يفيض الماء عن البئر على ما نقل، لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون. وممن شاهده بذلك الشيخ الصالح أبو الحسن علي المعروف بكرباج، وكان ذلك في عام (٧٠٦هـ).

[«الجامع اللطيف» لابن ظهيرة ص ٢٦٩]

* * *

العيون أو المنابع التي تغذي بئر زمزم فهي ثلاث عيون هي كالآتي:

١- عين أو (منبع) قادمة من الركن المواجه لحجر إسماعيل عليه السلام، ويتدفق منها الجزء الأكبر من مياه زمزم المباركة.

٢- عين أو(منبع) قادمة من جهة أجياد وجبل أبي قبيس أو الصفا.

٣- عين أو (منبع) قادمة من جهة المروة.

وهذه العيون أو المنابع أو الفتحات لا توجد في مستوى واحد بل في مستويات

عدة في عمق البئر.

[«زمزم طعام طعم وشفاء سقم» يحيي حمزة كوشك ص٦٠]

❊ ❊ ❊

فائدة: أخرج الأزرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن في بئر زمزم ثلاث عيون عين حذاء الركن الأسود، وعين حذاء أبي قبيس والصفا، وعين حذاء المروة.

ونقل الفاكهي عن العباس بن عبد المطلب عن كعب الأحبار أن العين التي تجري من جهة الحجر الأسود هي أغزر العيون الثلاثة.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص١٧١]

❊ ❊ ❊

قال الأزرقي: كان لزمزم حوضان: حوض بينها وبين الركن يشرب منه الماء، وحوض من ورائها للوضوء له سرب يذهب فيه الماء.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٥٩)]

❊ ❊ ❊

ماء زمزم ثقيل المذاق، ويشبه الحليب في لونه في بعض الأحيان، لكنه عذب فرات تماماً، ويختلف اختلافاً تاماً عن مياه الآبار المالحة التي تنتشر في سائر أنحاء المدينة، ماء زمزم عندما يسحب إلى أعلى للمرة الأولى، يكون فاتراً وهو في ذلك يشبه مياه كثير من العيون التي في الحجاز.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٤ لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

تقع قبة الشراب المنسوبة للعباس خلف قبة زمزم، أما قبة اليهودية فتقع وراء قبة العباس بانحراف قليل، وهاتان القبتان هما مخزنان لما أوقف على المسجد الحرام من مصاحف وكتب وشموع.

وسبب تسمية قبة العباس بالشراب لأنها كانت مكان سقاية الحجاج حيث يبرد

فيها ماء زمزم.

وقد بنيت داخل القبة سقاية سعتها شبر، وعمقها نحو شبرين، وارتفاعنا عن الأرض خمسة أشبار تملأ ماء للوضوء، وحفت بها مصطبة يقف الناس عليها للوضوء.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٦٥]

❊ ❊ ❊

يذكر الأزرقي أن حجرة زمزم في المسجد ويقول: إن لها حوضاً يدور في وسط جدرها الأربعة وله (٦٦) طاقاً «فتحة» يؤخذ منها الماء وفي مؤخرة الحجرة كنيسة «المخلاة» مما يلي الوادي يكون فيها القيم، ويقال إنها مجلس عبد اللّه بن العباس، وفي حد الحجرة زمزم مما يلي الكعبة اسطوانة ساج يعلق فيها مصباح لأهل الطواف.

[«تاريخ مكة» للأزرقي ٢/ ٨٠]

❊ ❊ ❊

تقع بئر زمزم شرقي الكعبة المشرفة، على حدود المطاف، عليها بناء مربع، فوقه غرفة، عليها قبة هي غرفة رئيس مؤذني المسجد الحرام، يصعد إليها على درجات.

أما البئر فالدخول إليها من باب شرقي، وحولها قضبان تمنع الناس من النزول إليها.

[«قرة العين في الرحلة إلى الحرمين الشريفين» ص١٥٥ للحضرمي بن الشيخ أبي بكر]

❊ ❊ ❊

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. قيل: ما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٨٤]

وماء زمزم تشبه حالته العامة المياه المعدنية الجيدة التي تستخدم للشفاء من بعض الأمراض، وقد بلغ فيها الزحام أشده، ولم أتمكن من الدنو من الماء إلا بابتياع صفيحة آنات فشربت كثيراً، وشرب من معي وغسلنا رؤوسنا ووجوهنا.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٦٨ لسعد بن أحمد الربيعة]

* * *

وهذا الماء المبارك في أمره عجب، وذلك أنك تشربه عند خروجه من قرارته، فتجده في حاسة الذوق كاللبن عند خروجه من الضرع دفيئاً، وتلك فيه من اللَّه تعالى آية وعناية، وبركته أشهر من أن تحتاج لوصف واصف، وهو شُرب له كما قال ﷺ أروى اللَّه منه كل ظامئ إليه بعزته وكرمه.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف ١/ ٦٧]

* * *

ومن الأمور المجربة في هذا الماء المبارك أن الإنسان ربما وجد مس الإعياء وفتور الأعضاء، إما من كثرة الطواف، أو من عمرة يعتمرها على قدميه، أو من غير ذلك من الأسباب المؤدية إلى تعب البدن، فيصب من ذلك الماء على بدنه فيجد الراحة والنشاط لحينه، ويذهب عنه ما كان أصابه.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٦٧)]

* * *

عن تعظيم ملوك الفرس للبيت وحجهم إليه ذكر المسعودي في «مروج الذهب» أن ساسان جد أردشير طاف بالبيت وزمزم على بئر إسماعيل، وقيل سميت زمزم بزمزمته عليها هو وغيره من الفرس. يقول الشاعر:

زمزمت الفرس على زمزم   وذاك من سالفها الأقدم

وقال بعضهم بعد الإسلام:

ومازلنا نحج البيت قدما   ونلقى بالأباطح آمنينا
وساسان بن بابك سارحتي   أتى البيت العتيق يطوف دينا
نطاف به وزمزم عند بئر   لإسماعيل تروي الشاربينا

وكانت الفرس تهدي إلى الكعبة الأموال والجواهر، فأهدى ساسان غزالين من ذهب وجواهر وسيوفاً ألقاها في زمزم.

[«مروج الذهب» للمسعودي (١/ ٢٤٢)]

* * *

قال الأزرقي: إن عبد المطلب لما حفر بئر زمزم وجد فيها غزالتين من ذهب، وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم حين خرجت من مكة، ووجد فيه أسيافاً قلعية، وأدراعاً وسلاحاً، فضرب عبد المطلب الأسياف على باب الكعبة وضرب فوقه أحد الغزالين من الذهب، فكان ذلك أول ذهب حليت به الكعبة، وجعل الغزال الآخر في بطن الكعبة في الجب الذي كان فيها يجعل فيه ما يهدى إلى الكعبة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي ٢/ ٤٦]

* * *

قال السهيلي: وحكمة فجرها أي (جبريل عليه السلام) بعقبه دون يده أو غيرها الإشارة إلى أنها لعقبه ووارثه وهو محمد ﷺ وأمته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أي أمة محمد ﷺ. قال النووي: معناه أن من شربه لحاجة نالها، وقد جربه العلماء والصالحون، لحاجات أخروية ودنيوية فنالوها بحمد اللَّه وفضله.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٤٨)]

* * *

فائدة: أول من عمل الرخام على زمزم وعلى الشبابيك وفرش أرضها بالرخام: أمير المؤمنين أبو جعفر في خلافته.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/٦٠٣)]

❋ ❋ ❋

الخليفة أبو جعفر المنصور أمر في سنة (١٣٨هـ) ببناء قبة على بئر زمزم، وأنه زاد من عدد البرك في داخل الحرم من أجل سقاية الحجاج بدلا من ازدحامهم على حوض واحد.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/١٠٧)]

❋ ❋ ❋

في سنة (٢٢٠هـ) غير عمر بن فرج الرخجي الرخام الذي على زمزم، وأرضها وعلى الشباك، وعمل فيه ضفيرة على موضع البئر، وكانت مكشوفة، وعلى موضع جلس ابن عباس في ركنها الذي يلي الصفا على يسارك، وسقّف زمزم كلها بالسياج المذهب من داخلها، ومن ظهرها الفسيفساء، وأشرع له جناحاً صغيراً يدور بتربيعها، وجعل في الجناح سلاسل فيها قناديل تستصبح بها في الموسم وغير ذلك، من عمارة سقاية العباس بن عبد المطلب بقناة من رصاص يصل إلى الحوض الداخل في السقاية يصب منه إلى الحوض الداخل في القناة أيام التشريق وأيام الحج وبين الحوضين ستة أذرع.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٠٢]

❋ ❋ ❋

في سنة (٢٢٤هـ) قل ماء زمزم فحفر فيها محمد بن الضحاك تسعة أذرع فزاد ماؤها، وأول من فرش أرضها بالرخام المنصور، ثاني الخلفاء من بني العباس.

[«تحصيل المرام» للصباغ (٢/٨١٦)]

❋ ❋ ❋

قال العلامة ابن فهد: سقاية العباس كانت بين الركن والمقام وزمزم، بالقرب من مجلس سيدنا عبد اللّه بن العباس رضي الله عنهما فأخرها عبد اللّه بن الزبير إلى موضعها الآن، وكانت قبتها من خشب، ثم عمرت بالحجر في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن المتوكل العباسي في عام (٢٥٩هـ).

[«تحصيل المرام» للصباغ (١/ ٣٠٥)]

* * *

قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي: سقاية العباس كانت حياضاً بالمسجد الحرام والآن تسقى في بركة، وأصلها بيد قصي، ثم لابنه عبد مناف، ثم لابنه هاشم، ثم لابنه عبد المطلب، ثم لابنه العباس، ثم لابنه عبد اللّه بن العباس، ثم لابنه علي وهكذا، ثم صارت لغيرهم.

[«تحصيل المرام» للصباغ (١/ ٣٠٩)]

* * *

كان ذرع زمزم من أعلاها إلى أسفلها ستون ذراعاً، ثم قل ماؤها حتى كادت تجم، فضرب فيها تسع أذرع سحاً في الأرض في تقوير جوانبها فغورها من رأسها إلى الجبل أربعون ذراعاً ذلك كله بنيان، وما بقي فهو جبل منقور وهو تسع وعشرون ذراعاً، وسعة فم زمزم ثلاثة اذرع وثلثا الذراع، وأول من عمل الرخام على زمزم وعلى الشباك وفرش أرضها بالرخام أمير المؤمنين أبو جعفر في خلافته ثم عملها المهدي في خلافته، ثم غيرت في خلافة أمير المؤمنين المعتصم باللّه سنة (٢٢٠هـ)، وكانت مكشوفة قبل ذلك إلا قبة صغيرة على موضع البئر.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٦١)]

* * *

في سنة (٢٥٦هـ) في خلافة المهتدي باللّه أمر بتجديد البرك في داخل الحرم

وبناء باب من الحديد على بئر زمزم يغلق ليلًا بعد العشاء، ويفتح بعد صلاة الفجر.

[«العقد الثمين» للفاسي (١/ ١٧٣)]

* * *

في سنة (٢٧٩هـ) أصاب مكة أمطار كثيرة وسال الوادي أسيالًا عظاماً فكثر ماء زمزم، وارتفع حتى قارب رأسها، فلم يكن بينه وبين سقفها العليا إلا سبع أذرع أو نحوها، وعذبت جدا حتى كأن ماءها من مياه مكة التي يشربها أهلها، ولم يعلم ذلك قبل ذلك، وكذلك كان في السنة التي بعدها، وكانت فجاج مكة وشعابها في هاتين السنتين تتفجر ماء.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣١٤]

* * *

في عام (١٨٠٣هـ) أمر السلطان محمد الرابع بإصلاح وترميم جدران بئر زمزم، وكتب بخط يده على حزام الباب الصغير المفضي إليها سلطان البرين وخاقان البحرين قد بنى الزمزم محمد خان سنة (١٨٠٣هـ).

[«شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني» للدكتور محمد هريدي ص٥١]

* * *

عندما رأى الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ شدة الزحام حول ماء زمزم وصعوبة الدخول إليها خاصة في موسم حج عام (١٣٤٤هـ) فإنه أمر بتجديد عمارة السبيل القديم الموجود خارج مبنى بئر زمزم، وكتب عليه: جدد هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود عام (١٣٤٥هـ).

وفي عام (١٣٤٦هـ) أمر الملك عبد العزيز ببناء سبيل جديد للشاربين من ماء زمزم في المبنى المخصص لبئر زمزم، داخل الحرم المكي الشريف والمسمى بمبنى قبة زمزم، وجاء هذا المبنى مطابقاً لمبنى السبيل السابق، وبني بحجر

الرخام الجيد، وكتب عليه: أنشأ هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة (١٣٤٦هـ) ويقع في الجهة الشرقية للمبنى.

وفي عام (١٣٤٦هـ) أمر رَحِمَهُ اللَّهُ ببناء سبيل ثالث للشرب من بئر زمزم بعدما رأى شدة الازدحام على السبيلين السابقين، وكتب عليه: أنشأ هذا السبيل الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سنة (١٣٤٦هـ)، ويقع بجوار حجرة الأغوات من الجهة الجنوبية بجانب السبيل القديم الذي جدده الملك عبد العزيز.

[«تاريخ عمارة المسجد الحرام» با سلامة ص١٨٣]

* * *

شهدت زمزم في العهد السعودي تطوراً كبيراً حيث أنشأت محطة خارجية لتوزيع مياه زمزم بحي كدي بمكة المكرمة موقف كدي لحجز السيارات، كما أنشأت محطة تبريد بحي أجياد بجوار المسجد الحرام، وكذلك محطة توزيع في الغزة بجوار بيت النبي ﷺ (مكتبة مكة المكرمة حالياً).

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٢٥٥]

* * *

دشن وزير المياه والكهرباء رئيس مجلس مجلس إدارة شركة المياه الوطنية المهندس عبد اللَّه بن عبد الرحمن الحصين في الرابع والعشرين من شهر رجب (١٤٣٢هـ) الموافق ٢٧/٦/٢٠١١) برنامج التشغيل الآلي لنقاط التوزيع لعبوات ماء زمزم الخاصة بمشروع الملك عبد اللَّه بن عبد العزيز لسقيا زمزم في مقر مصنع المشروع في منطقة كدي بمكة المكرمة الذي افتتحه خادم الحرمين الشريفين في شهر رمضان المبارك الماضي بتكلفة (٧٠٠) مليون ريال على نفقته الخاصة لتوزيع الماء المبارك على المواطنين والمقيمين وقاصدي بيت اللَّه الحرام.

[«مجلة الحج» العدد التاسع رمضان سنة (١٤٣٢هـ)]

خدمات سقيا الماء:

١- في عهد العباسيين يتم ضخ الماء من البئر ووضعه في أحواض، وذلك من خلال صاج مربع ركب على البئر وبه اثنتي عشرة بكرة ليستقي عليها.
٢- تطورت الطريقة وأصبح الماء يوضع في خزانات مكشوفة ذات صنابير تصب في أواني الشرب إلى جانب توزيع الزمامة للمياه في أروقة المسجد.
٣- في بداية عام (١٣٨٣هـ) تم استخدام مضخات غاطسة في توزيع مياه زمزم.
٤- كانت بداية توزيع المياه بالشكل الحالي مع مشروع توسعة الملك عبد العزيز للمسجد الحرام حيث ضخت المياه من البئر إلى خزان في سطح الحرم جهة باب السلام.
٥- تم توزيع المياه من خزان عبر أنبوب قطره (٣) بوصة تغذي (١٥٥) صنبوراً في غرفة الزمامة و(٣٣) صنبوراً في منطقة زمزم الرئيسية.
٦- في عام (١٣٩٩هـ) تم وضع تصميمات لتجديد منطقة بدروم زمزم ضمن أعمال توسعة المطاف وتصريف المياه في الحرم.
٧- تم وضع نظام توزيع المياه عن طريق مجمعات للمياه في أماكن متفرقة بأروقة الحرم، وتتصل هذه المجمعات ببرادات كهربائية.
٨- توجد ثلاجات حافظة للبرودة سعة (٤٠) لتراً في أماكن على دائر المطاف ودائر المبنى القديم للمسجد، وفي أماكن متفرقة بأدوار التوسعة.

[«قدسيه الحرمين الشريفين والتضامن الإسلامي» لعبد المنعم النمر ص٣٦-٣٨]

❊ ❊ ❊

حرص خدم الحرم الشريف على تقديم ماء زمزم مبرداً في أزان فخارية تسمى الدوارق لكل دورق مقبض واحد.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٦٦]

❊ ❊ ❊

قال الأزرقي في بئر زمزم: قد كان قل ماؤها جداً حتى كادت أن تجم في سنة (٢٢٣هـ) و(٢٢٤هـ)، فضرب في جبها تسعة أذرع سَحّاً في الأرض في تقوير جوانبها، ثم جاء اللَّه بالأمطار والسيول في سنة (٢٢٥هـ) فكثر ماؤها، وقد كان سالم بن الجراح قد ضرب فيها في خلافة هارون الرشيد أذرعاً، وضرب فيها في خلافة المهدي، وكان عمر بن هامان قد ضرب فيها، وكان ماؤها قد قل حتى كان رجل يقال له: محمد بن مشير من أهل الطائف يعمل فيها فقال: أنا صليت في قعرها.

[«تاريخ مكة» للازرقي (٢/ ٦١)]

* * *

في سنة (١٠٦٨هـ) قل ماء زمزم في شهر ذي القعدة الحرام، ثم في شهر ذي الحجة إقلالًا زائداً، ولم يكن يطلع منها سوى الطين في الدلو، ثم نزلوا وحفروا فيها المرة بعد المرة، وتكرر ذلك المرات الكثيرة، وصارت في الموسم تغلق ليلًا لأجل أن تجم بشيء في النهار لأجل الحجاج، ويكاد يقل في النهار، ثم ينزلونها ويزيلوا ما فيها من الطين وغيره، وتغلق من الصبح إلى الظهر، ومن العصر إلى العشاء، ومنه إلى شروق الشمس، ومع هذه فلا تجم إلا بالقليل، وما رجعت لعادتها الأولى إلا بعد مضي المحرم، ولم يعهد ولم يعرف وقوع هذا الحال قط فيها، بل كان يكثر الماء فيها خصوصاً في زمن الموسم ويزيد جداً مع كثرة الجبذ عليها والنزح منها، ولم يكن بها إقلالًا أبداً إلا في هذه السنة. ذكره الفاضل العلامة خليفة بن أبي الفرج بن محمد الزمزمي الشافعي البيضاوي في كتابه «نشر الأنفاس في فضائل زمزم وسقاية العباس»

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٦٠٣)]

* * *

قال العصامي: وفي اليوم الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة (١٠٧٩هـ) بعد

طلوع الشمس وبساعتين وقع أمر مهيل وهو أنه ظهر في عين الشمس ضوء هائل كالنجم، ثم استطال وامتد إلى جهة الغرب، وحصل لمن رآه حال بدئه غشاوة على بصره، وارتعدت فرائصه، وانزعجت منه القلوب، وهو مشتمل على زرقة وصفرة وحمرة، ثم إنه ذهب طرفاه وبقي الوسط، واتسع في العرض، وخرج منه صوت كالرعد، ولم يكن في السماء غيم ولا سحاب، وظن بعض الناس أنه صوت مدفع، واستمر ساعة، ثم اضمحل الباقي من ذلك الشعاع إلى السحاب، ثم إن الناس كثر كلامهم في ذلك، وقالوا لابد أن لهذا شيء عظيم.

وفي هذا اليوم بعينه بنى العلامة مولانا محمد بن سليمان المغربي في صحن المسجد الحرام بعض أحجار ليضع فوقها حجراً كبيراً مكتوب فيه شاخصان من حديد يستفاد منه بالظل ما مضى وما بقي من النهار بالتماس جماعة من المسلمين، وليكون نفعه عاماً، فعند ذلك قال جماعة من الجهلة والمغترين: إن هذه الحادثة التي وقعت في السماء بسبب هذه الحادثة التي كانت في الأرض، لأنهما كانتا في يوم واحد وفي ساعة واحدة.

وقال بعضهم: إن هذه صومعة النصارى، وكثر منهم القيل والقال، فرفع الأمر إلى مولانا الشريف سعد، فأمر بوضعها رغم أناف المعتدين، وذلك قبل وضع الحجر الذي فيه الكتابة، فجاء إليه المعلم ليضعه فوق سطح ذلك البناء، فجاء رسول من حاكم الشرع الشريف ومنعه، وقال: لا يجوز وضعه إلا باتفاق علماء الإسلام، وهذا القول من الحاكم الشرعي إنما هو بوسوسة بعض الحساد، ونظير هذا الحجر موجود في مسجد النبي ﷺ وفي غيره من المساجد، ثم إنهم كتبوا له مكتوباً وفي كلام لا يليق بالمقام، فعتب الشيخ من ذلك وطلب من الحاكم الشرعي أن تجمع بينه وبين خصمه فلم يفعل، وجاء إلى بيت الشيخ واعتذر، وأمر بوضع الحجر، فوضع في اليوم الثاني واستمر.

[«تاريخ في حوادث مكة» للعصامي (٤/ ٥٠٩)]

فائدة:

في «ربيع الأبرار» للزمخشري: زمزم هزمة جبريل أنبطها مرتين، مرة لآدم فلم تزل كذلك حتى انقطعت زمن الطوفان، ومرة لإسماعيل.

قال السنجاري: وهذه فائدة لم أرها لغيره.

[«منائح الكرم» للسنجاري (١/ ٢٨١)]

* * *

في رسالة الشيخ أحمد بن آق شمس الدين الحنفي في فضائل زمزم: ومن الفضائل التي يفعلها سيدي الوالد المدرس: أنه إذا دخل على مريض يعوده يقول له: خذ مصحفاً شريفاً فاجعله في كفة ميزان، ثم اجعل في كفته أخرى من ماء زمزم ما يعادله في الوزن فاغتسل به بنية الشفاء، فإنك تشفى بإذن اللَّه تعالى، فما رأيته فعل ذلك بمريض إلا شفي بعون اللَّه تعالى في أسرع مدة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٦٤٨)]

* * *

لطيفة:

قال السهيلي: وفي تفجيره إياها بالعقب إشارة إلى أنها لعقبه من أمة محمد ﷺ كما قال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]، أي في أمة محمد ﷺ.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٨١)]

* * *

شربه (ماء زمزم) جماعة من العلماء والصالحين لمقاصد جليلة وحوائج جزيلة فنالوها، فمن ذلك:

أن الشافعي شربه للعلم فكان فيه غاية، وللرمي فكان يصيب العشرة من العشرة والتسعة من العشرة.

ومن ذلك:

أن رجلًا شرب سويقاً فيه إبرة وهو لا يشعر بها فاعترضت في حلقه، فصار لا يقدر يطبق فاه وكاد أن يموت، فأمره بعض الناس أن يشرب ماء زمزم وأن يسأل اللَّه فيه الشفاء، فشرب منه شيئاً بجهد، وجلس عند اسطوانة من المسجد الحرام فغلبته عيناه فنام، وانتبه نومه وهو لا يحس من الإبرة شيئاً وليس به بأس. ذكره الفاكهي في «فضائل مكة كذا في» تحصيل المرام.

وفي «الجامع اللطيف»:

ومنها: ما أخرجه الأزرقي عن أبي ذر قال: لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوماً بلياليها وما لي طعام ولا شراب إلا زمزم حتى تكسرت عن بطني وما أجد على كبدي سخفة الجوع. يعني رقته وهزاله، وقيل: هي الخفة التي تعتري الإنسان إذا جاع.

ومنها: أن الشيخ العلامة المفتي أبو بكر بن عمر الشهير بالشنيني بشين معجمة ثم نون ثم ياء من تحت ونون وياء النسبة، أحد العلماء المعتبرين باليمن حصل له استسقاء عظيم واشتد به، فذهب إلى طبيب فلما رآه أعرض عنه، وقال لبعض أصحابه: هذا ما يمكث ثلاثة أيام، فانكسر خاطره لذلك، وألقى اللَّه بباله أن يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملًا بالحديث، فقصد زمزم وشرب منه حتى تضلع، فأحس بانقطاع شيء في جوفه، فبادر حتى وصل إلى رباط السدرة الذي هو الآن مدرسة السلطان قايتباي فأسهل إسهالًا كثيراً، ثم عاد إلى زمزم وشرب منه ثانياً حتى امتلأ ريّا، ثم أسهل إسهالًا بليغاً، فشفاه اللَّه من ذلك الاستسقاء، فبينما هو في بعض الأيام برباط ربيع يغسل ثوبه وإذا بالطبيب الذي أعرض عن ملاطفته قد رآه فقال له: أنت صاحب تلك العلة؟ قال: نعم. قال: فبم تداويت؟ قال: بماء زمزم. فقال الطبيب: لطف بك.

ومنها: أن أحمد بن عبد اللَّه المعروف بالشريفي الفراش بالحرم الشريف المكي حصل له عمى، فشرب من ماء زمزم بنية التداوي، فشفي من ذلك العمى.

ومنها: أن رجلًا آخر عمي فشرب من ماء زمزم، وصب في عينيه بنية الشفاء فشفي في أسرع حال ووقت، وهذا من العجب، فإن الأطباء ينهون عن إدخال الماء إلى العين ويجعلونه من أسباب العمى.

ومنها: ما ذكره الحافظ الذهبي في «طبقات الحفاظ»: أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات، وسأل اللَّه ثلاث درجات:

الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد بها.

والثانية: أن يملي الحديث بجامع المنصور.

والثالثة: أن يدفن عند بشر الحافي، فقضى اللَّه له ذلك.

ومنها: أن الحاكم أبا عبد اللَّه شربه لحسن التصنيف وغيره، فكان أحسن أهل عصره تصنيفاً.

ومنها: ما ذكره العلامة التاج السبكي في طبقاته في ترجمة محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه قيل له: من أين أوتيت العلم؟ فقال: قال رسول اللَّه ﷺ: ماء زمزم لما شرب له، وإني لما شربته سألت اللَّه تعالى علماً نافعاً.

ومنها: ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر عن نفسه فقال: وأنا شربته مرة وسألت اللَّه وأنا حينئذ في بداية طلب الحديث أن يرزقني حالة الذهبي في حفظ الحديث، ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة وأنا أجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة، فسألت اللَّه رتبة أعلا منها، فأرجو اللَّه أن أنال ذلك.

وقال الفاسي في «شفاء الغرام»: إن شيخنا الحافظ العراقي ذكر أنه شرب ماء

زمزم لأمور منها: الشفاء من داء معين بباطنه، فشفي منه بغير دواء.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٦٤٨)]

❊ ❊ ❊

قال الحميدي: كنا عند سفيان بن عيينة فحدثنا بحديث زمزم أنه لما شرب له، فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال: يا أبا محمد أليس الحديث صحيحاً الذي حدثتنا في زمزم أنه لما شرب له؟، فقال سفيان: نعم، قال: فإني شربت الآن دلواً من زمزم على أنك تحدث بمائة حديث، فقال سفينا: اقعد، حدثه بمائة حديث.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٩٨)]

❊ ❊ ❊

أن أبو بكر يحي بن أحمد بن سعود الأنصاري القرطبي شرب ماء زمزم لحفظ القرآن، فتيسر عليه حفظه في أقرب مدة، وكان حسن الصوت به والإيراد له، يستدعيه الولاة لصلاة التراويح بهم في رمضان.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٩٩)]

❊ ❊ ❊

حكى أبو محمد الحسني عن أبي الربيع أنه قال: حججت على شدة فقر، فوردت زمزم، وقد رويت الحديث في مائها إنه (لما شرب له) فكرعت حتى تضلعت، ثم دعوت اللّه فأخلصت، وقلت: اللّهم إني مصدق ما أداه رسولك الأمين في بركة هذا الشرب المعين، مع أنه لما شرب له، فقد شربت اللّهم بنية الدعاء واثقاً باستجابتك، وإني أسألك غنى فقري في دعة، وإسماء اسمي فيما انتحلته بحقيقة، ثم الشهادة في سبيلك والزلفى بها لديك، قال: فما

أبعدت أن تعرفت الإجابة في الثنتين، وإني لمنتظر الثالثة، أما القرآن فما أحسب أن أرضي أعلم به مني، وأما الغنى فقد نلت منه حاجتي، وكان قد نوه به سليمان بن حكم المستعين وأجلسه للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة، وأصاب ثراء ورفعة، وأرجوا أن لا يحرمني اللَّه الثالثة مع نفاري عنها، فخرج مع سليمان يقيم له صلاته على رسمه مع من قبله من الأمراء فأصيب في وجهه في الهزيمة بعقبة البقر في صدر شوال سنة (٤٠٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحاج أبو موسى عيسى الشدادي المغربي الريفي ثم النزغي: أنه ولدت له بنية مقعدة، وأنها نشأت كذلك، قال: فحججت بها وطفت وسعيت، ثم أتيت بها زمزم، فسكبت عليها من مائها المبارك، فشفاها اللَّه تعالى، وبرئت من علتها وصحت ن وقد زوجتها وقرت عيني بها.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٩٩)]

* * *

قال المحدث الرحال أبي إسحاق إبراهيم بن محمد السلمي: أنبئنا بذلك ابنه العدل أبو القاسم عنه، قال: حدثني أبو عمرو التميمي، قال: لما أردت أن أشرب ماء زمزم فكرت لأي شيء أشربه، فتحيرت ثم تذكرت أن أشربه لإجابة الدعاء، قال: فما سألت اللَّه في تلك المواقف في شيء إلا أعطانيه، إلا دخول الجنة، قال: وكان سؤالي ألا يحوجني إلى الإستلاف من أحد، ففضلت لي فضلة كثيرة من الزاد، والحمد للَّه.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٠١)]

* * *

وقف أعرابي على زمزم فوجد الناس يشربون منها، ويسألون مطالب لهم مختلفة يختارونها، فرفع إناء مملوءاً منها فيه، وقال: اللَّهم إن هؤلاء قد اختاروا لأنفسهم فاختر لي، ثم شرب.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٠١)]

* * *

قال سويد بن سعيد: رأيت عبد اللَّه بن المبارك بمكة أتى زمزم، فاستقى شربة، ثم استقبل القبلة فقال: اللَّهم إنّ ابن أبي الموال حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: ماء زمزم لما شرب له. وهذا أشربه لعطش القيامة ثم شربه.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٤٨)]

* * *

قال الحافظ ابن حجر: شربه الحاكم أبو عبد اللَّه لحسن التصنيف ولغير ذلك، فصار أحسن أهل عصره تصنيفاً.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٤٨)]

* * *

سئل ابن خزيمة: من أين أتيت العلم؟ فقال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له. وإني لما شربت سألت اللَّه علماً نافعاً».

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٤٨)]

* * *

قال الحميدي: كنا عند ابن عيينة، فحدثنا بحديث: ماء زمزم لما شرب له. فقام رجل من المجلس، ثم عاد فقال: يا أبا محمد أليس الحديث الذي قد حدثتنا في زمزم صحيحاً؟ قال: بلى. فقال الرجل: فإني شربت الآن دلوا من زمزم على

أن تحدثني بمائة حديث، فقال ابن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ اقعد فحدثه بمائة حديث.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/١٤٨)]

* * *

قال السيوطي: سافرت - بحمد اللّه - إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور، ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها: أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة ابن حجر.

[«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»]

* * *

ذكر الفاسي صاحب «العقد الثمين» أن أحمد بن عبد اللّه الفراش بالحرم المكي شرب ماء زمزم للشفاء من العمى، فشفي على ما أخبرني به شيخنا المفتي عبد الرحمن بن أبي الخير الفاسي.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/١٤٩)]

* * *

قال ابن حجر: اشتهر عن الشافعي الإمام أنه شرب ماء زمزم للرمي، فكان يصيب من عشرة تسعة.

ذكر لنا الحافظ زين الدين العراقي أنه شربه لشيء فحصل له.

وذكر الحكيم محمد بن علي الترمذي في «نوادر الأصول» عن والده أنه أخبره: أنه كان يطوف في الليل، فاشتد عليه الإراقة، وخشي أن يخرج من المسجد إلى مكان يقضي حاجته، فتتلوث أقدامه بأقذار الناس، وكان ذلك في الموسم، فتوجه إلى زمزم فشرب منها لذلك، فرجع إلى الطواف، وقال: فلم أحس بالبول حتى أصبحت.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/١٤٩)]

* * *

ومهما خطر ببالي من الناس أحد شربت من ماء زمزم لمغفرته وإصلاح حاله ولو كان عدواً، وكذا عند الملتزم ومقام سيدنا إبراهيم والحجر وعرفة والمشعر الحرام (والمدعى، حتى) أني أضع كوز ماء زمزم بين يدي وأتذكر الناس، وكل من خطر ببالي أخذت الكوز وشربت منه على نية مغفرة ولو كان عدواً أو حسوداً سوى (رجلين فلم أدع لهما ولا عليهما، حتى ترجاهما) السيد يونس الأدهمي في طواف الوداع، فدعوت اللَّه أن يصلحهما، وأكثر دعائي لرجلين وامرأة لأنهم أحسنوا بعدي على أهل بيتي، وأكثر الكل كان دعائي لتلك المرأة فإني واللَّه ما نسيتها من الدعاء كل وقت لأنها غمرتني بإحسانها، ودعوت لها، وكلما رأيت أثراً من إحسانها دعوت لها، حتى إني كلما صادفت صالحاً أو عالماً سألته الدعاء لها ولأولادها وزوجها وأقاربها، فواللَّه لكنت أدعو لأقاربها كرامة لها مع أنه لم يصلني من إحساسهم شيء ولا لي معرفة بهم، وأخذت لها من العلماء الأساطين، والصوفية السلاطين، دعائم الإسلام، ورحمة الأنام إجازات في جميع العلوم وطرق الصوفية، أحياها اللَّه وولديها وزوجها ومن تحبه الحياة الطيبة الهنية، ورزقها وإياهم السعادة الأبدية السنية.

[«النفحة المسكية في الرحلة المكية» للشيخ عبداللَّه السويدي. ص٣٩١]

❊ ❊ ❊

ماء زمزم الشريف يعبئه الحجاج في صفائح ويأخذونه إلى بلادهم، وقد فعلت ذلك في وقت سابق، وبقي هذا الماء في القارورة اثني عشر عاماً فلم يتبدل ولم يتغير.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» (٢/٩٢٨)]

❊ ❊ ❊

روى بعض الناس وقالوا بأن زمزم لا يغلي، وقمت أنا فجربته فغلي، إلا أن طعمه تغير كثيراً، أردت أن أصنع منه الشاي فاشربه فتغير أكثر واستحال شربه،

أضفت له السكر فساء أكثر، فخفت وتأدبت، وأخيراً اغتسلت بالماء المغلي ودفنت الشاي، وندمت مظنة إساءة الأدب.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» (٢/٩٢٨)]

❊ ❊ ❊

كان عدد من حمالي الماء يقفون بين زحمة الناس ويعطون شربة ماء للمارة، ويتم الدفع لهم حسب كرم وسخاء المارة. أحياناً إن لم تعطهم الشيء القليل من المال، يفوق كرمهم كل التوقعات حيث يجعلون من الماء التي يحملونها رشاشاً يرشك من رأسك إلى قدميك. وبما أن الماء هي ماء زمزم، فإنك بالطبع ستعتبره شرفاً عظيماً وبركة فتقابل ابتلالك بالماء بابتسامة حميدة، وتتراجع مبتهجاً فيما خيوط الماء البارد تمشي على ظهرك.

[«ستة أشهر في الحجاز» ص٣٢ لجون كين]

❊ ❊ ❊

في حوائط المسجد الحرام من الداخل أبواب بعضها منافذ لبعض المدارس على الحرم، وبعضها مخازن في يد خدمة المسجد أو الزمازمة، وهؤلاء يستعملونها أحياناً لاستحمام كبراء الحجاج فيها بماء زمزم أو وضوئهم منها.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص١٠٠ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

يفد على هذا الحوض الحجاج ليشربوا من ماء زمزم، عن طريق تمرير أيديهم بكوب من خلال فتحة في مُصَبَّع من الحديد، على شكل شباك لذلك الحوض، دون الدخول إلى الغرفة. فوهة بئر زمزم محاطة بجدار ارتفاعه خمسة أقدام، وقطره حوالي عشرة أقدام. فوق هذه الفتحة يقف أولئك الرجال الذين يجلبون الماء من البئر، في دلاء من الجلد، وتوجد شبكة من القبضان الحديدية لمنع سقوط الدلاء في البئر. في زمن الفاسي كانت هناك ثمانية أوعية رخامية في

تلك الغرفة، لأغراض الوضوء.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٣ لجون لويس بوركهارت]

* * *

تظل غرفة البئر مليئة بالزائرين من قبل طلوع الفجر إلى منتصف الليل تقريباً. وكل واحد من هؤلاء الزوار يكون حراً في جلب الماء لنفسه، لكن العمل يقوم به عادة أشخاص جرى وضعهم عند البئر للقيام بهذا العمل، والمسجد هو الذي يدفع لهم أجورهم، هؤلاء العمال يحصلون على مبالغ هزيلة من أولئك الذين يأتون للشرب من ماء زمزم، على الرغم من أن هؤلاء العمال لا يجرءون على طلب هذه المبالغ الهزيلة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٣ لجون لويس بوركهارت]

* * *

قبل الغزو الوهابي كانت بئر زمزم تابعة للشريف، وبذلك يعد ماؤها محتكراً، وكان يجرى شراؤه بثمن غال، لكن من بين الأوامر التي أصدرها سعود بعد أن وصل إلى مكة، هو منع هذا الاحتكار وهذا الاتجار، وأصبح الماء المقدس يعطى للناس مجاناً.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٣ لجون لويس بوركهارت]

* * *

كل حاج من الحجاج الذين يذهبون إلى المسجد الحرام لصلاة العشاء توضع أمامه جرة من ماء زمزم، بواسطة هؤلاء الذين يكسبون عيشهم من خلال تقديم هذه الخدمة، يجرى توزيع ماء زمزم في المسجد على كل من يشعر بالعطش، وذلك نظير مبلغ جد تافه، وذلك عن طريق السقائين، الذين يحملون جراراً كبيرة على ظهورهم، هؤلاء السقائين يعطيهم الحجاج المحسنون شيئاً من

النقود، نظير تقديم ماء زمزم قبل الصلاة أو عقبها.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص ١٨٤ لجون لويس بوركهارت]

* * *

قلة قليلة من الحجاج هم الذين يغادرون مكة ولا يحملون معهم شيئاً من ماء زمزم في قوارير من النحاس الأحمر أو القصدير، إما بغرض تقديمها هدية، أو لاستعمال هذا الماء عندما يصيبهم المرض، أو لوضوئهم بعد وفاتهم، حملت معي أربع قوارير صغيرة، على أمل تقديمها على سبيل الهدايا للملوك المسلمين في بلاد السودان.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص ١٨٥ لجون لويس بوركهارت]

* * *

شاهدت ماء زمزم يباع في السويس بواسطة الحجاج العائدين من مكة بسعر قرش واحد للكمية التي تملأ كوباً واحداً من أكواب القهوة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص ١٨٥ لجون لويس بوركهارت]

* * *

شعراً:

يا ماء زمزم أطفئ النار التي ... فتكت بقلبي المغرم الحيران
ظمآن أظماني الحنين وعادني ... شوق يؤرق مهجتي وجناني
يا بئر زمزم إن بعدت فإنني ... بالروح زرتك والحبيب سقاني
فمتى أطير إلى رباك وأرتوي ... من نبعك العذب الذي رواني
فمتى يعود الحلم فيك حقيقة ... وأرى صفاء معينك الرباني

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٣٧)]

* * *

زهد

قال الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : حج الشيخ محمد بن مقبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولما وصل مكة وقضى مناسكه سلم على الشيخ عبد اللّه بن حسن، فقال له الشيخ عبد اللّه بن حسن رئيس القضاة: سنذهب معاً للسلام على الملك، ونطلب منه إنزالك في بيت من بيوت الضيافة، وإجراء مصاريف لك حتى تغادر مكة: فقال الشيخ محمد: إنما جئت حاجاً ولا أريد أن أرى أحداً أو يراني أحد ولا أرغب في أخذ شيء من بيت المال، فاستغرب الشيخ عبد اللّه ولكنه أصر على أن يزور الملك عبد العزيز، وقال للشيخ محمد: إنه إن علم بمجيئك ولم تسلم عليه صار في نفسه شيء، وبعد إلحاح عليه وافق على مرافقة الشيخ عبد اللّه بن حسن للملك عبد العزيز ولما رآه الملك عبد العزيز رحب به، وقال له: لم تخبرنا بمجيئك حتى نأمر لك بالضيافة والمنزل. فاعتذر الشيخ وقال للملك عبد العزيز: إنما جئت حاجاً ومعي ما يكفيني. وبعد أن خرج من عند الملك بعث له بمبلغ من الذهب والكسوة فقال للخادم الذي أتى بها: إنها ليست لي ولا آخذها. فألح الخادم عليه بأخذها فرفض ورجع بها الخادم إلى الملك، فاستغرب الملك عدم أخذها.

ثم إنه بعد ذهاب خادم الملك أمر رفقته بتغيير منزلهم لئلا يستدل عليهم خادم الملك إن أعاده الملك بالذهب والكسوة، وقد صادف الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب جلالة الملك على الحجاز آنذاك عند الملك عبد العزيز فسلم على الشيخ محمد بن مقبل بعد ما عرفه، وكان يسمع به فرأى بعض أسنان الشيخ محمد قد سقطت فقال: يا شيخ سنبعث لك طبيب الأسنان ليركب لك بدل من هذه الأسنان التي قد سقطت فقال الشيخ: اللّه المستعان، إن الذي بقي منها سيكفي بقية العمر.

[«الدعوة إلى اللّه في أقطار مختلفة» ص ٥٦ بقلم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي]

* * *

زيارة الرسول

قال ابن رشيد: كان صاحبي ورفيقي الوزير الفاضل الأديب الحافل الماجد الكامل أبو عبد اللَّه - منحه اللَّه العافية - قد أصابه رمد، فعند معاينته تلك المعاهد الكريمة أحس بالشفاء من ألمه، فبادر إلى المشي على قدمه، احتساباً لتلك الآثار، وإعظاماً لمن حل تلك الديار، وأنشدنا لنفسه في وصف الحال، وكتبه لي بعد بخطه:

ولما رأينا من ربوع حبيبنا ... بيثرب أعلاما أثرن لنا الحُبا
وبالقرب منها إذ كحلنا جفوننا ... شفينا فلا بأساً نخاف ولا كربا
وحين تبدي للعيون جمالها ... ومن بعدها عنا أديلت لنا القربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن حل فيها أن نلم بها ركبا

[«ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» للشيخ محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المغربي]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٥٣)]

* * *

قال ابن رشيد: قرأت مكتوباً في وجه الخزانة الكريمة التي تقابل المتوجه إلى الروضة الكريمة، وهي التي يضع فيها الكتب الواردة بالتسليم عليه ﷺ هذين البيتين ببياض في سواد:

سعدتم به يا زائرين ضريحه ... أمنتم به يوم المعاد من الرجس
سلمتم وأصبحتم بأكناف طيبة ... فطوبى لمن يضحى بطيبة أو يمسي

وبلغني أن هذين البيتين من كلمة لمحمد بن رَشيد (بفتح الراء) البغدادي الواعظ، وهذه الخزانة الموضوعة في هذا الموضع كأنها قُصد بها أن لا يستقبل المصلي شيئاً من الروضة الكريمة، ولذلك بنيت من الجهة الجوفية على زاوية حادة لئلا يستقبل المصلي منها شيئاً، واللَّه أعلم.

[«ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» للشيخ محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المغربي]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٥٤)]

* * *

حرف السين

ساعة

جاء في تاريخ الغازي نقلًا عن الفاسي: إن الوزير الجواد وضع مزول، وهي التي يقال لها ميزان الشمس في صحن المسجد الحرام بينها وبين ركن الكعبة الشامي الذي يقال له الركن العراقي ثلاثة وأربعون ذراعاً وثمن ذراع بذراع الحديد. ا.هـ نقول: الوزير الجواد هو جمال الدين المعروف بالوزير الجواد الأصفهاني المتوفى سنة (٥٥٩هـ) وله أعمال مجيدة بالحرمين الشريفين ذكرناها في الترجمة.

وجاء فيه أيضاً عن الأرج المسكي: إن السيد بركات المغربي وضع في سنة (١٠٢٤هـ) مزولة بالبناء المحيط ببئر زمزم، وفي سقف هذا البناء قبة كبيرة، وبهذا المحل يؤذن رئيس المؤذنين للأوقات.

وجاء فيه أيضاً نقلًا عن السنجاري: إن الشيخ محمد بن سليمان المغربي صنع مزولة ووضعها في المسجد الحرام في محل مزولة الوزير الجواد المذكور، حيث خربت هذه المزولة، وقد بنى الشيخ محمد لمزولته بترة بقدر القامة، حيال الركن الشرقي على ممشى باب السلام وذلك في سادس ذي الحجة سنة (١٠٧٩هـ)، وقال العصامي: وضع العلامة الشيخ محمد بن سليمان المزولة في اليوم الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم إنه في سنة (١٠٨٤هـ) وقع مطر في ليلة النصف من شعبان، فقام جماعة من العسكر فهدموا بترة المزولة التي بناها الشيخ محمد بن سليمان المذكور فلم يعترض على هدمها.

أما الساعات في المسجد الحرام: فلا يعلم بالضبط متى كان وضع أول ساعة

حائطية في المسجد الشريف، وقد ذكر الغازي في تاريخه المخطوط بخط يده رَحِمَهُ اللهُ بصحيفة (١٢٥٩) أن السلطان عبد المجيد خان أرسل ساعات للمسجد الحرام من الآستانة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٠٣)]

❊ ❊ ❊

ذكر السيد أحمد دحلان في «سالنامته»: وفي سنة (١٣٠٠هـ) هدمت القبتان الكائنتان في المسجد وهما قبة الكتب وقبة الساعات، وذلك لتضييقهما المسجد، وللخوف من السيل، لأنه دخل سنة (١٢٧٨هـ) وحصل تلف في الكتب، ووضعت الساعات بمحل عمل لها في هواء المسجد الحرام بين باب علي وباب بازان، ونقلت الكتب في القبة المتصلة بمدرسة السليمانية عند باب دريبة، وهذا في مدة إمارة الشريف عون باشا بن المرحوم محمد بن عون، وولاية الوزير المفخم السيد عثمان نوري باشا.

[«السالنامية الحجازية» لأحمد دحلان ص ١٢٩]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٣٠١هـ) جاء عثمان باشا بساعتين كبيرتين يبلغ طول الواحدة منهما نحو مترين، ووضعهما مع الساعات المنقولة من القبة وهما موجودتان إلى الآن غير أنهما غير صالحتين لعدم تعهدهما بالإصلاح وطول الزمان.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» لعبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٦٣٢)]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٣٥٢هـ) أمر جلالة الملك المعظم عبد العزيز السعود بإحضار ساعة كبيرة مضبوطة ترى حركاتها من مسافة بعيدة، ويسمع صوت دقات كل من بالمسجد الحرام ومن حوله، فاحضرها وزير المالية الشيخ سليمان الحمدان، وبنى للساعة المذكورة قاعدة فوق دار الحكومة الحميدية، ارتفاعها نحو خمسة

عشر متراً عن سطح دار الحكومة، كما أنه يبلغ ارتفاعها عن سطح أرض الشارع الفاصل بين دار الحكومة المذكورة وبين المسجد الحرام أكثر من خمسة وعشرين متراً وهي ذات واجهتين إحداهما مطلة على المسجد الحرام وشارع المسعى، والأخرى مطلة على محلة الأجياد، ويسمع دقات جرسها كل من كان في المسجد الحرام وبشارع المسعى، وسكان المدارس التي حول المسجد الحرام وما جاوره وتضاء مينتها ليلًا بالكهرباء، وقد شيدت قاعدتها بالآجر والنورة والحديد، وأحكمت إحكاماً متقناً، وتم كل ذلك سنة (١٣٥٢هـ).

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٦٣٢)]

* * *

سجاد

الأرض الزلطية، هي وجزء من الرصيف الخارجي المجاور للكعبة، تجرى تغطيتها، عند صلاة المغرب، بسجاد يصل طول الواحدة منه حوالي ستين قدماً أو ثمانين، وعرض الواحدة منه حوالي أربعة أقدام، مصنوع في مصر، ويجرى على ذلك السجاد بعد أداء الصلاة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٩ لجون لويس بوركهارت]

* * *

القسم الأكبر من الحجاج يحضرون معهم سجاجيدهم الخاصة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٩ لجون لويس بوركهارت]

* * *

عدد كبير من ذلك الحصير يقدم للمسجد على شكل هدايا بواسطة الحجاج، ومقابل ذلك يرى هؤلاء الحجاج أسماءهم مكتوبة بأحرف كبيرة على ذلك الحصير.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص١٨٩ لجون لويس بوركهارت]

سجود

قال محيي الدين رضا: إن للسجود على بلاط الحرم بجوار الكعبة للذة لا تدانيها لذة أخرى إذ تحس ببرودة أو حرارة تشع منها وتسري في جسمك فتنعشه وتبعث فيه لذة عظيمة، وإنني كثيراً ما كنت أكتفي بالوقوف على عباءتي في أثناء السجود، وأضع جبيني على تلك البلاطات التي عنت لها الجباه وطأطأ لها الرقاب.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٥]

❋ ❋ ❋

سدانة

السدانة: خدمة البيت وحجابته وتولي أمره، وفتح بابه وإغلاقه.

وكانت قبل قريش لطسم - قبيلة من عاد - فاستخفوا بحق البيت، واستحلوا حرمته، فأهلكهم اللَّه - عز وجل - ثم وليته بعدهم جرهم، فاستخفوا بحرمته فهلكوا. ثم وليته خزاعة فاستخفوا بحرمته، فكان آخرهم أبو غبشان فباع المفتاح من قصي - كما تقدم.

فلما آل الأمر لقصي أعطى السدانة ولده عبد الدار، ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ابنه عثمان، ولم تزل في أولاده إلى أن انتقلت إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد اللَّه بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي، فمات ولم يعقب، فصارت إلى ابن عمه شيبة بن عثمان، وهي في ولده إلى الآن.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣٨٤)]

❋ ❋ ❋

بنو شيبة هم سدنة الكعبة في الجاهلية والإسلام، ويعرفون اليوم بالشيبيين نسبة إلى جدهم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي

طلحة الذي اخذ منه رسول اللَّه ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح ثم أعاده إليه بعد أن نزلت الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص٤٣]

❊ ❊ ❊

كانت السدانة قبل قريش لطسم - قبيلة من عاد -، فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم اللَّه - تعالى -، ثم وليت خزاعة بعد جرهم دهراً طويلًا حتى صار الأمر إلى أبي غبشان، فباع مفتاح البيت من قصي بن كلاب جد النبي ﷺ بزق من خمر، وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصي، وانتهى إليه أمر مكة بعد ذلك، فأعطى ولده عبد الدار أمر السدانة وهي الحجابة، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة، ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ولده عثمان، ولم تزل تنتقل في أولاده إلى أن انتهت إلى عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة، ثم إلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهي في ولده إلى الآن.

[«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» لابن ظهيرة ص ٢١٤]

❊ ❊ ❊

قال ابن ظهيرة القرشي المخزومي: وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد، فاستخفوا بحقه أيضاً - أي بحق البيت - فأهلكهم اللَّه، ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهراً طويلًا حتى صار الأمر إلى أبي غبشان، فباع مفتاح البيت من قصي بن كلاب بزق من خمر، فقيل في ذلك: أخس من صفقة أبي غبشان. فذهبت مثلًا وانتهى إليه أمر مكة بعد ذلك.

[«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» لابن ظهيرة ص ١١٤]

❊ ❊ ❊

في طبقات ابن سعد: عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس، فأقبل رسول اللَّه ﷺ يوما يريد أن يدخل الكعبة مع

الناس، فأغلظت له، ونلت منه، فحلم عني ثم قال: «يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي، أضعه حيث شئت». فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت. فقال: «بل عَمَرَتْ وعَزَّتْ يومئذ». ودخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح قال: «يا عثمان، ائتني بالمفتاح». فأتيته به، وذلك بعد امتناع أمي، وقلت: خذه يا رسول اللَّه بأمانة اللَّه، ودخل النبي ﷺ البيت هو وعثمان بن طلحة وبلال وأسامة بن زيد.

[«موطأ مالك» (١/ ٣٩٨)]

* * *

فاتح البيت الحرام في كل يوم من يوم الفتحتين يجلس على كرسيه المعتاد بالكعبة، الكائن على يسار الداخل، وهي قاعدة قديمة لهم.

[«الأرج المسكي» لعلي بن عبد القادر الطبري ص١٥٧]

* * *

المسئول الأول في الحرم هو ما يسمونه نائب الحرم، أو حارس الحرم، وهو الذي يحمل مفاتيح الكعبة، ويجرى وضع المبالغ التي تهدى للمبنى بين يدى هذا الحارس وهو الذي يقوم بتوزيع المبالغ هذه مع لقاضي، وتجرى صيانة المسجد الحرام وإصلاحاته تحت إشراف حارس الحرم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (١/ ٢٠١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

فائدة: في سنن سعيد بن منصور: أنه ﷺ لما أخذ المفتاح من بني شيبة أشفقوا أن ينزعه منهم، ثم قال: يا بني شيبة هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف.

قال العلماء: إن هذه ولاية من رسول اللَّه ﷺ فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم، وأعظم من ذلك أن يشرك معهم غيرهم.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٠٥)]

في (١٠٨٣هـ) لما أراد إسحاق أفندي السفر أراد أن يدخل الكعبة الشريفة ليلًا كما يفعله أكابر الأروام في هذا العصر، فأراد الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيي الحجبي أن يفتح له البيت ليلًا على جري العادة، فتعسر فتحه فدعى بحداد نعت له المعرفة، فأمره يفش القفل فاضطربت يده وما قدر، فقال له الشيخ عبد الواحد فيما أخبرني به الثقة: ما بالك؟! فقال له: أما تسمع ما أسمع؟! قال الشيخ عبد الواحد: فأصغيت، وإذا الباب كأنه يدفع من داخل البيت، وأحسست بالدفع والقوة المانعة، قال: فصرفت الناس وقلت: أيها الناس إن هذا البيت بيد اللَّه يفتحه لمن يريد، فانصرف الناس، ومنهم إسحاق أفندي ولم يتيسر له الدخول انتهى.

وقال بعضهم: في ضبط هذا العام الذي الواقعة فيه على قاعدة التاريخ: يأبى ينفتح له بيت اللَّه. وهذه الواقعة من الغرائب.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ٣٩٢)]

* * *

في شوال سنة (١١٠٣هـ) أخذ الشريف أحمد بن غالب المفتاح من الشيخ عبد اللَّه الشيبي يوم الثلاثاء، وبات عنده إلى أن أعطاه للشيخ عبد المعطي يوم الأربعاء، ولم يعهد فيما وقفنا عليه المفتاح من السدنة إلا في هذه الواقعة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ١٥٠)]

* * *

في سنة (١١١٢هـ) طلب الشيخ سعيد المنوفي من الوزير عثمان حميدان أن يصنع للشريف سعد مفتاحاً يحاكي مفتاح الكعبة المشرفة، فأتم صنع ذلك المفتاح المشبه تمام الشبه لمفتاح الكعبة إلا أن الأمر انكشف، وعلم الشريف بالأمر، فاستدعى عثمان حميدان وسأله عن الأمر فأجاب بأنه صنع المفتاح بناء على الأمر المبلغ له من الشيخ سعيد المنوفي الذي أنكر هذا الأمر، ثم

في النهاية اعترف بذلك، وأنه كان في مقصوده إرساله إلى سلطان الهند.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٢٦٢)]

* * *

في سادس عشر ذي الحج من سنة (١١٣٦هـ) عزل عن حجابة البيت الشيخ عبد القادر بن عبد المعطي الشيبي، وتقلدها عمه الشيخ أحمد بن عبد الواحد الشيبي وسببه: أن الباشا عثمان أبو طوق طلب فتح البيت الشريف بالليل وأنه يريد الباشا أن يدخله ن فتوقف الشيخ عبد القادر لعدم، فغضب الباشا، وأرسل يعرّف الشريف بذلك، فغضب الشريف على عبد القادر لعدم اعتنائه للوزير، فعزله وولى أحمد، وأخذ من عبد القادر ألف قرش ومائتي قرش خرجت عليه خدم، وولى عمه الشيخ أحمد المذكور منصبه.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٦٠١)]

* * *

أخذ الأجرة على دخول الكعبة:

الكعبة المشرفة هي بيت اللَّه الحرام، وبيت اللَّه غير مملوك لأحد إلا للواحد الأحد جل وعلا، فهو إذاً بيت عام لكل من آمن باللَّه ورسوله، فالمسلمون يلجأون إليه طلباً في عفو اللَّه ومغفرته، ورحمته وإحسانه، ولكل مسلم الحق في دخول بيت ربه وخالقه، والوقوف على بابه، والتعلق بأستاره، ومن هنا قولوا لا يجوز أخذ الأجرة على دخول بيت اللَّه الحرام أي على وجه الاشتراط، أما على وجه البر والصلة والهدية فلا بأس.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٥٣٤)]

* * *

جرت العادة في بني شيبة أن يكون المفتاح عند أكبرهم سنا، وذلك من فعله ﷺ، فإنه دفعه لعثمان بن أبي طلحة مع وجود ابن عمه شيبة بن عثمان. ولما

مات عثمان ولي السدانة شيبة بن عثمان.

والظاهر أن ذلك شأن ولاة البيت من زمن الجاهلية لأن قصياً خلفه عليه (ولده) عبد الدار وهو أكبر أولاده. وبقي في يد عثمان بن أبي طلحة إلى زمن الفتح. فأخذه النبي ﷺ من يد عثمان بن أبي طلحة واسمه عبد اللَّه بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار العبدري القرشي، ورده ﷺ إليه بعد أن خرج من الكعبة وقال: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم».

وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣٨٥)]

* * *

لطيفة: وفي مناسك الونائي: وقضية تعبيرهم بالبنين أن النساء لا حق لهن لأنهم ليسوا من بني شيبة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٠٧)]

* * *

سرقة

عن كلثوم بن جبر أن عمر بن عبد العزيز قال: يا أهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرم لرحيل الحاج، يحذر عليهم السرق.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٣/ ١١٥)]

* * *

في هذه السنة سنة (١٨٩٨م) لم يتضرر سوى مسلم واحد من رعايا روسيا، ففي الليل ضربوه بحجر أثناء الوقفة في جوار رابغ، ولكنه أصيب بخدش بسيط فقط، وفي الليل نفسه سرقوا منه كيس كان فيه كل ما يملكه، وقد عرفت بهذه

الحادثة في الطريق من المدينة المنورة إلى ينبع، صحيح أن المتضرر تقدم بشكوى عند وصوله إلى ينبع، ولكن الشكوى لم تلق قبولًا لأنها لم ترد في الوقت المناسب، وهذا الحاج أكمل الطريق الباقي بأموال مواطنيه.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٥٩]

❊ ❊ ❊

وقعت هذه الحادثة في عام (١٩٤٥م) حينما كان الحاج شايج صالح الشايجي يسير في طريقه إلى مكة المكرمة شرفها اللّٰه بحملته إذ اعترضه رجل فطلب أن يسير مع القافلة ولا يريد منهم سوى الأكل، وبعد المسير أسبوعاً عرف ما عندهم من الجمال النجيبة إذ كانت معهم إبل طيبة (شرارية) لا تجفل إلى درجة أن الوالد كان ينام على رقبة الناقة من طيبتها، فأضمر البدوي في نفسه سرقة الإبل الطيبة، وفي إحدى الليالي وأثناء نوم القافلة جميعاً انتبهت الوالدة على صوت الإبل، فأسرت إلى الوالد وأيقضته وقالت له: اسمع صوت الإبل فأخذ الوالد الضوء معه ليتفد الإبل فرأى ثلاثة جمال خرجت من مكانها وبدأت تسير في الليل، فأسرع باللحاق بها ومناداتها ولكنها ابتعدت فلم ترجع، وظن الوالد بأنها سوف تعود ومن أصبح أفلح، وفي الصباح تفقد الإبل الثلاث فلم يجدها فلم يجد الثلاثة، ولم يجد الرجل الراعي الذي التحق بهم، فعرف أنه سرقها، ثم تحركت في الصباح القافلة حتى وصلوا إلى منطقة فيها شخص يدعى محمد بن سليمان له خبرة في قص الأثر، فشرح له الوالد السالفة فرجعوا إلى محل الإبل المسروقة وبدأ يقص أثر الرجل الراعي، ثم ذهب صاحب الحملة إلى الإمارة ليبلغ عن الحادثة فأخبروه أن محمد بن سليمان سيتولى الموضوع، فاشترى صاحب الحملة بعارين بدلًا عنها، وانتهى موسم الحج ورجع إلى الكويت، وبعد سنتين جاءه كتاب من محمد بن سليمان بأن الحرامي تم القبض عليه والمطلوب منه أن يراجع الإمارة، ولكن كيف تم القيض على السارق، وذلك يتلخص فيما يلي:

بينما كان محمد بن سليمان يسير في السوق إذ رأى شخصاً يسير وفي مشيته عرج فقبض عليه وأودعوه في السجن، فجاء شايج صاحب الحملة إلى الإمارة ومعه شاهدان وتم التعرف على السارق عن طريق الجرح الذي في رجله الذي يؤثر على مشيته، فعرضت القضية على القاضي فسأل الرجل: هل لديك أقوال فأقسم بأنه لم يلتحق بالقافلة، ولم يعرف شايج صاحب الحملة ولم يسرق الإبل ودعا على نفسه فقال: يارب إن كنت كاذباً فيما أقول فعاقبني يارب على ذلك، ثم طلب القاضي من شايج الشايجي أن يحلف فلم يحلف في بداية الأمر لأنه ليس متيقناً بأن الشخص هو السارق لأنه لم يره جيداً لأن السارق كان يتعمد التخفي منه حتى لا يراه صاحب الحملة، وأثناء الحوار مع القاضي تحرك السارق راجعاً إلى الخلف وهو يسير وكان وجهه مقابل وجه شايج فعرفه من عرجته ومشيته وحينئذ أقسم الحاج شايج أنه هو السارق، ثم أمر القاضي بأن يرجع السارق إلى السجن، حينئذ جاء والد السارق إلى الإمارة ليدفع الغرامة المالية التي سيقررها القاضي على ابنه وكانت معه المبالغ، وكان السارق حينما وضع في السجن طلب من السجان ماء وأقط ليدعكهما ويأكلهما جميعاً وحينما انتهى من أكلهما نام في السجن وفي الصباح وأثناء مرور السجان على الرجل وجده ميتاً فأبلغ قاضي الإمارة بذلك، فلما سمع والد السجن بوفاة ابنه في السجن هرب مسرعاً ومعه المبلغ، وعلى أثر ذلك كتب الحاج شايج الشايجي هذا الخطاب إلى ولي العهد يرجوه بأن يتم يقبض والد السارق ليسلم مبلغ الإبل المسروقة التي سرقها ابنه وأن قيمتها ألف وخمسمائة ريال سعودي.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

❊ ❊ ❊

قال ابن جبير: وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فِرق وشِيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى، وهم يعتقدون في الحاج ما لا يُعتقد في أهل الذمة، قد

صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها، ينتهبونهم انتهاباً، ويسببون لا لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً، فالحاج معهم لا يزال في غرامة ومؤونة إلى أن ييسر اللَّه رجوعه إلى وطنه، ولولا ما تلافى اللَّه به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا يُنادى وليده ولا يلين شديدة، فإن رفع ضرائب المكوس عن الحاج وجعل عِوض ذلك مالًا وطعاماً يأمر بتوصيلهما إلى مُكثِر (مكثر بن عيسى: شريف مكة) أمير مكة، فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الأمير إلى ترويع الحاج بسبب المكوس.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٤٦)]

* * *

وفي هذه المرحلة أخذ السارق من على ظهري اللحاف وأنا نائم، فأحسست به فانهزم، وفيها ضاع مشطي.

وفي هذه المرحلة تكثر السراق بزيادة على غيرها إذ لا تخلو مرحلة منهم، قاتلهم اللَّه تعالى.

[«النفحة المسكية في الرحلة المكية» ص٣٥٠ للشيخ عبداللَّه السويدي]

* * *

تخوفاً من اللصوص الذين يكثر وجودهم في وادي منى، وكان أحد الحجاج قد جرت سرقته في الليلة السابقة، فقد سرق اللصوص منه ثلاثمائة دولار، كما سرق البدو من عرفات عدداً كبيراً من الإبل، وجرى مطاردة اثنين من اللصوص وتم الإمساك بهما، وجرى إحضارهما أمام محمد على باشا في منى، وحكم بقطع رأسيهما، وبقيت جثتيهما بلا رأسين أمام خيمته طوال أيام ثلاثة، وعليهما حارس يمنع أصدقاءهما من أخذ الجثتين.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٥٠) لجون لويس بوركهارت]

ونمنا ليلة الإثنين على مضض حيث إن البدو القاطنين على الماء ضايقونا بالسرقة، وسرقوا من بعض حجاج الكويت أشياء طفيفة، وكانت النية أن نرحل صباح الإثنين، ولكن جد للرفاق حاجة بابتياع بعض الإبل.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٢٨ لسعد بن أحمد الربيعة]

❋ ❋ ❋

ويتخلف عن الحج كثير من أهل مكة ويقيمون فيها للمحافظة على دورهم من اللصوص الذين يكثرون في هذه الآونة فيقطعون ليلهم سهراً بين إطلاق بنادقهم من كل الجهات اعلانا بأنهم يقظون لكل من قصدهم بسوء.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٥٢ لمحمد البتوني]

❋ ❋ ❋

ووقت تحميل القافلة وتنزيلها تكثر السرقات في الجمالة أنفسهم، وقد يتفق جمّالك مع جمّال آخر فيحضر في هذا الوقت الذي يلهيك فيه بصريخه وصياحه في حين ما الاخر ينقض على عفشك ويسرق منه ما تصل اليه يده، حتى إذا هدأ روعك شعرت بما نقص من متاعك، وهنالك يكثر الصياح فيقول هذا: خرجي، ويقول الآخر: ملابسي، وغيره يصيح: لحافي وهكذا، وبعد هرج ومرج من غير فائدة يسكت الصائحون شاكين أمرهم إلى اللّه، ويشتغلون بتجهيز شؤونهم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٨ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

المكيون، شأنهم شأن السكان الأتراك، لا يتسمون باللصوصية أو الاختلاس، ويندر السماع عن السرقات بين هؤلاء الناس، وذلك على الرغم من أن مكة أثناء الحج وفي الشهر السابق والشهر اللاحق للحج تغص بكثير من الأوغاد بفتح

الأقفال في هذا البلد.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٦٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

سعي

قال عبد اللَّه بن عباس: إنه حين كان بين أم إسماعيل بن إبراهيم وبين سارة امرأة إبراهيم ما كان، أقبل إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل وإسماعيل عليه السلام وهو صغير ترضعه حتى قدم بهما مكة، مع أم إسماعيل شنة فيها ماء تشرب منها وتدر على ابنها، وليس معها زاد، يقول سعيد بن جبير: قال ابن عباس: فعمد بهما إلى دوحة فوق زمزم، في أعلى المسجد، يشير لنا بين البئر وبين الصفة، يقول: فوضعهما تحتها، ثم خرج إبراهيم خارجاً على دابته، واتبعت أم إسماعيل أثره، حتى أوفى إبراهيم بكداء يقول ابن عباس: فقالت له أم إسماعيل: إلى من تتركها وابنها؟ قال: إلى اللَّه - عز وجل - قالت: رضيت باللَّه.

فرجعت أم إسماعيل تحمل ابنها حتى قعدت تحت الدوحة، فوضعت ابنها إلى جنبها، وعلقت شنتها تشرب منها، وتدر على ابنها، حتى فني ماء شنتها، فانقطع درها، فجاع ابنها، فاشتد جوعه حتى نظرت إليه يتشحط. قال: فخشيت أم إسماعيل أنه يموت فأحزنها. يقول ابن عباس: قالت أم إسماعيل: لو تغيبت حتى لا أرى موته. يقول ابن عباس: فعمدت أم إسماعيل إلى الصفا حين رأته مشرفاً تستوضح عليه أي ترى أحداً بالوادي، ثم نظرت إلى المروة، ثم قالت: لو مشيت بين هذين الجبلين تعللت حتى يموت الصبي ولا أراه. قال ابن عباس: فمشت بينهما أم إسماعيل ثلاث مرات أو أربع، ولا تجيز بطن الوادي في ذلك إلا رملًا. يقول ابن عباس: ثم رجعت أم إسماعيل إلى ابنها فوجدته يشنع كما تركته فأحزنها، فعادت إلى الصفا، تعلل حتى يموت ولا تراه، فمشيت بين الصفا والمروة كما مشت أول مرة، يقول ابن عباس:

حتى كان مشيها بينهما سبع مرات. قال ابن عباس: قال أبو القاسم ﷺ: فلذلك طاف الناس بين الصفا والمروة.

قال: فرجعت أم إسماعيل تطالع ابنها، فوجدته كما تركته يشنع، فسمعت صوتا فراب عليها، ولم يكن معها أحد غيرها، فقالت: قد أسمع صوتك فأغثني إن كان عندك خير.

قال: فخرج لها جبريل عليه السلام فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر يعني زمزم، فظهر ماء فوق الأرض حيث فحص جبريل. يقول ابن عباس: قال ﷺ فحاطته أم إسماعيل بتراب يرده خشية أن يفوتها قبل أن تأتي بشنتها، فاستقت وسربت، ودرت على ابنها.

وحدثني جدي: حدثني سعيد بن سالم، عن عثمان بن ساج، أخبرني محمد بن إسحاق قال: بلغني أن ملكاً أتى هاجر أم إسماعيل حين أنزلها إبراهيم مكة قبل أن يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، فأشار لها إلى البيت وهو ربوة حمراء مدرة فقال لها: هذا أول بيت وضع للناس في الأرض، وهو بيت اللَّه العتيق، واعلمي: أنَّ إبراهيم وإسماعيل يرفعانه للناس.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٧٤)]

* * *

أخرج البخاري عن عاصم قال: قلت أنس بن مالك رضي الله عنه: أكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة؟ قال: نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل اللَّه ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨].

وعند مسلم: إنما كان ذلك لأن الأنصار كانوا يهلون في الجاهلية لصنمين على شط البحر، يقال لهما أساف ونائلة، فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما للذي كانوا يصنعون في الجاهلية.

عن زيد بن حارثة قال: كان على الصفا والمروة صنمان من نحاس يقال لهما: أساف ونائلة كان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٦٢)]

❊ ❊ ❊

في أول ذي القعدة سنة (١٣٤٤هـ) تحرك ركاب الإمام عبد الرحمن من الرياض إلى مكة في السيارة، وكانت سيارته تمشي الهوينى مع الركب، فوصل عشيرة صباح الأربعاء الثامن والعشرين من ذي القعدة، وكان بمعيته إخوان جلالة الملك صاحب السمو الأمير محمد، والأمير أحمد، والأمير مساعد، والأمير سعد، وقد خرج لاستقبال الإمام في العشيرة جلالة الملك، وأخوه الأمير عبد اللَّه، وبعض أنجال جلالة الملك بالسيارات، وصل مكة المكرمة في الساعة الثالثة من مساء الجمعة، فطاف وصلى، ثم سعى على سيارته الخاصة، ثم ذهب إلى مدرسة الداوية المتصلة بالحرم، وكانت قد هُيئت لنزوله.

[«جريدة أم القرى» العدد (٩٠) ص ٣٠ سنة (١٣٤٥هـ)]

❊ ❊ ❊

قال المازني في رحلته إلى الحج سنة (١٩٣٠م): خرجنا لنسعى بين الصفا والمروة، وطوله نحو كيلو أو أقل، ولابد من قطعه سبع مرات، فلما شرعنا نسعى جاءنا البشير من قبل الأمير أن في وسعكم أن تسعوا بالسيارة إذا كان التعب قد أدرككم فرفعت يدي بالدعاء لسموه وابتهلت إلى اللَّه أن يطيل عمره وأن يلهمه دائما على الأقل ونحن في الحجاز مثل هذا التيسير على الناس، وعدوت إلى السيارة فصاح بي الدليل الذي يسعى بنا أو معنا على الأصح: إلى أين؟ قلت: إلى السيارة، يا صابر تعال بسرعة.

ولكن صابراً سائقنا كان ملكياً أكثر من الملك، فقد أبي لنا أن نسعى بالسيارة، وقال: إن هذا لا يجوز، وأن المسعى غاص بالساعين وبالنساء والرجال

والأطفال، فليس ما تبغون من الإنسانية في شيء، فخجلنا وتركنا السيارة بعد أن استوينا فيها، وأصارح القارئ بأني لعنت صابراً هذا في سري، وإن كنت لم يسعني إلا احترامه، وهو في العشرين من عمره حدثنا في الطريق أنه مصري الأصل، وأن لأسرته نحو مائة عام في الحجاز، وقد كان على أيام الحسين أحد رجال فرقة الموسيقى الحربية، ولكنه الآن سائق سيارة في شركة القناعة، وأبرز صفات هذا الشاب الجرأة والاستقلال مع الأدب الوافر، وحديثه مقنع وفي لغته فصاحة وفي صوته عذوبة وفي عينيه حلاوة، ولو كان الغناء مباحاً لكان الأرجح أن نسمع منه شدواً مطرباً، وقد كان يخاطب كبراء الحجاز في جدة ومكة وفي الطريق بينهما مخاطبة الند للند.

ولكنه حنبلي مستبد، أبى لنا أن نسعى بالسيارة، فلما أصر رسل الأمير وألحوا ترك السيارة وأبى يسوقها فتولاها غيره، وأحسب صابراً قد حقدها علينا وأسرها لنا فقد تخلى عنا بعد أن عدنا إلى جدة.

[«رحلة إلى الحجاز» لإبراهيم المازني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠٦٠)]

❁ ❁ ❁

قال الشيخ علي الطنطاوي: قال لي الشيخ عبد اللّه بن بليهد في حديثه: لو كانت لي سلطة لمنعت السيارة من الحجاز منعاً باتاً لأن فريضة الحج لم توضع لتؤدى بالسيارة.

وقال الدكتور محمد حسنين هيكل: وكان الشيخ عبد اللّه بن بليهد عالم نجد يسعى ممتطياً جواداً، ولقد كان يحدثنا ساعة نزلنا معاً من منى أنه يريد السعي في سيارة لأنه لا يطيق السعي ماشياً ولا يحب السعي في محفة، ولهذا العالم النجدي عذره، فهو عالم تقدمت به السن فتضعضعت صحته بعد أن لوح وجهه هواء الصحراء في أسفاره بين نجد والحجاز، فهو أشعث أغبر.

قال الدكتور محمد حسنين هيكل: وأتممنا السعي سبعاً، وآن لنا أن ننصرف وأن نتحلل التحلل الأكبر على أني وقفت هنيهة قبل منصرفنا أمام مقهى من المقاهي القائمة وسط المسعى وقلت لصاحبي: أفيليق أن تقوم أمثال هذه المقاهي والحوانيت على حافة هذا المكان المقدس؟ قال: إنها ليست على حافته بل هي قائمة داخل حرمه، والذين أقاموها لم يتقوا اللَّه ولم يراعوا حقه، بل اعتمدوا عليه عدواناً مبيناً، والعجب أن منهم من اجترح هذا العدوان تبركاً بأرض هذا المنسك، ناسياً أنه يؤثر بها نفسه ويحرم منها ملايين المسلمين على تعاقب الأجيال.

وليس ذلك كل ما يثير النفس لحال المسعى، فقد بلغ من إهمال شأنه وهو منسك من مناسك المسلمين حداً بعيداً، واجتياز بعض الطرق إياه مرور الدواب والعربات والسيارات في هذا الطريق بين الساعين بعض مظاهر هذا الإهمال، فإذا أنت تحدثت في ذلك قيل لك: وما عساك كنت تقول من عهد قريب وقبل أن ترعى الحكومة الحاضرة هذا المنسك بعنايتها؟ فقد كان حرماً للكلاب تقيم في ظلاله نهارها وليلها لا يزعجها من مرقدها أحد كأنها حمام الحمى.

[«رحلة إلى الحجاز» لإبراهيم المازني]، [«في منزل الوحي» لمحمد حسين هيكل]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف «٣/ ١٠٨٠-١١٦٧»]

* * *

قال الدهلوي في «حجة اللَّه البالغة»: السر في السعي بين الصفا والمروة على ما ورد في الحديث أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام لما اشتد بها الحال سعت بينهما سعي الإنسان المجهود، فكشف اللَّه عنها الجهد بإبداء زمزم وإلهام الرغبة في الناس أن يعمروا تلك البقعة، فوجب شكر تلك النعمة على أولاده ومن تبعهم، وتذكر تلك الآية الخارقة لتهت بهيميتهم وتدلهم على اللَّه، ولا شيء في هذا المثل أن تعضد عقد القلب بما فعل ظاهر منضبط مخالف لمألوف

القوم ن فيه تذلل عند أول دخولهم مكة وهو محاكاة ما كانت فيه من العناء والجهد وحكاية الحال في مثل هذا أبلغ بكثير من لسان المقال.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٦٦)]

❊ ❊ ❊

عادت إلى الطفل المبرأ أمهُ ... شعثاءَ يعول قلبها الملتاحُ
يذوي على وهج الرمال صغيرها ... ظمأً ويخبو في الشفاه صُداحُ
عبثاً تروُد الأفق عيناها فما ... في الأفق إلّا الصمت والأشباحُ
الماء أين الماء؟ يا ويح الصدى ... أترى يحس جلامد وبطاحُ؟
البيد تلفح والسراب كأنهُ ... برقُ المنايا واللَّهيبُ وشاحُ
تعدو هنا وهناك يهوي ركنها ... متداعياً وصروفها تجتاحُ
وتلوذ بالرحمنِ إن دعاءه ... في النائباتِ وفي الكروب سلاحُ
رحماك رب العرش ذابت مهجتي ... ما عاد يصفق في الضلوع جناحُ
الماء يا رباه! دونكِ فانظري ... ورنتْ فيا للَّهم كيف يُزاحُ!!
أرأيتِ هاجرُ إن إسماعيل لن ... يشقى وسيماءُ الكريم فلاحُ
اللَّهُ يكلؤهُ وفوق جبينهِ ... نور النبوةِ ساطعٌ لمّاحُ

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٦٦)]

❊ ❊ ❊

سقاية

أما السقاية لم تزل بيد عبد مناف فكان يسقي الناس الماء من بئر خم على الإبل في المزاود والقرب، ثم يسكب ذلك الماء في حياض من أدم بفناء الكعبة، فيرده الحاج حتى يتفرقوا، فكان يستعذب ذلك الماء.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ١١٢)]

❊ ❊ ❊

قال السهيلي: ذكروا أن قصياً كان يسقي الحجيج في حياض من أدم، وكان ينقل الماء إليها من آبار خارجة من مكة منها «بئر ميمون الحضرمي»، وكان ينبذ لهم الزبيب، ثم احتفر لهم قصي العجول في دار أم هانئ بنت عبد المطلب بالحزورة، وهي أول سقاية احتفرت بمكة، وكانت العرب إذا قدمت مكة يردونها فيسقون منها ويتزاحمون عليها.

[«الروض الأنف» للسهيلي (١/ ١٧٢)]

* * *

كان للعباس كَرْم بالطائف، وكان يحمل زبيبه إليها، وكان يداين أهل الطائف، ويقتضي منهم الزبيب، فينبذ ذلك كله ويسقيه الحاج أيام الموسم، فدخل رسول اللّه ﷺ مكة يوم الفتح فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فبسط يده وقال: يا رسول بأبي أنت وأمي اجمع لي الحجابة والسقاية فقال رسول ﷺ: «أعطيكم ما تزرءون فيه ولا تزرءون الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة، فإني قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانت عليه في الجاهلية».

[«تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» لأبي البقاء محمد ابن الضياء المكي ص ٦٨]

* * *

تتم السقاية من خلال جمع الماء من آبار مكة المختلفة، وحمله على الإبل في المزاود والقرب، وصبه في أحواض من أدم توضع في فناء الكعبة ومن وعرفات، فيرده الحجيج ويسقون منه.

[«تاريخ مكة» للأزرقي ١/ ٦٨]

* * *

سكن

قال جوزيف بتس: وقد يتساءل بعض من عرفوا مكة المكرمة أو على الأقل سمعوا بها أو قرأوا عنها كيف يمكن لبلدة صغيرة فقيرة أن تستقبل هذه العداد الهائلة من الحجاج وتقدم لهم ولدوابهم المأوى والإعاشة؟

وإني أجيبك أن أهل مكة المكرمة يخلون أماكنهم للحجاج، فهذا الموسم بمثابة سوق لهم، فالمكي يؤجر الغرفة في هذا الموسم لفترة لا تزيد عن ستة عشر أو سبعة عشر يوماً بمبلغ يزيد ثلاث مرات عن إيجارها طوال العام، وإذا غصت مكة المكرمة بحجاجها وأهلها نصب الحجاج خيامهم حولها حيث يقيمون إلى أن يرحلوا لديارهم.

[«رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٢٩)]

* * *

اعتاد الشوام والمغاربة سكنى الجهة الشمالية من مكة زمن الموسم، والأفغان والسليمانية (أهالي قندهار) في الجهة الشمالية الشرقية، والهنود والجاوة في الجهة الشمالية الغربية، واليمن والتركستان والضاغستان في المسفلة، والعجم في شعب على، وما سوى ذلك في وسط المدينة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٤٠ لمحمد البتوني]

* * *

سوق

وبعد العودة لمكة المكرمة يمكثون هناك زهاء عشرة أيام أو اثني عشر يوماً، حيث تعقد سوق كبيرة تباع فيها كل بضائع الهند، كما تباع فيها أحجار كريمة للخواتم والأساور... الخ المجلوبة من اليمن، وكذلك بضائع الصين

والمسك وغيرها من الأشياء الغريبة، إنه الوقت الذي ينشغل فيه الحجاج بالشراء لأنهم يعتقدون أنه من الأمور غير الشرعية أن ينشغلوا بالبيع والشراء قبل إتمام الفريضة، ويقوم كل حاج الآن بشراء كفن، وهو عبارة عن قطعة كتان رقيقة ليكفن فيها، وهم يغمسونها في ماء زمزم، وتلك ميزة قد لا تتاح لهم في الجزائر أو غيرها، ويحرصون على حمل هذا الكفن معهم أينما ذهبوا بحراً أو براً فإذا ماتوا كفنوا به.

[«رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٤١)]

❊ ❊ ❊

يشرف المحتسب على السوق، وهو تابع للمحافظ أو الباشا الحاكم وفيما يلي قائمة بأسعار المؤن في سوق المدينة أول أغسطس سنة (١٨٥٣م) خلال موسم الزيارة حيث تتضاعف أسعار كل شيء: رطل لحم ضأن بقرشين، أما لحم الأبقار والجواميس فبقرش واحد، ونادراً ما يأكله الناس، أما لحم الجمال فلا يمسه فلا البدو، والدجاجة بخمسة قروش، وأما البيض فثمانية بقرش صيفاً وأربعة بقرش شتاءً، ورطل السمن بأربعة قروش، وفي حالة رخص الثمن يصبح بقرش ونصف، ويصنع الزبد في البيوت، وأحياناً يعده المصريون للبيع، ورطل الحليب بقرش، ورطل الجبن بقرشين وإذا رخص ثمنه أصبح بقرش، وإن شح في السوق أصبح بثلاثة، ورغيف خبز القمح بنصف قرش، ورطل البقسماط المستورد بثلاثة قروش، ورطل الخضروات بنصف قرش، ومد التمور يختلف حسب النوعية من أربعة قروش إلى مائة قرش، ورطل العنب بقرش ونصف، والبطيخة يتراوح ثمنها بين ثلاثة قروش وسنة، ورطل الخوخ بقرشين، ورطل البن بأربعة قروش، ولا يشرب هنا إلا البن اليمني، ورطل الشاي بخمسة عشر قرشاً، يستورد الشاي الأسود من الهند، ورطل السكر

الأوربي بستة قروش، والسكر المصري الأبيض بخمسة قروش، والسكر المصري البني بثلاثة قروش، والسكر الهندي البني الذي يستخدم في الطبخ والحفظ بثلاثة قروش، ورطل الشمع الوارد من مصر بثلاثة قروش، وإردب القمح (٢٩٥) قرشاً، وإردب البصل (٣٢) قرشاً، وغردب الشعير (١٢٠) قرشاً، وإردب الأرز الهندي (٣٠٢) قرش، والذرة غالباً ما يكون علفاً للحيوان رخيصاً جداً، وسعر العدس كسعر الأرز، ورطل التمباك من نوع اللانيكا ستة عشر قرشاً، والتمباك الشامي ثمانية قروش، والتمباك العجمي ستة قروش، ورطل زيت الزيتون ستة قروش، وقربة الماء نصف قرش، وغرارة الفحم التي تضم مائة أقة تساوي عشرة قروش.

[«رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٤٧٧)]

* * *

علاوة على استيراد كمية كبيرة من المنتجات المعيشية لتلبية حاجات جموع الحجاج البالغ عددها أكثر من مائة ألف، يستجلبون إلى هنا كمية كبيرة من شتى البضائع من القسطنطينية ومن مصر والبلدان المجاورة لآسيا، وذلك مع قوافل الحجاج أو البواخر إلى جدة.

والقسطنطينية هي الوسيط الرئيسي في تجارة البضائع الأوربية، ومنها تحصل مكة على كل الاحتياطي من الأقمشة القطنية والصوفية والأحذية والخردوات والبقالة والطحين الروسي وكاز باكو وخلافها.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٨٨]

* * *

أثناء الحج لا يتعاطى السكان المحليون وحدهم التجارة بل يتعاطاها كذلك

تجار قادمون كثيرون.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٠]

❊ ❊ ❊

كان يقام في كل من نخل والعقبة في زمن الحج سوق تباع فيها الأقمشة والمأكولات والحبوب كالدقيق والعدس والفول والأرز والشعير والبن وقمر الدين. وكان للحويطات جُعْل يدعى (الفرْش) وهو رطل من كل ما يباع سوقي نخل والعقبة. وللتياها رطلان من كل ما يباع من المأكولات وربع كيلةٍ من كل صنف من الغلال في سوق نخل، وكان دليل الحج المصري من الحويطات.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص٢٦٤]

❊ ❊ ❊

ذكر الحصن الحصين في قرية شاطئ البحر (العقبة) وبها آبار كثيرة ونخيل وسوق كبيرة يحضره أهل غزة، ويذكر أنه سوق لإبل وغنم العرب، واشتهر بوجود السمن والعسل، وأهل العقبة أخلاط من الناس وصفها الورثلاني بأن بها علم وأدب ومتاجر وأسواق عامرة، وكثيراً ما يلتقي حجاج القدس وحجاج مصر في سطح العقبة لينقلوا لبعضهم البعض أحوال الطريق وحالة الطقس من ثلوج ومطر وسيول.

[«الرحلة الورثلانية» للحسن بن محمد الورثلاني ص٣٣٥-٣٣٧]

❊ ❊ ❊

سيل

وقع مطر غزير بمكة وضواحيها لم يسبق له مثيل فجاء هذا السيل فدخل المسجد الحرام ودخل الكعبة، وبلغ الماء إلى القناديل المعلقة حول المطاف، ومات في هذا السيل نحو ألف نسمة، وبسببه هدمت الكعبة عصر اليوم التالي

فبناها السلطان مراد الرابع رحمه الله كما هو مفصل في التاريخ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٥٠)]

❊ ❊ ❊

سال وادي مكة في الإسلام بأسيال عظيمة مشهورة عند أهل مكة، منها سيل في خلافة عمر بن الخطاب يقال له سيل أم نهشل، أقبل السيل حتى دخل المسجد الحرام من الوادي، ومن أعلى مكة من طريق الردم وبين الدارين، وكان ذلك السيل ذهب بأم نهشل بنت عبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، حتى استخرجت منه بأسفل مكة، سمي بسيل أم نهشل، واقتلع السيل المقام مقام إبراهيم عليه السلام وذهب به حتى وجد بأسفل مكة، وغبي مكانه الذي كان فيه فأخذ وربط بلصق الكعبة بأستارها، وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك، فجاء فزعاً حتى رد المقام مكانه، وقد كتبت ذكر رده إياه، وكيف كان في صدر كتابنا هذا مع ذكر المقام، فعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تلك السنة الردم الذي يقال له: ردم عمر وهو الردم الأعلى من دار جحش بن رئاب التي يقال لها: دار أبان بن عثمان إلى دار بية فبناه بالضفائر والصخر العظام وكبسه.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٣/ ١٠٥)]

❊ ❊ ❊

كان سيل الحُجَاف في سنة (٨٠هـ) في خلافة عبد الملك بن مروان قد أصبح الحاج يوما، وذلك يوم التروية وهم آمنون غارون، قد نزلوا في وادي مكة، واضطربوا الأبنية، ولم يكن عليهم من المطر إلا شيء يسير إنما كانت السماء في صدر الوادي، وكان عليهم رشاش من ذلك.

عن عمرو بن دينار قال: لم يكن المطر عام الحجاف على مكة إلا شيئاً يسيراً، وإنما كانت شدته بأعلى الوادي، قال: فصبحهم يوم التروية بالغبش قبل صلاة

الصبح، فذهب بهم وبمتاعهم ودخل المسجد وأحاط بالكعبة، وجاء دفعة واحدة، وهدم الدور والشوارع على الوادي، وقتل الهدم ناساً كثيرة، ورقى الناس في الجبال، واعتصموا بها، فسمي بذلك الجحاف.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٣/ ١٠٦)]

* * *

جاء في خلافة عبد الملك بن مروان كان سيلان عظيماً جاء دفعة واحدة فجر يوم التروية والحجاج آمنون فذهب بأمتعتهم، وكان يحمل الجمال وعليها الأحمال فدخل المسجد الحرام وهدم الدور على الناس فقتلهم ورقى الناس الجبال واعتصموا بها.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٤٣)]

* * *

جاء سيل يقال له: سيل المُخَبِّل في سنة (١٨٤هـ) أصاب الناس عقبه مرض شديد في أجسادهم، وألسنتهم، وأصابهم منه شبه الخبل، فسمي سيل المخبل، وكان عظيما دخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٣/ ١٠٨)]

* * *

جاء سيل في سنة (٢٠٢هـ) في خلافة المأمون، وعلى مكة يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي، خليفة لحمدون بن علي بن عيسى بن ماهان، فدخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة، وكان دون الحجر الأسود بذراع ورفع المقام عن مكانه لما خيف عليه أن يذهب به السيل، وهدم دوراً من دور الناس، وذهب بناس كثير، وأصاب الناس بعده مرض شديد من وباء، وموت وفاش فسمي ذلك السيل سيل أبي حنظلة.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٣/ ١٠٩)]

سيل ابن حنظلة: في سنة (٢٠٢هـ) وقع في خلافة المأمون حدث هذا السيل الذي امتد أثره إلى المسجد الحرام وأحاط بالكعبة، وبلغ ارتفاعه حتى الحجر الأسود، وهدم دوراً كثيرة، وذهب بأناس كثيرين ونتج عنه مرض شديد أدى إلى موت بعض الناس، وعلى أثر ذلك أمر الخليفة ببناء سد الثقبة في منطقة تقع بين حراء وجبل الثنية، وأصبح يجدد دائما.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٢/ ٢٦٤)]

* * *

في سنة (٢٠٢هـ) جاء سيل عظيم ملأ الوادي وعلاه قيد رمح، دخل هذا السيل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة، وكان دون الحجر الأسود بذراع، خيف منه على المقام أن يذهب به، فرفع من مكانه، هدم للناس دوراً كثيرة، وذهب بكثير من الناس، وأصاب الناس من بعده مرض شديد من وباء وموت فاش، ويسمى هذا السيل سيل ابن حنظلة.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٢٩٩]

* * *

في سنة (٥٤٧هـ) وقع بمكة مطر عظيم سال منه وادي إبراهيم، ونزل برد بقدر البيض وزن مائة درهم.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٥٣]

* * *

وقع مطر في سنة (٥٤٩هـ) سال منه وادي إبراهيم، ونزل فيه برد قدر البيضة، ووزنها مائة درهم.

[«الأرج المسكي في التاريخ المكي» لعلي بن عبد القادر الطبري ص١٠٦]

* * *

في عام (٥٩٣هـ) حدث سيل ودخل المسجد الحرام وارتفع منسوب المياه إلى ما فوق الحجر الأسود وغرق المنبر. يقول الفاكهي: أن الماء وصل منسوبه إلى قناديل الحرم، وأن الناس طافوا سباحة حول الكعبة.

[«المنتقى» للفاكهي ص١١٩]

* * *

في سنة (٦٢٦هـ) سال وادي فخ أربعين مرة، فوقع في الناس الوباء والحمى والموت، ورخص الشعير حتى لم يقم الحمل بكرائه إلى مكة، وحزن الناس وكثر من ثقيف الطغيان الأشر.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٧١]

* * *

في سنة (٦٧٧هـ) وقع على الحاج الشامي ما بين تبوك والعلا برد مثل بيض النعام، تقع الواحدة على الأنية النحاس فتكسرها، وكان الناس في معطشة فسقاهم اللَّه بذلك.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٨١]

* * *

وقع سيل في سنة (٦٦٩هـ) دخل الكعبة المشرفة وعلا الماء فوق عتبتها شبرين، ودخل بعض قناديل المطاف فأطفأها، وقلع من أبواب الحرم أماكن، وطاف بها الماء، وفعل أمور عجيبة.

[«الأرج المسكي في التاريخ المكي» لعلي بن عبد القادر الطبري ص١٠٧]

* * *

جاء في حسن المحاضرة أنه في رابع عشر ذي القعدة في سنة (٦٨٧هـ) جاء سيل عظيم بحيث دخل المسجد الحرام ودخل الكعبة المشرفة، وهدم جملة من أساطين المسجد الحرام، ووجد في المسجد من الغرقاء سبعون إنساناً وخارج

المسجد خمسمائة نفس، فكان ارتفاع السيل في المسجد سبعة اذرع وثلث ذراع، ومكث الماء في المسجد من يوم الأربعاء إلى يوم السبت ولم تصل الجمعة فيه، وقد أخرب كثيرا من بيوت مكة قالوا: ولم يعهد مثل هذا السيل لا في الجاهلية ولا في الإسلام.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٤٦)]

❊ ❊ ❊

في سنة (٦٩٦هـ) أتى سيل لم يسمع بمثله في هذه الأعصار، كان حصوله في صبح يوم الجمعة رابع عشر من شعبان، دخل البيت الحرام وبقي الحرم كالبحر يموج، ولم يصل الناس تلك الليلة، وهي ليلة النصف من شعبان في المسجد الحرام، ولم ير تلك الليلة طائف إلا رجل طاف سحراً يعوم.

[«العقد الثمين» للفاسي (١/ ٢٠٧)]

❊ ❊ ❊

دخل سيل المسجد الحرام ووصل إلى قفل باب الكعبة، وقد نزل مع المطر برد كبير وهدم نحو ألف بيت، وقتل نحو ألف نسمة، وحمل قافلة بأربعين جملًا وذلك سنة (٧٧١هـ).

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٤٧)]

❊ ❊ ❊

في عهد الشريف زيد بن محمد وقع بمكة المكرمة سيل مرتين حيث أصيب المسجد الحرام، وامتلأ بالتراب، والقمامات، وأتلف أمولًا كثيرة من البيوت، وتعطيل المسجد خمسة أوقات عن الصلاة، وتم تنظيفه في خمسة أيام.

[«خلاصة الأثر» لمحمد أمين المحبي (٢/ ١٧٦-١٧٨)]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٠٣٩هـ) أمطرت السماء مطراً غزيراً، وسال وادي إبراهيم سيلًا قليل

المثال طفح به المسجد إلى طوق المناديل، وغرق نحو ألف إنسان. وقد صحب نزول المطر برد كثير كان بعضه مالحاً والبعض الآخر مراً، وأصيبت الكعبة من جراء ذلك بتصدع في جدارها اليماني والشامي إلى الباب.

[«تاريخ مكة» للسباعي (٢/ ٤١٥)]

* * *

لما كان يوم الأربعاء التاسع عشر من شعبان من سنة (١٠٣٩هـ) وقع مطر شديد، ودخل الحرم، وغرق أمة من الناس.

قال الشيخ أحمد بن علان الصديقي: وخرص من مات فيه في النهار والليل نحو ألف إنسان، وبات تلك الليلة السيل بالمسجد إلى الصبح ودخل البيوت، وأخرج أمتعة العالم إلى أسفل مكة، وبلغ في الحرم إلى طوق القناديل.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ٦٥)]

* * *

وفي شهر ذي القعدة دخل سيل آخر سنة (١٠٩١هـ) في مكة المكرمة بالمسجد الحرام فأغرقه، وهلك ثلاث مائة سنة.

[«تاريخ أمراء مكة» لعارف عبد الغني ص ٧٥١]

* * *

دخل سيل المسجد الحرام سنة (١٠٩١هـ) وبلغ الماء نصف الكعبة، ومن غريب الاتفاق أن السيل حمل جملًا بحمله ودخل به المسجد الحرام فلم يزل السيل يدفعه حتى رقى على منبر الخطيب بعد أن انقطع حمله، ولم يزل به إلى صباح اليوم التالي. ومما هو جدير بالذكر أنه كان جهة المعلا شجرة جوز كبيرة تقوم على جوانبها مقاه، فلما جاء السيل كان في تلك المقاهي نحو مائة وخمسين رجلًا فتسلقوا الشجرة خوف الغرق، ولكن السيل كان قوياً فاقتلع

الشجرة بمن عليها فجرفهم حتى باب الصفا، وجرف السيل أيضاً نحو خمسة آلاف حيوان.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٥١)]

* * *

في عهد الشريف مسعود اقتحم المسجد الحرام سيل عظيم انتهى إلى باب الكعبة في يوم الجمعة من عام (١١٥٣هـ) ولم يستطع الخطيب الوصول إلى المنبر فخطب في باب الزيارة وصلى الجمعة ومعه خمسة أشخاص، وأصاب الناس سيل مثله في عام (١١٥٩هـ) والناس في منى فغمر الحجاج ودهم جانباً عظيماً منهم فكانت ضحاياه من الغرقى تملأ الطرق.

[«خلاصة الكلام» للدحلان ص١٩٤]

* * *

هجم سيل سنة (١٢٧٨هـ) ودخل المسجد الحرام دفعة واحدة قبل صلاة الصبح، فوصل الماء إلى قناديل الحرم، وطفحت بئر زمزم، وتعطلت الجماعة خمسة أوقات، وقد غرق فيه جماعة خارج المسجد وداخله.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٥٢)]

* * *

في سيل سنة (١٣٢٨هـ) كل الأماكن المقدسة بما فيها مقام إبراهيم كانت غارقة بالمياه، وكل المجاري في مكة اجتمعت حول زمزم والكعبة المشرفة، وكل القاذورات وفضلات الحجاج جرفتها المياه إلى الأماكن المقدسة، ولم يتمكن أحد من أن يطوف أو يصلي، واضطر بعض الحجاج إلى القيام بطواف الوداع.

وفي اليوم التالي انسحب قسم من النجاسات إلى مجاريها، ومن جهة أخرى

قام الناس بما وجدوه بأيديهم من الأواني بسحب المياه فانتشرت الروائح الكريهة في كل مكان.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٥١]

❋ ❋ ❋

بلغنا بقعة يسمونها «السيل» وقد سميت كذلك لوقوفها في سفح سلسلة جبال تنحدر من قممها مياه الأمطار فتكون شبه بحيرات صغيرة وفي هذه البقعة يتحتم على قاصدي أم القرى أن يحرموا استعداداً لدخول المدينة المقدسة.

[«رحلة في قلب نجد والحجاز» ص١٤٦ لمحمد شفيق أفندي]

❋ ❋ ❋

يظهر في مكة المعظمة كل عشر سنوات أو اثنى عشرة سنة سيول مرعبة مفزعة - لحكمة ما - وتعقب السيول بركة عظيمة ورواج وتقل الأسعار وتعم النعمة الإلهية والكرم اللامتناهي الجبال والبوادي.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٥٢٩) لأيوب صبري باشا]

❋ ❋ ❋

حرف الشين

شاذوران

شاذوران الكعبة المعظمة: البناء المحاط بأسفل جدار الكعبة مما يلي أرض المطاف من جهاتها الثلاث الشرقية والغربية والجنوبية.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٥٧]

* * *

في أقرب المسالك للعلامة الدردير: الشاذوران بناء لطيف من حجر أصفر يميل إلى البياض، ملصق بحائط الكعبة محدودب، طوله أقل من ذراع، فوقه حلق من نحاس أصفر دائر بالبيت يربط به أستار الكعبة.

[«تحصيل المرام» للصباغ (١/ ١١٣)]

* * *

شبرية

كان الرجال يركبون فوق جمالهم في صناديق خشبية خاصة.

[«رحلة فارتيما (الحاج يونس المصري)»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٦٠)]

* * *

المحفة أو الشبرية أو التختروان فرش توضع فوق الجمال التي يمتطيها أثناء الحج الحجاج الأغنياء.

[«رحلة فارتيما (الحاج يونس المصري)»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٦٠)]

* * *

شجر الحرم

فائدة:

قال الزبير بن بكار: حدثني حمزة بن عتبة اللَّهبي قال: حدثنا محمد بن عثمان بن إبراهيم الحجبي قال: كان شجر الحرم عضيداً لا شوك فيه، فلما أحدثت خزاعة المعاصي اقشعر الشجر من معاصيهم، فخرج له هذا الشوك.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣٥٣)]

* * *

شعور

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبداللَّه سنة (١٤٢٠هـ): لم أعلم من قبل أبداً أن الطقس سيكون حاراً وجافاً لهذه الدرجة. حلقي جاف ويؤلمني بحيث لم أعد قادر على فتح فمي. لكني أنتظر الدعوة للصلاة، ما أجمل أن يكون الإنسان هنا وأن يكون حاضراً للصلاة! أتناسى كل شيء آخر، فاللَّه وحده مهمّ، اللَّه أكبر، اللَّه أكبر، اللَّه أكبر. نصلي وأنا أشعر بأني محظوظة جداً لأني على قيد الحياة، ولم أكن أعرف من قبل أبداً أن الحياة جميلة إلى هذا الحدّ. كنت أظن أننا وُلدنا لنعاني، لكن ليست هذه هي الحقيقة. لقد ولدنا في سلام، لنكون سعداء، لنستمتع بالفرح.

[«الطريق إلى السلام» ص٤٤ لأبو بكر أحمد باقادر]

* * *

شقدف

شقدف - كما هو معروف لدى أهل المعرفة - مخترع للجلوس في داخله وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: من الشغدف يطلق عليه هودج على وزن جوهر.

النوع الثاني: (مِحَفَّة) على وزن مِعَدَّة.

النوع الثالث: منه شُقْدف بضم الشين وسكون الغين، ولكن الأتراك حرفوا الكلمة فجعلوها شوطوف.

والصحيح أن يقال: الشقدف، وبما أن الهودج ذو قبة عالية ومغطى فهو خاص بالنساء، أما المحفة مثل الهودج إلا أنه مكشوف لذا فهو خاص بالرجال، أما الشقدف فهو مقعد خاص للرجال والنساء.

يصنع الهودج والمحفة من الخشب، ولكن الشقدف يصنعه التجار من خشب سمكه ربع قدم وله رجلان والمقعد الذي سيجلس عليه ينسج من قشر سعف النخيل كأنه كرسي، ويغطى في شكل نصف قبة يشبه عربة الثيران وله غطاء من قماش القلاع أو من جلد أو بساط أو حصير. إن الشقدف وإن كان يصنع على الشكل الذي بيناه إلا أنه لا يمكن استخدامه إلا إذا أحكم ربط اثنين منهما فوق الجمل، ويغطيان ببساط أو قماش آخر ويحمل فيهما حاجان، بعد حمل الشقدفان على الجمل كما بينا وبالتصاق قبتيهما يأخذ شكل قبة المحفة المستوية، ويصعد إليه حينما يكون الجمل واقفاً بواسطة سلم له أربع أو خمس درجات ويجلس فيه، إن الشقدف يستخدم في طريق الحرمين كما أن الهودج والمحفة يستخدمان في طرق مصر والشام.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٥٧٢) لأيوب صبري باشا]

❊ ❊ ❊

الجمل عندهم (الحجاج) ينقسم الى قسمين جمل الشقدف: ويركبه اثنان ومعهما اللازم من فراشهما ومؤنتهما اليومية، وجمل الحمل ويقال له العصم

يحمل المتاع ويركب فوقه رجل واحد أو رجلان ان كان المتاع قليلًا.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٣ لمحمد البتنوني]

* * *

كانت أجرة جمل الشقدف في سنة (١٣٢٨هـ) ست ليرات عثمانية من مكة إلى المدينة الى ينبع، أما قبل الدستور فقد بلغت ١٣ جنيها مصرياً ونصفاً، كانت تؤخذ من الحاج في مكة بواسطة المطوف، وهذا عدا ما كان يصيبه من الجمال في طريقه من طلبه زيادة على الاجرة المذكورة مدعياً بأنه لم يصله شئ من أجرته.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٤ لمحمد البتنوني]

* * *

شوق

ومن عجائب صنع اللَّه تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة، والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً من القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها، متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة إليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب، حكمة من اللَّه بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام.

والشوق يحضرها وهي نائية، ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع اللَّه بها شمله تلقاه مستبشراً مسروراً، كأنه لم يذق لها مراة ولا كبد محنة ولا نصباً ن إنه لأمر إلهي، وصنع رباني، ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقها تمويه، وتعز في بصيرة المستبصرين،

وتبدوا في فكرة المتفكرين، ومن رزقه اللّه تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الفناء، فقد أنعم اللّه عليه النعمة الكبرى، وخوله خير الدارين: الدنيا ولآخرة، فحق عليه أن يذكر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه.

جعلنا اللّه تعالى ممن قبلت زيارته، وربحت في قصدها تجارته، وكتبت في سبيل اللّه آثاره، ومحيت بالقبول أوزاره، بمنه وكرمه.

[«رحلة ابن بطوطة»]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٣٤)]

❊ ❊ ❊

سئل بعض العلماء: ما الحكمة في أن المشاهد للكعبة المعظمة إذا فارقها يزداد شوقا؟ وكذلك كل مواصل إذا فارق محبوبه ازداد شوقاً؟

فأجاب: لأنه إذا فارق صار يشاهد بالروح بعد أن كان يشاهد بالعين، وشهادة الأرواح أقوى من شهادة الأجرام فيقوى حبه بقدر شهوده.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٧]

❊ ❊ ❊

شعراً:

يا سائرين إلى «البيت» العتيق لقد ... سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عذر وقد رحلوا ... ومن أقام على عذر كمن راحا

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٩١)]

❊ ❊ ❊

في عام (١٨١٤م) وصل عدد كبير من الحجاج إلى مكة، قبل موسم الحج بثلاثة أشهر أو أربعة.

مسألة صيام رمضان في مكة (المكرمة) حافز كبير لمن يستطيعون إليه السبيل،

ولذلك تراهم يعجلون بالوصول إلى مكة، ليطيلوا مقامهم فيها.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٧) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

روي أن الشبلي لما حج البيت ووصل إليه ورآه عظم عنده ذلك، فأنشد طرباً:

أبطحاء مكة هذا الذي أره عياناً هذا أنا

وصار يكرره حتى غشي عليه، وقال آخر:

هذه دارهم وأنت محب فما بقاء الدموع في الآفاق

قلت: وقد تمثلت بهما عند وصولي بمكة، وكان العارفون وأرباب القلوب ينزعجون إذا دخلوا مكة، ولاحت لهم أنوار الكعبة، فيهيمون عند مشاهدة ذلك الجمال، لأن رؤية المنزل تذكر صاحب المنزل، وحجت امرأة عابدة، فلما دخلت مكة جعلت تقول: أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ فاشتدت نحوه تسعى حتى ألصقت جبينها بحائط البيت، فما رُفعت إلا ميتة رحمها اللَّه تعالى ورضي عنها.

[«رحلة الصديق إلى البيت العتيق» ص٢١ للسيد صديق خان]

❊ ❊ ❊

محسن الهزاني وصف رحلة الحج القافلة المسترة بالتمام والأداء:

ياواهني من حج وأوفى جماره واقفن به العيرات سح من الريع
عقب اربع وطن خشم الخضارة ومع مثلهن شافن خشوم مفاريع
والتاسعة كل تبجح بداره بوادي الحريق اللي عذوقه مهاضيع.

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٦٥ لعبداللَّه سعد الدريس]

❊ ❊ ❊

هذا العام جئت للحج مرافقاً للسيد/ تشان الذي جاء بدوره للحج أول مرة، وهو أول مسلم يأتي للحج من منشوريا، ولهذا تقع على عاتقي مسؤولية كبرى

تجاهه، وبدا السيد تشان قلقاً لا يستطيع النوم أيضاً، بسبب مشاعر المتعة والإثارة التي تنتابه.

[«ياباني في مكة» ص٧٤ لتاكيشي سوزوكي]

❋ ❋ ❋

سبحان من جعل بيته مثابة للناس وأمناً، يترددون إليه ويرجعون عنه، ولا يرون أنهم قضوا منه وطراً، لما أضاف اللّه تعالى ذلك البيت إلى نفسه، ونسبه إليه بقوله - عز وجل - لخليله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم، فكلما ذكر لهم ذلك البيت الحرام حنّوا، وكلما تذكروا بعدهم عنه أنّوا.

لا يذكر الرمل إلا حنّ مغترب ... له بذي الرمل أوطار وأوطان
تهفو إلى البان من قلبي نوازعه ... وما بي البان بل من داره البان

قاللّه درها من رؤية!! رؤية البيت لحظات كأنها ليست من الدنيا. ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الآيات.

بيت بنته يد التقوى وشيّده ... أبو النبيين للأجيال يرفعه
أمجاده في كتاب الدهر حافلة ... ثوب الجلال عليه الرب يخلعه
تدرعت بسياج الدين حرمته ... وللّه من عبث الباغين يمنعه
أولاه بالحج تشريفاً وتكرمة ... حتى غدت موئل التقديس أربعه
وكعبة الروح بالتوحيد شاهدة ... كالشمس تسطع نوراً وهي منبعه

بيت خلق من الحجر وأضيف إلى اللّه فصار مغناطيس أفئدة الرجال.

بيت من وقع عليه طرفه بشّر بتحقيق القرآن.

بيت من طاف حوله، طافت اللطائف بقلبه، فطوفة بطوفة، وشوطة بشوطة، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

بيت ما خسر من أنفق على الوصول إليه ماله.

بيت ما ربح من ضنّ عليه بشيء.

بيت من زاره نسي مزاره وهجر داره.

بيت لا تستبعد إليه المسافة.

بيت لا تترك زيارته لحصول مخافة أو هجوم آفة.

بيت من صبر عنه فقلبه أقسى من الحجارة.

بيت من وقع عليه شعاع أنواره تسلى عن شموسه وأقماره.

بيت ليس العجب من بقي عنه كيف يصبر، ولكن العجب ممن حضره كيف يرجع.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٩٢)]

❊ ❊ ❊

قال الشاعر الكويتي حمود الناصر البدر قصيدة صور فيها مشاعره وهو يودع بعض أقربائه المسافرين إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج وهي قصيدة طويلة نقاطف منها بعض الأبيات:

يا مل قلب من تصاريف الأسباب ... تمكنت به موجعات المضاريب
تصدّع المتعوب من كثر ما لاب ... أرهق الوجلا ولب المعاطيب
ساعة طوّن العمد شالن الأطناب ... أيقنت أنا بفراق سيد الرعابيب
وباغن أكف بذراف الدمع ما ثاب ... يا ويش بعينه فاضحات الميازيب
وكشف مستور الحيا بين الأجناب ... لين افكروا بي متعبين المراجيب
قالوا علامك قلت لب الحشا ذاب ... كما يذوب اللي بحامي المواهيب
قالوا تصبّر قلت بالصبر والعاب ... قالوا تحمّل قلت من غير تأويب

أنا سعر بي سم ناب أزرق الداب ... ياوي قريص الداب ما به تطابيب
ذهب الصبر مني وحتى العزا غاب ... مع من رحل وشفاه النفع والطيب
خلي تنصّى باب فتاّح الأبواب ... قصّاد بيت اللّه جزيل المواهيب
عانقت من عقبه شقى رأس مرقاب ... عالي الذرى من نايفات المراقيب
بادن بونّات الوها والتسحّاب ... واقنب من الفرقا كما يقنب الذيب
قمت أتجلّد مما بمنعوب الألباب ... يعز لي أفر ضايق الزر والجيب
لا عيشت طابت ولا مشربي طاب ... وإن جا الدجى نومي شذايذ ذباذيب
يا ناس قاد أمري على كل مرتاب ... أغيب بين الناس ولا أنشد ولا أجيب
غيلان ما صابه علي مي ما صاب ... قلب أنسهم أسباب طرف النواحيب

[«ديوان حمود الناصر البدر» جمع عبد العزيز الدويش ص٢٦ - ٣٧]

* * *

قال الشاعر الكويتي سالم بن تويم الداوي قصيدة أخرى بمناسبة الحج وما فيه من فراق جاء فيها:

بأمان اللّه يا ناس من الديرة نووا يمشون ... ومخلين عوايلهم رجا في رحمة الوالي
مخلين بعض جهالهم من عقبهم يبكون ... يبون المغفرية يتعادل وزن الأعمالي
صغير السن عقب أهله يبيّح خافي المكنون ... تشوف الدمع من عينه على الوجنات همّالي
عساهم عقب غربتهم لأهلهم والوطن يلفون ... رجيته من كريم مالنفعه جنس وأشكالي
حد راية جليل الملك والحاكم لهم ممنون ... صباح اللّه يديمه ما غفل عن شعبه الغالي
خفض من راتبه للشعب عد اثنين بالمليون ... يبيها نفعة للي وراه عويش جهالي
يراعيهم بعين العطف شبه الجوهر المسنون ... ولا منه حمق يأثر على ماضين الأفعالي
يعل اللّه يقبل سعيهم ويبعد الشاطون ... يصير الكل منهم منزلة في ركن وظلالي
بأمان اللّه يا ناس من الديرة نووا يمشون ... ومخلين عوايلهم رجا في رحمة الوالي

[«ديوان الشاعر سالم بن تويم الداوي» الطبعة الأولى]

* * *

حرف الصاد

صاعقة

في سنة (١٥٤هـ) سقطت صاعقة بمكة قتلت بالمسجد الحرام خمسة أنفس، وقيل ستة، وانخسفت بئر بعرفة هلك فيها طائفة من الناس.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٢٨٦]

* * *

صحة

وفي يوم السبت التاسع من الشهر المذكور بعد طلوع الشموع بمقدار ساعة توجهنا إلى جبل عرفات؛ حيث تعارف آدم وحواء عليهما السلام صحبة مدير الصحة العام محمود الخصال المومأ إليه، وقد كان حفظه اللّه تعالى يأمر بالوقوف عند كل مظلة من تلك المظلات الكثيرة التي أحدثها جلالة الملك السعودي لراحة حجاج بيت اللّه الحرام؛ ليفتش على كل مركز من مراكز الأطباء الموجود عند كل مظلة، ويتفقد أحوال المشاة المستظلين من حر الشمس، وقد جعل عند كل واحدة منها عيناً من الماء العذب.

[«الرحلة السعودية الحجازية النجدية. . . . . .» ص٦٠ لمحمد سعود العوري]

* * *

انضمت مملكة الحجاز حديثاً إلى المعاهدة الصحية الدولية لسنة (١٩٢٦م)، وهي تشارك في أعمال المكتب الدولي للصحة العمومية المكلف بتطبيق وتأويل ومراجعة التشريع الصحي العالمي المضمون في المعاهدات الصحية الدولية.

في الوقت نفسه أصبحت حكومة الحجاز بالمملكة تنهج سياسة صحية جديدة لوقاية الصحة العمومية ملائمة للبلد نفسه، وكذلك للبلدان العظمى الأجنبية التي

يزور حجاجها الأماكن المقدسة، من قبل كانت هذه البلدان تطبق على الحجاج إذا كان بإمكانها أن تختار الحجاج وتلقحهم وتراقبهم طبياً خلال مدة سفرهم، ولكن عند وصولهم إلى الأماكن المقدسة كانوا لا يخضعون لأي وقاية صحية، كما أن بلدانهم التي قدموا منها كانت تجهل كل شيء عن الظروف الصحية للحجاج طيلة مدة إقامتهم، وما كان بوسعها إلا أن تستقبلهم عند عودتهم، وتعزل من كانوا يعودون نحو الشمال بمركز طور، وتضعهم تحت المراقبة حتى نزولهم في الميناء المقصود، من الآن فصاعداً أصبحت حكومة الحجاز عضواً في منظمة وقاية صحة الحجاج، إلا أن مصلحتها في هذه الوقاية تلتبس بمصالح الدول الأخرى، حتى الآن كل التدابير المتخذة تجاه الحجاج التي كانت مفيدة بصفة غير مباشرة للحجاج تتعلق أساساً بالجدري وبالكوليرا.

[«مجلة الدارة - العدد ١، ٢ - السنة ٢٦/ ١٤٢١هـ» ص٢٦٦]

* * *

صدقة

في هذه الأيام تفتح الكعبة الشريفة في كل يوم للعراقيين والخراسانيين وسواهم ممن يتصل مع الركب العراقي، وهم يقيمون بمكة بعد سفر الركبين الشامي والمصري أربعة أيام، فيكثرون فيها الصدقات على المجاورين وغيرهم، ولقد شاهدتهم يطوفون بالحرم ليلًا فمن لقوه في الحرم من المجاورين أو المكيين أعطوه الفضة والثياب، وكذلك يعطون للمشاهدين للكعبة الشريفة، وربما وجدوا إنساناً نائماً فجعلوا في فيه الذهب والفضة حتى يفيق، ولما قدمت معهم من العراق سنة ثمان وعشرين فعلوا من ذلك كثيراً، وأكثروا الصدقة حتى رخص سوم الذهب بمكة.

[«رحلة ابن بطوطة» ص١٨٥]

* * *

ونساؤهم (بادية المدينة) يلبسن الثياب السود غالباً كنساء بلادنا، ولا تجدهن إلا مستترات غير متبرجات، ويستوي في ذلك أهل الثروة منهن والفاقة، لأنا رأيناهن يسألن الصدقة لفاقتهن، وهن على ذلك الحال، وقد كن يتعرضن لنا ومعهن الصبيان، فيقفن هنَّ والصبيان بإزاء طريق السيارة حتى تمر بهم سائرة. فيقولون: ارم يا حاج، ارم يا حاج، يطلبون ما يرمى لهم من الصدقة، وكانت الحجاج ترمي لهم الدراهم والخبز، والتمر، ونحو ذلك مما تيسر، ولم نزل يومنا هذا نرمي لهم كلما تعرضوا لنا، كلٌّ يرمي لهم ما أمكنه. فرأى الشيخ محمد الإمام ابن شيخنا الشيخ ماء العينين جماعتنا وكأنها مسها ملل من الرمي لهم فقال لهم بديهة: أحجاج بيت اللّه ويْحكُموا فارْموا.

فاستجاز جامعه ما العينين، فقلت بديهة: ليُمحي بما ترمونه عنكم الجُزْمُ

فقال الشيخ محمد الإمام:

فمن رام بدْرَ الأجْر هذا محَلُّه ولا عُذْرَ إلا حيثُ يْمنعك العُدْمُ

فقال ما العينين:

على أنه لا عُدْم إن جئت هاهُنا ولا يدرك المعنى سوى من له فهم

فما زالت الجماعة ترمي بالصدقات جهدها، لمن تعرض لنا من السائلين حتى انقطعوا عنا بإقبال الليل.

[«الرحلة المعينية» ص١٧١ لماء العينين بن العتيق]

❊ ❊ ❊

صرة

قال محمد صادق باشا: لما وفق اللّه تعالى، وعينت أمينا لصرة الحج الشريف في طلعته سنة (١٢٩٧هـ) وعودته سنة (١٢٩٨هـ) كان سعادة عاكف باشا أميراً على الحج وعاطف بيك القائم مقام رئيساً على أورطتي السواري وهاتان الأورطتان

عبارة عن ثمانية بلوكات معها مدفعان جبليان من الششخانة وثلاثة وعشرون طوبجياً، وكان عدد الجميع بضباطهم مائتين وأحد وأربعين شخصاً تابعين للصرة حفظاً لها وللحجاج وركب المحمل بالبنادر التي يمر بها.

وأول من جاد وأرسل الصرة إلى الحرمين المقتدر باللّه من الخلفاء العباسيين واستمرت إلى الآن وكان مبلغ الصرة (١٣٦٣٤١٧) قرشاً عنها (٥٥٦١٩) جنيه و(٢٢٣١٠) قروش من ذلك مصروفات خدمة الصرة ذهاباً وإياباً ومرتبات العربان ومجاوري مكة والمدينة ومبلغ (١٦٠٩١٣) قرشاً مرتب تكية مكة و(١٦٥٦٧٠) قرشاً مرتب تكية المدينة فضلًا عن الأمانات التي ترسل إلى أربابها من الروزنامجه والأوقاف وبعض الدوائر لزوم مرتبات أهالي الحرمين وأشخاص مقيمين بالحجاز وثلاثين قنطاراً من الحلوى وثلاثة قناطير من الشمع الاسكندري وعدد من الأكراك والبنشات والأقمشة والشيلان الكشميرية والشاش الأبيض.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص ٣]

❊ ❊ ❊

نجم بن سلامة بن غانم بن شوفان بن سعد صادق الوعد، وكان نجم هذا هو أول من أخذ (الصرَّة) من الحكومة المصرية لحماية طريق الحج وهو مدفون عند بئر الصني على ١٦ ميلًا شرقي المربَّعة ومات عن أربعة أولاد: على وحمدان وعُليَّان وسالم.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص١١٩]

❊ ❊ ❊

اضطرت الدولة العثمانية أن تدفع كالدول التي سبقتها مبالغ سنوية من المال لأمراء البدو المسيطرين على طريق الحاج، وتسمى هذه المبالغ عادة (الصر) وأحيناً (بالصرة)، وكان التعبير الأخير يطلق عادة على المبالغ التي يرسلها السلطان كل

سنة لتنفق على علماء وفقراء مكة والمدينة وذلك لشراء سلامة الحجاج.

[«بلاد الشام ومصر» لعبد الكريم رافق ص١٥٦]

* * *

إذا كانت أموال الصرة ترسل إلى شيوخ القبائل البدوية على طريق الحج لقاء عدم اعتدائهم على قافلة الحج، فإنهم (البدو) أيضاً يقدمون خدمات للحاج في الذهاب والعودة من تأجير الجمال والخيام وجلب الماء وما يتبع ذلك من خدمة الحج، وقد عرف من يقوم بهذه الخدمة (باش مقوّم).

[«حوادث بلاد الشام» لحسن آغا العبد ص١٢٩]

* * *

كما كانت تشمل أموال الصرة هدايا أخرى من مجوهرات وملابس لبنات الشيوخ، كان إذا توفي الشيخ ترسل صرة إلى بنته وتسمى حينذاك (صرة البنت).

[«السعادة النامية الأبدية» لمحمد عارف المنير ص٢٤٨]

* * *

بلغ العناية بالاهتمام بإرسال الصرة إلى أرض الحجاز أن تولى الملوك الحسينيون في تونس إلى عقد موكب كبير يحضره سمو الباي، وأهله، والوزراء، ورجال الدائرة الملكية، وكبار موظفي الأوقاف، وفيهم وكيل الحرمين الشريفين وبيده صندوق المال المزمع إرساله إلى الحجاز، وسط هذا الحشد الكبير يأذن الباي بإحضار الرسول المكلف بتبليغ الأمانة ويدفعها له بنفسه مصحوبة بكتاب خطي من سموه لملك البلاد العربية المقدسة قائلًا له: «هذه أمانة اللَّه ورسوله تبلّغ لأهلها إن شاء اللَّه بواسطتك»، فيتسلمها الرسول المكلف ويشكر اللَّه - عز وجل - على النعمة، ويرطب لسانه بالدعاء لسمو المولى الأمير.

[«صفحات من تاريخ تونس» لمحمد خوجة ص٢٦٢]

كان موكب محمل الحج للسلطان ابن دينار يأتي من دارفور بالسودان إلى مصر ومعه ريش النعام والسن (سن الفيل = العاج) والصمغ وغيرها من خيرات البلاد، فيبيعها ويتم بثمنها توفير نقود الصرة.

[«مجلة تراث» العدد ٧«٥/ ٢٠٠٥) ص١٦]

❊ ❊ ❊

قام السلطان مراد الثاني - طوال مدة حكمه - بإرسال صرة نقدية تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة فيلوري، ذهباً إلى كل من مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، وخليل الرحمن، وكانت الصرة التي أُرسلت في سنة (٨٥٥هـ - ١٤٥١م) مقدراها ٨٠١ كيسة ذهبية.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٥ لأوليا جلبى]

❊ ❊ ❊

ضاعف السلطان سليم الأول الصرة التي كان يبعث بها والده، وعقب دخوله إلى مصر، واستقرار الأمور بها أرسل إلى كل من أشراف مكة خمسمائة دوقة ذهبية، وإلى كل شيخ من مشايخها ست سكات ذهبية. وإلى كل واحد من أعيان المدينة ثلاث دوقات ذهبية، وتم إحصاء الفقراء الذين خرجوا إلى خارج مكة، ومُنح لكل منهم دوقة. بحيث وصل مجموع المبالغ التي تم توزيعها. مائتي ألف دوقة ذهبية. هذا عدا الظهيرة التي أرسلت مع الصرة.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٦ لأوليا جلبى]

❊ ❊ ❊

أول أمين للصرة يُعين من قبل سليم الأول سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م هو الأمير مصلح الدين، وقد أشرف بنفسه، ومعه قاضيان مصريان على توزيع الصرة على مستحقيها في كل من المدينتين المقدستين.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٦ لأوليا جلبى]

❊ ❊ ❊

كانت الصرة التي يرسلها بايزيد الثاني كل سنة لتوزع على آهالي الحرمين الشريفين قد نالت استحسان شاعر البطحاء العربي الشيخ شهاب الدين ابن أحمد علي المتوفى (٩٢٢هـ - ١٥١٦م) فقرض قصيدة في مدح السلطان اسماها (الدر المنظوم في مناقب السلطان بايزيد ملك الروم) وقدمها إلى السلطان عندما قدم الشاعر إلى استانبول، واستحسنها السلطان، وأنعم على الشاعر بألف دينار، وكان يرسل إليه سنوياً مائة دينار.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٦ لأوليا جلبى]

* * *

السلطان سليم الأول قد خصص لمكة خمسة آلاف أردب، وإلى المدينة ألفين من الظهيرة، وكانت هذه الكمية تُزاد وفقاً لزيادة نفوس هاتين المدينتين الشريفتين، حتى وصلت الكمية إلى ١٢ ألف أردب إلى مكة، وثمانية آلاف أردب إلى المدينة وذلك في منتصف القرن العشرين، وأنها كانت ترسل من أوقاف مصر.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٦ لأوليا جلبى]

* * *

لما دخلت مصر، وسوريا تحت النفوذ العثماني، أخذ العثمانيون على عاتقهم المحافظة على الأوقاف المملوكة التي كانت وقفاً على الحجاز، وحافظوا على إرسال الصرة المصرية بكل عاداتها، ومراسمها، وطبقوها كما هي.. وأضافوا عليها بعض التحسينات، فقد زاد السلطان سليمان القانوني (١٤٩٥هـ - ١٥٦٦م، ٩٠٠ - ٩٧٤هـ) مقدار الصرة التي كانت تُبعث من مصر. كما جعل صدقات الجوالي أي معظم الجزية التي كانت تؤخذ من غير المسلمين مخصصة لآهالي الحرمين.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٧ لأوليا جلبى]

* * *

كانت الصرة التي تُرسل من مصر لآهالي الحرمين الشريفين، والصدقات والغلال، والظهيرة، والدشيشة، تُؤمن من الأوقاف الخيرة الموقوفة على الحرمين الشريفين في مصر. وكانت القرى المصرية الموقوفة على الحرمين الشريفين تُسمى في مصر (قرى الدشيشة).

[«الرحلة الحجازية» ص٣٧ لأوليا جلبى]

❊ ❊ ❊

كانت الصرة تخرج في استانبول كل عام وسط احتفال مهيب، يتقبل فيها أمين الصرة الأوامر من السلطان، ويتقبل الهدايا، والعطايا المرسلة من الأمراء، والأميرات، والوزراء، ورجالات الدولة، والأثرياء، ويتحرك موكب القافلة، وسط حراسة مشددة من القوات المخصصة والمرافقة للموكب بمجرد أن يسلم السلطان مقود جمل المحمل إلى أمير القافلة.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٧ لأوليا جلبى]

❊ ❊ ❊

أمين الصرة كان مضطراً في كثير من الأحيان للصرف عن ممتلكاته الخاصة مبالغ كبيرة وذلك لقة المخصصات، ومن هنا كانت تسند هذه المهمة إلى بعض الأغنياء في كثير من الأحيان، وكان كثير من العثمانين في عصور الازدهار لا يتوانون أو يتهيبوا من صرف المبالغ الضخمة في هذا الصدد، ولكن في أواخر القرن الثاني عشر - الثامن عشر الميلادي، وبسبب الأوضاع المالية المتردية للدولة العثمانية، بدأ الكثيرون يرفضون القيام بهذه المهمة متعللين بكثير من الأسباب الواهية لإعفاءهم من هذه المهمة، ولكن في عهد السلطان سليم الثالث وخاصة في سنة ١٢٠٧هـ ١٧٩٢/١٧٩٣م تم علاوة مبلغ ١٥٠ ألق قرشاً ذهبياً على مخصصات هذه الوظيفة مما أعاد إليها رونقها

وأصبحت مطلباً لكثير من رجالات الدولة.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبى]

❋ ❋ ❋

اعتادت الدولة العثمانية أن تبعث في شهر رجب من كل سنة وقبيل نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجرى في شهر شعبان، من استانبول إلى الحرمين الشريفين مبلغاً من المال، وكمية من الهدايا تحت مسمى الصرة، وأطلقت على الموظف المكلف بتوزيعها لقب أمين الصرة.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبى]

❋ ❋ ❋

وكانت الصرة تُرسل من مصر إلى المدينتين المقدستين حتى سنة (١١٢٦هـ-١٧١٤م) ومنذ ذلك التاريخ، صدرت الآوامر بأن تُرسل من خزينة الحرمين في الآندرون. وكانت هذه الصرة المرسلة إلى مكة، والمدينة توزع وفق نظام خاص، وتُسجل في الدفاتر على أنها المعلوم أو المعلومية المرسلة باسم الهمايون...

يتم إلباس أمين الصرة «الخلعة» في مقام، وحضور الصدر الأعظم، ثم يبعثُ به من الباب العالي برفقة «الملخص» إلى السراي، فيخلع عليه بخلعة آخرى في حضور آغادر السعادة وبعدها مباشرة تتم إجراءات إرسال الصرة.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبى]

❋ ❋ ❋

خلال السنوات المعتاد إرسال الصرة فيها عن طريق البر، وكانت تعد المذكرات والدعوات من طرف آغا دار الساعادة إلى الدفتردار، ورئيس الكتاب، والنيشانجي - حامل الأختام - من أجل إعداد آلاي الصرة المعتاد خروجها سنوياً من استانبول في الثاني عشر من شهر رجب، ثم يقوم معتمد

الآغا، ومعتمد الصدارة بالكتابة إلى من يهمهم الأمر بهذا الصدد، ومن يجب تواجدهم في هذا الموكب. .

تُرسل مذكرة إلى قبطان البحرية لتوفير المعديات اللزمة في مرفى سيركه جى لنقل الصرة، وموكبها إلى اسكدار في اليوم المحدد.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبى]

* * *

يحضر المدعووين إلى السراي في يوم الموكب، ويجلسون في قاعة كاتب آغا دار السعادة التي أعدت في الديوان، وفيما بين بوابتي باب الهمايون والبوابة الوسطى، وعقب وصول آغا دار السعادة، تُسلم إليه الرسالة التي قد أعدت باللغة العربية، والموجهة إلى أمير مكة المكرمة، ثم يتم إلباس الخِلَع، وتوزيعها على المدعوون من طرف الآغا.

خلال هذه المدة يقوم كاتب الآغا، ومفتش الحرمين بختم دفاتر الصرة الهمايونية التي أعدت، ثم يوقعها الدفتردار بتوقيعه المزيل، ثم يقوم النيشانجي بوضع الطغراء السلطاني على الدفاتر. . . وما أن تنتهي هذه الأعمال حتى يعود الدفتردار، ورئيس الكتاب والنيشانجي، ويسلمونها إلى آغا دار السعادة الذي يتوجه بها إلى الآندرون (الداخل).

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبى]

* * *

تمد الموائد إلى المشايخ، والعلماء، والأئمة المدعووين جنباً إلى جنب مع طاقم الصرة. . وعقب الطعام تحضر هيئة الموكب إلى ميدان (قُبة التى) حيث السرادق والصوان المقام، وينتظرون جميعاً خروج السلطان.

وسط تصفيق جاوشية ديوان السلطان، يطل السلطان من باب الآغوات البيض المسمى (باب السعادة) وهو على صهوة جواده الأبيض، ثم يترجل، ويجلسه

النيشانجي حيث مكانه المعد لذلك. . . وخلال هذه اللحظات؛ وعلى الرغم من أن مربيه قد وقف ممسكاً برسالة الهمايون، وآغوات الحرم قد اصطفوا وعلى أكتافهم أكياس الصرة. . . إلا أن الضباط حملة البُلط، من ذوي الذوائب، يخرجون من باب حرم السلطان، ويصطحبونه حتى مقامه المقام داخل الصوان. . ويقومون أمام السلطان بعدَّ أكياس النقود، وتسجيلها في الدفاتر التي توضع في الأظرف، وتختم بالشمع، وتوضع داخل العلب الإسطوانية المعدنية. ثم يعود أغوات الحرم.

في تلك الأثناء. . . يستقبل آغا السعادة، مربى السلطان الذي يكون قد اقترب بالفرمان السلطاني. . . فيسلم الفرمان إلى السلحدار الذي يكون قد أخذ مكانه بجوار السلطان، فيقدمه بدوره إلى السلطان. وبعد أن يتم توقيعه، يختم بخاتم السلطان ثم يُسلم إلى آغا دار السعادة، هو ودفاتر الصرة، وأكياسها.

وبينما آغا دار الساعادة، وأغوات الحرم يتجهون بها نحو الخيمة الرئيسية يستقبلهم أمين الصرة. . ويكون في هذه اللحظات قد ارتدى، هو ورئيس السقاة خلعتيهما. فتُسلم إليه الرسالة السلطانية، ويتم استعراض أكياس نقود الصرة أمام الخيمة. وخلال هذه اللحظة أيضاً، يتم إلباس اثنين من المبشرين الخلع الخاصة بهم.

ثم يُدعى آغا دار السعادة ليرتدي الخلعة الفرائية في حضرة السلطان، ويكون في نفس هذه اللحظات معتمد الإسطبل السلطاني يتجول أمام الحضور بالجمل الذي سيحمل المحمل الشريف. . . وخلال ذلك يكون المنشدون يرددون المدائح، والنعوت النبوية، ويبتهلون بالدعاء إلى اللّه سبحانه وتعالى.

يكون السلطان خلال هذه اللحظات قد ألبس آغا دار السعادة القفطان أو الفراء السمورى. . فيتوجه الآغا نحو أمير الاسطبل، ويتسلم منه مقود الجمل الذي يحمل المحمل. . ويقوم بالطواف أمام الحضور مرتين بالجمل، ثم يقوم

بتسليم المقود الفضي إلى أمين الصرة، ومقاود مطرزة بالذهب إلى الآغا السقاء... ثم يتجه ناحية القبلة، ويسير بضع خطوات تجاه السلطان، ليقدم فرائض الشكر للسطان، ويقبل الأرض بين يديه....

عقب ذلك يتوجه آغا دار السعادة، ومعه موظفوا الأوقاف، ويسيرون أمام الجمل الذي يحمل المحمل حتى يكونوا في مقدمة الموكب.. ويخرجون من البوابة الوسطى، ويتابعون السير مع الموكب، حتى المستشفى القريب من باب الهمايون وبعد الدعاء بسلامة الوصول، يعود آغوات، دار السعادة، وباب السعادة، ومعتمد السراى، ورئيس الخزينة الهمايونية إلى الداخل.. ثم يخرجون من باب الهمايون إيذاناً بالإنصراف.

أما جمل المحمل، والقافلة التي تحمل أكياس النقود، والصرة، فتكون محاطة بضباط بلطجية - حاملو بلط - السراي، وما أن يخرج موكب الصرة من السراى حتى يتجه نحو مرفئ سركجي ماراً من تحت قصر أو شرفة الإحتفال، وهناك في المرفئ، وبعد الابتهالات، والدعوات الصالحات، تنقل المعديات المحمل، وكتيبة الموكب إلى أُسكدار.

يمكث أمين الصرة مدة في أُسكدار، لإستكمال نواقصه، ثم يستأذن بالتحرك، وبعد السماح، والإذن من السلطان، تتحرك القافلة، ومن أُسكدار حتى الشام، تلقى القافلة احتراماً، ومساعدة، وعوناً، وحفاظاً على سلامتها وأمنها من سائر الوزراء، والأمراء، والقواد، وقادة الصناجق، والقضاة والمعتمدين، وقادة الإنكشارية، ورجالات الولايات التي تمر بها، وذلك عقب تلقيهم الأوامر، والرسائل والأحكام التي تبعث إليهم بهذا الصدد، وتأمرهم بتأمين سلامة الصرة، وأمينها، وقافلة الحجاج حتى تصل إلى الشام.

وعقب تحديد اليوم الذي سيتحرك فيه أمين الصرة، والقافلة من استانبول تُكتب الأوامر إلى متصرف صنجق إزميت الذي يستقبل هو والأهالي الصرة عند بداية

حدود المتصرفية.. ويظل هو والخيالة، والإنكشارية، وحاملو البنادق في كل الأقضية في حراستها حتى تم تسليمها إلى آقشهير، وما أن تصل القافلة إلى هناك حتى تتم عملية التسليم، والتسلم، وهم مكلفون بأخذ السندات اللازمة.

وما أن يتسلم قائد صنجق آقشهير القافلة، حتى يتولى هو ورجاله حراستها وتأمينها حتى يسلمها إلى والي قونية، ويتسلم مستنداته، ويعود، وعلى نفس المنوال تتحرك القافلة في حراسة والي قونية، أو ملتزمها، أو متسلمها حتى آضنه، وطوال الطريق، ينضم إلى القافلة كل الحجاج الذين يتوجهون إلى الحجاز، لإيفاء فريضة الحج، وهكذا تتحرك الصرة، والقافلة من آضنة إلى حماه، وتسلم القافلة التي تسير على هذا المنوال إلى والي الشام في دمشق.

وقبل أن يتحرك أمين الصرة، وقافلة الحج من الشام بيوم واحد، يشترك مؤذنو الجامع الأموي، وكل الجنود والأهالي مع القافلة، ويتوجهون جميعاً وسط التكبيرات، والتهليلات المدوية إلى حيث (لواء السعادة) المحفوظ بجوار مقام الصحابي أبي الدرداء، فينضم حملة اللواء إلى القافلة، ويتوجهون جميعاً وسط التهليل، والتحميد، والتكبير، والتلبية إلى أن يصلوا إلى قصر الحكم. وفي اليوم التالي يتحرك والي الشام، وأمير الحج على رأس قافلة الحج الشامي متجهين جميعاً إلى مكة المكرمة.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبي]

❋ ❋ ❋

وكان أمير الحج يقوم بإستقبال القافلة في مدائن صالح، أو المدينة المنورة، أو في أي منزل من منازل الحج، ويتجهون سوياً إلى مكة.

اعتباراً من الشام، كانت قافلة الحج سواء في الذهاب أو الإياب تسير وفق نظام، ونسق معين مع قواتها، ومدافعها ولا يمكن أن يسمح بأي خلل من

القائمين أو المنضمين إلى القافلة من مستقبليها.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبي]

* * *

يُقدم أمين الصرة الفرمان الذي أحضره - باللغة العربية - وسط مراسم واحتفالات إلى أمير مكة المكرمة، فيقبل الأمير الفرمان، ويضعه على رأسه ثم تقرأ رسالة السلطان علنا في منى.. ثم تقدم الدفاتر التي تحتوي على مقدار الصرة، وكيفية توزيعها على الشريف... وبناءاً على ما هو مذكور في هذه الدفاتر توزع المعلومية على الأهالي تحت نظارة، وإشراف أمير مكة وشيخ الحرم، وأمين الصرة، وقاضي مكة. وتُعاد أنصبة الذين توفاهم اللَّه، أو الغائبين إلى أمين الصرة، حيث تعاد إلى استانبول.

أما مستحقات أهل المدينة من الصرة؛ فتوزع على أهالي المدينة المنورة تحت إشراف وكيل، أو معتمد الشريف في المدينة، وقاضيها، وشيخ الحرم النبوي. وكاتب الصرة، وتُعلن الحكومة المركزية بالكيفية التي تم بها التوزيع.

[«الرحلة الحجازية» ص٨١ لأوليا جلبي]

* * *

يعود أمين الصرة أيضاً مع قافلة الحج؛ وقد حمل رداً على رسالة السلطان من أمير مكة، وهدايا قيمة إلى السلطان، والصدر الأعظم، والوزراء، وسائر رجالات الدولة. وما أن يصل إلى مشارف أُسكدار حتى يعلن عن مقدمه إلى الصدر الأعظم، الذي يستصدر له الإذن بالدخول من السلطان فيدخل إلى أُسكدار.

يقوم الصدر الأعظم بتقديم رسائل الشريف فوراً، إلى السلطان، وتترجم فوراً في قلم الديوان الهمايوني إلى اللغة التركية، ويُعرض الأصل العربي، مع الترجمة، وتقرير كامل إلى السلطان...

* * *

كان أمراء مكة يرسلون هداياهم إلى السلطان، والصدر الأعظم مع واحد من أخلص رجالهم، فيصل إلى الباب العالي مع هداياه... ويتم استقباله في صالون الإستقبال... ثم يمثل إلى جوار رئيس الكتاب، ويُسلم معروضاته، وهداياه وعقب زيارته إلى كتخدا الصدر الأعظم، والصدر الأعظم، يرسل مع الملخص إلى السراي.. وعند استقبال الصدر الأعظم لمعتمد الشريف، ورجاله، كان يقدم لهم الشربات، والقهوة، والبخور، ويخلع عليه خلعاً من الفراء، وعلى أربعة أو خمسة من رجاله بالخلع القيمة.

ومن الأصول المرعية أن يقوم آغا دار السعادة بالباس معتمد أمير مكة المكرمة، ومن هم في معيته الخلع المختلفة.

[«الرحلة الحجازية» ص٤٦-٥١ لأوليا جلبي]

* * *

جاء في الكلام على دارفور في تاريخ السودان لنعوم بك شقير تحت عنوان صرة الحرمين ما نصه: وكانت الفور مستقلة عن دول الأرض كلها لا تدفع جزية لاحد ما عدا الحرمين الشريفين فإنها كانت تخدمهما بمحمل وصرة كل سنة فكان موكب المحمل يأتي الى مصر ومعه الريش والصمغ وغيرهما من خيرات البلاد فيبيعها ويتم بثمنها نقود الصرة ثم يستطرد الحج إلى الحرمين مع الركب المصري.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤ لمحمد البتنوني]

* * *

جرت عادة السلطان الغازي بايزيد خان الثاني بن السلطان محمد الفاتح خان بأن يرسل كل سنة صرة تحتوي على أربعة عشر ألف قطعة ذهبية، على أن يوزع نصف المبلغ لعلماء مكة الأعلام والنصف الآخر لعلماء المدينة الأعلام

وذلك في سنة ٨٨٦ هـ.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٥٧٧) لأيوب صبري باشا]

* * *

يجري توزيع صرة مكة في المسجد الحرام، من نوافذ منزل القاضي وتحت إشرافه، بعد عودة الحج. هناك من يتسلم مبالغ صغيرة قد تصل إلى قرش واحد، أما القسم الأكبر فيتراوح بين عشرة قروش وعشرين قرشاً، لكن هناك عدداً قليلًا جداً من الأسر التي تتسلم ما يقرب من ألف قرش كل عام.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ص ٢٤٠ لجون لويس بوركهارت]

* * *

الصفا

قال السنجاري: قلت: وفي القاموس: وبُس - بالضم - بيت لغطفان بناه ظالم ابن أسعد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة، فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة، ورجع إلى قومه، فبنى بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين وقال: هذا الصفا والمروة، فاجتزؤوا به عن الحج، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٥٥)]

* * *

الصفا أصل جبل أبي قبيس على ما ذكره البكري والنووي وغيرهما، وهو مكان مرتفع من جبل له درج.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١١٣)]

* * *

قال الفاسي: وما ذكرناه من الدرج مدفون شاهدناه بعد حفرنا في شوال سنة (٨١٤هـ).

وسبب حفرنا له: أن الشيخ محب الدين الطبري قال شرح التنبيه: وبني في ذيل الصفا درج، فينبغي أن يحتاط من بدأ السعي بالرقي عليها.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٥٦)]

* * *

الصفا: مكان عال في أصل جبل أبي قبيس على بعد (١٣٠) متراً من الكعبة من الناحية الجنوبية الشرقية، وارتفاعه (١٥) متر.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨١]

* * *

قال السيد عبد اللّه الميرغني رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «العدة في أماكن الإجابة»: أن البداءة بالصفا في السعي واجبة، وقيل: سنة، وقيل: شرط. ويستحب إذا أراد السعي بعد الطواف أن يخرج من باب الصفا، والسنة أن يخرج إليه بعد الطواف على فوره، ثم يتوجه إلى الصفا، ويصعد على الصفا بقدر ما يرى البيت الشريف من الباب أو من فوق الجدار، وما زاد على ذلك من الصعود على الجدران، والالتصاق بدعة قبيحة، ويسن أن يستقبل القبلة، وأما رؤية البيت فمستحب، ويرفع يديه حذو منكبيه بسطاً للدعاء لا كما يفعله الجهلة من معلمي الغرباء وغيرهم من رفع أيديهم إلى آذانهم وأكتافهم ثلاثاً كل مرة مع تكبيرة، فإن السنة بخلافه، وفعلهم ذلك لم يقل به أحد من العلماء، فيرفع يديه من غير إرسال.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١١٥)]

الصفا والمروة هما جبلان بين بطحاء مكة والمسجد، أما الصفا فمكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي الذي هو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود.

وأما المروة جبل بمكة يعطف على الصفا.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/ ٤١١)]

❊ ❊ ❊

الصفا: حجر أزرق عظيم في أصل جبل أبي قبيس، قد كسر بدرج إلى آخر موضع الوقوف، وأكثر ما ينتهي الناس منها إلى اثني عشر درجة أو نحوها.

[«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» أحمد بن يحيى بن فضل العمري شهاب الدين (١/ ٧٨)]

❊ ❊ ❊

الصفا: جمع صفاة وهي الصخرة الملساء، أو الحجر العريض الأملس، أو الصخرة الملساء القوية المختلطة بالرمل.

[«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٢/ ١٧٩)]

❊ ❊ ❊

إنما عنى اللّه تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ في هذا الموضع: الجبلين المسميين بهذين الاسمين اللذين في حرمة دون سائر الصفا والمروة، ولذلك أدخل فيهما الألف واللام ليعلم عباده أنه عنى بذلك الجبلين المعروفين بهذين الاسمين دون سائر الصفا والمرو.

[«تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٦)]

❊ ❊ ❊

كانت الصفا والمروة يستند فيهما من سعى بينهما، ولم يكن بينهما بناء ولا درج حتى كان عبد الصمد بن علي في خلافة أبي جعفر المنصور فبنى درجهما التي هي اليوم درجهما، فكان أول من أحدث بنائهما، ثم كحل بعد ذلك بالنورة في خلافة المأمون.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ١٢٠)]

❊ ❊ ❊

قال الأزهري: الصفا والمروة جبلان بين بطحاء مكة والمسجد.

[«لسان العرب» لابن منظور (١٤/ ٤٦٩)]

* * *

دار الأرقم تسمى دار الخيزران نسبة إلى خيزران جارية المهدي أم الرشيد فهي التي اشترتها سنة (١٧١هـ)، كانت بالصفا عند مبدأ السعي، وبين هذه الدار ستة وثلاثون متراً باستقامة خط المشي، أو ثمانية وأربعون متراً إذا انعطف ناحية الحارة التي كانت بها الدار قبل هدمها في التوسعة السعودية، ولقد هدمت هذه الدار في اليوم الثامن والعشرين من شوال سنة (١٣٧٥هـ) لإدخالها في توسعة المسجد الحرام التي حصلت في السنة المذكورة في عهد جلالة الملك المعظم سعود ابن عبد العزيز بن عبد الرحمن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٨٢)]

* * *

في عام (١٣٨٤هـ) في بداية عهد الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تم تشييد قبة الصفا المقببة، وكسوة واجهات الدور الأول من المسعى وأعمدته وأرضيته بالرخام، وتغطية سقفه بالزخارف المصنوعة من الحجر الصناعي الملون، وقد أصبحت مساحة المسعى بعد أن ألحق بالمسجد (١٦٧٠٠) متراً للطابقين.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٥٨]

* * *

في عهد الملك فهد - يرحمه اللَّه - تم توسعة منطقة الصفا في الطابق الأول وتم توسعة منطقة المروة للقضاء على الزحام وتوسعة الممر الداخل إليها، وفي العام التالي تم إنشاء جسر من جهة المروة، كما جعلت قبة فوق المروة صغيرة، وفي عام (١٤٢٠هـ - ١٤٢٢هـ) جرى فتح ثلاثة أبواب عند المروة.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨٧]

صلاة

الحجاج أول من أطاف الناس حول الكعبة للصلاة، وكانوا يصلون صفوفاً. قال طاووس كأنا كنا عن هذا عمياً.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٣١)]

* * *

في منسك العلامة الحسن بن محمد بن عبسون السنجاري الحنفي: أن أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد اللَّه القسري، لما وليها لعبد الملك لما ضاق المسجد بالمصلين فقيل له: انقطعت الصلاة الغير المكتوبة. قال: نأمرهم أن يطوفوا بين كل ترويحتين سبعاً فقيل له: قد يكون في جانب المسجد من لا يعلم بانقضاء طوف الطائفتين فيتهيأ للصلاة. فأمر عبيد الكعبة أن يكبروا حول الكعبة فيقولوا: الحمد للَّه، واللَّه أكبر، فإذا بلغوا الركن الأسود في الطواف السادس سكتوا بين الركنين حتى يتهيأ الناس للصلاة. فإذا انتهى السبع قام مسمع فنادى: الصلاة يرحمكم اللَّه - انتهى.

وفي هذا مقتضى أن خالد بن عبد اللَّه القسري إنما فعل ذلك في شهر رمضان في صلاة التراويح، وهذا لا ينافي ما تقدم عن الحجاج ويؤيد هذا ما قاله شيخ مشايخنا عبد الرؤوف المكي في كتابه «شرح مختصر الإيضاح» ونص ما ذكره: ويصح بل يندب استدارة المأمومين حول الكعبة، لأن خالد بن عبد اللَّه القسري والي مكة في خلافة عبد الملك فعل ذلك، ولم ينكر عليه مع حضور العلماء كعطاء وعمرو بن دينار ونظرائهما.

ونقل عن الزركشي: أن أول من فعله عبد اللَّه بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ويمكن الجمع بين الكلامين بان ابن الزبير فعله أولًا، ثم خالد بعد قتله.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٣٢)]

* * *

قال سفيان بن عيينة: أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد اللَّه القسري.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٢/١٠٧)]

❋ ❋ ❋

عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: إذا قل عدد الناس في المسجد أحب إليك أيصلوا خلف المقام أم يكونوا صفاً واحداً حول الكعبة؟ قال: بل يكونوا صفاً واحداً حول الكعبة. قال وتلا: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥].

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/٥٨٩)]

❋ ❋ ❋

في سنة (٨١٦هـ) أرسل صاحب مصر شيخو أمر بقية الأئمة الثلاثة أن يصلوا المغرب كما كانوا في سابق الوقت، فصولا المغرب أربعتهم في وقت واحد ليلة السادس من ذي الحجة من السنة المذكورة.

فائدة:

قال التقي الفاسي: وأما حدوث صلاة الأئمة على هذه الصفة فلا أعلم في أي وقت كان.

ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي سنة أربعمائة وسبع وتسعين، وأن الحنبلي لم يكن موجودا، وإنما كان إمام الزيدية. ثم قال: ووجدت ما يدل على أن الحنبلي كان موجودا في عشر الأربعين وخمسمائة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/٤١٦)]

❋ ❋ ❋

في سنة (٨٨٢هـ) صلى الناس في ليالي رمضان التراويح هيزع بن الشريف محمد بن بركات بجميع القرآن على يمين مقام السادة المالكية، وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل ما لا يحصر، وأنقد من الشموع في تلك الليالي ما لا يحصر وان في كل ليلة يخرج من بيت والده في زفة عظيمة فيها جماعة من الأعيان، ويتلقاه من باب المسجد القضاة الأربعة، ويمشون معه إلى مصلاه، ثم إذا فرغ يمشون معه إلى باب المسجد، ويصلي خلفه الأمراء، والقضاة، والفقهاء، والأعيان، والأروام، والتجار، وغيرهم، ويصلي عن يمينه فقيه، وعن شماله القاضي أبو السعود بن ظهيرة، وفي ليلة الختم زف المصلى المذكور راكباً من بيت والده إلى باب الصفا، وسار إلى أن دخل من باب السلام وزيد في الشموع والوقيد أضعافاً مضاعفة، ومشى معه جميع الناس إلا النادر، وكان من جملة الماشين والده من باب الصفا، وأنشد المنشدون في الختم، وخلع عليهم وعلى المكبرين، والفراشين، والوقادين أربعة عشر خلعة عطية لهم، وفرقت الحلاوات على القضاة، والأعيان، والفقهاء، والأمراء، والتجار بحيث كان ذلك مما يضرب به المثل.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٣/ ٧٩)]

* * *

في يوم الجمعة التاسع عشر من محرم الحرام سنة (١١٠٠هـ): طلع مولانا الشريف أحمد بن غالب سطح الكعبة المشرفة للإشراف على إفريز الكعبة التي تربط فيه الكسوة لإخبار المعلمين له بأنه استأكل، ويحتاج إلى تغيير، وجاءه أمر من الأبواب بعمارة ما يحتاج إليه في الكعبة، وتعريف جهة السلطنة بما صرف في ذلك.

فاتفق أن وجبت الجمعة، ودخل الخطيب وهو في الكعبة، فصلى الجمعة وهو في جوفها.

والكلام في هذه المسألة محله في غير هذا الكتاب فراجعه إن شئت، إلا أن تكون صحة الصلاة في جوف الكعبة مؤتما بالإمام الخارج - ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٧٥)]

* * *

تسبب القتال الدائر بين الشريف سعيد بن زيد والشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى سنة (١١١٧هـ) أبطلت خمس الصلوات من المسجد الحرام بموجب القتال بالمسجد، وانحازت الستة بلكات إلى إيواز بيك.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٣٨١)]

* * *

بعد أن فتح رسول اللَّه ﷺ مكة في السنة الثامنة للّهجرة دخل الناس في دين اللَّه أفواجاً وعبدوا اللَّه جهاراً ليلًا ونهاراً أقيمت فيه صلاة الجمعة كبقية الصلوات، فكان الناس منذ العهد الأول يقيمون صلاة الجمعة في المسجد الحرام إلى عصرنا الحاضر، فلا تتعد صلاة الجمعة بمكة المشرفة أبداً. وكان الناس يحضرون إلى المسجد الحرام لصلاة الجمعة من أماكن بعيدة كالمعلا والحجون والمعابدة، وكالمسفلة وجرول يحضرون إلى المسجد الحرام بحب ورغبة صيفاً وشتاءً ولو في شدة الحر والقيظ بوازع نفسي ودافع ديني مع وجود مساجد كثيرة في مكة المكرمة.

ثم لما كان في عهد الحكومة السعودية أي في سنة (١٣٧٥هـ) أي لدى ابتداء توسعة المسجد الحرام صارت مكة المشرفة فسيحة الأرجاء واسعة الأطراف، حتى وصل العمران والبنيان فيها إلى أكثر من خمسة كيلومترات في جميع أطرافها، وبطبيعة الحال ومقتضيات الضرورة أنشئت فيها مساجد كثيرة يبلغ عددها (١٥٠) مسجداً، فسمحت الحكومة السعودية من السنة المذكورة بإقامة

صلاة الجمعة في بعض مساجد مكة تيسيراً على الناس، ومن هذا الوقت تعددت صلاة الجمعة في مكة المكرمة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٣٥٦)]

❊ ❊ ❊

في سنة (١١١٥هـ) اتفق أن بعض الأرفاض في حال قيام صلاة الجمعة كان يطوف، فصلوا الناس الجمعة وهو لم يصلّ، فشعر به سليمان باشا، فبعث إليه فأخرجه من المسجد، وضُرب بالسيوف إلى أن قتل عند باب الحريريين، وفرّت العجم إلى بيوتهم.

وقال مولانا الشيخ علي السنجاري في هذه الواقعة:

وا عجباً من رافضي يرم ... رياسة في دولة الترك

والرفض والإلحاد في وجهه ... أشهر معنى من قفا نبك

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٦١٥)]

❊ ❊ ❊

قال محيي الدين رضا عن مشاهداته في حجته سنة (١٣٦٥هـ): سمو الأمير سعود ولي العهد المعظم يصلي أوقات الصلاة كلها، ولا سيما الصلاة الجهرية في الحرم، وسموه يدخل الحرم متخفياً وبلا حرس ويتخذ له مكاناً بين جمهرة المصلين، فيكون شخصاً عادياً، ولقد علمت ذلك من صديقي العزيز الدكتور محمد علي الشواف إذ كان يقول لي: لقد رأيتك في الحرم وأنت تطوف ورأيناك وأنت تصلي في المحل الفلاني، ويقول: إنه كان مع سمو ولي العهد.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٦]

❊ ❊ ❊

إن أول من جمع بالحاج صلاة الظهر والعصر بعرفة هو إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في

مسجد إبراهيم، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة.

[«أخبار مكة» للأزرقي ٢/ ٧٠]

* * *

ومن عادتهم يعني أهل مكة أن يصلي أول الأئمة إمام الشافعية وهو المقدم من ولي الأمر، وصلاته خلف مقام إبراهيم عليه السلام في حطيم بديع له هناك ومعظم وجهاء الناس بمكة على مذهبه، ثم يصلي بعده إمام المالكية في محراب الركن اليماني ومعه إمام الحنابلة في وقت واحد بين الحجر الأسود والركن اليماني، ثم إمام الحنفية قبال الميزاب تحت الحطيم، ويوضع بين يدي الأئمة في محاريبهم الشمع وهكذا ترتيبهم في الصلوات الأربع، أما صلاة المغرب فإنهم يصلونها في وقت واحد كل إمام يصلي بطائفته ويدخل الناس في ذلك سهواً ويخلط، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي وسجد الحنفي بسجود الشافعي، وتجدهم منصتين كل واحد صوب المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو. انتهى.

[«أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي» لسعيد الزهراني ص١١٢]

* * *

عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: إذا قل الناس في المسجد الحرام أحب إليك أن يصلوا خلف المقام أو يكونوا صفا واحداً حول الكعبة؟ قال: بل يكونوا صفاً واحداً حول الكعبة. قال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٨٥]

* * *

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبداللّه سنة (١٤٢٠هـ): أكثر من مليوني مُصَلٍّ يزدحمون خلال أيام الحج وشهر رمضان داخل المسجد، ويملئون

الساحات المجاورة. المصاعد تنقل ١٥٠٠٠ شخص في الساعة إلى الطبقة العلوية للصلاة.

[«الطريق إلى السلام» ص٣٧ لأبو بكر أحمد باقادر]

* * *

الصلاة في الكعبة

اتفق على أن معاوية رضي الله عنه في حجته الثانية أنه بعث إلى شيبة بن عثمان أن يفتح له الكعبة حتى يدخلها ويصلي فيها، فأرسل إليه بالمفتاح مع حفيده شيبة بن جبير وهو غلام حدث ولم يأته ولم يسلم عليه، فلما رآه معاوية استصغره وقال له: من أنت يا حبيب؟ فقال له: أنا شيبة بن جبير، ففتح له الكعبة، فلما دخل أجاف عليه الباب ولم يدخل معه الكعبة إلا حاجبه أبو يوسف الحميري، فبينا معاوية يدعو في البيت ويصلي إذا بحلقة باب الكعبة تحرك تحريكاً خفيفاً، فقال معاوية: يا شيبة انظر هذا عثمان بن محمد بن أبي سفيان، فإن كان إياه فأدخله، ففتح الباب فإذا هو هو فأدخله، ثم حركت الحلقة تحريكاً هو أشد من الأول، فقال معاوية: انظر هذا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فإن كان إياه فأدخله، ففتح الباب فإذا هو هو، فأدخله، ثم قال لأبي يوسف الحميري: انظر عبد اللّه بن عمر فإني رأيته آنفاً خلف المقام حتى أساله أين صلى رسول اللّه ﷺ من الكعبة. فقام أبو يوسف الحميري فجاء بعبد اللّه بن عمر فقال له معاوية: يا أبا عبد الرحمن أين صلى رسول اللّه ﷺ عام دخلها؟ قال: بين العمودين المقدمين، اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثاً، فينما هم كذلك إذ رُج الباب رجاً شديداً، وحُركت الحلقة تحريكاً أشد من الأولى، فقال معاوية: شيبة انظر هذا عبد اللّه بن الزبير فإن كان إياه فأدخله قال شيبة: فنظرت فإذا هو هو فأدخلته، فأقبل على معاوية وهو مغضب، فقال: إيه يا ابن أبي سفيان، ترسل إلى عبد اللّه بن عمر تسأله عن شيء أنا أعلم به منك ومنه،

حسداً لي ونفاسة علي، فقال له معاوية: على رسلك فإنما نرضاك لبعض دنيانا، فصلى معه وخرج، قال شيبة: وخرجت معه فدخل زمزم فنزع منها دلواً فشرب منه، وصب باقيه على رأسه وثيابه، ثم خرج فمر بعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ خلف المقام في حلقة فنظر إليه محدقاً، فقال له عبد الرحمن: ما نظرك إلي؟ فوالله لأبي خير من أبيك وأنا خير منك، فلم يجبه بشيء، ومضى حتى دخل دار الندوة، فلما جلس في مجلسه قال: عجلوا علي بعبد الرحمن بن أبي بكر فقد رأيته خلف المقام، فأُدخل عليه فقال: مرحباً بابن الشيخ الصالح، قد علمت أن الذي خرج منك آنفاً لجفائنا بك، وذلك لنأي دارنا عن دارك فارفع حوائجك، فقال: علي من الدين كذا، واحتاج إلى كذا، وأجر لي كذا، واقطعني كذا، فقال معاوية: قد قضيت حوائجك، فقال: وصلتك رحم يا أمير المؤمنين، إن كنت لأبرّنا بنا وأوصلنا لنا.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» لعبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٦٤٠)]

❊ ❊ ❊

صيد

قال ابن رشيد البستي: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٍ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [المائدة: ٩٤].

صحبني في الطريق من المدينة - على ساكنها الصلاة والسلام - قاصدين إلى البيت الحرام أحد الشيوخ من شرفاء المدينة، فلما وافينا رابغ رأيت أمراً عجباً من تخلل الوحش: الغزال والأرنب بين الجمال والرحال، بحيث يناله الناس بأيديهم، والناس ينادون حرام حرام، والجوارح قد سلسلت خيفة تعدي جاهل يتعسف المجاهل، فقال في ذلك الشيخ الشريف: تأمل تَرَ عجباً، هكذا جرت عادتنا في هذا الطريق، يؤمنا ونحن محرمون يمر به من الوحش ما ترى، فغذا عدنا محلين، لم نجد به شيئاً، فلما عدنا كان كما قال، فبان لي من معنى

الآية الكريمة، ما لم يكن غير بالمشاهدة، وكلام المفسرين على الآية معلوم يصدق على ما تناله الأيدي كالبيض والفراخ مما لا يستطيع أن يفر، وما ينال بالرماح ونحوها ككبار الصيد.

[«ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» لمحمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المغربي]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٣٥)]

* * *

حرف الضاد

ضرائب

يشتكي جميع الحجاج على الخصوص من ابتزاز الأموال الرهيب في عموم أفغانستان، فعن حق دخول الأراضي الأفغانية، وعن الحصان، وعن الأشياء وغير ذلك، مثلًا كانوا يتقاضون في مزاري شريف من كل حاج روبية وأكثر، وفي وزير آباد روبيتين، وفي باميان وقاضي آباد وطوشزار روبية، وفي شاريقار (٩) روبيات، وفي كابول خمس روبيات ونصف، وفي جلال آباد روبية الخ..

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٥]

* * *

يقول الحجاج أن سليمان خوجا الذي أرسل منذ عشر سنوات إلى بومباي مع أوراق من أمير أفغانستان بصفة دليل ووكيل لأجل الحجاج يبتز من كل منهم بضعة روبيات عن المسكن وعن أركابهم على متن باخرة وخلافه، ناهيك بأنه يجبرهم بالقوة على شراء الطحين والرز والقمح من بائع يعرفه ومنه وحده مؤكداً لهم أنهم سيبيعون كل ما اشتروه بربح في جدة. صحيح أن نقل بضعة أكياس من الطحين والرز من بومباي بالباخرة مجاني، ولكن ثمن هذا الطحين أو الرز أو القمح في جدة مثل ثمنه في بومباي وأحيانً أخص.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٥]

* * *

فرض محمد علي باشا ضريبة على الحجاج تحت مسمى عقد المرور إلى جدة نظير مبلغ مرتفع، وقد بلغت الضريبة في عام (١٨١٤م) ثمانية عشر دولاراً على الرأس الواحدة وذلك عن طريق واليه في السويس الذي كان يوزع هذه العقود

على ظهور السفن العربية، ولم يكن يدفع لأصحاب السفن من ذلك المبلغ سوى ستة دولارات فقط على الرأس الواحد.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/١٨)]

❊ ❊ ❊

في صباح يوم الأحد الموافق ٤شوال سنة (١٣٨٦هـ) الموافق ١٥يناير سنة (١٩٦٧م) إذاعة محطة (اذاعة إتحاد الجنوب العربي) بعدن (اليمن الجنوبي سابقاً) نبأ مفاده: أن الملك فيصل قد أصدر قراراً بإعفاء حجاج الجنوب هذا العام من دفع الرسوم المفروضة على الحجاج مقابل الحجر الصحي التي تضيفها شركات الملاحة الجوية والبحرية والبرية إلى نولون سفرهم، وتقدر هذه الرسوم بحوالي مائتين وخمسة وسبعين ريالًا سعودياً (٢٧٥)، أي مايساوي أربعمائة وثمانية وخمسين شلناً (٤٥٨).

[«قرة العين في الرحلة إلى الحرمين الشريفين» ص٢١٤ للحضرمي بن الشيخ أبي بكر]

❊ ❊ ❊

نص تقرير برتغالي من أوائل القرن السادس عشر بأن الشريف كان يجني مبالغ كبيرة من فرضه الضرائب على جميع قوافل الحجاج. ويظهر أنه حصل من الضريبة التي استوفاها على كل رأس في قافلة القاهرة وحدا على ١٢,٠٠٠ كروزادو.

]Joao de Barros, Da Asia, Lisbon, 88- 1778. II, PP. II, 6[

❊ ❊ ❊

وكان بسكن في هذه القرية عيذاب حاكمان: حاكم بدوي من طرف شيخ قبائل الباجة وآخر تابع لحاكم مصر، وكانا يأخذان عوائد مرور عشرة جنيهات عن كل حاج مغربي وسبعة على الحجاج الآخرين، ويقتسمان ما يتحصل بينهما وبين أمير مكة واستمرت هذه المكوس حتى أبطلها صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٩٠ زمن

الشريف مكثر بن عيسى ورتب شيئاً له عوضاً عن نصيبه، ثم أعادها الأشراف من بعده على الداخلين من الحجاج إلى مكة، حتى ألزم الملك الناصر محمد بن قلاوون الشريف عطيفة بن أبي نمى سنة ٧٢١ بابطالها في فظير ما رتبه اليه من القمح الذي كان يحمل اليه في مكة كل سنة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٣٠ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

المطوفون بعد أن يتفقوا مع الجمالة على حمل حجاجهم يسافرون غالباً الى المدينة في قافلتهم بحجة المحافظة عليهم، وكثيراً ما يغرر الجمالة بضعاف الحجاج فيأخذون الأجرة منهم ويخبرونهم بأن الجمال خارج البلد، ويرجونهم في أخذها من هناك حتى يوفروا عليهم دفع القوشان (كلمة تركية معناها المكس، وهو عوائد تأخذها الحكومة على الجمال الخارجة من مكة أو جدة أو المدينة أو ينبع، وليست لها قيمة مخصوصة بل ترتفع وتنخفض على نسبة مطامع ذوي الكلمة هناك، وربما بلغت ريالين أو أكثر قبل الدستور مع أن الذي يرد لخزينة الدولة منها ستة قروش عثمانية فقط) فإذا خرج الحجاج المساكين من مكة لا يجدون إلا جمالاً ضعيفة ضئيلة ينالهم منها مشقات جسيمة، وكثيراً ما يتركونها ويسيرون على أقدامهم جل مسافة الطريق أو كلها.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٤ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

في سنة ثلاثمائة وثلاثين حج أبو طاهر القرمطي، ففرت الناس من مكة، ولم يحج أحد. وانقطع حج العراق سنين إلى أن جعلوا له على كل جمل خمسة دنانير، وعلى كل رجل سبعة دنانير. فأفتى بعض أولاد زيد بن علي رضي الله عنهم أن الحج يسقط بهذا المكس، ورجع ولم يحج.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٩٨)]

في سنة خمسمائة واثنتين وسبعين: أبطل السلطان صلاح الدين المكوس المأخوذة من الحجاج في البحر عن طريق عيذاب. وكان من لم يؤده بعيذاب يؤخذ منه بجدة، وهو سبعة دنانير مصرية على كل إنسان، وكان يؤخذ ذلك أمير مكة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/٢٥٨)]

❊ ❊ ❊

في سنة (٥٧٢هـ) أسقط السلطان صلاح الدين المكس عن الحجاج إلى مكة على طريق عيذاب، لأنه كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حجاج المغرب على عدد الرؤوس ما ينسب الضرائب والمكس، ومن دخل منهم ولم يفعل به ذلك حبس حتى يفوته الوقوف بعرفة ولو كان فقيراً لا يملك شيئاً.

[«سمط النجوم» للعصامي (٤/٢٢١)]

❊ ❊ ❊

كان يؤخذ من كل إنسان سبعة دنانير مصرية ونصف، فإن عجز عن ذلك عوقب بأنواع العذاب الأليم من تعليقه بالخصيتين وغير ذلك، وكانت هذه البلية في دولة العبيديين المتخلفين بمصر جعلوها معلوماً لأمير مكة، فأزالها اللَّه تعالى على يد السلطان صلاح الدين، وعوّض أمير مكة ما تقدم ذكره.

[«رحلة ابن جبير» ص٥٥]

❊ ❊ ❊

على بعض عمد الحرم كتابة محفورة فيها تدل على ما كان لبعض الملوك من العمارة في المسجد، أو من الأعمال التي فيها نفع للمسلمين، كإبطال المكوس ونحو ذلك، ومن هذه الأعمدة عمود بقرب باب الحزورة لا يزال منقوشاً عليه عهد كتبه الأشرف شعبان سلطان مصر بإبطال المكوس التي كانت تأخذها أشراف مكة على الحجيج، وأغلب هذه العمد مطلي بالجبس، لأن بعض

أمراء مكة سامحهم اللَّه كانوا إذا أرادوا نقض العهود المحفورة عليها عندوا إلى تلك النقوش وكسوها بعجينة من الجبس فلا يظهر لها أثر.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٤٩٩)]

* * *

من الغرائب إجهار النداء في يوم عرفة بالموقف الأعظم لجميع الناس عامة: من اشترى بضاعة للمتجر وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان، فسافر التجار القادمون من الأقطار مع الركب المصري ليؤخذ منهم مكوس بضائعهم بها، ثم إذا سافروا من القاهرة إلى بلادهم يؤخذ منهم المكس بالشام أيضاً وغيرها، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

[«درر الفوائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص ٣٢٣]

* * *

حرف الطاء

طائرة

وافقت حكومة جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود على طلب شركة مصر للطيران بأن يفتح خط الركاب الجوي بين جدة والمدينة في موسم الحج الحالي، لنقل الزائرين من الحجاج، طبقاً لما كان في العام الماضي، وينتظر أن يفتح هذا الخط في شهر يناير المقبل (أي ذي القعدة) - هذا ما ورد في صحيفة أم القرى في ٣٠ رمضان ١٣٥٦ه وهذا يعني أن الطائرات كانت قد نقلت الحجاج في العام السابق بين جدة والمدينة.

وكانت صحيفة أم القرى قد نشرت أيضاً خبراً مفاده أن طائرة مصرية وصلت إلى مطار جدة ومنها إلى المدينة ثم العودة إلى مصر.

وكانت صحيفة أم القرى قد نشرت في ذي الحجة من العام السابق أي ١٣٥٥ه/ فبراير ١٩٣٧م خبراً يفيد بأن الطائرة التابعة لشركة بنك مصر، والتي تقوم بنقل الحجاج والبريد بين جدة والمدينة قد بدأت عملها، فقامت في الساعة الثامنة إفرنجي صباحاً، ووصلت المدينة في الساعة التاسعة والدقيقة الأربعين وعليها خمسة من الحجاج الفلسطينيين، ثم غادرت المدينة في الساعة العاشرة ونصف إفرنجي قبل الظهر فوصلت جدة بعد ساعتين إلا ربع، وقالت الصحيفة: لا شك بأن هذه أول حركة من نوعها في البلاد المقدسة.

[«صحيفة أم القرى» غرة ذي الحجة ١٣٥٥هـ/ ١٢ فبراير ١٩٣٧م]

* * *

ذو طوى

ذو طوى قال الفاسي: هو الموضع الذي يستحب فيه الاغتسال للمحرم.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٢/ ٢٩٧)]

* * *

قال النووي: استحباب الغسل بذي طوى للمحرم هو مذهب الأئمة الأربعة إلا أن أصحابنا لا يستحبونه للحائض والنفساء، لأنهما لا يؤمران بالطواف عند قدومهما مكة، والغسل شرع لأجل الطواف واللَّه أعلم، وإنما يطلب من المحرم الاغتسال إذا كان في طريقه.

[«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ١٠٨)]

* * *

طب

شفي ينبع حيث يتكدس أحياناً بانتظار القوافل أو البواخر زهاء عشرة آلاف حاج لا مستشفى ولا صيدلية ولا طبيب خاص لأجل الحجاج.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٢٥]

* * *

في كل من مكة والمدينة المنورة يوجد مستشفى دائم لأجل الفقراء فيه (٣٠) سريراً، وفي هذين المستشفيين يجري أيضاً استقبال المرضى بطريقة المستوصف وإعطاء الأدوية مجاناً، وفي السنة الجارية كان في مستشفى مكة طبيبان، وفي مستشفى المدينة المنورة طبيب واحد.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٤]

* * *

في جميع البواخر التي تقوم بنقل الحجاج يوجد أطباء يسعفون الركاب

المرضى مجاناً وتحت تصرفهم صيدليات كغيرة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٥]

* * *

قال أيوب صبري باشا: يجب على الحجاج الكرام أن يحملوا معهم ملابس مناسبة لجميع الأجواء، وأن يرتدوا من الملابس ما يناسب طقس كل مكان يحلون فيه، وأن يبذلوا عناية فائقة للحفاظ على أبدانهم حتى لا يصابوا بالمرض المفاجئ في أثناء ذهابهم أو عودتهم.

ويجب عليهم أن يأخذوا معهم أشياء مثل: الحبوب الملينة والأدوية القابضة للإسهال وأنواع الشاي وزهور التليو وأن يواظبوا على شرب الشاي في الصباح والمساء في البر والبحر.

وإذا أمكنهم المواظبة على تناول الماء والاطعمة المطبوخة صباحاً ومساءاً يجب الا يمتنعوا كما اعتادوا ذلك في بلادهم. وإذا حدث نوع من الإسهال أو الإمساك بتقصير الجسم في وظيفته الطبيعية يجب أن يقضي على أسبابه قبل أن تمر ٢٤ ساعة.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص١١٩ لأيوب صبري باشا]

* * *

وحسب عادات هذه البلدة (مكة) يقيم السادة الأدلاء والسقاة مأدبة. ولأن هذه المآدب قد تكون ضارة بالحجاج لما تحتويه من أنواع الطعام الشهية والتي يعدونها على أكمل وجه؛ يجب الاحتراس من تناول الأطعمة مثل الفطائر والحلوى والأطعمة التي تحتوي على دهون زائدة، ويكتفي بتناول أقل القليل منها، وإذا ظهر إضطراب في معدته يجب عليه أن يحرص على علاج معدته دون إضاعة وقت وذلك بتناول الأدوية المناسبة. ولأن الإمساك ضار بذوى البدانة لذا يجب عليهم الإمتناع عن تناول الأطعمة التي تفسد المعدة والعناية بهذا الأمر

أعظم عناية في هذه البلاد. ويحدث إضطراب المعدة من تناول مختلف الأطعمة والمشروبات بغير نظام. ولان شدة الحرارة تعطش الإنسان لذا يجب الإبتعاد عن تناول الطعام بلا داع وكذلك عن شرب الماء أكثر من اللازم ويشرب الشاي من حين إلى آخر على ألا يؤدي إلى الإصابة بالإمساك.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص١٢٠ لأيوب صبري باشا]

❋ ❋ ❋

دخلنا مستشفى المدينة من وقف والدة السلطان عبد المجيد، عدد الأمكنة (٣٠ - ٤٠) أسرّة نظيفة نسبياً، عدد المرضى (٢٥) مصابون على الأغلب بأبي الركب، للمستشفى صيدلية وجنينة، المرضى من شتى القوميات، الراغبون في الحصول على الأدوية كثيرون، المكان لأجل المستشفى مفرط في الانتعاش والحركة، قرب السوق.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٩٦]

❋ ❋ ❋

طبل

استمرت الاحتفالات بشهر ذي الحجة في زمن رحلة ابن بطوطة من حيث ضرب الطبول في أوقات الصلاة إلى يوم الصعود إلى عرفات، ويقوم الخطيب يوم السابع من ذي الحجة إثر صلاة الظهر بإلقاء خطبة في الناس ترشدهم إلى الطرق الصحيحة في أداء الفريضة، وهذه العادة كانت موجودة وقت زيارة ابن جبير لمكة المكرمة.

أما في زمن رحلة التجيبي فقد أشار إلى عدم وجود عادة ضرب الطبل في ذي الحجة، وهناك احتمال بعودتها في زمن ابن بطوطة في مكة المكرمة أو أنه في

ذكره لهذا الأمر عائد لنقله لابن جبير في رحلته.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص ١٤٩]

[«رحلة ابن بطوطة» لابن بطوطة ص١٦٦-١٦٨-٦٨]

[«مستفاد الرحلة» للتجيبي ص٢٤٨]

❊ ❊ ❊

ذكر ابن بطوطة لما يجري في أول يوم من شهر ذي الحجة حيث تضرب الطبول والدبادب في أوقات الصلوات بكرة وعشية إشعاراً بالموسم المبارك، ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات.

[«رحلة ابن بطوطة» ص١٨٣]

❊ ❊ ❊

طرق

حدد الشاعر محسن الهزاني مدة الرحلة من نجد إلى مكة بين ١٨ يوماً إلى ٢٠يوماً، فأقصاها عشرون يوماً.

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٣٥ لعبداللّه سعد الدريس]

❊ ❊ ❊

(مفرق وادي الحاج) فقد سمي كذلك لأن منه تفترق الطرق الى السويس، فطريق تذهب مع وادي الحاج وتنتهي عند كوبري السويس وهي درب الحج المصري وهي طريق طويلة، وطريق تنحرف يساراً فتقطع عدة أودية وتمرّ بوادي الراحة إلى شط السويس وهي طريق مختصر.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص٧٧]

❊ ❊ ❊

(شرفة الحج) فهي أعلى نقطة في وادي الحيطان فإذا انتهى الحج من وادي الحيطان إلى هذه النقطة انكشفت لهُ البلاد من الشرق وأشرف على بلاد التيه

العظيم ومن ذلك اسمها.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص٧٧]

❊ ❊ ❊

ومن الآثار التي تركها سلاطين مصر في درب الحج المصري عدا مدينة نخل: (النواطير) وهي ثلاثة عُمُد من الحجر بين ترعة السويس وشرفة وادي الحاج بين كل عمود وآخر مسيرة ساعة وقد نصبت هناك لهداية الحجاج في ذلك التيه.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص١٦٠]

❊ ❊ ❊

كانت العقبة محطة من محطات الحج المصري أيام كانت طريق الحج تمر بسيناء. وكان حجاج جنوب سوريا يأتونها بدرب غزة فيجتمعون فيها مع الحج المصري ويجيء مع حجاج سوريا نفر من التجار ومعهم الحبوب وأنواع الفاكهة والخضر والمأكولات بقصد بيعها على الحجاج ولكن انقطعت درب غزة بانقطاع درب سيناء ولم يعد يمّر بها سوى بعض تجار الإبل بين الحجاز والشام كما سيجيء.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص١٩٤]

❊ ❊ ❊

أول طريق اتخذها الحج المصري إلى مكة المشرفة هي طريق عيذاب. وكان يركب الحجاج النيل من ساحل الفسطاط إلى قوص بمصر العليا ثم يركبون الإبل من قوص فيقطعون صحراء عيذاب إلى البحر الأحمر حيث ينزلون إلى جدة وهكذا يعودون إلى مصر، وكانت قوافل التجار من اليمن والحبشة والهند تأتي مصر بهذه الطريق أيضاً. وبقيت طريق الحج على (عيذاب) حتى زار السلطان الملك الظاهر مكة المشرفة وكساها وعمل لها مفتاحاً ولكن قد استرجع أيلة من الصليبيين سنة ٦٦٥ھ ١٢٦٧م فذهب بطريق السويس وأيلة فصارت أيلة

طريق الحج من ذلك الحين إلى سنة ١٨٨٥م فاتخذت طريق البحر على السويس وجدة ومازالت كذلك إلى الآن.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص٢٦٢]

* * *

من أهم ما حدث في سينا في عهد المغفور له توفيق باشا انقطاع الحج المصري منذ طلعة ١٣٠١هـ (١٨٨٤م) عن طريق سيناء واتخاذه طريق البحر إلى جدَّة. وقد وسّع محجر الطور ومُد اليه خط تلغرافي من السويس سنة ١٩٠٠م. فكان في تغيير هذه الطريق راحة للحجاج تفوق الوصف لأنهم كانوا يقاسون كثيراً من الشدائد والأخطار بطريق البر.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير ص٥٥٤]

* * *

كانت حكومة مصر بعد فتحها درب الحاج المصري في سيناء قسمت الدرب إلى (دركات) وألزمت كل قبيلة من القبائل النازلة عليها المحافظة على دركها وجعلت لمشايخها رواتب سنوية من نقود وحبوب وكساء ترسل إليهم من قلم الرزنامة بالمالية ويوزعها عليهم أمير الحاج المصري في طريقه إلى مكة. فلما أهملت درب الحاج وسلمت مصر آخر القلاع الحجازية سنة ١٨٩٢ إلى الحكومة العثمانية قطعت رواتب المشايخ القاطنين على درب الحاج في الحجاز من الوجه الى العقبة. ولكنها أبقت على رواتب مشايخ اللحيوات والتياها القاطنين سيناء كما أبقت على رواتب المشايخ القاطنين درب الحاج من الوجه إلى مكة، وهذه أسماء المشايخ الذين قطعت رواتبهم من الوجه إلى العقبة منذ سنة ١٨٩٣ مع راتب كل منهم تجاه اسمه:

٩٨ جنيهاً و٩٩٠ مليم (الشيخ محمد حسين جاد» شيخ عربان العلويين.

١٢٨ جنيهاً و١٠٠ مليم (الشيخ سالم حسن محمد رشيد) من مشايخ العلويين.

٥٧ جنيهاًو ١١٠ مليم (الشيخ عواد نصار جازي) من مشايخ العلويين.

١٣ جنيهاً و٩٧٦ مليم (الشيخ حسن سالم) شيخ عربان بني عقبة.

٢٥ جنيهاً و٧٩٥ مليم (الشيخ عليان رفيع) شيخ عربان السواعدين.

٥٠ جنيهاً ٢٢٥ مليم (الشيخ خضر مقبول) شيخ عربان العمران.

١٣ جنيهاً ٦٦٠ مليم (الشيخ سلامة هليل) شيخ عربان العصابين.

وكان يعطى لهؤلاء المشايخ من الفول والدقيق والأرز والعدس والشعير والقمح والبقسماط عيناً ما قيمته نحو ٢٩٢ جنيهاً.

أما المشايخ الذين أبقت الحكومة على رواتبهم في سيناء فهذه أسماؤهم ورواتبهم:

٢٦ جنيهاً و٢٧١ مليم (الشيخ سليمان سالم نجم) شيخ اللحيوات من النجمات.

٢٦ جنيهاًو ١٦٥ مليم (الشيخ قاسم الخليفي) من الخلايفة اللحيوات.

١١ جنيهاً و٨٧٥ مليم (الشيخ حمد مصلح) شيخ التياها من الصقيرات.

وفي سنة ١٩٠٧ قطعت راتب الشيخ قاسم الخليفي لأنه خرج في التحديد الأخير من حكم سيناء ودخل في حكم الحجاز. وأبقت على راتب الشيخين الباقيين ينقدهما إياهُ كل سنة محافظ سيناء مع زيادة قليلة جدَّت.

[«تاريخ سينا» لنعوم بك شقير. ص٢٩٧]

❊ ❊ ❊

توقد الشعلات أثناء الليل، ويجرى قطع المسافة اليومية فيما بين الساعة الثالثة

عصراً وبعد شروق الشمس بساعة أو ساعتين من اليوم التالي.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ٢/ ١١ لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

ذكر المقريزي أن حجاج مصر والغرب أقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة شرفها اللّه تعالى - إلا من صحراء عيذاب، يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط إلى قوص، ثم يركبون الإبل من قوص ويعبرون هذه الصحراء إلى عيذاب، ثم يركبون البحر في الجلاب إلى جدة ساحل مكة، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون إلى عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء إلى قوص، ومنها يردون مدينة مصر.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٢٤٣]

❊ ❊ ❊

إن قرية الجهراء كانت قرية بها مبان عامرة بالسكنى قبل قدوم بني خالد وقيام إمارة الكويت، وما ذاك إلا أنها منزل من منازل الحاج الواقعة في الدرب التجاري الذي يمر بها سالكاً الطريق إلى البصرة من نجد وبالعكس.

[«الكويت في دليل الخليج» لخالد سعود الزيد ص٢٣]

❊ ❊ ❊

عرف أبناء الكويت الذهاب للحج عبر الطائرات في شهر يونيو (١٩٤٨م) عندما أقلعت أول طائرة إلى جدة ناقلة (٢٤) راكباً لأداء فريضة الحج، وهي الرحلة الأولى من نوعها.

[«جريدة الوطن» ٢أغسطس ٢٠٠٦م]

❊ ❊ ❊

أواخر القرن التاسع عشر تكونت ثلاثة طرق رئيسية لحج الحجاج من رعايا روسيا.

١- في منطقة ما وراء القفقاس (أرمينيا وأذربيجان وجورجيا) والقسم الشمالي من إيران عبر كرمنشاة ومدينة خانقين الواقعة قرب الحدود مع تركيا في اتجاه بغداد نحو كربلاء والنجف، ثم عبر رمال الجزيرة العربية إلى مكة والمدينة.

٢- عبر سمر قند وبخارى ومزري شريف وكابول وبيشاور في أفغانستان، ومن ثم إلى بومباي الهند، ومنها بحراً إلى جدة وينبع.

٣- عبر أوديسا وسيباستوبول لأجل المناطق الداخلية في روسيا وسيبيريا وعبر باطوم لأجل سكان آسيا الوسطى ومنطقة ما وراء قزوين عبر القسطنطينية والسويس وجدة وينبع. كذلك شرعوا يستغلون السكة الحديدية الجديدة عبر فيينا والقسطنطينية.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٠]

❊ ❊ ❊

يسلك الحجاج من قشغر الطرق التالية:

١- الطريق الأغلى لكن الطريق الأسرع والأنسب - تبريك - داوان إلى أوش وسمرقند (هؤلاء حجاج قطعوا الطريق بين أوش وسمرقند على أحصنة البريد وفي السكك الحديدية إلى كراسنوفودسك ثم إلى باكو وباطوم والقسطنطينية) الخ.

٢- في الاتجاه ذاته إلى سمرقند ومنها عبر كابول إلى بيشاور على ظهور الخيل، ومن بيشاور إلى بومباي في السكة الحديدية، ومن ثم إلى جدة على بواخر انجليزية.

٣- يذهبون كذلك إلى كابول دون دخول أراضي روسيا عبر قونجوت (الطريق ٣) وباداخشا (الطريق ٤) ليست باداخشان.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٧٠]

❊ ❊ ❊

يعد طريق الحجاج الأفريقيين أول الطرق التاريخية في السودان حيث كان

يسلكه حجاج من موريتانيا، وتشاد، والنيجر، ومالي، والسنغال، والكامرون من غرب أفريقية عبر النيلين الأزرق والأبيض إلى ساحل البحر الأحمر ومنه إلى الأراضي المقدسة.

[«مجلة تراث» العدد (٧٥/ ٢٠٠٥) ص١٣]

* * *

في سنة (١٣٥٣هـ) افتتحت الكشافة العراقية والحجاج العراقيون ذلك الطريق البري التاريخي العظيم، وكان عدد الكشافة (٧٣) كشافاً وفيها طبيب كبير و(٥٢) معلماً واستخدم الحجاج والكشافة في ذلك العام (٥٤) سيارة كبيرة وصغيرة نقلت (٤٠٠) حاج، والذي تولى تسيير السيارات في ذلك العام السيد عبود شلاش، وهو شاب غني يتوقد ذكاءً ونبلًا وعلماً، وقد حادثته في طريق الحج الذي سلكوه فوصف لي الطريق بأنه طريق السيدة زبيدة بعينه الذي سلكه هارون الرشيد مشياً على قدميه، وكانوا يفرشون له فيه السجاد الفاخر ما بين مرحلة ومرحلة، وظل ذلك الطريق طريق قوافل الحجاج لا سيما قوافل ابن الرشيد فمن بعده إلى الحرب الماضية، فكان طريقاً للحجاج ما بين ثلاثين ألفاً إلى خمسين ألفاً من مسلمي العراق وإيران والأفغان والهند والقوقاس والترك والكرد، فكانوا يتجمعون في النجف ويسيرون على الإبل بموكب واحد تحت لواء ابن الرشيد أمير حائل بنجد وكان يسمى البيرق.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٦٥]

* * *

كان ابن الرشيد (أمير حائل) يرسل إلى النجف أميراً يسمى أمير الحج فيصل إليها قبل سير اللواء بنحو خمسة عشر يوماً، وفي يوم ٢١ من شهر شوال من كل عام يتحرك الموكب من النجف بطريق السيدة زبيدة فيبتدئ من القادسية وهي تبعد عن النجف ستين كيلو متراً، وبعد ما يبيت في القادسية يسير من اليوم التالي إلى

نجد فالحجاز ماراً بحائل.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٦٦]

* * *

من أعمال السيدة زبيدة بنت جعفر في طريق الحج أنها بنت حائطاً من بغداد إلى مكة وحفرت آباراً في كل مرحلة، وقيل حائطاً بحيث كان الأعمى إذا أراد الحج لمس الحائط وسار، وإذا عطش شرب من الآبار ولا يقربه شيء من الحيوانات والأسود لأن الطريق محصن بالحيطان.

[«جغرافية شبه الجزيرة العربية» لعمر رضا كحالة ص ١٩٠]

* * *

رصد الجغرافيون المسلمون سبعاً وعشرين محطة رئيسية على طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة، وسبعاً وعشرين محطة ثانوية، تسمى كل واحدة منها متعشى، وهي محطة استراحة تقام بين كل محطتين رئيسيتين.

[«مجلة الحج» العدد الخامس جمادى الأولى (١٤٣٣هـ) ص٣٢]

* * *

يلتقي طريق البصرة مع طريق الكوفة في معدن النقرة، حيث يصل إليه من النباج أو يتجه محاذيا له، حيث يلتقي الطريقان في ذات عرق.

[«مجلة الحج» العدد الخامس جمادى الأولى (١٤٣٣هـ) ص٣٢]

* * *

قلعة المويلح قام بتشييدها السلطان العثماني سليمان القانوني سنة (٩٦٨هـ) لحماية حجاج بيت اللّه الحرام أثناء ترحالهم إلى أرض الحجاز وعودتهم منها، وهي تقع في منصف الطريق بين مصر ومكة، وتعد أكبر قاعدة على طريق الحاج المصري، وتقع إلى الشمال من مدينة ضبا على بعد (٤٥) كم.

[«مجلة الحج» العدد الحادي عشر ذو القعدة (١٤٣٢هـ)]

طريق ضب يستحب للحاج أن يسلكها إذا توجه إلى عرفة، هي طريق مختصر من مزدلفة في أصل المأزمين عن يمينك وأنت ذاهب إلى عرفة.

يستحب للحاج سلوكها، لأنه روي أنه ﷺ سلكها حين غدا من منى إلى عرفة.

روي عن عطاء أنه سلكها وقال: هي طريق موسى بن عمران.

قال الشيخ عبد الملك بن دهيش: وطريق ضب: يمر عليه اليوم طريق رقم (٣) ورقم (٤) وإذا سلكت هذا الطريق من مزدلفة إلى عرفات جعلت ذات السليم (جبل مكسر) على يمينك، ومأزم عرفات الجنوبي على يسارك وتوجهت إلى عرفات. وعلى يسارك في هذا الطريق تجد بناء لمجرى عين زبيدة لاصقاً بالجبل مأزم عرفة الجنوبي أو الأخشب اليماني.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٤/ ٣٢٥)]، [«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ١٩٣)]، [«شفاء الغرام» (١/ ٥٦١)]
[«حاشية إفادة الأنام» للشيخ عبد اللّه بن غازي ٢/ ٩٦]

* * *

طعام

كان هاشم بن عبد مناف يقول لقريش إذا حضر الحج: يا معشر قريش إنكم جيران اللّه وأهل بيته خصكم اللّه بذلك وأكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار ومن جاره، فأكرموا أضيافه وزوار بيته يأتونكم شعثاً غيراً من كل بلد.

وكانت قريش ترافد على ذلك، حتى إن أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير رغبة في ذلك، فيقبل منهم لما يرجوا لهم من منفعته.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢١٦)]

* * *

جميع الحجاج على العموم والذاهبون من روسيا على الخصوص يأخذون

معهم كمية كبيرة من شتى الأشياء لأنهم يستفيدون من نقل قسم منها مجاناً في البواخر وفي السكك الحديدية المصرية، أما الأشياء الضرورية لهذه السفرى فهي في المقام الأول السماور، وآنية الشاي والمطبخ، والشاي الروسي الذي يصعب الحصول عليه في الخارج، ومختلف المأكولات بما فيها بضعة أكياس مليئة بأرغفة مجففة من خبز الجودار يقدرها حجاجنا في الحجاز خاص التقدير، وعنب الثعلب الأسود المجفف، والفالوذة، وما شاكلها، ولكن قرغيزيينا يأخذون المؤن معهم أكثر من الجميع بما في ذلك لحم الخيل المملح، وأصناف السجق المدهن، وجبنة الغنم المملحة الجافة (الكروت).

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٥١]

* * *

طواشة

قال في «المنجد» طواشة الرجل مطل غريمه، الذكر خصاه، والطواشي الخصي جمع طواشية مولد وقيل أعجمي. انتهى.

ويطلق على الخصي الطواشي كما يطلق عليه في الحجاز أغا فيقولون: أغوات الحرم، أي طواشية المسجد الحرام، والآغا بمد الهمزة عند الأعاجم معناها الرجل الثري صاحب النفوذ، فربما من هنا أطلق الأعاجم على طواشية المسجد الحرام كلمة الأغا لما كان لهم من السلطة والنفوذ فأخذها عنهم الحجازيون فأطلقوا عليهم حتى صاروا كالعلم عليهم.

ويوجد كتاب اسمه «تاريخ الأغوات» لإبراهيم الأغا بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة مقيد بها تحت نمرة (١٤٩) فراجعه إن شئت. وهو كتاب صغير باللغة التركية، ولكنه ليس تاريخاً للأغوات بالمعنى الصحيح، وإنما هو

عبارة عن مقتطفات في تراجم بعض الأغوات.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي ٤/ ٢٦]

* * *

شرطة المسجد النبوي، ومكتب غسل الحجرة، والمبنى كله، وكذلك مكتب إضاءة المصابيح إلخ، كل هذه الأعمال يعهد بها أربعين إلى طواشياً أو خمسين، الذين تضمهم مؤسسة شبيهة بمؤسسة الطواشية في بيت اللّه في مكة المكرمة، لكن الطواشية هنا أصحاب قيمة أكبر؛ بمعنى أن الطواشية هنا يرتدون ملابس أكثر ثراء، على الرغم من أن هذه الملابس هي من الطراز نفسه الذي يرتديه الطواشية في الحرم المكي، الطواشية في المسجد النبوي عادة ما يلبسون شيلاناً من الكشمير، وملابس من أفخر أنواع الحرير الهندي، ويبدون كما لو كانوا شخصيات مهمة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الطواشية، إذا ما مروا خلال السوق، سارع الجميع إلى تقبيل أيديهم، وهؤلاء الطواشية لهم نفوذ كبير على الشئون الداخلية في المدينة المنورة، وهم يتسلمون معاشات سنوية كبيرة تصل من إسطنبول عن طريق قافلة الحج السورية، كما يحصل هؤلاء الطواشية على نصيب أيضاً من الهبات والتبرعات التي تقدم للمسجد، كما يتلقون هبات وعطايا من الحجاج الأثرياء، هذا بالإضافة إلى ما يحصل عليه هؤلاء الطواشية من أتعاب من الزوار الذين يزورون الحجرة. هؤلاء الطواشية يعيشون سوياً في واحد من أفخم أحياء المدينة المنورة، ويقع في الناحية الشرقية من المسجد، ويقال إن منازلهم مؤثثة تأثيثاً فاخراً أفخم بكثير من أثاث بقية سكان المدينة المنورة. والكبار من هؤلاء الطواشية

يتزوجون من إماء سوداوات أو حبشيات.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٣) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

الطواشية السود، تراهم ضعفاء على العكس من طواشية أوروبا، وملامحهم توحى بالخشونة الشديدة، ولا تميز فيهم سوى العظام البارزة، وأيدي هؤلاء الطواشية، تشبه أيدي الهياكل العظمية ومظهرهم العام مثير للاشمئزاز الشديد. وهم يخفون ضعفهم باستعمال الملابس السميكة، ومع ذلك تتبدى للرائى ملامحهم وسماتهم العظيمة بشكل واضح، وعلى نحو يتمكن معه من ينظر إليهم يعرفهم منذ الوهلة الأولى. صوت هؤلاء الطواشية لا يعتريه التغيير، لكنه لا يمكن أن يصل إلى حد الشبه بصوت الأنثى، وهذا الصوت ينال إعجاب الكثيرين من المغنين الإيطاليين.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٣) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

كبير الطواشية يطلقون عليه اسم شيخ الحرم، وهو أيضاً شيخ الجامع، كما أنه يعد أيضاً الشخصية الرئيسية في المدينة المنورة؛ إذ إن مرتبته أعلى من مرتبة الأغا، أو شيخ الطواشية في مكة المكرمة. رئيس أو شيخ الطواشية هذا، يوفد من قبل إسطنبول، وعادة ما يكون عضواً في بلاد السنيور الكبير الذي يوفده إلى المدينة المنورة على سبيل العقاب أو النفي، متبعاً في ذلك الأسلوب الذي يجرى اتباعه مع الباشوات عندما يرسلون إلى جدة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٣) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

يضم المسجد بين خدمه عدداً من سكان المدينة، هذا النوع من الخدم يسمون فراشين، وهذا الاسم يعني أن مهمة هؤلاء الخدم، هي المحافظة على نظافة

المسجد، وفرش البسط والسجاجيد. البعض منهم يحضرون إلى المسجد النبوي لإشعال المصابيح، وتنظيف أرضية المسجد، وذلك بالتعاون مع الطواشية، بعض هؤلاء الأغاوات ليسوا سوى وظائف عاطلة، يضاف إلى ذلك أن بعضاً من أهل المدينة المنورة ينتمون إلى هذه الفئة. وأنا ليس لديَّ علم بطريقة الحصول على هذه الوظيفة، لكني أعتقد أنها تُشترى من شيخ الحرم.

واسم كل فراش من الفراشين يدرج ضمن القائمة التي ترسل كل عام إلى إسطنبول، والجميع يشاركون في الهبات والعطايا التي تتلقاها المدينة المنورة من العاصمة من ناحية، ومن الإمبراطورية التركية كلها، من ناحية أخرى، والتي يخصص جزء كبير منها للفراشين.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٥) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

كثير من هؤلاء الفراشين يعلمون أيضاً أدلاء، كما يمارسون أيضاً مهنة الدعاء للغائب وهي مهنة مربحة جداً.

الحجاج الذين يجيئون إلى المدينة المنورة يتعرفون على بعض هؤلاء الفراشين، ليكونوا مرشدين لهم في الأماكن المقدسة، وعندما يعود هؤلاء الحجاج إلى أوطانهم، تتكون لديهم قاعدة دينية، يرسلون بمقتضاها مبلغاً من المال كل عام إلى هؤلاء الفراشين، الذين يقومون بالدعاء لهم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٢٥) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

خدمة الحرم شتى وأكثرهم من الأغوات وهم أهل صلاح يتعممون بعمامة بيضاء ويلبسون وقت الخدمة على ثيابهم ثوباً أبيض ويشدون عليه حزاماً.

[«دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» ص١١٦ لمحمد صادق باشا]

❊ ❊ ❊

أغا الطواشي، أو كما يسمونه أغا الطواشية هؤلاء الطواشية يقومون بأعمال ضباط الشرطة في المسجد، كما أنهم مسئولون عن منع الإخلال بالنظام، وعن مسائل الكنس والتنظيف اليومي، باستخدام مقشات كبيرة، وتنظيف الرصيف المحيط بالكعبة وكنسه.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الطواشية يرتدون الكاوك الاسطنبولي، ومن فوقه روب واسع، مربوط بحزام، ويحمل كل واحد منهم عصا طويلة في يده.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الطواشية في المسجد الحرام حاليا يزيد على أربعين طواشياً، وهؤلاء الطواشية يجرى إرسالهم إلى المسجد الحرام بواسطة الباشاوات والأعيان الآخرين، وهم يرسلون هؤلاء الطواشية، على سبيل الهدية، إلي المسجد الحرام، عندما يكونون صبية صغاراً، ويرسل مع كل طواشى من هؤلاء الطواشية مبلغ مائة دولار على سبيل التجهيز.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الطواشية الكبار يتزوجون من إماء سوداوات، ويحتفظون في منازلهم بكثير من العبيد والإماء على سبيل الخدم في منازلهم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

يقوم هؤلاء الطواشية بتطويق المتشاجرين أو مثيري الشغب ويتعاملون معهم بعصيهم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

كثير من أفراد الطبقات الدنيا في مكة يقبلون أيدي هؤلاء الطواشية عندما يقتربون منهم. رئيس، أو أغما الطواشية يجرى اختياره من بينهم، هذا الرئيس عبارة عن شخصية قوية، ومن حقه أن يكون موجوداً في حضرة الباشا والشريف.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

الطواشية لهم دخل كبير يأتيهم من مداخيل المسجد الحرام، ومن التبرعات الخاصة التي تأتي من الحجاج، هؤلاء الطواشية يتلقون أيضاً حوافز دورية من اسطنبول، كما يحصلون أيضاً على ربح من الأعمال التجارية.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٢-٢٠٣) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

السواد الأعظم من هؤلاء الطواشية من الزنوج، قلة قليلة منهم من الهنود الذين لبشرتهم لون النحاس، يجرى في بعض الأحيان إرسال واحد من الطواشية السود، إلى بلاد السودان لجمع الهدايا للكعبة، وقد حكى بروس في كتابه عن المصير الذي آل إليه واحد من هؤلاء الطواشية. قبل سنوات عدة حصل أحد الطواشية على إذن بالعودة إلى السودان، بعد أن قدم شخصاً آخر بدلًا عن نفسه للمسجد الحرام. وعاد الرجل إلى برجو، غربي دارفور، وهو حالياً الحاكم القوي لهذه المنطقة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٠٣) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

طواف

لم تمن الفنادق والأوتيلات موجودة في الحجاز قبل العهد السعودي الزاهر مطلقا لا صغيرة ولا كبيرة أي قبل سنة (١٣٥٢هـ) وإنما كان الناس إذا نزلوا من مكة إلى جدة، أو طلعوا منها إلى مكة أو سافروا إلى المدينة المنورة أو غيرها نزلوا في بيوت بعضهم على وجه الضيافة إذا كانت لهم لأصحابها معرفة، أو أنهم ينزلونها بالإيجار لمدة قصيرة أو طويلة وإذا كان المسافر له منزلة حكومية فإنه ينزل في دار الضيافة الحكومية الرسمية، أما الحجاج فإن المطوفين ووكلائهم هم المسئولون عن إسكانهم وراحتهم.

وفي هذا المعنى قال الأديب المصري الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «رحلة الحجاز» التي كانت قبل السنة المذكورة حينما وصل هو ورفاقه من مصر إلى جدة ما يأتي:

وليس في جدة فنادق ينزل فيها القاصدون إليها وإنما ينزل الناس في بيوت الأهالي فمن شاء استأجر منزلًا بأسره، ومن كان لا يسعه ذلك قنع بغرفة مؤثثة على مثال البنسيون في مصر مع فروق طبيعية... الخ انتهى كلامه.

وأول فندق بني في مكة كان سنة (١٣٥٥هـ) وهو أجمل وأكبر فندق بها ويقع في محلة أجياد.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي ٢/٢٢١٢ ٥٢٢]

❊ ❊ ❊

في سنة (٨١٥هـ) دخل جمل إلى المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت حتى كمل ثلاثة أسابيع والناس يريدون إمساكه فلم يستطيعوا ذلك، وكان إذا دنا منه شخص دقّه بفيه، فلما مضى ثلاثة أسابيع قال الناس لبعضهم: اتركوه، فتركوه، فجاء إلى الحجر الأسود وقبّله بفيه ساعة، ثم راح إلى تجاه الميزاب

فبرك عنده، وبكى ساعة، وألقى نفسه على الأرض فمات فحمله الناس إلى الصفا ودفنوه هناك. ذكره في الاتحاف

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٤٣٤]

* * *

قال القطب: أن في أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمّال يدعى حسن الفاروقي، فدخل المسجد، وجعل يطوف بالبيت، والناس حوله يريدون إمساكه فلم يقدروا، فتركوه إلى أن أتم ثلاثة أسابيع، ثم جاء الحجر الأسود واستلمه، ثم توجه إلى مقام الحنفية، ووقف هناك محاذياً للميزاب ودموعه تتساقط، وألقى نفسه على الأرض فمات. فحمله الناس إلى ما بين الصفا والمروة، وحفروا له ثمة ودفنوه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٤١٤)]

* * *

في سنة (١١٠٩هـ) طاف أحمد بن الأحد السرهدي أحد كبار علماء الهنود مقعداً لا يقدر على الوقوف والمشي، فكرهت العامة ذلك، وتكلم فيها بعض الناس مع القاضي، فأرسل إليه ينهاه عن ذلك، فتركها وحملوه على السرير، وكانوا يطوفون به فيه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٢٤١)]

* * *

تفرقة الرجال عن النساء في الطواف وفي المسجد الحرام:

جاء في «صحيح البخاري» في كتاب الحج في باب طواف النساء مع الرجال: وقال عمرو بن علي: حدثنا أبو عاصم قال ابن جريج: أخبرنا قال: أخبرني عطاء إذ منع ابن هشام النساء الطواف مع الرجال، قال: كيف يمنعهن وقد طاف نساء النبي ﷺ مع الرجال، قلت: أبعد الحجاب أو قبل؟ قال: أي لعمري لقد أدركته

بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال، قال: لم يكن يخالطن كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تطوف حجرة من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نستلم يا أم المؤمنين، قالت: عنك وأبت وكن يخرجن متنكرات بالليل فيطفن مع الرجال، ولكنهن كن إذا دخلن البيت قمن حتى يدخلن وأخرج الرجال، وكنت آتي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنا وعبيد بن عمير وهي مجاورة في جوف ثبير، قلت: وما حجابها؟ قال: هي في قبة تركية لها غشاء وما بيننا وبينها غير ذلك، ورأيت عليها درعاً مورداً.

قال الغازي في الجزء الثاني من تاريخه: كان الرجال والنساء يطوفون معاً مختلطين حتى ولي مكة خالد بن عبد اللَّه القسري لعبد الملك بن مروان، ففرق بين الرجال والنساء في الطواف، فأجلس عند كل ركن حرساً معهم السياط يفرقون بين الرجال والنساء، فهو أول من فرق بينهما. انتهى من الغازي.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي ٤/ ٧٨]

* * *

روى الغازي في الجزء الثاني من تاريخه: أن علي بن الحسن الهاشمي الذي تولى أمر مكة في خلافة المهتدي بن الواثق هو أول من فرق بين الرجال والنساء في جلوسهن في المسجد الحرام، فقد أمر بحبال تربط بين الأساطين التي يقعدن عندها تفصل بينهن وبين الرجال. انتهى

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي ٤/ ٧٨]

* * *

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟ فقال: بل الطواف. أخرجه الأزرقي.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٨٤]

* * *

روي عن ابن عمر أنه قال: كان أحب الأعمال إلى النبي ﷺ إذا قدم مكة الطواف.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٧٨]

* * *

قال مجاهد: كنا مع عبد اللَّه بن عمر في الطواف، فنظر رجل يطوف كالبدوي طويل مضطرب عجزه من، الناس فقال: أي شيء تصنع هاهنا؟ قال: أطوف. فقال مثل الحمل تحيط ولا تستلم، ولا تكبر، ولا تذكر اللَّه عز وجل، ثم قال له: ما اسمك؟، قال حنين، فكان ابن عمر إذا رأى رجل لا يستلم الركن قال أحنيني هذا؟

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٥٨)]

* * *

كانت عادت العرب الطواف عرايا الرجل نهاراً والنساء ليلًا، وكان من له فضل ثياب من الحلة ولم يجد ثوباً أحمسياً يطوف به طاف في ثيابه التي قدم بها من الحل، وبعد أن يتم طوافه ينزع تلك الثياب ويطرحها بين أساف ونائلة فلا يمسها غيره ولا ينتفع بها حتى تبلى من وطئ الأقدام وحرارة الشمس وعوامل الرياح.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» لمحمد صالح الشيبي العبدرى ص ١٦]

* * *

في سنة (٥٨٠هـ) حج الشيخ أبو بكر بن الشيخ يحي الغياثي فطاف بالكعبة راكباً على بغلة وحوله نحو ثلاثمائة فقيه يمشون بمشيه، ويطوفون بطوافه.

[«درر الفرائد» لعبد القادر الجزيري ص٢٦٥]

* * *

قال ابن جبير: ومن عجائب اعتناء اللَّه تبارك وتعالى بأنه لا يخلو من الطائفين

ساعة من نهار ولا وقتاً من الليل، فلا تجد من يخبر أنه رآه دون طائف به، فسبحان من كرمه وعظمه، وخلد له التشريف إلى يوم القيامة.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٥٦)]

* * *

تستحب تلاوة القرآن في الطواف عند نزول المطر لما يرتجى من اجتماع البركات التي وردت في ثلاث الآيات، وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩].

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٣٧)]

* * *

قال ابن بطوطة: الشيخ الصالح الفاضل أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق كثير العبادة والصوم والصلاة بمسجد رسول الله ﷺ تسليما صابراً محتسباً، وكان ربما جاور بمكة المعظمة، رأيته بها في سنة (٧٢٨هـ)، وهو أكثر الناس طوافاً وكنت أعجب من ملازمته الطواف مع شدة الحر بالمطاف، والمطاف مفروش بالحجارة السود، وتصير بحر الشمس كأنها الصفائح المحماة، ولقد رأيت السائقين يصبون الماء عليها فما يجاوز الموضع الذي يصب فيه إلا ويلتهب الموضع من حينه، وأكثر الطائفين في ذلك الوقت يلبسون الجوارب، وكان أبو العباس بن مرزوق يطوف حافي القدمين، ورأيته يوماً يطوف، فأحببت أن أطوف معه فوصلت المطاف، وأردت استلام الحجر الأسود فلحقني لهب تلك الحجارة، وأردت الرجوع بعد تقبيل الحج فما وصلته إلا بعد جهد عظيم، ورجعت فلم أطف.

[«رحلة ابن بطوطة»]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٢٦)]

* * *

موعظة:

قال محيي الدين رضا: ما أشهد جمال الهلال إذ يطالعنا ونحن نطوف حول الكعبة المشرفة، إنه يبدو في أجمل حلة، وأبهج منظر، هو رفيع في علوه، رفيع في دائرته، رفيع في افتخاره إذ يرسل أشعته الخفيفة اللطيفة على بيت اللَّه عز وجل أول بيت عرفه، وأرسل أشعته إليه منذ طويل الأزمان والآباد.

ما هذا الصفاء الذي يظهر به الهلال بجوار الكعبة، إنه أصفى من اللؤلؤ وأجمل من الماس، هو الجمال المجسم يرسل أشعته الساحرة إلينا فيزيدنا انتعاشاً وابتهاجاً.

أيها الهلال، أيها القمر، أيها الجمال المجسم نسأل اللَّه ربك أن يجعل عامنا عام خير وبركة على العالم الإسلامي العربي، وأن يمدنا بروح الصفاء والإخاء ويجعل لنا من أمرنا رشداً.

لقد فرقتنا الأيام شعوباً وقبائل، وألقت بيننا عداءً مستحكماً، وشراً مستطيراً، فجعلتنا نهباً للسياسات، وجعلت خيرات بلادنا غنيمة سائغة لساداتنا الأجانب، وها نحن قد جئنا نطوف حول بيت ربنا سائلين اللَّه عز وجل أن يجعل لنا من أمرنا رشداً، ويوحد بين قلوبنا ويجعلنا يداً واحدة تعمل لخير بلادنا، وخير شعوبنا، مسلمين وعربا، فنحن إخوان في الخير والشر، فاللَّه خذ بيدنا نحو الاستقرار والاتفاق والوحدة وقونا بقوتك وانصرنا على من يعادينا.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٣]

❊ ❊ ❊

لما فرغ إبراهيم خليل الرحمن من بناء البيت الحرام جاءه جبريل فقال: طف سبعاً. فطاف سبعاً هو وإسماعيل يستلمان الأركان كلها في كل طوف، فلما أكملا سبعاً هو وإسماعيل، صليا خلف المقام.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٩١)]

❊ ❊ ❊

كما التزموا (أهل مكة المكرمة) بإبعاد الطائفات من النساء في آخر الحجارة المفروشة حول البيت. فالحرم الشريف مفروش برمل أبيض. وبدأت تلك العادة منذ تولي خالد بن عبداللَّه القسري إذ كان النساء والرجال سابقاً يطوفون مختلطين فعمل على منع ذلك.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» ص٢٣١ لعواطف نواب]

❊ ❊ ❊

بينما نحن نطوف يوماً في الازدحام إذ أقبل أصحاب الملك عبدالعزيز، فدفعوا الناس عن المطاف، وردوهم إلى نواحي المسجد، وحاط عساكره بالبيت العتيق، فلم يبق به طائف إلا أنا، والشيخ محمد الإمام بن شيخنا الشيخ ماء العينين، فإنهم لم يتعرضوا لنا حتى أتممنا طوافنا، فالتفت إلى الشيخ، وقلت له: سبحان اللَّه هذه خصوصية من اللَّه تعالى، فإنه ما على وجه الأرض الساعة من هو متلبس بهذه العبادة غيرنا.

[«الرحلة المعينية» ص١٥٩ لماء العينين بن العتيق]

❊ ❊ ❊

بلغنا أن الملك عبدالعزيز كان يطوف في جملة الناس بدون امتياز، أعوام إمارته الأولى حتى غدره بعض الظلمة، وهم مستلم الحجر الأسعد، فضربه بمكحله حتى مست الرصاصة الحجر الأسعد، فسلمه اللَّه ببركة ذلك المقام الشريف، ومن حينئذ صار لا يطوف إلا على هذه الهيئة التي ذكرنا، خشية الغائلة.

[«الرحلة المعينية» ص١٦٠ لماء العينين بن العتيق]

❊ ❊ ❊

وحيّيت الكعبة وقلت اللَّه أكبر ثلاث مرات، خطّيت سطراً، هكذا سأكون متأكدة أنني قمت بالدورات السبع كما هو مطلوب، ثم، فجأة - بانغ! مرافق

أحد الأشخاص وقع على وجهي، كم هو مؤلم! بكيت لكني متأكدة أن الشخص لم يقصد إيذائي، إنه طويل جداً وأنا الإنسانة المسكينة مع ١٥٠ سنتيمتراً صغيرة لدرجة أنه ربما لم يرني على الأرجح، أفهم ذلك لكن الألم ظل يلازمني - رآني شخص لطيف أبكي وحاول مساعدتي وسأل إذا كان بإمكانه أن يفعل شيئاً من أجلي. باركه اللّه لموقفه وللطفه، إني أقدر حق التقدير مثل هؤلاء الناس اللطفاء.

[«الطريق إلى السلام» ص٥٦ آنجيلا ميلو]

* * *

مرة أخرى دُرت حول الكعبة. لقد نسيت عدد المرات التي مارست خلالها الطواف. فإلى جانب عدد المرات الإلزامي، بوسعنا أن نقوم بالطواف لمجرد بهجة الدوران حول بيت اللّه الجميل ونحن نتلو أدعية أو آيات من القرآن.

[«الطريق إلى السلام» ص١٢٥ آنجيلا ميلو]

* * *

مررت لتوى بحاج سعيد يطوف حول الكعبة على عكازين، يمنعه كبرياؤه - وربما يمنعه فقره - من أن يحمله أحد الزنوج الأقوياء، أو يدفعه أحد على كرسي متحرك، ويحيطه الحجاج بالعناية والحذر حتى لا يقع. واسترعى انتباهي أيضاً مشهد مجموعة من الحجاج يخرون على الأرض سجداً وسط فيض من الحجاج. ولقد كدت أقول لهم: أيها الحجاج، هل يتحتم فعل هذا الذي تفعلون؟! ولكني لم أقلها.

[«الطريق إلى مكة» ص١٧ لمراد هوفمان]

* * *

قال أيوب صبري باشا: يقول الإمام إنه في يوم السبت السابع والعشرين من شهر ذي القعدة في العام السادس والعشرين بعد والمائتين من الهجرة بينما الحجاج يطوفون في وقت السحر إذ بطائر عجيب الهيئة يخطف البصر يدخل

الحرم الشريف للمسجد الحرام في طلوع الشمس عن طريق أجياد الصغير ويحط بجوار أحد قناديل زمزم الشريف الذي يقع بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم، ويظل واقفاً لمدة طويلة وأكثر الظن أنه من طيور البحر، وبعد ذلك طاف وحط في مكان بين الحجر الأسود الذي في الكعبة والركن اليماني، ولكنه كان أقرب إلى الحجر الأسود. وكانت أجنحة هذا الطائر سوداء ممزوجة بالحمرة، وكانت قدماه طويلتان دقيقتان وكذلك منقاره وعنقه. وطار من المكان المذكور يحط فوق كتف حاج يقف بمحاذاة الحجر الأسود ثم طار من فوق كتفه ليحط فوق الكتف الأيمن لحاج من حجاج خراسان. وبما أن الخرساني كان محرماً أخذ يلبي بصوت مرتفع وعند اللزوم يجري ويدور في وسط الحجاج. وظل الطائر فوق كتف الخراساني غير خائف من الحجاج وكان الحجاج الذين يطوفون مع الخراساني ينظرون إلى تصرفاته بتعجب أما الطائر فكان يزداد سكوناً وهدوءاً رغم إزدياد تعجب الناس ودهشتهم، ويبدو أن حال الطائر قد أثر في الخراساني لأن المسكين كان يطوف ويبكي والدموع التي تسيل من عيونه تبلل لحيته وتسقط على الأرض.

قال محمد بن أبي عبداللّه بن ربيعة الذي رأى بنفسه هذا الحادث الغريب: «لقد رأيت هذا الطائر فوق الكتف الأيمن للحاج الخراساني وكان الناس يتدافعون لرؤيته. أما هو فلم ينفر ممن يتفرجون عليه بل أنه لم يُولِ لهم أي اهتمام. وكنت في ذلك اليوم من الطائفين وكنت كل سبع مرات من الطواف أصلي ركعتين خلف مقام إبراهيم ثم أستأنف الطواف حتى أكملت واحدا وعشرين شوطاً حول الكعبة، وكنت في كل مرة أرى الطائر فوق كتف الخراساني، ومد أحد الطائفين يده ليلمس الطائر لكنه لم يطر، وفي النهاية طار من تلقاء نفسه واستقر في مكان بالجانب الأيمن من بناء المقام الشريف، وحشر منقاره تحت جناحه ووقف لفترة طويلة، واجتمع الناس حوله ليتفرجوا

عليه وفجأة مد أحد أغوات بيت اللَّه يده وأمسك به ليريه لأحد أصدقائه، فخاف الطائر وصاح صيحة مفزعة، وكان الصوت لا يشبه صيحة الطائر. وفزع الرجل من صوت الطائر وأطلقه فطار الطائر وحط فوق العمود الأحمر القريب من دار الندوة، ثم طار من بين باب (زيادة الندوة) وباب العجلة فتوجه إلى نواحي جبل قعيقعان».

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص١٢٨ لأيوب صبري باشا]

* * *

في عجيبة أواخر شهر ذي الحجة سنة ٨١٥ حمل أحد الجمالين الذي عرف بتحميل جمله حملاً فوق طاقته والذي كان يلقب (بالقاروني) أراد الجمل أن يتخلص من ظلم صاحبه، وبطريقة ما دخل إلى المسجد الحرام وأخذ يدور ويطوف ببيت اللَّه وقد طاف حول كعبة اللَّه المعظمة إحدى وعشرين مرة، ومسح وجهه بالحجر الأسود ثم وقف أمام المقام الحنفي أي حذاء الميزاب الذهبي فترة ما، ثم برك على الأرض وأسلم روحه وهو يسكب دموعا مثل حبات الحمص.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٥٦٨) لأيوب صبري باشا]

* * *

الرجال هنا، نراهم وهم يجرون عند منتصف الليل متجهين إلى المسجد الحرام مرتدين ثياب النوم، ويقومون بالطواف حول الكعبة، ويقبلون الحجر الأسود، ويدعون بدعاء قصير، ويشربون من ماء زمزم، ثم يعودون إلى فراشهم بعد ذلك، بالقرب من بوابة المسجد الحرام المسماة باب العمرة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٤٥) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الحاجات يقمن بالطواف حول الكعبة، أو بالسير حولها، لكن جرت العادة أن

يكون ذلك أثناء الليل، على الرغم من أنهن يشيع رؤيتهن ماشيات بين الرجال أثناء النهار.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

يضع زوار الكعبة أحذيتهم حول المنبر، وسبب ذلك أنه غير مسموح الطواف حول الكعبة والقدمان مغطيان، وليس من الأدب حمل الأحذية في الأيدي، مثلما يفعل الناس في المساجد الأخرى، هناك أناس متعددون يحرسون هذه الأحذية، انتظاراً لهدية صغيرة، لكن القرب من المسجد الحرام لا يخيف اللصوص، نظراً لأني فقدت في هذا المكان ثلاث مرات متتالية ثلاثة أزواج جديدة من الأحذية، والشيء نفسه يحدث لكثير من الحجاج.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٨) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

قد طفت من حولها سبعاً ولم أفق ... نشوان في رحابها من مسكها العبق

يا أيها الحرم المحمي جانبه ... ارحم ضراعة عبد صيّب الحدق

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٢٤)]

❊ ❊ ❊

يقول الإمام الصنعاني عن النفر من منى وطواف الإفاضة:

وردت إلى البيت الحرام وفودنا ... نحن له كالطير حن لمأواه

وطفنا طوافا للإفاضة حوله ... وفزنا به بعد الجمار وزرناه

ومن بعد ما زرنا دخلناه دخلة ... كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه

ونلنا أمان اللّه عند دخوله ... كذا أخبر القرآن فيما قرأناه

فيا منزلًا قد كان أبرك منزل ... نزلناه في الدنيا وبيتاً وطئناه

ترى حجةً أخرى إليه ودخلةً ... وهذا على درب الورى نتمناه

فإخواننا ما كان أحلى دخولنا ... إليه ولبثا في ذراه لبثناه

* * *

نطوف به واللَّه يحصي طوافنا ... ليسقط عنا ما نسينا وأحصاه
وبالحجر الميمون عجنا فإنه ... لرب السما والأرض للخلق يمناه
نقبله من حبنا لإلهنا ... وكم لثمة طي الطواف لثمناه
وذاك لنا يوم القيامة شاهد ... وفيه لنا للَّه عهد عهدناه
ونستلم الركن اليماني طاعة ... ونستغفر المولى إذا ما لمسناه
وملتزم فيه التزمنا لربنا ... عهوداً وعقبى اللَّه فيه لزمناه
وكم موقف فيه يجاب لنا الدعا ... دعونا به والقصد فيه نويناه

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢١٥)]

* * *

شعراً:

وللَّه در حادينا وإمامنا ابن القيم حين يقول:

دعاهم إلى البيت العتيق زيارة ... فيا مرحبا بالزائرين وأكرم
فللَّه ما أبهى زيارتهم له ... وقد حُصلت تلك الجوائز تقسم
وللَّه أفضال هناك ونعمة ... وبر وإحسان وجود ومرحم

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢١٦)]

* * *

شعراً:

قال الصنعاني:

وبات حجيج اللَّه بالبيت محدقا ... ورحمة رب العرش ثمت تغشاه
تداعت رفاقا بالرحيل فما ترى ... سوى دمع عين بالدماء مزجناه
لفرقة بيت اللَّه والحجر الذي ... لأجلهما صعب الأمور سلكناه

وودعت الحجاج بيت إلهنا ... وكلهم تجري من الحزن عيناه
فلله كم باك وصاحب حسرة ... يود بأن الله كان توفاه
فلو تشهد التوديع يوما لبيته ... فإن فراق البيت مر وجدناه
فما فرقة الأولاد والله إنه ... أمر وأدهى ذاك شيء خبرناه
فمن لم يجرب ليس يعرف قدره ... فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه
لقد صدعت أكبادنا وقلوبنا ... لما نحن من مر الفراق شربناه
والله لولا أن نؤمل عودة ... إليه لذقنا الموت حين فجعناه

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٢٥)]

* * *

شعراً: قال ابن القيم:

ولما تقضوا من منى كل حاجة ... وسالت بهم تلك البطاح تقدموا
إلى الكعبة البيت الحرام عشية ... وطافوا بها سبعا وصلوا وسلموا
ولما دنا التوديع منهم وأيقنوا ... بأن التداني حبله متصرم
ولم يبق إلا وقفة لمودع ... فلله أجفان هناك تسجم
ولله أكباد هنالك أودع الغرام ... بها فالنار فيها تضرم
ولله أنفاس يكاد بحرها ... يذوب المحب المستهام المتيم
فلم تر إلا باهتا متحيرا ... وآخر يبدي شجوه يترنم
رحلت وأشواقي إليكم مقيمة ... ونار الأسى مني تشب وتضرم
أودعكم والشوق يثني أعنتي ... وقلبي أمسى في حماكم مخيم
هناك لا تثريب يوما على امرئ ... إذا ما بدا منه الذي كان يكتم
فيا سائقين العيس بالله ربكم ... قفوا لي على تلك الربوع وسلموا
وقولوا محب قاده الشوق نحوكم ... قضى نحبه فيكم تعيشوا وتسلموا
وأتبع طرفي وجهة أنتم بها ... فلي بحماها مربع ومخيم
أسائل عنكم كل غاد ورائح ... وأومي إلى أوطانكم وأسلم

وكم يصبر المشتاق عمن يحبه وفي قلبه نار الأسى تتضرم
وحبكم أصل الهدى ومداره عليه وفوز للمحب ومغنم
وتفنى عظام الصب بعد مماته وأشواقه وقف عليه محرم

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٢٥)]

* * *

ذكر الحسن في رسالته أنه قال: الطواف بالبيت خوض في رحمة اللَّه تعالى.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٨٤]

* * *

إن قيل ما العلة من جعل الكعبة على يسار المطاف دون يمينه، وما الحكمة من ذلك؟ اعلم أن العلة في ذلك اجتماع القلبين في جهة واحدة، لأن القلب بيت الرب والقلب في الجانب الأيسر.

قال الجد رَحِمَهُ اللَّهُ قلت: وقد يقال في وجه المناسبة أن المستحب في ابتداء الطواف استقبال الحجر الأسود الذي هو يمين اللَّه في الأرض وحينئذ فشقه الأيمن إلى جهة باب البيت، وشقه الأيسر إلى جهة الركن اليماني، والانفتال إلى جهة اليمين أولى من الانفتال إلى جهة اليسار.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٨٠]

* * *

التزم الشيبيين بإبعاد الطائفات من النساء في آخر الحجارة المفروشة حول البيت، فالحرم الشريف مفروش برمل أبيض، وبدأت تلك العادة منذ تولي خالد بن عبد اللَّه القسري إذ كان الرجال والنساء سابقاً يطوفون مختلطين، فعمل على منع ذلك.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٢٠)]، [«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٦٣]

أشار البلوي إلى طواف النساء بعيداً عن الاختلاط بالرجال.

[«تاج المفرق» للبلوي (١/ ٣٠٤)]

❋ ❋ ❋

يقول الإمام الحسن البصري: وما على الأرض بقعة يوجد فيها الطواف والسعي والحج والعمرة إلا بمكة.

[«مجلة تراث العدد ٨٦/ ٢٠٠٦ ص٣٤]

❋ ❋ ❋

طوافة

لا ندري متى تخصص طائفة من أهل مكة ومن المجاورين بها من تطويف الناس بالبيت الحرام وتلقينهم دعاء الطواف المأثور وغير المأثور كالمرشدين لهم في كيفية أداء واجبات الحج والعمرة وسننهما، فإن الحاج الغريب مهما كان عالما ومتعلما فإنه قد يقع في خطأ وهو يؤدي مناسكه من حيث لا يدري ولا يشعر، كيف لا وهو في بلد لم يشهدها وفي أماكن العبادة وأداء المناسك لم ير مثلها في أي البلاد، فإذن لا بد للقادم من دليل يعرفه المشاعر العظام ومرشد يرشده إلى كيفية أداء المناسك خصوصاً إذا كان القادمون من العوام.

وهؤلاء والمرشدون نسميهم بمكة عندنا المطوفين وبالمدينة الأدلاء، أما متى تخصص طائفة لذلك فلا ندري، ولكن نعتمد في هذا المبحث على صديقنا المطوف الفاضل المؤرخ البحاثة الأستاذ أحمد السباعي المكي مؤلف كتاب «تاريخ مكة» فإنه قال في صحيفة (٢٣٣) من مؤلفه المذكور ما نصه: ولعل صناعة التطويف ابتدعت في هذا العهد لأن الشراكسة بحكم جهلهم باللغة العربية وميلهم إلى الأبهة والبذل كانوا يفضلون أن يعتمدوا على من يخدمهم ويدلهم على مشاعر الحج ويتلوا أمامهم أدعيته، وقد ذكروا أن السلطان

قايتباي حج في عام (٨٨٤) ولم يحج من ملوك الشراكسة غيره، وأن القاضي إبراهيم بن ظهيرة تقدم لتطويفه وتلقينه الأدعية، ولم يذكر المؤرخون مطوفاً قبل القاضي كان يلقن الحجاج بمكة فيما قرأته من تواريخ مكة. انتهى كلامه.

نقول: لا ندري بالضبط متى يبتدئ عهد الشراكسة فربما كان في القرن الثمن للّهجرة، ويقول الأستاذ السباعي أيضاً في صحيفة (٣٢٩) من كتابه المذكور ما نصه:

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٩)]

* * *

ويبدوا أن مهنة الطوافة التي ذكرنا أنها ابتدعت في عهد الشراكسة اتسع نطاقها قليلًا في أوائل العهد العثماني لأن أمراء الأتراك ورؤسائهم كان لا بد لهم من أشخاص يطوفونهم، فإذا كان أول مطوف عرفناه في عهد الشراكسة كان قاضياً في مكة، فالذي يظهر أن الطوافة في العد العثماني خرجت من سلك القضاة قليلًا إلى بعض الأعيان في مكة ن وقد تقدم بنا في حوادث (١٠٣٩هـ) قصة محمد المياس الذي كان يطوف أكير تركي، واستطاع أن يحتال له في القبض على أمير مكة بعد أن أغرى أمير مكة بالوصول إلى منازل أمير الترك خارج البلاد حتى تيسر القبض عليه.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٩)]

* * *

ويقول الأستاذ السباعي: أيضاً في صحيفة (٣٩٣) من الكتاب المذكور ما نصه:

وفي عام (١٣١٨هـ) قسّم الشريف عون طوافة بلاد مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساماً تسابق المطوفون إلى شرائها لذلك ألغي سؤال الحاج عن مطوفه وألزم بتبعية المطوف الذي اشترى حقوق الطوافة للبلاد التي يتبعها ذلك الحاج.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٩)]

ويقول إبراهيم رفعت باشا في كتابه «مرآة الحرمين»:

والذي يتبادر إلى ذهننا واللَّه تعالى أعلم أن التطويف كان معروفاً من قبل الشراكسة بكثير، وربما كان من القرن الأول للّهجرة، وكان معروفاً عملياً من غير أن يطلق عليه اسم التطويف واسم المطوفين فإنه لما انتشر الإسلام في أقطار الأرض، وأتى المسلمون من كل فج عميق إلى مكة لأداء فريضة الحج كان من الضروري أن يرشدهم أهل مكة إلى كيفية الطواف لبيت اللَّه الحرام وأماكن المشاعر وطريق الحج فإن الغريب في أي بلدة كان فهو يحتاج إلى مرشد ورفيق يرشده إلى معالمها، وأما في مكة من أماكن العبادة والمشاعر وأداء واجبات الحج والعمرة أولى بالإرشاد والمرافقة للغريب القادم لأن الوقوع في الخطأ في الواجبات والأركان يؤدي إلى وقوع الجزاء وإخراج الفدية، والغريب القاد أحرص الناس على أداء ما يجب عليه في مناسك الحج والعمرة، فلابد له إذن من مرشد من أهل مكة يرشده إلى كيفية ما يطلب منه شرعاً على الوجه الصحيح.

فعليه لا يستغني الغريب القادم من القرن الأول للإسلام إلى يوم القيامة من المرشد والدليل يرشده إلى ما يجب اتباعه ويجنبه عما يكره عمله، وهذا المرشد والدليل هو المسمى في عرفنا اليوم بالمطوف، وإن كان في العصور الأولى السابقة لم يطلق عليه هذا الاسم، والمتبادر إلى الذهن أن أهل مكة في ذلك الوقت كانوا يرون من والواجب عليهم أن يرشدوا الغريب إلى المناسك والعبادة مدفوعين بعامل التعاون إلى البر والتقوى وعمل الخير والتعليم لأداء نسك الحج لوجه اللَّه تعالى لا يريدون من الحجاج جزاءً ولا شكوراً.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٩)]

* * *

في موسم الحج نرى في جدة حركة مستديمة لا تنقطع ليلًا ولا نهاراً من الحجاج الذين إذا وصلوا إليها وجدوا على أبواب جمركها مطوفيهم أو وكلائهم في انتظارهم وهم ينادون يا حاج فلان أو يا حجاج فلان يعنون المطوف، فيعرف الحاج اسم مطوفه فينادي عليه وهو في هذه الشدة، فيبادر إلى مساعدته ويأخذ منه ورقة جوازه (باسبورت) ليعلم عليها من قلم الجوازات، ثم يسير معه إلى كنزل يقيم به يوماً أو يومين يصلح فيهما من شأنه في نظير أجر يدفعه لصاحبه، ثم يؤجر حميره أو جماله ويسافر إلى مكة بعد أن يشتري شقادفة إن كان لها ضرورة عنده ومتوسط ثمن الشقدف جنيه انجليزي، وأجرة الهجين أو الحمار جنيه إلى مكة، وكذلك جمل الحمل، وأما جمل الشقدف فتصل أجرته في الغالب إلى ضعف ذلك.

[«الرحلة الحجازية» للأستاذ محمد لبيب البتنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٧٦٣)]

* * *

المطوف يكاد يكون كالجمل في الحج لا يستطاع الحج بدونه، يأتي إلى السفينة بمجرد أن تلقي أنجزها في بحر جدة فيأخذ حاجه بيده ويضع له حوائجه في الزورق، ويأتي به إلى الميناء ويخرجه إلى البر، ويخلص له معاملة تذكرة المرور ومعاملة المكس وليستا بالشيء المهين نظراً للزحام ولما يجب على إدارة التذاكر وإدارة الجمرك من التدقيق، ثم إذا أراد الحاج أن يستريح في جدة بيته المطوف فيها وأركبه ثاني يوم جملًا في شقدف وسار به وبغيره من أمثاله، وقد حمل لهم زادهم وماءهم وكل شيء يلزم لهم وأوصلهم إلى مكة وافرين آمنين، وأنزلهم منزله مكرمين.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١٠)]

بمجرد وصول الحاج إلى البلد الحرام يأخذ المطوف بيده إلى الحرم فيطوف به سبعاً حول البيت العتيق، ثم يسعى به سبعاً بين الصفا والمروة يهرول فيه بين الميلين الأخضرين وفقاً للسنة، ويعلمه جميع أصول الحج ويلقنه جميع الكلمات والألفاظ التي ينبغي أن تقال في ذلك المطاف الكريم، ويتلو أمامه الأدعية التي يبتهل بها عند مقام إبراهيم، وبين زمزم والحطيم.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١١)]

❋ ❋ ❋

صارت للمطوفين وطوافيهم عادة أنهم بمجرد ما يرون طائفاً يتطوف بالبيت العتيق جاءوا إلى جانبه وجعلوا يلقنونه ما يحسن أن يقوله حتى لو كان الإمام الغزالي، أو السيد محمد رشيد رضا من أئمة زماننا، وذلك ناشئ عن أنهم لا يعرفون الناس ولا يفرقون بين العالم والجاهل.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١٢)]

❋ ❋ ❋

مما يدهش العقل أن المطوفين والمزورين يعرفون جميع لغات العالم وأكثرهم يعرفون التركي، ومطوفو العجم يعرفون الفارسي، ومطوفو الهند يجيدون لسان الأردو، ومطوفو الجاوى يعرفون لغة الملايو، وإن أكثر مطوفي الجاوى من الجاويين المقيمين بمكة، ومطوفو البشناق يعرفون لغة الصرب، ومطوفو الأرناؤوط يعرفون لغة هؤلاء، وبلغني أن بعض المطوفين يعرفون لغة الصين، ومنهم من يعرف لغة الفلبين، واللسان التكروري شائع بمكة كأنه العربي، والسودانيون ليسوا فيها بغرباء، زد على هذا اللغات الأوربية التي يعرفها المطوفون من روسي وإنجليزي وفرنسي وغيرها، فالمطوفون في هذا أشبه

بمستخدمي الفنادق في أوربا يضطرون إلى معرفة لغات كثيرة لتنوع أجناس السياح الذين ينزلون بفنادقهم، لكن دائرة علم المطوفين أوسع من جهة الكمية، فالعمال في الفنادق الأوربية يتعلمون بخاصة الإنجليزي مثلًا لكثرة سياح الإنجليز والأمريكيين، وقد يتعلمون الإسبانيولي لكثر سياح أميركا الجنوبية، ولا تجدهم يعرفون التركي والفارسي والأوردو والجاوي، فما ظنك بالصيني والفلبيني، فمكة أعظم معرض للأجناس واللغات.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]
[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١٤)]

❊ ❊ ❊

قسم المطوفون والمزورون العالم الإسلامي فيما بينهم مقاطعات أشبه بما كانت عليه المماليك في الماضي، فبلاد العرب لها مطوفون، وبلاد الترك لها مطوفون، وبلاد فارس لها مطوفون، وبلاد الأفغان لها مطوفون، وهلم جرّا، وكذلك لكل من هذه مزورون.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]
[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١٧)]

❊ ❊ ❊

ليس للحجازيين ولا النجديين مطوفون لأنهم يعرفون المناسك كلها ولا يحتاجون إلى أدلاء، ولا يلزم لهم من يستأجر لهم الجمال، لأن الجمال كلها لهم، وقلما يستفيد منهم الحرمان الشريفان إلا بأكلهم وشربهم من السوق.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]
[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١٨)]

❊ ❊ ❊

المطوفون أينما كانوا يكرمهم المسلمون ويقومون بضيافتهم تبركاً بالبقاع التي صدروا عنها والبيت الذي يخدمون فيه، وهم يستفيدون بهذه الأسفار الطويلة

معرفة واطلاعاً، ويتعلمون اللغات الأجنبية.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠١٩)]

❊ ❊ ❊

لقد فكر بعضهم أن يطلب من جلالة ملك المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ أن يسن قانوناً يمنع فيه المطوفين من تلقين الحجاج أدعيتهم الهادمة للغة والنحو المشوشة على سائر الطائفين، فكروا في هذا ولهم الحق في ذلك فطالما كنت أمتنع عن الطواف من تشويش المشوشين، وإذا ما رأيت هدوءاً في طوافي استولت علي حالة نفسية وأجهشت بالبكاء ولا سيما عندما كنت أدعو اللَّه لأولادي أن يحفظهم وينبتهم نباتاً حسناً ويهديهم سواء السبيل، وكنت أدعو اللَّه أن يحفظ لنا مليكنا فاروقاً المعظم عاملًا في طاعة اللَّه، وأن يحفظ للمملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز الذي نشر العدل وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم، وجعل الحجاز حتى في زمن الحرب مثابة للأمن والرخاء بفضل اللَّه ثم بفضل العمل بالشريعة الإسلامية السمحة.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ١٨]

❊ ❊ ❊

بدأت مهنة التطويف عام (٨٨٤هـ) في عهد المماليك والأتراك والشراكسة، فكانوا يفضلون الاعتماد على من يخدمهم ويدلهم على مشاعر الحج ويتلو أمامهم أدعيته، وظل الوضع على ما هو عليه إلى عام (١٢٩١هـ)، ومع زيادة أعداد الحجاج إثر شيوع استخدام البواخر في نقل الحجاج اتسع نطاق الطوافة.

[«الحرم المكي الشريف والتوسعات العمرانية وتطور الخدمات» لخالد سليمان العبيد ص٨٨]

❊ ❊ ❊

ومن عادة أهل الحرم أن المطوف أو نائبه يتلقى لفرقته من الحجاج بجدة، ويتولى شئؤونهم، وهم يدفعون له ما ينوبهم من لوازم تلك البلاد.

[«الرحلة المعينية» ص١٢٩ للشيخ ماء العينين بن العتيق]

* * *

وكنت وأنا أهرول موزع النفس، عيني إلى الكعبة وإلى الطائفين مثلنا وهم جماعات جماعات وكل جماعة تهرول وراء مطوفها وأذني إلى هذا الشيخ المطوف الذي كان يأبى إلا أن ينطبق عبارات الدعاء بأقصى ما يستطيع من البطء والوضوح وبأكثر ما يسعه من اللحن أيضاً، كأنما حسبنا بعض الجاويين أو الهنود ولم يدر - سامحه اللَّه - أنا.. ولكن المفاخرة لا تليق. غير أن لحنه كان يمزق أذني ويفسد علي تبتلي في الطواف، وقد ذكرني جماعة (التراجمة) في مصر الذين يحشون رءوس السائحين وزائري الآثار المصرية بالأغاليط التاريخية والسخافات الفاضحة، وكما عالجت مصر مشكل التراجمة والأدلاء بإنشاء مدرسة لهم كذلك أنشأت لهم الحكومة السعودية معهدا لتخريج المطوفين، وحسنا فعلت، فإن من رأينا من المطوفين أعاجم.

[«رحلة إلى الحجاز» ص٥٩ لإبراهيم المازني]

* * *

كان أولئك المطوفون يتلقفون الحجاج ولاسيما بسطاؤهم فيبتزون أموالهم ويلقنونهم أقوالًا خرافية منافية للشرع والعقل معاً. مثال ذلك أن يمسك أحدهم بحاج ساذج ويلقنه العبارة التالية بصوت خافت على باب الحرم الشريف كأنما هو ينزل عليه آية من السماء وهذا هو «اللَّهم أني نويت أعطاء مطوفي مبلغ كذا من المال بنية اللَّه ورسوله» فإذا ما نطق الحاج بهذه الكلمات حسب أنه سجلت عليه في لوح مسطور لا سبيل إلى نقضه بحال حتى إذا فرغ من طوافه إدى ما تعهد به لذلك المطوف المحتال بغير إمهال - وهكذا

دواليك، وأكثر منه مما كان يجري في السر والعلانية، وقد يكون بعضه ما يغضب اللّه ويندي له وجه الآداب. أما الآن فقد قضى نظام الحكم الجديد على تلك المظالم والبدع السخيفة، ووضع أولئك المطوفون تحت مراقبة شديدة، فإن أقل شكاة يرفعها أحد الحجاج ضد أحدهم تكون كافية لإبعاده عن حظيرة المطوفين.

[«رحلة في قلب نجد والحجاز» ص١٥٦ لمحمد شفيق أفندي]

* * *

وفي موسم الحج ترى في جدة حركة مستديمة لا تنقطع ليلًا ولا نهاراً من الحجاج الذين إذا وصلوا إليها وجدوا على أبواب جمركها مطوفيهم أو وكلاءهم في انتظارهم وهم ينادون يا حاج فلان أو يا حجاج فلان (يعنون المطوف)، فيعرف الحاج اسم مطوفه فينادي عليه وهو في هذه الشدة، فيبادر الى مساعدته ويأخذ منه ورقة جوازه (باسابورت) ليعلم عليها من قلم الجوازات ثم يسير معه إلى منزل يقيم به يوماً أو يومين يصلح فيهما من شأنه في نظير أجر يدفعه لصاحبه، ثم يؤجر حميره أو جماله ويسافر إلى مكة بعد ان يشتري شقادفه ان كان لها ضرورة عنده ومتوسط ثمن الشقدف جنيه انجليزي وأجرة الهجين أو الحمار جنيه الى مكة وكذلك جمل الحمل، أما جمل الشقدف فتصل أجرته في الغالب الى ضعف ذلك.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٠ لمحمد لبيب البتنوني]

* * *

ولو كان مولانا الامير يقضى بأن يتخرج المطوفون من مدرسة مخصوصة يدرسون فيها ما هو خاص بوظيفتهم لكان في ذلك أكبر خدمة دينية، لأن جل الموجود منهم الآن يجهل ماموريته الكبرى. وليت بعضهم يقف عند هذا الحد بل يلقى في ذهن الحاج ما ليس من الدين في شئ كمسألة الكنفاني

والزلباني مثلا: وهما حجران في طريق جدة الى بحرة يزعمون أن واحداً منهما كان كنفانيا والآخر كان زلبانيا وكانا يغشان الحجاج فمسخهما اللّه حجرين.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٥٩ لمحمد البتوني]

❋ ❋ ❋

الأهالي أغلبهم يعيش من مهنة التطويف أو التظاهر بالشعار الديني، ولا تروج تجارتهم إلا زمن الحج، وما يأتيهم فيه من رزق يعيشون منه طول عامهم. غير أن كثيراً منهم يبرحون مكة بعد الموسم الى الجهات التي بها أناس ممن سبقت معرفتهم بهم في الحج، فيفدون عليهم ببعض الهدايا ثم يعودون وقد أخذوا أضعاف ثمنها منهم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٦١ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

أمر الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ في مطلع العام (١٣٥٢هـ) باستبدال لجنة الحج بهيئة سميت هيئة الحج العليا تتكون من رئيس المطوفين، ورئيس مطوفي الهنود، وشيخ مشايخ الجاوة، وعضوية كل من هيئة المطوفين، وهيئة مطوفي الهنود، وهيئة مشايخ الجاوة، وتم ربطها بوزارة الداخلية.

[«مجلة الحج» العدد العاشر / شوال (١٤٣٢ هـ)]

❋ ❋ ❋

قال الأستاذ محي الدين رضا: لولا شدة الحكومة (أي السعودية) على المطوفين لظهر طغيانهم أكثر من ذلك، فقد علمت أنهم قبل العهد السعودي كانوا يهينون الحجاج ويتجرأ بعضهم على حبسهم في أمكنة خاصة في بيوتهم، ولكن يقظة الحكومة وشدتها الآن جعلت الأمر أقل ضرراً.

[«رحلتي إلى الحجاز» للأستاذ محيي الدين رضا

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠٨٠)]

❋ ❋ ❋

طيب

روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره، ولأن أطيّب الكعبة أحب إلي من أن أهدي إليها ذهباً وفضة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٥٧)]

* * *

كان معاوية أول من طيّب الكعبة بالخلوق والمجمر، وأجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٦٧)]

* * *

طيران

سيأتي يوم يتنقل فيه أكثر هذا الحجيج إلى بيت مكة بالطيارات فتزداد السهولة وتتضاعف السرعة، وقد يزداد بذلك عدد الحجيج زيادة هائلة لا سيما إذا جدّ في مكة من تسهيلات الحج ما هو غير متيسر إلى حد اليوم.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠٢٢)]

* * *

حرف الظاء

ظلة

في سنة (٨١٨هـ) عمرت ظلة المؤذنين التي فوق زمزم، كانت من خشب فبنيت بالحجر الصوان، وفرغ منها في رجب من العام المذكور.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٤٢٠)]

* * *

في سنة ثمانمائة واثنتين وعشرين عمرت ظلة المؤذنين بأعلى زمزم عمارة محكمة غير الأولى.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٤٢٦)]

* * *

عبد اللَّه بن محمد بن عمران الطلحي أمير مكة في خلافة الرشيد هارون هو أول من عمل ظلة للمؤذنين، فلم تزل على حالها حتى عمر المسجد الحرام في خلافة جعفر المتوكل في سنة (٢٤٠هـ)، فهدمت تلك الظلة وزيد فيها، فهي قائمة إلى اليوم.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٢/ ٢٠٥)]

* * *

أول من عمل ظلة المؤذنين على سطح المسجد الحرام يؤذن فيها المؤذنون ليوم الجمعة إذا خرج الإمام وصار على المنبر عبد اللَّه بن محمد بن عمران الطلحي وهو أمير مكة في خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد، وكان المؤذنون يجلسون يوم الجمعة قبل بنائها في الشمس في الصيف والشتاء، حتى كانت تلك الظلة، وقد استمرت على حالها حتى عام (٢٤٠هـ) فغيرها

عبد اللّه بن محمد بن داود وبناها بناءاً محكماً وجعلها بطاقات خمس، كان الذي تولى عملها محمد بن إسماعيل الخصاص.

[«أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي» لسعيد الزهراني ص١٣٢]

* * *

في سنة (٨٢٢هـ) هدمت مظلة المؤذنين التي فوق زمزم لخراب خشبها وبنيت بالحجر المنحوت ووسعت أحواض زمزم، وأتقن عملها، وفرغ منه في شهر رجب من السنة المذكورة.

[«إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام» لعبد الكريم القطبي ص٩٧]

* * *

في السنة الثالثة من دخول الملك عبد العزيز لمكة المكرمة علم بأن الحجاج يعانون من شدة حرارة الشمس عند صلاتهم لفريضة الظهر داخل المسجد الحرام في الساحات الداخلية، فأمر تنصب الخيام في المناطق المكشوفة حتى تقي الحجاج حرارة الشمس، فاستظل تحتها آلاف الحجاج في حج تلك السنة.

[«تاريخ عمارة المسجد الحرام» لحسين باسلامة ص٢٨٩]

* * *

حرف العين

عادات

قابل فرنايو منديس بينتو في مُخَا (في اليمن) أحد الفقهاء «مولانا» الذي يبجلونه؛ لأنه عاد حديثاً من مكة بعد أدائه الحج، ويحملونه في محفّة، ويظللونه من الشمس بقطعة من الحرير، وهو يوزع البركات والسلام في جميع الإتجاهات.

[Fernao Mendes Pinto, Travels, p,9]

* * *

في جزر المالديف في أوائل القرن السابع عشر فكان يسمح لمن أدوا الحج بقص لحاهم بطريقة معينة. وينظر إلى الذين كانوا في الجزيرة العربية وزاروا قبر محمد ﷺ في مكة (كذا) يُنظر إليهم بالإحترام الشديد في كل العالم، مهما كانت مراتبهم، سواء كانوا فقراء أم أغنياء. وفي واقع الأمر فإن كثيراً من الفقراء كانوا هناك، وقد اكتسبوا هذه المزايا الفريدة، ويطلق على الواحد منهم لقب (حجي) ولكي يعرفوا ويميزوا بين الآخرين فإنهم يلبسون العباءات القطنية الناصعة البياض وفوق رؤوسهم الطواقي الصغيرة المستديرة البيضاء المزركشة، ويحملون المسابح الخالية من رسم الصليب، ومن يعجز من أولئك الحجاج عن شراء تلك الأشياء المميزة فإن الملك أو أعيان البلد يوفرونها له، ولا يُقصرون في ذلك أبداً.

[The voyage of Francois Pyrard Of Laval to the East Indies London، - 1887
90 ,2 vols, I, pp. 110, 165]

* * *

عاصفة

إستمرت الأمطار في اليوم التالي ٢٦ شوال ١٠٨١ه في الشام أيضاً، بشكل مخيف، حتى كانت الجياد، والجمال تغوص في المياه حتى ركبتيها، أما الحجيج فقد كوَّم كل منهم أمتعته داخل خيمته وجلس فوقها. ولِلَّه حكمته في ذلك، فإن الزواحف والقوارض التي تعيش تحت سطح الأرض لم تجد لنفسها مفراً، فظهرت على سطح الأرض، ودخلت الخيام، ولم تترك أى شيء يمكن أن تتغذى عليه، حتى ملابس الحجاج ومتاعهم، مزقته شر ممزق، بل وصل الأمر بها أن أكلت أسرجة الحيوانات التي كانت ترقد وذيولها. ويعلم اللَّه أنه لو غفل الشخص بعض الوقت لربما أكلت أذنية أو أنفه أو أطرافه.

[«الرحلة الحجازية» ص٧٨ لأوليا جلبى ترجمة الصفصافي المرسي]

* * *

عبادة

حج الشيخ محمد جنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة وأربعين عاماً من غير انقطاع ماشياً على الأقدام من حمص إلى الديار المقدسة.

[«إمتاع الفضلاء بتراجم القراء في ما بعد القرن الثامن الهجري» لإلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي (١/ ٣٧٤)]

* * *

عبيد

في كثير من المنازل (في جدة) نجد أن الزوجة الأصلية تعيش في جزء من المنزل، أما إماء الزوج الحبشيات فيسكنَّ في مساكنهن الخاصة بهن.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٣٤) لجون لويس بوركهارت]

* * *

شاهد أحد الحجاج الكويتيين شخصاص مسناً جاوز الثمانين عاماً معروضاً للبيع في مكة، وعمل بيع الرقيق معروف ومنتشر في الماضي، ولكن الغريب في الأمر أن الرجل المعروض للبيع قد بلغ من الكبر عتياً فما الفائدة منه فهو بحاجة إلى من يعتني به لكبر سنه.

فالمشتري لا يستفيد منه إلا اللّهم إلا إذا أراد شراءه وعتقه مرة أخرى طالباً للأجر، فكان ثمن الرجل المعروض للبيع مناسباً إذا لم يكن زهيداً، فاشتراه أحد الحجاج الكويتيين وأعتقه في الحال مرضاة للّه وسعياً وراء الأجر، ففي اليوم التالي شاهد الرجل المسن نفسه معروضاً للبيع مرة أخرى، وغدا بالحاج الكويتي يتساءل في قرارة نفسه بتعجب، وأنه لأمر عجيب في بيع الرجل المسن مرة ثانية، وقد تبين أن الرجل المسن يكسب المال بهذه الطريقة التي تجعل الحاج يعطف عليه فيشتريه ويعتقه وهو بعد ذلك يقتسم المال مع البائع هكذا في كل مرة.

[«حكايات وذكريات كويتية» للدكتور عادل عبد المغني ص ١٣٦]

* * *

عجم

في سنة (١٠٤٧هـ) ورد أمر سلطاني مضمونه أن العجم لا يحجون البيت، ولا يزورون قبر النبي ﷺ، فبعد أن وصلوا رخص لهم بالحج، ثم بعد النزول نادى منادي الشريف عليهم أن يخرجوا إلى السفر في سابع عشر ذي الحجة، ولا يحجون بعد عامهم هذا، ودار عليهم العساكر وأخرجوهم على جمال الحجاج، فخرجوا على أشنع حالة إلى الأبطح، فأقاموا فيه يومين ورحلوا وهم الشاهية - أتباع شاه إيران - ودخل بعضهم في عجم البصرة، فأبقوا مع علي باشا السابق إلى غرة المحرم بعد اجتهاد شديد.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ١٨٢)]

توقف الحج الفارسي في التوقيت نفسه الذي أوقف الوهابيون فيه الحج السوري هذا الحج الفارسي كان يأتي عن طريق بغداد، ثم يمر عبر نجد قاصداً مكة المكرمة، وبعد أن أبرم عبد اللَّه بن سعود معاهدة السلام مع طوسون باشا في عام (١٨١٥م) استأنف الحج الفارسي عبوره للصحراء مروراً بالدرعية دون اعتراض أو مضايقات.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٢)]

❋ ❋ ❋

كان من عادة عرب العجيل في بغداد أن يرافقوا القافلة الفارسية لما كان أفراد القافلة معروفين بأنهم من الشيعة، فقد كانوا يتعرضون لمصاعب كثيرة على الطريق، فقد كان سعود يجبي منهم ضريبة ثقيلة يطلق عليها اسم ضريبة الرؤوس أو الأعناق، وكان الشريف غالب في مكة المكرمة يفعل الشيء نفسه، بل إنها وصلت في السنوات التي تلت تلك ذلك إلى ثلاثين سكويناً على الرأس الواحدة، معروف أن الحجاج الفارسيون كلهم من الأغنياء ولا يعاني أحد من الحجاج ذلك الذي يعانيه هؤلاء الحجاج الفارسيون على طريق الحج.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٣)]

❋ ❋ ❋

أعداد كبيرة من الحجاج (حجاج فارس) يأتون عن طريق البحر، وهم يركبون البحر من البصرة إلى المخا، وإذا صادفوا الريح التجارية واصلوا إبحارهم إلى جدة، وإذا لم يهب عليهم تلك الرياح قسموا أنفسهم على شكل قافلة ويصلون عن طريق البر الممتد بطول ساحل اليمن.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٣)]

❋ ❋ ❋

في عام (١٨١٤م) عندما كنت أؤدي فريضة الحج كانت تلك القلة القليلة من الحجاج الفارسيين قد وصلت قادمة من بغداد إلى سوريا وتبعت القافلة السورية وبصحبتهم جمالة بغداديون.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٣)]

* * *

الدراويش من مختلف المذاهب والطرق في سائر أنحاء الإمبراطورية التركية يمكن العثور على البعض منهم بين الحجاج، الكثيرون منهم معتوهون، أو يتظاهرون بالعته في أضعف الأحوال، الأمر الذي يجعل الحجاج يحترمونهم إحتراماً كبيراً من ناحية ويملأون يجيوبهم بالمال من ناحية أخرى، يبلغ سلوك بعض هؤلاء الدراويش من العنف والمكر حداً يجعل الحجاج الميالين إلى فعل الخير يعطونهم شيئاً من المال عن طيب خاطر بغية الهرب والفكاك منهم، هؤلاء الدراويش ياتون في أغلب الأحيان من بلاد أُخر، إذ نجد بين العرب أنفسهم قلة قليلة من هؤلاء المجانين، ولكنهم يقلون بين العرب عنهم في بلاد الشرق الأخرى. مصر، بصفة خاصة عامرة بعدد كبير من هؤلاء الدراويش، بل إن كل قرية من قرى وادي النيل فيها بعض المساليب، أو إن شئت فقل المجانين، الذين ينظر السكان إليهم بإعتبارهم مُلْهمين، وأنهم مباركون من السماء.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ٢/ ٢٤ لجون لويس بوركهارت]

* * *

عرفة

موقف النبي ﷺ عشية عرفة بين الأجبل النبعة والنبيعة والنابت عند النشرة، وموقفه منها على النابت وهي الظراب التي تكتنف موضع الإمام، والنابت عند النشرة التي خلف موقف الإمام، وموقفه ﷺ على ضرس من الجبل النابت،

مضرّس بين أحجار هناك ناتئة في الجبل الذي يقال له ألال بعرفة عن يسار طريق الطائف وعن يمين الإمام.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ١٩٤)]

* * *

وفي زمن المتوكل غارت عيون مكة فكتب إليه في ذلك، فأرسل مائة ألف دينار لإجراء عين عرفة، فشرعوا في تنظيفها إلى أن جرت.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٦٣)]

* * *

قال محمد طاهر الكردي: الأزرقي: وتحت جبل نمرة غار أربعة أذرع في خمسة أذرع، وذكروا أن النبي ﷺ كان ينزل يوم عرفة حتى يروح إلى الموقف، وهو منزل الأئمة إلى اليوم، والغار داخل في جدار دار الإمارة في بيت في الدار، ومن الغار إلى مسجد عرفة ألفا ذراع وأحد عشر ذراع، ومن مسجد عرفة إلى موقف الإمام عشية عرفة ميل، يكون الميل خلف الإمام وهو حيال جبل المشاة. انتهى من الأزرقي.

نقول: أما موقفه ﷺ عشية عرفة ففي مسجد الصخرات الذي هو يقرب جبل الرحمة وهو موضع معروف إلى اليوم.

وأما كلام الإمام الأزرقي أن الغار داخل في جدار الإمارة في بيت في الدار فهذا الوصف بحسب زمانه، وقد مضى على وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ إلى يومنا هذا أكثر من ألف ومائة عام، فلم يبق للدار والجدار والبيت أي أثر أو علامة مطلقاً، اللَّهم إلا الغار فإن الغيران لا تزول حتى نزول الجبال من موضعها.

ولقد يسر اللَّه تعالى لنا التجول في بعض وادي «بالنون» والجبال القريبة من مسجد نمرة، والعلمين القديمين لبيان حدود الحرم من الحل للبحث عن الغار الذي نزل فيه رسول اللَّه ﷺ يوم عرفة قبل الزوال عند مجيئه من منى والذي

ذكره الإمام الأزرقي هنا، فقد تجولنا ثلاث مرات في المكان المذكور مع دليلين خبيرين من العرب يعرفان هذه الأماكن والغيران الموجودة فيها، وذلك بعد النصف الثاني من شهر شوال سنة (١٣٧٦هـ) فوجدنا ما يأتي:

إذا وصل الإنسان من منى إلى قبيل مسجد نمرة بعرفات وسار مع الجبل الذي عن يمينه، وهو جبل كثير الصخور والحجارة بعضها فوق بعض من أصل الخلقة فمن ذلك تتكون المغارات «أي الغيران».

فقبل أن يصل الإنسان إلى منتهى الجبل الممتد كاللسان في الرمل نحو (١٦٠) متر يجد على يمينه على ارتفاع نحو قامتين مغارة كبيرة في أصل الجبل، من الصخور الكبار تسع نحو عشرة أشخاص بل أكثر، وفي وسط أرض الغار صخرة كبيرة وأخرى أصغر منها متصلتان ببعضهما، وللغار بابان أحدهما صغير وهو الذي يقابل القبلة عرضه مائة وثلاثون سنتيمتراً، والباب الثاني كبير وهو الذي يقابل عرفات وعرضه متران، وأمام هذا الباب صخرة كبيرة نازلة إلى الأرض بها ثلاث حفر طبيعية أو أربعة كل حفرة كالدائرة رأس الإنسان واحدة فوق الأخرى تشبه الدرجة، ومن هذه الحفر يسهل الطلوع إلى الغار على أن الصعود إليه ميسور من البابين وإن لم تكن هذه الحفر، وسقف هذا الغار يتكون من صخرتين كبيرتين جداً متصلتان ببعضهما من وسط السقف كهيئة الجملون على شكل مثلث، وطول هذا الغار ستة أمتار، وسيع من مدخله الكبير، وضيق من مدخله الصغير، ومن وراء هذا الغار من الجهة المقابل للجبل غار آخر كبير طويل يسع نحو خمسة عشر شخصاً، والفاصل بين هذا الغار والغار المذكور إحدى صخرتي سقفه التي تلي الجبل ومدخل هذا الغار من المدخل الصغير للغار الذي تكلمنا عنه، فهذان الغاران بجوار بعضهما تماماً، ولا يوجد في الجبل أكبر من هذين الغارين المتجاورين، وكلاهما يسع لنحو ثلاثين شخصاً.

وتحت هذا الغار مباشرة جهة الباب الكبير غار آخر صغير تتجه فتحته إلى عرفات، وهو غار على وجه الأرض غير مرتفع في الجبل، وسقفه صخرة واحد كبيرة، طوله أقل من ثلاثة أمتار وعرض فتحته متران.

وفي هذا الجبل غيران كثيرة متعددة، ولا يعلم بالتحقيق التام نفس الغار الذي نزل رسول اللَّه ﷺ يوم عرفة في هذا الجبل، ولكن نظن غالب الظن الذي نطمئن إليه أن الغار الكبير الذي ذكرناه هو الغار الذي نزله رسول اللَّه ﷺ يوم عرفة لجملة أمور وهي:

١- أن وصف هذا الغار الكبير يقرب من وصف الإمام الأزرقي له.

٢- أن هذا الغار يقع تقريباً أمام العلمين قديماً الدالين على انتهاء حدود الحرم، ولا نستبعد أن ينزل الرسول ﷺ عند مفرق الحل من الحرم - أي عند حدودها - واللَّه تعالى أعلم. والبعد بين هذا الغار وبين العلمين المذكورين (٤٣٠) متراً.

وقد يزيد البعد وقد ينقص عن هذه الأمتار بحسب استقامة أخذ القياس أو انحرافه.

٣- والبعد بين هذا الغار وبين مسجد نمرة القبلي (١١٣٠) متراً، وهو قريب مما ذكره الأزرقي فإن المتر الواحد يساوي ذراعين تقريباً، فقد ذكروا أن ذراع اليد يساوي ثمانية وخمسون متراً. وقد يزيد البعد وقد ينقص عن الأمتار بحسب أخذ القياس أو انحرافه.

٤- أن الجالس في هذا الغار يرى من مدخله الكبير أي بابه مسجد نمرة وجبل عرفات أي جبل الرحمة الذي يقف عليه الحجاج المسمى بالقرين، ويرى مسجد الصخرات الذي تحته جبل الرحمة الذي وقف فيه الرسول ﷺ عشية عرفة، بل يرى ميدان عرفات كلها، فكأن النبي ﷺ جلس في هذا الغار ليشاهد جبل عرفات ومسجد نمرة ومسجد الصخرات، وحدود الحل من الحرم.

٥- أن هذا الغار الكبير أقرب الغيران إلى مسجد نمرة وهذا ما يوافق الرغبة النبوية، فإن النبي ﷺ حينما زالت الشمس نزل من هذا الغار إلى موضع مسجد نمرة فصلى فيها الظهر والعصر، ثم ذهب إلى عرفات فوقف في مسجد الصخرات حتى غربت الشمس ثم دفع إلى مزدلفة، ولذلك سمي هذا الجزء الأخير من الجبل بجبل نمرة لقربه من نمرة.

٦- أن هذا الغار هو الغار الذي يلائم رسول اللّه ﷺ:

أولاً: أنه مرتفع مشرف على ساحة عرفات كلها.

ثانياً: أن مدخله الكبير يقابل عرفات وهو بيت القصيد ومنتهى الرحلة، وأن مدخله الصغير يقابل مكة والقبلة.

ثالثاً: أن الغار هو أوسع غار في الجبل فإنه يأخذ في جوفه نحو عشرة أنفس والنبي ﷺ لابد وأن يكون معه نحو هذا العدد من كبار الصحابة لا يفارقونه في السفر ويتشرفون بالقرب منه كالخلفاء الراشدين الأربعة وغيرهم من كبار الصحابة - رضوان اللّه عليهم أجمعين -.

رابعاً: أن بجوار هذا الغار غار آخر متصل به ويفصل بينهما الصخرة التي بوسطهما وطولهما واحد، وكل منهما يسع بقدر الآخر من الأشخاص، فلو كان مع النبي ﷺ ثلاثون من الصحابة لاستظلوا فيهما بغاية الراحة وبدون أن يبتعدوا عن بعضهم.

ومن عجيب أمر الغيران في الجبال أنها تكون في وقت الظهيرة باردة منعشة لا يشتد على الجالس بداخلها وطأة الحر والغيظ.

هذا رأينا في الغار الذي نزل رسول اللّه ﷺ يوم عرفة قبل الظهر وهذه أدلتنا في تحقيقه، ولا يعلم الغيب إلا اللّه الواحد سبحانه وتعالى، ونزوله ﷺ في الغار المذكور لا يمنع من أنه نزل أيضاً في قبة من شعر التي أمر أن تضرب له بنمرة.

وما نظن أن أحداً قبلنا طرق هذا الباب أو بحث عن هذه المسألة مع أنها لا

دخل لها في المناسك مطلقاً، فالحمد للّه رب العالمين أولًا وآخراً، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٤٩٠)]

❋ ❋ ❋

عرفة موضع الوقوف، وهي خارج الحرم قريب منه، وقد ذكر حدها ابن عباس لأنه قال: حد عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى أجبال عرفة إلى وصيق إلى ملتقى وصيق ووادي عرفة.

[«العقد الثمين» للفاسي (١/ ١٠٨)]

❋ ❋ ❋

وادي عرفة اختلف في ضبطه، ففي بعض نسخ الأزرقي بالفاء، وفي بعضها بالنون، وممن ضبط بالنون ابن الصلاح، واعترض عليه في ذلك المحب الطبري، لأنه قال بعد أن ذكر ضبط ابن الصلاح: قلت: وفيما ذكره نظر، لأنه أراد تحديد عرفة بالفاء أولًا وآخراً، فجعله من الجبل المشرف على بطن عرنة بالنون، فيكون آخره ملتقى وصيق وبطن عرفة بالفاء، ولا يصح أن يكون وادي عرنة بالنون، لأن وادي عرنة لا ينعطف على عرفة بل هو ممتد مملى يلي مكة يميناً وشمالًا، فكان التقييد بوادي عرفة. واللّه أعلم.

قال: وهذا التحديد يدخل عرنة في عرفة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ٢/ ٨٦]

❋ ❋ ❋

وادي عرنة: بضم العين وهو الموضع الذي يتجنب الحاج الوقوف فيه، وهو من العلمين اللذين هما حد عرفة، والعلمين الذين هما حد الحرم من هذه الجهة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٣٠٦)]

❋ ❋ ❋

في سنة (٨٨٢هـ) في يوم الخميس سابع ذي الحجة اجتمع الشريف والقضاة عند أمير الحاج المصري مرتين بسبب رؤية الهلال ذي الحجة ما هو؟ ومتى تكون الوقفة؟ وزعم أمير الحاج وبعض الجهال: أن بعض الشاميين رآه ليلة الخميس فتكون الوقفة الجمعة، وأهل مكة يقولون أنه لم يره بمكة أحد ليلة الجمعة، لكن رؤي في بعض الآفاق، فتكون الوقفة السبت، وكان من كلام الغرباء في غير المجلس: أن أهل مكة لا يحبون وقفة الجمعة فإن الغلاء يعقبها عندهم، ويغرّم السلطان القاضي الشافعي مالًا، قاتلهم اللّٰه فإن هذا افتراء لا يعرف، فانفصلوا في المرة الأولى من عند أمير الحاج عن غير فصل ن وفي المجلس الثاني رسم أمير الحاج أن يقفوا مرتين يوم الجمعة ويوم السبت، ويتوجه الناس من يوم الخميس، فتوجه كثير من الناس يوم الخميس وبعضهم يوم الجمعة، وخطب الخطيب بمكة يوم الجمعة ولم يكن بها إلا أناس قليل، ووقف من حضر يوم الجمعة ويوم السبت مرتين كما رسم أمير الحاج.

[«إتحاف الورى بأخبار أم القرى» لابن فهد (٤/ ٦٢٣)]

❊ ❊ ❊

قال ابن جبير: وكان المجتمع منهم في هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل مثله قط، ووصل معه من أمراء الأعاجم الخرسانيين ومن النساء العقائل المعروفات بالخواتين، واحدتهن خاتون، ومن السيدات بنات الأمراء كثير، ومن سائر العجم عدد لا يحصى، فوقف الجميع قدوتهم في النفر الإمام المالكي، لأن مذهب الإمام مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا يُنفر حتى يتمكن سقوط القرص ويحين وقت الغروب، ومن السرو اليمنيين من نفر قبل ذلك، فلما أن حان الوقت أشار الإمام المالكي بيديه، ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعاً ارتجت له الأرض

ووجفت الجبال، فياله موقفاً ما أهول مرآه وأرجى في النفوس عقباه، جعلنا اللَّه ممن خصه برضاه، وتغمده بنعماه، إنه منعم كريم، حنان منان.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٠٥)]

❊ ❊ ❊

قال ابن رشيد البستي: ولقينا هناك الشيخ الزاهد الفاضل العامل الفقيه أبا محمد المرجاني - نفع اللَّه به - الواصل معنا من تونس في المركب، فصلينا العصر جميعاً، وأشار بموافقة الجمهور في التوجه تلك الليلة إلى عرفات والمبيت بها وتركهم سنة المبيت بمنى، لتوقع ما يخاف من الأعراب في أطراف النهار وأعقاب الناس، ويحذر من انتهابهم بما قل من العدد، ولم يستصحب شيئاً من العدد ن ومن تأخر من الناس أو انفرد، وانسلالهم بين الشعاب، وتوغلهم في الجبال بحيث تعذر الإيحاف عليهم بخيل وركاب، فوقع العزم على التوجه، وكان رأياً مباركاً والحمد للَّه.

[«ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» للشيخ محمد بن عمر بن رشيد السبتي المغربي]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٣٨)]

❊ ❊ ❊

قال القاسم بن يوسف التجيبي: وكانت السنة أن يقيم الناس بمنى حتى يصلوا الصبح وتطلع الشمس، وحينئذ يرحلون إلى عرفات، فلم يفعلوا ذلك، ورحلنا معهم اضطراراً لا اختياراً بسبب ما يخاف من أذى بني شعبة المغيرين.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٢٠)]

❊ ❊ ❊

بعد الوقوف بعرفة يتلقى الجميع لقب الحاج، وهو لقب يظل الواحد منهم

يحمله بفخر حتى مماته، وبعد تلقيهم لقب الحاج ينفخ في البوق إيذاناً بمغادرة عرفة، وبعد ميلين أو ثلاثة في طريق العودة يبيتون ليلة.

[«رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة»]
[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٣٩)]

* * *

لا يبقى في مكة المكرمة بعد ظهر اليوم رجل له قوة ومقدرة على الذهاب إلى عرفات إلا وذهب، وإنما يبقى بعض الحراس ولكنهم لا يظهرون في الطرق والشوارع بل يختبئون عن عيون الناس، ونعني بالناس هنا السيدات لأن مكة عاصمة الإسلام الدينية تخلو من الرجل مرة في العام من بعد ظهر يوم عرفة إلى صبح يوم النحر الأول.

وفي هذا الوقت تظهر السيدات في شوارع مكة المكرمة بحرية تامة ويذهبن إلى بيت اللَّه الحرام فيطفن بالكعبة ويقبلن الحجر الأسود والويل للرجل الذي يصادفنه في الطريق، فإنهن يعاملنه معاملة الغلمان والصغار المشهورين بالهبل والجنون فيزفوهن بأهازيج خاصة ويطاردنه بعبارات كلها لوم وتقريع على تركه أداء فريضة الحج وبقائه في مكة وهو على قيد أمتار من عرفة الذي سعى إليه المسلمون والمسلمات من أقطار الأرض كلها.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٤٠]

* * *

من عادة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أن يركب هجيناً أو فرساً، ويقف معظم النهار في ناحية من جبل عرفات على مقربة من جبل الرحمة حيث وقف النبي ﷺ على ناقته القصواء، وعندما يفيض جلالته نراه أشعث أغبر منكوش الشعر لا يمتاز على فرد عادي من أفراد رعيته إلا ببعض الأتباع الذين يلحقون بجلالته ويحيطون به.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٤١]

قال القطبي: إني أذكر أنه في سنة (٩٣٠هـ) قل الماء، وارتفعت أسعاره في عرفة، فاشتريت قربة ماء صغيرة يكاد يحملها الإنسان بإصبعيه بدينار ذهب والفقراء يضجون من العطش ويطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف، وجاء وقت الوقوف والناس عطاش يلهثون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل اللّه ورحمته، والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا رحمة اللّه ولطفه بهم.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص٦٢]

❊ ❊ ❊

أقسم اللّه تعالى بيوم عرفة: والعظيم لا يقسم إلا بعظيم قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾، قال ابن عباس: الوتر يوم عرفة، والشفع يوم الذبح، وهو قول عكرمة والضحاك.

وهو اليوم المشهود الذي أتى في سورة البروج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ اليوم الموعود يوم القسامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة قال: وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو اللّه بخير إلا استجاب اللّه له، ولا يستعيذ من شيء إلا أعاذه اللّه منه.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٧٥)]

❊ ❊ ❊

شعراً:

وراحوا إلى التعريف يَرجونَ رحمةً ... ومغفرةً مِمَنْ يجودُ ويكرمُ
فَلِله ذاك الموقفُ الأعظم الذي ... كموقفِ يوم العرضِ بل ذاك أعظمُ
وَيدنو به الجبارُ جلَّ جلالُه ... يُباهي بهم أَملاكَه فَهْو أكرمُ

يقولُ عبادي قد أتوني محبةً ... وإني بهم برٌّ أجودُ وأرحمُ
فأُشهِدكم أني غفرتُ ذنوبَهم ... وأعطيتُهم ما أمَّلوهُ وأنعمُ
فبُشراكم يا أهلَ ذا الموقفِ الذي ... به يغفرُ اللهُ الذنوبَ ويرحمُ
فكَمْ من عتيقٍ فيهِ كمَّل عِتقَهُ ... وآخرُ يَستسعي وربكَ أرحمُ
وما رُؤيَ الشيطانُ أغيظَ في الورى ... وأحقرَ منه عندها وَهْو الأمُ
وذاك لأمرٍ قَدْ رآه فغاظَهُ ... فأقبلَ يحثوُ التُربَ غيظاً ويلطمُ
وما عايَنتْ عيناه من رحمة أَتَتْ ... ومغفرة من عند ذي العرش تقسمُ
بَنى ما بَنى حتى إذا ظنَّ أنهُ ... تمكنَ من بنيانهِ فَهْو مُحكمُ
أتى اللَّه بنياناً له من أساسهِ ... فخَرَّ عليه ساقطاً يَتَهدمُ
وكم قَدرُ ما يعلو البناء وَيَنتهي ... إذا كان يبنيهِ وذو العرشِ يهدمُ

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٧٩)]

* * *

قال الدهلوي: السر في الوقوف بعرفة اجتماع المسلمين في زمان واحد ومكان واحد راغبين في رحمة اللَّه داعين له، ومتضرعين إليه، له تأثير عظيم في نزول البركات وانتشار الروحانية.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٨٠)]

* * *

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: وعرفة ما جاوز وادي عرنة الذي فيه المسجد، وليس المسجد ولا وادي عرنة من عرفة إلى الجبال القابلة على عرفة كلها مما يلي حوائط بني عامر وطريق الحضن، فإذا جاوزت ذلك فليست من عرفة.

[«الأم» للشافعي (٥/ ٤١٥)]

* * *

عرفات المشعر المعروف من مشاعر الحج، وليس هو جمع عرفات كما يظن

البعض إنما هو مفرد على صيغة جمع، وله نظائر في لغة العرب، وهي فسيح من الأرض محاط بقوس من الجبال يكون وتره وادي عرنة، فمن الشمال الشرقي يشرف عليها جبل أسمر شامخ وهذا الجبل يسمى جبل سعد، ومن المطلع الشمس يشرف عليها جبل أشهب أقل ارتفاعاً من سابقه ويتصل به من الجنوب وهذا يسمى ملحة، ومن الجنوب تشرف عليها سلسة لاطئيةسوداء تسمى أم الرضوم، أما من الشمال إلى الجنوب الشرقي فيمر وادي عرنة - بالنون -، وكل هذه الديار لقريش، وحدهم وراء جبل ملحة من مطلع الشمس واد يسمى الوصيق شرقه لهذيل وغربه لقريش، وبعرفات جبلها المشهور وهو أكمة صغيرة شبيهة بالبرث، وهذا الجبل يسمى: جبل الرحمة، ويسمى القرين وكان يسمى: إلالا وقد يسمى النابت.

وعرفة وعرفات: المشعر الوحيد من مشاعر الحج الذي يكون خارج الحرم.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٥٠]

* * *

فائدة: قال ابن حزم: التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضاً وإن كانت في الحل.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٩٨]

* * *

عرفات: عن عطاء قال: وإنما سميت عرفات لأن جبريل عليه السلام كان يُري إبراهيم عليه السلام المناسك، ثم يقول: عرفت؟ فيقول: عرفت، ثم يقول: عرفت؟ فيقول: عرفت، فسميت عرفات.

[«أخبار مكة» ٥/ ٩]

* * *

قال الشافعي رحمه الله: وعرفة ما جاوز وادي عرنة الذي فيه المسجد، وليس

المسجد ولا وادي عرنة من عرفة إلى الجبال القابلة على عرفة كلها، مما يلي حوائط ابن عامر وطريق الحضن، فإذا جاوزت ذلك فليست من عرفة.

[«الأم» للشافعي (٥/ ٤١٥)]

* * *

سميت عرفة عرفة لتعارف آدم وحواء - عليهما السلام - فيها، لأن آدم عليه السلام أهبط إلى الهند، وحواء - عليها السلام - إلى جدة فتعارفا بالموقف.

وقيل: لتعريف جبريل عليه السلام المناسك بها للخليل إبراهيم عليه السلام.

[«العقد الثمين» للفاسي (١/ ١٠٩)]

* * *

من المعروف أن بلاد الحجاز تميزت بأوضاع اشتهرت بها، واختصت بأطعمة معينة تصنع لذلك، مثل إعداد أطعمة معينة في أثناء الحج يحملونها معهم إلى عرفات.

[«ملء العيبة» لابن رشيد (٥/ ١٢٩)]

* * *

الخطيب يقرأ خطبته من كتاب مكتوب باللغة العربية، يمسكه بين يديه، وبعد مضي ساعة يتوقف الخطيب خمس دقائق ويرفع ذراعيه يطلب الرحمة والبركة من العلي القدير؛ في حين تروح الجموع المحيطة به، ومن أمامه تلوح بأطراف ملابس الإحرام فوق الرءوس، ويزلزلون الهواء وهم يصيحون قائلين: «لبيك اللّهم لبيك»، أثناء هذا التلويح بأطراف ملابس الإحرام، يبدو جانب الجبل، المكتظ بالناس الذين يرتدون ملابس الإحرام البيضاء، كأنه شلال من شلالات المياه، في حين تبدو المظلات الخضراء التي يرفعها راكبو الإبل فوق رؤوسهم، كما لو كانت سهلًا أخضر.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٤٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

طوال الخطبة التي دامت ما يقرب من ثلاث ساعات كان الحجاج يشاهدون القاضي وهو يجفف أو يمسح دموعه دوماً بمنديل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٤٠) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

خلال الفوضى التي لا يمكن وصفها والتي تنتج عن نفر الحجيج من عرفات، تضيع من كثير من الحجاج إبلهم، وتراهم هنا وهم ينادون بصوت عال على جمَّالهم، وهم يبحثون عنهم في أرجاء السهل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٤٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

ويسمى يوم عرفة بالكسرة وقد يفتح.

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٧٠ للمرادي]

❊ ❊ ❊

قَرُبَ الحبيبُ ووصلَه فحيّانا وبه تُنال مُرامُنا ومُنانا
دلَّ الأنامَ على الهدى فهو الذي عُرِفَتْ به عرفاتُنا ومِنانا

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» ص٩٣ للمرادي]

❊ ❊ ❊

والحجيج الذين تطأ أقدامهم حدود صخرة الناقة، يترجلون ويدعون اللَّه قائلين: «اللَّهم ثبت قدمي على طريق عرفات» وتستغرق الرحلة في هذه المنطقة ساعة واحدة، حتى تدخل القوافل وادي سمود.

[«الرحلة الحجازية» ص٩٦ لأوليا جلبي]

❊ ❊ ❊

بعض الأركاب من المصري والشامي والعراقي والمغربي لم يرحل إلى نصف الليل أو الثلث الأول ثم ارتحلوا إلى عرفة فترك الكل الفضيلة وهو النزول هناك

إلى شروق الشمس على ذلك الجبل.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٥٥ لسيدي الحسين الورثيلاني]

* * *

يكون ليلة الثامن والتاسع أفراح عظيمة بالألعاب النارية كالمحاريق، ومشاعل الضوء على اختلاف ألوانه، وذلك ما بين منى وعرفة.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١٢٦ للحسن بن محمد الغسال]

* * *

قال القطبي أني أذكر أنه في سنة (٩٣٠هـ) قلّ الماء وارتفعت أسعاره في عرفة فاشتريت قربة ماء صغيرة يكاد يحملها الإنسان باصبعيه بدينار ذهب، والفقراء يضجون من العطش ويطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف، وجاء وقت الوقوف والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصار يشربون من السيل من تحت أرجلهم، وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا من رحمة اللّه ولطفه بهم.

[«دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» ص٦٢ لمحمد صادق باشا]

* * *

عرنة

عرنة بوزن همزة.

قال الأزهري: بطن عرنة بالنون واد بحذاء عرفات. وقال غيره: بطن عرنة مسجد عرفة والمسيل كله.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/ ١١١)]

* * *

عسفان

بئر عسفان والاسم الآخر لهذه المرحلة (بئر التفلة)، ومرحلة بئر عسفان على مسافة اثنتي عشرة ساعة من وادي فاطمة، ومياه آبارها في غاية الخفة والعذوبة والبئر التي اختلطت مياهها بريق النبي ﷺ فأصبحت أعذب من مياه النيل والفرات والأنهار الأخرى بل تغبطها مياه الكوثر والتي يسميها العرب (بئر التفلة) في هذا المكان.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٥٥) لأيوب صبري باشا]

❋ ❋ ❋

عطش

في سنة (٢٩٥هـ) أصاب الحجاج في العود عطش شديد، مات فيه خلائق لا يحصون حتى إن أحدهم كان يبول في كفيه ويشربه من شدة العطش.

[«تاريخ الطبري» (٥/ ٦٧٠)]

❋ ❋ ❋

كثيراً ما يحصل بمنزل (الوجه) العطش الشديد للحاج والجمال وموت عدد لا ينحصر وخاصة سنة (٩٣٠هـ)، والتي عرفت بسنة العطيشة، وذكر هذا المنزل ابن كنان: بقلة الماء وبه أبيار (آبار) قليلة الماء إذا طلعت الشمس غارت، وعبر عن ذلك بما كان يقال:

إذا قل ماء (الوجه) قل حياؤه ... ولا خير في وجه بغير حياء

[«درر الفرائد المنظمة» للجزيري ص٣٦٩]، [«المواكب الإسلامية» لابن كنان ص٤٢٢]

❋ ❋ ❋

علم

لا ريب فيه أن الحج كان أيضاً قناة بالغة الشأن لإيصال مخطوطات مؤلفة هامة جداً للشخصيات الإسلامية الكبيرة إلى الأراضي الداخلة في قوام الإمبراطورية الروسية، الأمر الذي كان ييسر فعلًا تبادل الأفكار والنظريات في العالم الإسلامي.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٩]

❊ ❊ ❊

قال سيدي الحسين الورثيلاني في رحلته للحج: وورد علي (في عرفة) رجل ضرير فقيه عظيم يحفظ أكثر الشراح وهو مالكي من جزيرة العرب - أعني البحرين - فلما سألته عن أكثر أهلها، فقال مالكيون نعم مسائل الفقه كلها أو جلها على طرف لسانه ليس يبغي إلا رضاء اللّه تعالى فجدير على أنه من أهل الفضل والكمال ووعدني بالملاقاة بالمسجد الحرام.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٥٦ لسيدي الحسين الورثيلاني]

❊ ❊ ❊

عن الأعمش قال: قال لي حبيب بن أبي ثابت: أهل الحجاز وأهل مكة أعلم بالمناسك. قال: فقلت له: فأنت عنهم وأنا عن أصحابي، لا تأتي بحرف إلا جئتك فيه بحديث.

[«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٥/ ٤٧)]

❊ ❊ ❊

قال ربيعة: فاق عطاء أهل مكة بالفتوى.

عن سفيان بن عيينة عن عبد ربه بن سعيد قال محمد بن علي: ما بقي أحد من الناس أعلم بأمر الحج.

وسئل أبو زرعة عن عطاء بن أبي رباح؟ فقال: مكي ثقة.

[«الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن محمد الرازي (٦/ ٣٣٠)]

* * *

عمرة

كان نجم الدين الأصفوني قاضياً ببلاد الصعيد فانقطع إلى اللَّه تعالى وجاور بالحرم الشريف، وكان يعتمر في كل يوم من التنعيم، ويعتمر في رمضان مرتين في اليوم اعتماداً على ما في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «عمرة في رمضان تعدل حجة معي».

[«رحلة ابن بطوطة»]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٤٨)]

* * *

عملة

في موسم الحج عندما يكثر الطلب على الفكة الصغيرة اللازمة للتنقلات اليومية للحجاج فإن الصيارفة يصرفون القرش بخمس وعشرين بارة (عملة تركية يسميها الناس الديواني) هناك بعض الروبيات الهندية في سوق جدة، لكن هذه الروبيات لا يجرى صرفها أو فكها، لم يحدث مطلقاً أن التقيت أو شاهدت عملات معدنية مصكوكة بأوامر من إمام اليمن.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٧١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

كانت العملات المعدنية السائدة في الحجاز هي السكوين البندقي والسكوين المجري والدولار الإسباني والنقود المسكوكة في إسطنبول. كانت العملات المصرية كلها مستبعدة، لكن اعتباراً من وصول قوات محمد علي باشا أصبحت كل عملات القاهرة المعدنية يجرى تداولها بطريقة قسرية، يضاف

إلى ذلك أن النقود الفضية المصرية تحتل المرتبة الثانية بعد الدولار الإسباني. أساء باشا مصر، الذي له حق صك النقود، أساء مؤخراً استخدام هذا الحق، في العام (١٨١٥م) أصدر الباشا أوامر لدار صك النقود بصك مبلغ يقدر بحوالي ٧ملايين قرش أي ما يعادل حوالي مائتي ألف جنيه إنجليزي - حسب سعر الصرف - وأجبر الناس على دفع ثمانية قروش نظير الدولار، على الرغم من معرفة الجميع أن الدولار يساوي اثنين وعشرين قرشاً أو ثلاثة وعشرين في الحجاز لم تكن لدى باشا مصر وسائل تمكنه من فرض إجراءاته التعسفية المستبدة، وقد تصادف أن كان الدولار في المناطق الداخلية من الحجاز، التي تتمركز فيها القوات التركية، يساوي بين ما يتردد بين ثمانية عشر قرشاً وتسعة عشر، يزاد على ذلك أن البدو يرفضون التعامل بالقروش المصرية، حتى لو انخفضت قيمتها، ويرفضون قبول أي شئ سوى الدولارات، هذا التصميم أجبر الباشا على الاستسلام أمامه في كثير من الأحيان.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٧٠) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

عودة

فإذا عادوا الحجاج إلى بلادهم استقبلهم أهلوهم وذووهم بالطبول والزمور فيقيمون لهم الأفراح والليالي الملاح بعد أن يعدوا لهم كل ما في راحتهم ورفههم من نقش الدور وتجديد ما قدم عهده فيها من فرش وغيره لا فرق في ذلك بين أمير أو فقير، وكانت الطبقة الصغرى وهي سواد الحجاج وأكثرهم مشقة طبعاً تُزوّق لهم وجهات منازلهم، فيرسمون عليها صورة المحمل وقافلته وحرسه، ويرسمون إلى جانبه نخلة قد ربط إلى جذعها سبع وضبع في سلسلتين من حديد ويقرب منهما رجل قد أشهر سيفه في يده إشارة إلى أن

صاحبنا - حفظه اللَّه - تغلب بقوته وشجاعته على ما صادفه في طريقه هذا من المخاطر والمهالك.

[«الرحلة الحجازية» للأستاذ محمد لبيب البتنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٨٤٩)]

* * *

شعراً:

إذا قدم الركبُ يَمَّمتهُم أحيي الوجوه صدورا ووردا
وأسألهُم عن عقيق الحمى وعن أرضِ نجدٍ ومن حَلَّ نجدا
حَدِّثوني عن العقِيقِ حديثاً أنتُم بالعقيقِ أقربُ عَهدا
ألا هلْ سَمِعتُم ضجيج الحجيجِ على ساحة الخَيْف والعِيسُ تحدى
فذكر المشاعر والمروتين وذكر الصفا يطرد الهم طردا

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٣٠٢)]

* * *

في صبيحة يوم الأربعاء وصلنا لجبل الطور (هو جبل في مدينة الطور التي نادي اللَّه سبحانه وتعالى موسى عليه السلام وكلمه، وهو جبل كبير مطل على فلسطين والأردن، وبيت المقدس، وسيناء، ويقع على جبل الطور دير سانت كاترين وتوجد به مكتبة من أكبر المكتبات في العالم) وبمجرد ما أرسينا فيه صعد إلينا طبيب الكرنتينة للفحص على جملة الحجاج، ثم أخبر بأن نزولنا كان لا يمكن ولا بعد إقامتنا بالبابور سبعة أيام ورجع لحاله، وبقي الحجاج بعضهم فوق بعض في حالة يرثى لها من شدة الضيق، وتجيء إلينا مرة في اليوم فلوكة حاملة مؤنة ردية بثمن غال ولا يشترى الإنسان منها ما يلزم لضروريته التي لابد منها إلا بعد مشقة عظيمة من كثرة الإزدحام والهرج، وبعد سبعة أيام رخصوا لنا في النزول إلى المباخر وركب الحجاج في قوارب وبابور صغير

يجرها، وبعد النزول أعلن أحد الملاحظين بأن لا نأخذ معنا أمتعتنا إلا الفراش، وبعضهم الملابس الخفيفة والباقي يترك في البابور حتى يضيع ذلك على أيديهم، وما نزلنا للبير إلا بعد محنة عظيمة، ثم إن من دفع من الحجاج نصف ليرة (هي عملة إنجليزية من الذهب) مع كسر لكل واحد أدخل لموضع التبخير، ومن لم يدفع منهم ذلك منع من الدخول إليها فيظل نهاره تحت الشمس المحرقة، وربما أبقوا بذلك يومين أو ثلاثة حتى ينتهي تبخير الحجاج الذين أدوا الواجب.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١٣٢ للحسن بن محمد الغسال]

* * *

عين زبيدة

ومن عوائدهم اجتماع بعضهم بعد الحج ببعض الخروج إلى النزهة بالطائف وبالسيدة ميمونة في ١٣ صفر وبالزاهر وجمعياتهم تحتوي على سماع آلات الطرب وترقيص الغلمان وأفراح الزواج وفي رجب يسافرون للزيارة بالمدينة، وفي هذه الأشياء يصرفون كل ما اكتسبوه في سائر عامهم ومنهم من يحفظ شيئاً من هذا الكسب يستعين به على السفر إلى الإستانة أو مصر أو الهند أو بلاد الجاوا ليتعارفوا مع من يريد الحج في العام الآتي فهم بهذه الأسباب فقراء على الدوام تركبهم الديون ولولا وجود مياه (عين زبيدة) لهلكوا عطشاً.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص٦٠]

* * *

حرف الغين

غسل الكعبة

فائدة: أمر النبي ﷺ بغسل الكعبة بعدما كسر الأصنام وطمس التصاوير، فتجرد المسلمون من الأزر، أخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم، وغسلوا الكعبة ظاهرها وباطنها، لم يدعوا أثرا من آثار المشركين إلا غسلوه.

وفي هذا دليل في الجملة لما يفعله بنو شيبة في غسل باطن الكعبة في كل عام.

[«منائح الكرم» للسنجاري (١/ ٤٩٨)]

❋ ❋ ❋

غسل الكعبة المعظمة في السنة مرتان، مرة في أواخر ذي القعدة، وفي اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول مرة، وكيفيته: أنه في صباح اليوم المذكور بعد الإشراق تفتح السدنة الكعبة المعظمة ويأتون بغلاية فيها ماء الورد وعطر ماء الورد وبخور العنبر والند الذي يأتي مع المحمل الشامي، ويعتدون بشيلان يحضرها شيخ السدنة، ومن قبل مراسم الغسل بيوم يعطي شيخ السدنة خبراً إلى مولانا أمير مكة المكرمة وإلى والي الحجاز، ورؤساء المأمورين، وتحضر مكانس من طرف مديرية الأوقاف الهمايونية بالحرم الشريف المكي، ويأتي شيخ الزمازمة بسطول ويملأ سقاؤوا بئر زمزم قربهم من بئر زمزم ويأتون بها إلى تحت باب الكعبة المعظمة، وهناك تملأ السطول وتناول إلى من هو واقف في باب الكعبة، ويسلمها للذي في داخلها، وهناك يمسك سيدنا أمير مكة في يده مكنسة، وكذلك إذا حضر أحد من أنجال سيدنا الأمير يستحضر له مكنسة، وكذلك مولانا قاضي مكة المكرمة ورؤساء المأمورين ويتطوفون بالشيلان، ثم يبتدأ أولًا بصب السطول من عند مولانا أمير مكة المشرفة وأنجاله ووالي ولاية

الحجاز والملا أفندي، ثم تصب السطول وتملأ في سائر أطراف الكعبة المعظمة للجميع وتخرج الفارغة من السطول وتدخل ملآن، وهكذا إلى أن يتم الغسل، ثم يملأ من العطر وماء الورد في طاسات ويدهن بها جدار الكعبة مولانا الأمير المشار إليه وحضرات أنجاله، ويبخر بالعنبر والند حضرة مولانا القاضي وكل من أراد ذلك.

ثم إن سيدنا الأمير المشار إليه أحيانا يقذف من الكنائس المغسول بها البيت إلى الحجاج الواقفين عند الباب بحسب التبرك، ثم يدعوا لهم أحد السدنة الشيبيين دعاءً، ثم تختم مراسم الغسل ويخرجون منها، ثم إن السدنة ينشفون المبلول بالأسفنج ويزيدوا تعطيراً وتبخيراً ويغلقون الباب.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥١٦)]

* * *

أول من غسل الكعبة رسول اللّه ﷺ، فقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللّه ﷺ لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالًا فرقى على ظهر الكعبة، فأذن للصلاة وقام المسلمون وتجردوا من الأزر وأخذوا الدلاء، وارتجزوا على زمزم فغسلوا الكعبة ظهرها وبطنها، فلم يدعوا أثراً من آثار المشركين إلا محوه وغسلوه.

قال صاحب كتاب «تاريخ الكعبة المعظمة» وهذا رواه السنجاري في كتاب «منائح الكرم» نقلًا عن التقي الفاسي وهو رواها عن الفاكهي.

نقول: فمن هذا جرت العادة بغسل الكعبة من ذلك التاريخ إلى اليوم، وهي تغسل في العام مرتين بماء زمزم مضافاً إليه ماء الورد، ثم يطيبونها بالعطر ويبخرونها بالعود والعنبر والند، ويكون ذلك غالباً بحضور ولاة الأمور وكبار رجال الدولة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٦٢)]

* * *

في اليوم السابع والعشرين من ذي القعدة يتوافد أهل مكة المكرمة إلى البيت العتيق حيث تمتلئ ساحات الحرم بهم، ثم يقوم خطيب مكة المكرمة فيصعد المنبر لإلقاء خطبة ذاكراً فيها الكعبة المشرفة ومكة المكرمة مع إيراد بعض الأبيات الشعرية الحسنة ثم يقوم بالدعاء، فيحمل الناس الكثير من القماش للكعبة.

ويتقدم زعيم آل الشيبي إلى الكعبة المشرفة نحو قامة ونصف مما يلي الأرض من الجوانب الأربعة، وهذا يسمى إحرام الكعبة المشرفة ويعين الشيبيون زعيمهم ثم ينزل ويفتح باب الكعبة المشرفة ويدخل هو وآله وبعض الأعيان ويحمل لهم ماء زمزم فيغسلون البيت الشريف ثم يقومون بتجميره وإغلاق الباب ولا يتم فتحه إلا بوصول أمير الحاج المصري، أما المقطوع من ثياب الكعبة المشرفة فتوزع قطعاً صغيرة على الحجاج ويفعل ذلك أيضاً بباقي ثوبها المنزوع عنها في يوم عيد الأضحى المبارك، ولون ثوبها المعروف هو الأسود تزين أعلاه كتابة باللون الأبيض.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف نواب ص٢٣٣]

* * *

غض البصر

تتمتع فتيات كتيبة «وسط حوران» وماجاورها من القرى بجمال آخاذ، وجاذبية لا تقاوم، فكلهن من ذوات الدلال، قمريات الوجه، ملائكيات الطلعة، وكأنهن حوريات من حورى الجنة، أثرن في بعض الحجاج حتى صرفوا النظر عن استكمال الحج، وكتبوا للقائدين عن رغبتهم هذه والبقاء في هذه الديار.

[«الرحلة الحجازية» ص٧٥ لأوليا جلبى]

* * *

غلاء

في سنة (٨٢٢هـ) كان أمير الحج تاج الرومي، وكان بمكة غلاء عظيم حتى أكل الناس القطط، وبعدها أكل بعضهم لعضاً، وخاف الناس من الخروج إلى ظاهر مكة أن يؤكلوا، وهلك الفقراء وافتقر الأغنياء، وعدمت الأقوات حتى وصلت الغرارة الحنطة خمسة وعشرين ديناراً من الذهب الإفرنجي.

[«إتحاف الورى» (٣/ ٥٦٧)]

* * *

في سنة (٥٦٩هـ) كان بمكة غلاء كثير، أكل الناس فيه الدم والجلود والعظام، ومات أكثر الناس، ثم فرج اللّه عنهم بالصدقات وصلات من المستضيء العباسي لأهل مكة والمجاورين بها.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٣٥٨)]

* * *

في سنة (٦٥١هـ) كان الغلاء بمكة حتى بيعت الشربة من الماء بدرهم، والشاة بأربعين درهماً، وبيع بالطائف الشعير والدخن كل مد وربع بدينار، ثم جاء سيل عظيم انفرج أهلها.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٣٧٦)]

* * *

في سنة (١٨٩٧م) أبقى بنو حرب الطريق بين ينبع والمدينة المنورة مغلقة طوال ثمانية أشهر، فارتفعت أسعار جميع سلع الضرورة الأولية - الشاي، السكر، الطحين، الكاز، وخلافها - بضع مرات في المدينة المنورة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٦٠]

* * *

غمير

الغُمير: تصغير غمر: محطة كانت للحجاج على المحجة العراقية، كانت تعرف بغمر ذي كندة المتقدم، ثم سمي الغُمير تصغيراً لشأنه، ثم سمي بمكة الرقة وهو اسمه اليوم، وبقي الوادي يسمى وادي كندة كما تقدم، وإنما تغير اسم المحطة فقط.

قال صاحب المناسك: من ذات عرق إلى الغمير سبعة أميال، والغمير عين جارية وبركة يجتمع فيها ماء العين.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٢٠٣]

❊ ❊ ❊

غير المسلمين

عينت حكومة الملك عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ قضاة لمراقبة القادمين إلى الحج، وذلك ضمن الهيئة الدينية المُشكلة في جدة، والتي يحق لها النظر في شهادات معتنقي الإسلام، أو إختبار معتنقي الإسلام، ممن لا يحملون شهادة. وتتكون الهيئة من:

١- رئيس المحكمة الشرعية بجدة.

٢- رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- أحد العلماء الذين ترى الحكومة كفاءتهم للقيام بالعمل.

[«صحيفة أم القري» العدد ٦٨٥ / ٢ من ذي القعدة ١٣٥٦هـ، ١٩٣٧م]

❊ ❊ ❊

وتمنيت أن نعبر البوابة (بوابة دخول مكة) دون تعقيدات أو مشكلات، فنقطة التفتيش هنا هي أكثر نقاط التفتيش جدية وصرامة، ووصلنا إلى البوابة، كانت هناك أربعة أعمدة، انفتحت البوابة على مصرعيها، واقترب جنديان، كل مع

بندقيته، فتوقفت السيارة، وقدم الجنديان، يصوبان بندقيتيهما ناحيتنا، في البداية وجها أسئلتهما إلى السائق، ثم رغبا في الاطلاع على شهادة القاضي في جدة التي تفيد بأننا ندين بالإسلام، وكذا تصريح الدخول إلى مكة. فحصوا كل الأوراق ثم اقتادونا إلى مكتب صغير للتفتيش، كان عليهم أن نتلو أمامهم بعض آيات من القرآن الكريم، وأن نجيب عن بعض الأسئلة المتعلقة بالإسلام، وفي النهاية حصلنا على تصريح بالمرور من البوابة.

[«ياباني في مكة» ص١١٣ لتاكيشي سوزوكي]

* * *

كان مجلس الابرشيات الكنسي الثالث عام (١٥٨٥م- ٩٩٣هـ) متعلقاً مباشرة بالحج (حج المسلمين)، وجاء تحت عنوان تقريره الفرعي الآتي: يحظر إعطاء التصاريح أو رخصة للذهاب إلى مكة للحج أو لمعابد الهندوس، ويمضي القرار قائلًا: ويتماشى قرار المجلس الكنسي مع قرار مجلس فيينا الذي أعلن فيه منع إصدار أي رخصة أو تصريح، مكتوباً أو شفهياً، لأي مسلم لئلا يذهبوا ليحجوا إلى بيت مكة عند نبيهم المزعوم محمد ﷺ وألا يمنح الكفار (الهندوس) رخصة السفر إلى الحج إلى معابدهم أو آلهتهم المزيفة.

ووجه قادة هرمز وجميع قادة القلاع في الهند لتنفيذ هذا الأمر بوصفه أحسن ما يرتجى من كل المسيحيين ذوي الغيرة على دينهم.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٦١ لمعراج نواب مرزا، Bullarium, p.66]

* * *

حرف الفاء

فقير

يتوافد في وقت الحج عدد كبير من شتى المتشردين والفقراء من جميع أبناء القوميات وجميع البلدان، وأكبر عدد من هؤلاء يأتي بالطبع من الأماكن القريبة ولكن يوجد بينهم أفراد من سكان آسيا الوسطى وقشغر وأفغانستان والقفقاس وإيران وتركيا وغيرها، بل إني تقابلت مع شخص من روسيا يقيم في محافظة كوفنو، وجميعهم يأتون عادة سيراً على الأقدام، وبعض منهم يتجول عدة سنوات، المتحدون من آسيا الوسطى وقشغر يأتون عبر أفغانستان وإيران إلى بغداد أو دمشق حيث ينضمون إلى إحدى قوافل الحجاج أو يمضون إلى القسطنطينية أو إلى أحد مرافئ آسيا الصغرى وسوريا لكي يركبوا هناك على البواخر التركية التي تحمل الحجاج، وسكان الهند وأفغانستان وإيران يمضون عادة إلى بغداد أو البصرة، وسكان أفريقيا الشمالية يذهبون مع قوافل مواطنيهم الذين يسافرون براً عبر السويس العقبة.

وجميع الحجاج المعدمين يعيشون في الطريق كله من جمع الحسنات بوجه الحصر، حين يصلون إلى مكة يقيمون عادة في الحرم أو مباشرة في الشوارع، ويأكلون جزئياً في التكيات وبصورة رئيسية من الحسنات من جديد، ولذا تكون شوارع مكة على الدوام حافلة بهم طوال اليوم كله.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٢١]

* * *

بعد الحج يمشي قسم من الحجاج المعدمين إلى جدة حيث تجبر السلطان المحلية ربان كل باخرة بقبول بضع عشرات هؤلاء الفقراء مجاناً.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٢٣]

قسم آخر من هؤلاء الحجاج الفقراء ينضم إلى القافلة وينتقل معها إلى المدينة المنورة، وهنا عادة يقيمون نهاراً في الحرم وليلًا في الشوارع المجاورة حين يغلق الحرم أبوابه.

أما المصدر الرئيسي لطعامهم في المدينة المنورة فهو هنا أيضاً الصدقة وجزئياً التكية المصرية، وبقدر ما تنطلق قوافل الحجاج من المدينة المنورة يتفرق هؤلاء الحجاج المعدمين تدريجياً في جميع الاتجاهات بعضهم يمضي مع المحمل السوري إلى دمشق، وآخرون يمضون إلى بغداد أو البصرة، وبعض ثالث إلى ينبع بأكل الحصول على مكان في باخرة. وفي المحاجر الصحية يتمتع الحجاج المعدمون بالمؤونة على حساب الحكومة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٢٣]

❊ ❊ ❊

كان المطلوب في سنة (١٨٩٩م) توفر تذكرة السفر ذهاباً وإياباً على الباخرة وتقديم ضمانة قدرها (١٥٠) قرشاً، (٥٠) قرشاً منها في صالح المحجر الصحي، (١٠٠) قرش تنفق على إطعام الحاج إذا تبين أنه صار خالي الوفاض، ولتقليل عدد الحجاج المعدمين من المرغوب فيه أن تطبق الحكومات الأخرى أيضاً هذا التدبير.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٢٤]

❊ ❊ ❊

غاب عن ذهن المحسنين تأسيس مؤسسة تعمل على تسهيل أداء هؤلاء الزنوج الفقراء لفريضة الحج وكذلك الهنود الفقراء، أو حتى لتسهيل نقل هؤلاء الحجاج الفقراء عبر الخليج الفارسي إلى الحجاز، هذا النقل لا يكلف الفقير سوى دولار واحد أو دولارين يشكلان عبئاً ثقيلًا على كل فقير من هؤلاء الفقراء من الزنوج أو الهنود.

هؤلاء الحجاج الفقراء يصلون إلى موانئ الجانب الإفريقي من الخليج بعد أن يكونوا قد أنفقوا ذلك القليل الذي أخذوه معهم من أوطانهم، أو يكون قد سرق منهم على الطريق أثناء الرحلة، وعندما يكتشفون أو يجدون أنفسهم عاجزين عن كسب ما يمكنهم من دفع أجر عبور البحر الأحمر يضطرون إلى انتظار عودة رفاقهم الأثرياء من الحجاز ليقوموا بدفع أجر العبور بدلًا عنهم على سبيل الإحسان.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ٢٣)]

❊ ❊ ❊

كنا سمعنا - ونحن في البلد - أن جملة من الدراويش (فقراء العجم والهنود يحجون مع أهل الكويت وغيرها) وعددهم يربو على الخمسة والعشرين مصممين على المسير مع الحاج، وفيهم الأعمي والعجوز، وتجاهلنا ذلك لأننا قاصدون طريقاً مهلكة، وهؤلاء في حاجة إلى الركوب، بصرف النظر عن الزاد الذي لا نهتم له أقل اهتمام، وعلى هذا عرضنا الأمر على الشرطة وأفهمونا بأن واجبهم يقضي عليهم بمنع الدراويش عن الحج بهذه الحالة، وواعدونا بأنهم اشترطوا علينا أن نحضر للشرطيين والمختار أوتوموبيل يخرجون ويرجعون فيه، حيث إن الحكومة غير مكلفة بصرف شيء بهذا الصد ورضينا بهذا الشرط، وعندها سمعنا من بعض الجهال وضعفاء العقول اعتراضات وانتقادات علينا، ولكنا لم نعبأ بهم وقلنا لهم: إذا كنتم صادقين اجتمعوا وابتاعوا لهم إبلًا ونحن بدورنا نشترك معكم بدفع الثمن، فلم نحصل منهم على نتيجة وقبعوا في أرديتهم مختزين، وفي يوم الأحد أرسلنا تذكرة إلى عبداللّه الوحيمد لكي يراجع الشرطة ويقدم لهم الأوتوموبيل. وفي المساء قدم الشرطيان والمختار وأقاموا عند الأخ عبدالكريم الوحيمد بقية ذلك اليوم وليلة الإثنين، وهو يؤانسهم ويخدمهم حتى صباح الإثنين، وعندما ابتدأ بالمسير توجه الشرطة والمختار إلى مجتمع الدراويش ووقفوا عندهم لكي يمنعوهم عن المسير فلم يجدوا منهم سوى خمسة، لأن الباقين سمعوا بالأمر وتقدموا

الحاج والليل مرخ سدوله، ومنهم من عمل له بعض أهل المزارع حيلة وألبسوه لباساً لا يشك في أنه من أهالي الزبير.

وفاتني أن أذكر أنه عند قدوم الشرطة علينا مساء الأحد حصل هرج ومرج عظيمان من يوسف القضيب، فإنه اقترح أن كل خبرة تأخذ معها درويشاً، فقلنا له: ابدأ أنت واجعله مع إخوانك ونحن نعمل عملك، فلم نجد جواباً، إننا على الإطلاق نحب الأجر ولم نخرج من ديارنا وأبنائنا إلا احتساباً للأجر، على أنه خرج معنا جملة من أهالي البلد عرضوا أنفسهم علينا لكي يرافقونا ويخدمونا بلا مقابل فلم نجرأ على قبول أحد منهم، أقول لم نجرأ على قبول أحد منهم وهم في أتم صحة ونعرف لغتهم ونشهد لهم بحسن السلوك والاستقامة فكيف بدراويش عجزة يحملون من الأمراض أنواعاً، لا نعرف لغتهم ولا يعرفون لغتنا. ولكن ماذا نقول لتابع كل عانق؟ وحصل أيضاً مرج من محمد السعد العيسى حيث قال: إنه مستعد لحمل واحد من الدراويش.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٢٣ لسعد بن أحمد الربيعة]

❊ ❊ ❊

على طول طرق القافلة ترى كثيراً من حجاج الفور (التكرور) مشاة بأطفالهم، وكثيراً ما ترى الأم حاملة طفلها في شبه كيس ملتصق بظهرها بحيث لا يظهر منه غير رأسه، وعلى رؤوسهم بعض أمتعتهم، وفي أيديهم صفيحة أشبه بالكشكول يضعون فيه غذاءهم. وإذا كانت لهم حاجة إلى السؤال سألوا ركاب القوافل بلطف وأدب، وما رأيتهم يطلبون غير الماء لأنه يصعب عليهم حمله، وخصوصاً في مدة الصيف الذي تجف فيه القرب وتنشف الركايا.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٦ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

فإذا مرت القافلة قرب بيوت قبيلة من القبائل وجدت كثيراً من الأعراب ينادون

على البطيخ الكبير بقولهم بطيخ، وعلى صغيرهم بقولهم الخربز (وأصلها قاربوز بالتركية) وينادي بعضهم الما الما، خبز خبز، التمر، الفجل... الخ الخ، فإذا قربت من ديارهم وجدت شرذمة من أولادهم يحيطون بك وأيديهم ممدودة للعطاء وهم يتغنون بقولهم: يا حاج سلامات، يا فندي سلامات، يا بويا سلامات، إن شاء اللّه عرفات، إن شاء اللّه بركات وبعضهم يقول: حج حجيج (حج الحجيج) بيت اللّه: والكعبة ورسول اللّه إلخ.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٦ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

الأشخاص الموجدون هنا في المدينة المنورة هم أولئك الحجاج المعدمون، وبخاصة السوريون منهم، الذين يكثر وجودهم هنا في مدينة الرسول، والذين يحاولون عن طريق العمل الدءوب، طوال أشهر قلائل، جمع مبلغ من المال يفي بنفقات عودتهم إلى بلادهم. هؤلاء الحجاج المعدمين يعملون فترات متقطعة فقط، وإذا ما غادروا المدينة المنورة أو رحلوا عنها، خلت من الحرفيين فترة طويلة من الزمن.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٦٧) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

الحجاج المصريون الذين يبقون على الشاطئ (شاطئ ينبع) بعد أداء فريضة الحج، يضطرون أمام احتياجهم للمال اللازم لعودتهم إلى بلدهم، إلى العمل شيالين، وعمال، وحطابين، وسقائين إلخ، لقد شاهدت بنفسي رجلًا يتقاضى قرشاً ونصف القرش نظير حمولة لمسافة تقدر بحوالي خمسمائة ياردة، لينقلها ذلك الحمَّال من الشاطئ إلى منزل من المنازل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢١٥) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

حرف القاف

قافة

كان لرجل غلام وجارية تزوج أحدهما من الآخر، فولد بينهما ولد، كان لونه مخالفاً للون أبيه، وبعض الناس تكلم في ذلك، واتهم السيد بالجارية، وفشا ذكر ذلك، ثم مات السيد المذكور، وخلف ابنا يقال له: هذا الولد أخوك ألا تنظر إلى لونه، فوقع في نفسه من ذلك شيء، فأتى إلى مكة المعظمة زمن الحج، وجلب معه العبد وابنه المذكورين، وسأل عن القافة، فدل على المدلجيين، فذهب إليهم وأراهم العبد والصبي، فقالوا له: هذا الصبي لهذا العبد لا شك فيه، ثم قالوا له: وأنت أيضاً لهذا العبد لا شك فيه عندنا فوقع في أمر أشد من الأول، فلما رجع من حجه انطلق إلى أمه وأخبرها الخبر، وقال لها اصدقيني، فقالت: يا بني صدق القافة، والعبد أبوك، وذلك أن الذي تذكر أنه أبوك قد كنت تزوجته فحنث بي مرة في يمين حلفها، فبنت منه فشق عليه فراقي، فشاور بعض أصحابه وأصدقائه وهم فلان وفلان وفلان، وسمت له ناساً يعرفهم ويثق بهم، فأشاروا عليه أن يزوجني من عبده هذا، فلما انقضت عدتي تزوجت به، فأصابني مرة واحدة، فولدت أنت منها، ثم فارقني العبد، فلما تمت عدتي ردني سيده، وكان كثير المال، وكان لا يولد له فتبناك كراهة أن يأخذ السلطان ماله، فهذا واللَّه حديثك يا بني، فانطلق الفتى إلى أصحاب أبيه الذين سمتهم له فسألهم فأخبروه بصحة ما ذكرت له.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٠٣)]

❊ ❊ ❊

قبلة

عن ابن أبي حسين قال: الكعبة قبلة أهل المسجد، والمسجد قبلة أهل الحرم، والحرم قبلة أهل الأرض.

[«سنن البيهقي» (٢٦٦)]

❊ ❊ ❊

جهات المصلين إلى القبلة في جميع البلدان

قال ابن ظهيرة القرشي في كتابه «الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف» ناقلًا ما ذكره العلامة الشيخ عز الدين بن جماعة في دائرته بحذف الكوكب إذ ليس كل أحد يعرف الاستدلال بها قال فيه ما نصه:

إن مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى: أسوان وأسنا وقوص والفسطاط والإسكندرية والأكيدم والمحلة ودمياط وبلبيس، وبرقة، وطرابلس، وصفد، وساحل المغرب، والأندلس، وما كان على سمة جهتهم ما بين الركن الغربي والميزاب.

وأن الجانب الشام الغربي، ووسط غزة، والرملة، وبيت المقدس، والمدينة الشريفة، ودمشق، وفلسطين، وعكا، وصيدا، وما إلى ذلك من السواحل على سمته جهتهم من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربي.

وأن الشام كلها غير ما ذكر وهي: حمص وحماة وسليمة وحلب ومنبج وحران وميافارقين، وما والاهما من البلاد وسواحل الروم جهتهم ما بين الميزاب والركن الشامي موقفهم موقف أهل المدينة ودمشق، لكنهم يتياسرون شيئاً قليلًا، والجهة شاملة للجميع إن شاء اللَّه تعالى.

وأن الرها والموصل وملطية وسميشاط وسنجار وديار بكر، وكان على سمت ذلك جهتهم إلى القبلة من الركن الشامي إلى مصلى آدم عليه السلام أي قرب الحفرة

التي وجه الكعبة.

وأن الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمدان والري ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش، وما كان على سمت ذلك جهتهم ما بين مصلى آدم عليه السلام إلى قرب باب الكعبة.

وأن البصرة والأهواز وفارس وكرمان وأصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين، وما كان على سمت ذلك جهتهم من باب الكعبة إلى الحجر الأسود.

وأن وسط بلاد الصين والهند والمهرجان وكابل المهديان والتتار والمغول والخدهار، وما والاها، وما كان على سمتها جهتهم من الركن الأسود إلى دون مصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن بلاد الهند وجنوب بلاد الصين وأهل التهايم والسد والبحرين وما والاهما وكان على سمتها جهتهم من مصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثلثي هذا الجدار.

وأن اليمن بأسره ظفار وحضرموت وصنعاء وعمان وصعده والشحر وسبا وما والاهما وما كان على سمتها جهتهم من دون الركن اليماني بسبعة أذرع إلى الركن اليماني.

وأن الحبشة والزنج وزيلع وأكثر بلاد السودان وجزائر فرنسا، وما والاهما من البلاد وكان على سمتها جهتهم من الركن اليماني إلى ثلثي الجدار، وهو آخر الباب المسدود.

وأن جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البلين والنوبة إلى بلاد النكرور، وما وراء ذلك، وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط جهتهم من دون الباب المسدود إلى ثلثي الجدار.

وأن شمال بلاد البجاة والنوبة وأوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد أفريقية وأوسط بلاد البربر وبلاد الجريد إلى البحر المحيط وهي جهة جدة وعيذاب وجنوب

أسوان جهتهم من دون الركن الغربي بثلث الجدار إلى الركن الغربي.

ثم بعد هذا انتهى ما لخص من الدائرة، وهذه الجهات المذكورة هي من حيث الجملة، ومن أراد التحرير في الاستقبال كما ينبغي فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات ليقف على المراد. واللَّه علم.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ١٣٤)]

* * *

جهة مصر وصعيدها وسواحلها السفلى: أسوان، وإسنا، وقوص، والفسطاط، والإسكندرية، والأكيدم، والمحلة، ودمياط، وبلبيس، وطرابلس، وصفد، وسواحل المغرب، والأندلس، وما كان على سمته ما بين الغربي والميزاب.

وجهة جانب الشام الغربي، ووسط غزة، والرملة، وبيت المقدس، والمدينة الشريفة، ودمشق، وفلسطين، وعكا، وصيدا، وما إلى ذلك من السواحل على سمته من قبيل ميزاب الكعبة إلى دون الركن الغربي.

حمص، وحماة، وحلب، ومنبج، وحران، وميافارقين، وما والاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامي، موقفهم موقف أهل المدينة، ودمشق لكنهم يتياسرون شيئاً يسيراً والجهة شاملة للجميع إن شاء اللَّه تعالى.

وجهة الرها، والموصل، وملطية، وسمسياط، وسنجار، والجزيرة، وديار بكر، وما على سمت ذلك إلى القبلة من الركن الشامي إلى مصلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وجهة الكوفة، وبغداد، وحلوان، والقادسية، وهمذان، والري، وخراسان، ومرو، وخوارزم، وبخارى، ونسا، وفرغانة، والشاش، وما كان على سمت ذلك ما بين مصلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قرب باب الكعبة.

وجهة البصرة، والأهواز، وفارس، وكرمان، وأصفهان، وسجستان، وشمال

بلاد الصين، وما كان على سمت ذلك من باب الكعبة إلى الحجر الأسود.

وجة وسط بلاد الصين، والهند، والمهرجان، وكابل، والمهديان، والتتار، والمغل، وما والاها وما كان على سمتها والركن الأسود إلى دون مصلى النبي ﷺ.

وجهة بلاد السند، وجنوب بلاد الهند، وجنوب بلاد الصين، وأهل التهايم، والسد، والبحرين، وما والاها وما كان على سمتها من دون مصلى النبي ﷺ إلى ثلثي هذا الجدار.

وجهة اليمن بأسره، وظفار، وصنعاء، وعمان، وصعدة، والشحر، وسبأ، وما والاها وما كان على سمتها من دون الركن اليماني بسبعة أذرع إلى الركن اليماني.

وجهة الحبشة، والزنج، وزيلع، وأكثر بلاد السودان، وجزائر وفرسان، وما والاها من البلاد وما كان على سمتها من الركن اليماني إلى ركن الجدار، وهو آخر الباب المسدود.

وجهة جنوب بلاد البجاة، ودهلك، وسواكن، وبلاد البليين، والنوبة، إلى بلاد التكرور، وما وراء ذلك، وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم إلى البحر المحيط من دون الباب المسدود إلى ثلثي إزاء الجدار.

وجهة شمال بلاد البجاه، والنوبة، وأوسط المغرب من جنوب الواحات إلى بلاد أفريقية وأوسط بلاد البربر، وبلاد الحديد إلى البحر المحيط، وهي جهة جدة، وعيذاب، وجنوب السودان من دون الركن الغربي بثلث الجدار إلى الركن الغربي. انتهى ما لخص من الدائرة.

[«الجامع اللطيف» لابن ظهيرة ص ١٤٤]

* * *

مما يلاحظ في الحرم أن أهل كل جهة من العالم الإسلامي يجلسون عادة في الجهة التي يستقبلون فيها الكعبة في بلادهم: فالأعاجم تجدهم عند باب السلام،

والشوام والأتراك بينه وبين باب الزيادة، والمصريون وراء المقام المالكي، واليمانيون والجاوه والهنود وراء المقام الحنبلي.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٩٩ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

أبو قبيس

نص ياقوت الحموي بأن الأخشب موضعان: الأخشب الشرقي، والأخشب الغربي. فالشرقي هو أبي قبيس، والغربي هو قيقعان. وقيل بل هما: أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك. وقد بسط ذكرها في المعجم انتهى.

واختلف في التسمية بأبي قبيس: فقيل لأن رجلًا من أياد - وقيل من مذحج - يدعى قبيساً كان أول من بنى فيه فسمي به.

وقيل لأن الحجر الأسود أقبس منه.

وقيل: قبيس بن شالخ بن جرهم لانقطاعه به.

وقيل: لأن النار التي بأيدي الناس اقتبست منه من سرحتين نزلتا من السماء.

ويقال له: أبو قابوس، وشيخ الجبال - انتهى من كلام الفاسي.

وذكر القطب: أن في هذا الجبل قبر آدم وحواء وشيث - عليهم السلام - على أحد أقول. وذكر أن الدعاء فيه مستجاب.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢٠٩/١)]

❊ ❊ ❊

كان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت مكة أم القرى أي أصلها.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص١٣]

❊ ❊ ❊

قبيس: بضم القاف وفتح الموحدة على وزن فعيل: من أشهر جبال مكة مع أنه ليس من أكبرها، تراه يشرف على المسجد الحرام من مطلع الشمس، يصب منه شعب علي بينه وبين الخندمة، وأبو قبيس بيت شعب علي وبين أجياد، وهو من الجبال المأهولة في مكة. وعلى قمته مسجد يسمى مسجد بلال، وليس منسوباً إلى بلال بن رباح كما يظن البعض.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق بن غيث البلادي ص١١]

* * *

سمي جبل أبي قبيس بهذا الاسم لأن أول من نهض البناء فيه رجل يقال له أبو قبيس، فما صعد فيه البناء سمي الجبل باسمه، وكان يسمى في الجاهلية الأمين، لأن الركن الأسود كان مستودعاً فيه عام الطوفان، فلما بنى إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - البيت نادى إن الركن مني في موضع كذا وكذا، فجاء جبريل فوضعه في موضعه من الكعبة.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٢٦٦)]

* * *

هو أقرب الجبال للمسجد الحرام يحيط به من الجنوب والشرق يشرف على الحجر الأسود، ويقع الصفا في أصله، ويرقى إليه من ثلاثة مواضع: من شعب عمر وشعب علي وشعب أجياد الصغير. وقد رأى التجيبي فيه كهفاً صغيراً يقصده الناس قيل: إن الموضع الذي حفظ فيه الحجر الأسود من الطوفان حيث ظل به إلى حين بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة، ويقال إن به قبر آدم عليه السلام، وعلى هذا الجبل كان انشطار القمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أحد الأخشبين.

[«مستفاد الرحلة» للتجيبي ص٣٥١]

* * *

جبل أبي قبيس وهو أقرب الجبال للمسجد الحرام الذي يحيط به من الجنوب

والشرق يشرف على الحجر الأسود. ويقع الصفا في أصله ويرقى إليه من ثلاثة مواضع: من شعب عمر وشعب علي وشعب أجياد الصغير، وقد رأي التجيبي فيه كهفاً صغيراً يقصده الناس قيل: إنه الموضع الذي حفظ فيه الحجر الأسود من الطوفان حيث ظل به إلي حين بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة، ويقال إن به قبر آدم عليه السلام وعلى هذا الجبل كان انشطار القمر للنبي ﷺ وهو أحد الأخشبين، وما ذكره الرحالة موافق لما جاء في الأزرقي.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف نواب ص٣١١]

* * *

صعدت جبل أبي قبيس بعد أن سلكت له طرقاً ضيقة وسخة فيها شيء كثير من الروائح الكريهة وجيف الكلاب والهررة، دخلت هذه الطرق من شارع المسعى الساعة ١٠,٣٠ ووصلت القمة الساعة ١١,٤٥ مررت بطريقي بعرض الجبل بدور حقيرة ومقاه مثلها حيث الأوساخ والجيف تكتنفها، ورأيت مسجداً في القمة قد خلع سقفه الإخوان بدعوى أنه يزار، وقد رجعوا ورمموا سقفه وآثار الهدم ظاهرة فيه، وهذا المسجد عبارة عن حجرة واحدة طولها خمسة أمتار بعرض مترين، ونزلت منه مسرعاً ودخلت الحرم والإمام قائم يصلي المغرب.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٧٤ لسعد بن أحمد الربيعة]

* * *

قتال

في سنة (٢٦٢هـ) في يوم التروية وقع بين الحناطين والجزارين قتال، قتل فيه سبعة عشر رجلًا من الفريقين، حتى خاف الناس أن يعطل الحج، ثم تحاجزوا إلى أن حج الناس.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣١٢]

* * *

قال ابن جبير: وقد كانت في يوم الانحدار المذكور بين سودان أهل مكة وبين الأتراك العراقيين جولة وهوشة، وقعت فها جراحات، وسُلت السيوف، وفوقت القسي، ورميت السهام، وانتهب بعض أمتعت التجار، لأن منى في تلك الأيام الثلاثة سوق من أعظم الأسواق، يباع فيها ممن الجوهر النفيس إلى أدنى الخرز، لأنها مجتمع أهل الآفاق، فوقى اللّه شر تلك الفتنة بتسكينها سريعاً، وكانت عين الكمال في تلك الوقفة الهنيئة، وكمل للناس حجهم، والحمد للّه رب العالمين.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١١٠)]

❊ ❊ ❊

في أيام المقتدر ظهرت الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي إلى الكفر، يستبيحون دماء المسلمين، وينتسبون إلى موالاة محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويرون ظلال كافة المسلمين، فأول نجس خبيث ظهر منهم: أبو طاهر القرمطي، وبنى داراً في هجر سماها دار الهجرة، أراد نقل الحج إليها لعنه اللّه وأخزاه، وكثر فتكه في المسلمين، وسفك دماء المؤمنين إلى أن اشتد بهم الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفاً منه ومن طائفته الفاجرة، واشتدت شوكتهم، ففي أواخر عام (٣١٧هـ) لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة إلا وقد وافاهم عدو اللّه أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار، فدخلوا بخيلهم وسلاحهم إلى المسجد الحرام، ووضعوا السيف في الطائفتين، والمصلين والمحرمين مجردين من في إحرامهم إلى أن قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وفي شعابها زهاء ثلاثين ألف إنسان، وتلم مصيبة ما أصيب بها الإنسان بمثلها.

[«أخبار الكرام» للقطبي ص ٣٧]

❊ ❊ ❊

طلع أبو طاهر (القرمطي) إلى باب الكعبة وقلع بابها الشريف، وصار يقول:

أنـــا بـــالـــلَّه وبـــالـــلَّه أنـــا يـخـلـق الـخـلـق وأفـنـيـهـم أنـا

وصاح في الحجاج: يا حمير أنتم تقولون: قال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧] فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلنا؟ فأخذ شخص بلجام فرسه، وقال وقد استسلم للقتل: ليس معنى هذه الآية الشريفة ما ذكرت، وإنما معناها: من دخل فأمّنوه، فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت إليه، وصانه اللَّه تعالى ببركة بذل نفسه في سبيل اللَّه والرد على ذلك الكافر وأخزاه اللَّه تعالى.

وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب، فأطلع قرمطياً لقلعه، فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فما أخطأ نحره، وخر ميتا، وأمر آخر مكانه فسقط من فوق إلى أسفل على رأسه فهاب الثالث من الإقدام على القلع، فمضى أبو طاهر وتركه على رغم أنفه، وقال: اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي يزعم أنه يخرج منهم.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٣٧)]

* * *

توجه المحمل المصري من مكة مساء الثامن من ذي الحجة سنة (١٣٤٤هـ) قبل الغروب قاصداً عرفات، وكان يحيط به بعض نفر من حرس جلالة يمنعون الناس من المرور في طريق المحمل ليكون رجال المحمل في راحة من زحام الناس، حتى بلغ آخر منى ونزل هناك، وكان النجديون مخيمين هناك بكثرة قرب ذلك المكان، فشرع رجال الركب تضرب الأبواق، فلما وصل أصوات تلك الأبواق إلى مسامع النجديين، أقبل بعض منهم إلى جهة المحمل ينكرون بألسنتهم ضرب الأبواق، فردهم رجال الحرس الملكي الخاص بعنف وشدة، فلم ينتهوا، وكان ذلك قريباً من بهو جلالة الملك، فأوصل الجند الخبر لجلالة الملك، فأمر نائبه سمو نجله الأمير فيصل أن يسير إلى محل المحمل ليمنع

أي اعتداء هنالك، ولكن سموه سار مسرعاً بغير أن يأخذ قوه معه، فلما وصل المكان وجد بعض البدو يتنابذون ألفاظ السباب ويتبادلونها، وتجاوز بعضهم إلى رمي الحرس ببعض الحجارة، فطلب من رجال المحمل أن لا يتجاوزوا موقفهم، وانكفأ على البدو يعرفهم بنفسه، لأن الليل كان قد اقبل، ويطاردهم بمن معه من حرسه وحرس جلالة والده، وأرسل لجلالة والده يطلب منه زيادة على ما معه ففي الحال أمر جلالة الملك أكبر أنجاله الأمير سعود أن يذهب نجدة لأخيه بقوة من الجند، وبينما الأمير سعود يسرع بجمعه والأمير فيصل يكافح نفسه وهو يهدئ روع رجال المحمل لم يشعر الناس إلا والرصاص ينفذ من أفواه بنادق جنود المحمل، ووراء ذلك قنابل المدافع تضرب يمنة ويسرة، ولو تريّث رجال المحمل حتى تصل القوة لما أصابهم شيء ولا وقع ما وقع. هنالك عظم الشر، وقوة المحمل لا يزيد عددها عن الأربعمائة جندي، وعدد الذين كانوا هدفاً لنيران حرس المحمل لا يقلون من التسعين ألفاً من الحجاج النجديين، وكلهم أولو قوة وأولو بأس شديد، وقد حصدت النيران بعضهم ولم يبق عليهم إلا أن يقابلوا الشر بمثله في تلك الساعة الرهيبة في ذلك الخطر المحدق، الذي لم يكن ليحتاج إلا لقدح زناد بسيط في ذلك الوقت المرعب المزعج.

عرّف الناس جلالة الملك، وسمع جلالته إطلاق البنادق والمدافع، فخرج لساعته من سرادقه حيث النار ترمي بشررها في ذلك الليل البهيم، وقد تبعه أولاده وإخوته وأبناء عمومته وكل من يدلي إليه بقرابة أو نسب، مشى بهم إلى حيث النيران تطلق، فلم يقترب من المحمل إلا وقد أناخ عليه من كل جمع من الإخوان ركب يسألونه أمره، وأخبروه أن قتلاهم يضرجون بدمائهم، وكان جلالته إذا ذاك في أشد درجات التأثر فالتفت إلى الإخوان وقل: أذكركم اللّه وهذا الموقف، أذكركم دينكم، أذكركم حميتكم الإسلامية وشيمتكم العربية.

إن حجاج بيت اللَّه ضيوفنا، وهم في وجوهنا، فلا تمد لهم يد بأذى. إنني سأقف أمام ركب هذا المحمل، واعلموا أنه لا تمد إليه يد بسوء وفي هذا العنق دم يجري.

سمع الإخوان هذا الكلام، وكانت النار تكاد تخرج من أنوفهم، فكان ذلك النداء برداً وسلاماً، وحملوا سيوفهم وكروا على المجتمعين حول المحمل يردونهم بسيوفهم، وأخذت الجموع ترجع، ولقد كان في جملة أولئك القادة الذين ذهبوا لرد القوى المجتمعة حشر بن مقعد بن حميد شيخ من مشايخ غطغط.

لم يكن بعد أن سمع الإخوان كلام إمامهم ونداءه غير دقائق معدودات حتى رجع كل منهم إلى مكانه، وقد وتر منهم من وتر، وقتل من قتل، ولم يصب أحد من جند المحمل غير رجل أصيب بحجر في أنفه، ورجل أصابته رصاصة طائشة في يده، وقد بلغ عدد الذين قتلوا من أهل نجد خمسة وعشرين، وقتل من الإبل أربعون بعيراً. وبعد أن سكنت الفتنة سار المحمل تحف به قوة الحرس حتى وصل عرفات بسلام، ثم عاد من عرفات إلى منى، ومنها إلى مكة المكرمة بكل سكون وهدوء، ولولا طول الأناة وموقف جلالة الملك الذي لا يقفه إلا أبطال الرجال، لكان للحادث وجه غير وجه الحاضر، ولكن الحمد للَّه الذي أنهى هذه الفتنة عند هذا لحد بعد أن كادت تلتهم الناس ظلماً وعدواناً.

[«جريدة أم القرى» العدد (٧٨) ص ١ سنة (١٣٤٤هـ)]

* * *

ومن أغرب حوادث هذا العهد أن أمير الحج المصري غضب على أحد غلمانه في مكة المكرمة في عام (٨١٧هـ) فأدبه وسجنه، فثار زملاؤه من الغلمان والقواد فهاجموا المسجد الحرام من باب إبراهيم راكبين خيولهم والناس في صلاة الجمعة، وانتهوا إلى مقام الحنفية فلقيهم الأتراك والحجاج فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أجلوهم واستغل بعضهم الفرصة وأوقعوا في الناس نهباً وسلباً، وأمر

أمير الحج المصري بإغلاق أبواب المسجد وتسميرها إلا الأبواب التي تحاذي منزله عند المدرسة المجاهدية ليدخل منها هو وأتباعه إلى المسجد، ثم أدخلت خيله إلى المسجد الحرام، وجعلت بالرواق الشرقي قريباً من رباط الشرابي فباتت الخيل في المسجد تلوثه بروثها وبولها.

[«تاريخ مكة» لأحمد السباعي (١/ ٣٣٧)]

❋ ❋ ❋

لما كان الحاج بعرفة سنة (١١١٨هـ) وذلك المجمع في الموقف الشهير العظيم وأرادوا النفر، وحصل بين المحملين مشاجرة في التقدم وعدمه، أوجبت المراماة بالرصاص مع أن القانون القديم أن التقدم لأمير الحاج المصري، وفي هذا الزمان طلب باشات الشام الزائد المخل بالقواعد بسبب هذا يقع الفساد والفزع للعباد في مثل هذا الموقف الذي يأمن فيه الخائف.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٤٢٨)]

❋ ❋ ❋

وفي سنة سبعمائة وأربعة وعشرين حج ملك التكرور موسى، وحضر للحج معه أكثر من خمسة عشر ألفاً من التكاررة - قاله في الأساطين.

وذكر الإمام علي الطبري: أنه وقعت فتنة بين الترك والتكاررة بالمسجد الحرام، وشهرت بالسيوف بالمسجد، وكان أمير التكاررة بالشباك المشرف على المسجد من رباط الخوزي، فأمر جماعته بالكف عن القتال فأمسكوا.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٣٤١)]

❋ ❋ ❋

الأتراك هم لسبب ما أكثر من يعانون من عمليات السلب والنهب هذه، وفي هذه السنة سنة (١٨٩٨ م) بلغ عدد القتلى من الحجاج أثناء سير قافلة من الحجاج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة زهاء (٥٠) شخصاً، وبلغ في طريق العودة

(١٠) أشخاص، والقتلى جميعهم تقريباً من الأتراك. ومرد ذلك كما يفسرون إلى أن الأتراك المسلحين دائما يتنحون بلا احتراس من القافلة آملين في سلاحهم، ويرفضون التكرم بالبخشيش على سواقي الجمال في قافلتهم ويحملون لما فيه إغراء البدو، زنانير ضخمة جداً، ولكن كره العرب العام للأتراك يلعب هو أيضاً أغلب الظن دوراً معيناً في هذا المجال.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٥٨]

* * *

القدوم إلى الحج

تختلف المدة اللازمة للإنسان ليصل إلى الحرمين الشريفين من بلدته قديماً بحسب قرب الأقطار أو بعدها، فقد ذكر العلامة الباجوري رَحِمَهُ اللَّهُ أن عادة أهل مصر الخروج منها للحج في اليوم السابع والعشرين من شوال وعوده إليها في آخر شهر صفر.

يعني: أن الحاج المصري يقضي في طريق الحج أربعة أشهر كاملة ذهاباً وإياباً في عصر لم تكن فيه بواخر سريعة ولا قطارات ولا سيارات ولا طائرات، فإذا كانت المدة تطول إذا أتى الحاج من البلاد البعيدة والأقطار النائية كمن يأتي من أقصى السودان وأقصى العراق وتركستان وبخارى والهند والسند والصين وجاوة وغير ذلك، والضرورة تكون النفقات اللازمة كثيرة أيضاً بحسب بعد المسافات وقربها، وبحسب وسائل النقل القديمة والحديثة. ذكرت جريدة المدينة المنور بعددها (٦٤٣) في ستة ذي الحجة عام (١٣٧٥هـ) أن رجلًا من البنغال من باكستان الشرقية وصل إلى المدينة حاجاً ماشياً على قدميه من بلاده وقد مر بصحراء راشبوتا بالهند وصحراء بلوجستان الخطيرة، وصحراء

دشبتلوت بإيران، وقدم المدينة عن طريق النجف وحائل، وغادر مكة ماشياً أيضاً، وقد قال هذا الحاج أن له أكثر من سنتين ونصف وهو يمشي قاصداً الحج.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٣٢١)]

* * *

القرين

القرين: به نزول الحجيج وإحرامهم، وجد به بئر عذبة واحدة.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٥٧]

* * *

قرآن

ومنهم الشيخ الفقيه الصالح الزاهد العابد الورع الناسك السالك جار اللَّه تعالى أبو محمد عبد اللَّه بن عبد الحق بن عبد اللَّه القرشي، ثم المخزومي نسباً، ثم الشافعي مذهباً، والدلاصي مولدا، والمصري منشأ، والمكي منزلًا، المنعوت بالعفيف، أحد الأئمة الفضلاء المشهورين بعلم القراءات، وآخر المجودين المتصدرين لإقراء كتاب اللَّه العزيز بالحرم الشريف منذ سنين عديدة، وهو موصوف بكثرة التعبد والزهد في الدنيا، والاقتصاد في جميع شؤونه، وبالدين المتين.

أوقاته كلها مستغرقة في العبادة والذكر وإقراء القرآن العظيم، حتى لقد رأيت من القراء من يعرض عليه وهما يطوفان بالبيت الشريف، نفعه اللَّه ونفع به، وقد روي عن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يُعرض عليه القرآن في الطواف.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٠٤)]

* * *

قرد

أما جبل كرا فيسكنه نزلاء أكثر حباً للسلم، أعني القرود التي يُحمل كل ما يمكن القبض عليه منها إلى مكة المكرمة، ويحملها الحجاج معهم من هذا المكان إما إلى دمشق وإما إلى القاهرة حيث رأيت عدداً منها يصل إبان الحج الأخير.

[«رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة» ص٢٣٢ لشارل ديدييه]

❊ ❊ ❊

قزح

قال الشيخ عبد الملك بن دهيش: قزح: جبيل صغير يقع في الطرف الجنوبي الشرقي من مزدلفة أقيم عليه اليوم قصر ملكي، وهو يشرف على مسجد المشعر الحرام من الجنوب، وبينه وبين ذات سليم مكسر الطريقان (٣، ٤) المؤديان إلى طريق ضب. والجبل الذي كان يعرف بالمقيدة لأنهم كانوا يوقدون عليه النار، ولا زال قزح على حاله لم يؤخذ منه إلا اليسير.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٩٧)]

❊ ❊ ❊

قزح بقاف مضمومة ثم زاي مفتوحة ثم حاء مهملة في وسط مزدلفة، وقد بني عليها بناء من تمكن الوقوف عليه وقف وإلا وقف عنده مستقبل القبلة، ويكثر من التلبية ويدعو.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٩٨)]

❊ ❊ ❊

أما خبر الوقيد عليه (جبل قزح): فإنهم كانوا يوقدون فيه بالشمع في خلافة

الرشيد، فلما مات كانوا يوقدون عليه بمصابيح كبار، ثم صاروا يوقدون عليه بمصابيح صغار.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٧٠)]

* * *

قضيمة

قضيمة المرحلة الرابعة وبينها وبين خليص اثنتا عشرة ساعة، ولمرحلة قضيمة ثلاث آبار إلا أن مياه آبارها مالحة قليلًا لقربها من شاطيء البحر ولما كانت هذه القرية وفيرة الأسماك فالمسافرون يسيرون منها.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٥٦) لأيوب صبري باشا]

قطار المشاعر

صدرت الموافقة على تنفيذ مشروع قطار المشاعر في ١٩/ ١/ ١٤٣٠هـ على أن يتم خلال سنتين، ويقع المشروع في المشاعر المقدسة في الجزء الجنوبي منها، ويبلغ طول الخط نحو عشرين كيلو متر بمسارين مرتفعين عن الأرض، ويبدأ المسار من محطة الجمرات على طريق الملك عبد العزيز، ويمر وسط طريق الملك عبد العزيز مرتفعا عن الأرض بمشعر منى إلى مزدلفة ومنها إلى عرفات، ويشمل المشروع تسع محطات مرتفعة عن الأرض في كل مشعر ثلاث محطات بكل محطة ساحتين للانتظار للحجاج تستوعب كل واحد ثلاث آلاف حاج.

أسهم هذا الخط في سحب (٣٠,٠٠٠) سيارة من شبكة الطرق داخل المشاعر.

[«مجلة الحج» العدد السابع رجب (١٤٣٣هـ) ص ٤٢]

* * *

الطاقة الاستيعابية للقطار تبلغ (٧٢) ألف حاج في الساعة لمواجهة الطلب على

النقل في النفرة من عرفات إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى، حيث يمكن نقل نحو نص مليون حاج خلال ست ساعات.

[«مجلة الحج» العدد السابع رجب (١٤٣٣هـ) ص ٤٢]

❊ ❊ ❊

يبلغ عدد القطارات التي تعمل على الخط عشرين قطار، كل قطار يسحب اثني عشر عربة بطول (٣٠٠) متر، وتتسع كل عربة لـ (٢٥٠) حاج على الأقل، حيث ينقل القطار الواحد ما لا يقل عن ثلاث آلاف حاج.

[«مجلة الحج» العدد السابع رجب (١٤٣٣هـ) ص ٤٢]

❊ ❊ ❊

في عام (١٤٣١هـ) تم تشغيل القطار بنسبة (٣٥٪) لنقل نحو (٧٥) ألف حاج من الحجاج المستهدفين، وفي عام (١٤٣٢هـ) تم التشغيل بنسبة (١٠٠٪) لنقل نحو (٥٠٠) ألف حاج.

[«مجلة الحج» العدد السابع رجب (١٤٣٣هـ) ص ٤٢]

❊ ❊ ❊

يصل ارتفاع القطار عن سطح الأرض في بعض المناطق إلى (٨) أمتار وفي مناطق أخرى إلى (١٠) أمتار وذلك لمنع تسببه في عرقلة حركة المشاة والسيارات التي تنقل الحجاج من منى إلى عرفة ومن عرفة إلى مزدلفة ثم إلى منى.

[«مجلة الحج» العدد السابع رجب (١٤٣٣هـ) ص ٤٣]

❊ ❊ ❊

قطاع طرق

قال محمد بن عثمان السنوسي: بمجرد النزول بادرت إلى قصد التوضئ لأداء

الصلاة فتعمدت الخروج من دائرة الشقادف، وكان حولها بعض اتباعنا على المشعل فابتعدت على سمته وجلست للوضوء مستقبلًا لمشاعل منزلتنا، وبينما كنت جالساً حدثتني نفسي أن هؤلاء البدو إن ظفروا لأحد الحجاج مسكوا على فيه وأخذوه لصحرائهم لأخذ سلبه، وكان وقتئذ معي مبلغ من المال يستحيل استبقاء الحياة على حامله فخشيت أن يأتي علي أحد من وراء، ولما التفت رأيت صعلوكاً ليس عليه غير إزار يستر العورة المغلظة، وهو أسود وبيده قطعة رافع بها على رأسي لينزل بها عند قيامي، فانقدح في خاطري من فاز برأسه فقد أفلح، وأنزلت رأسي إلى أسفل وتقدمت به إل أمام حتى تحققت خروجه من تحت ضربته كل ذلك وظلام الليل هو الستار، ولكن أعظم من عناية اللطيف الستار، وعند قيامي وأخذي في الفرار نزل بضربته فأصابت عضدي الأيمن وأيست من سلامة يدي وحمدت اللّه على سلامة الرأس، وناديت أتباعنا فما تلاقينا إلا والرجل لحق برؤوس الجبال، ورأيت أم السلامة منه غنية تلك الليال.

غير أني وقعت مغشياً علي عندما أحسست بوصولي للأمن فما أفقت إلا بعد حين، وعدت ثانية من صداع ما أصابني، ولما أفقت ثانية وجدت يدي اخضرت من انحباس الدم مع شدة الانتفاخ، فطلبت بدوية من نساء تلك الحي لمداواتها وامتنعت من استعمال شيء مما أشار به الناس علي، فلم يكن منها إلا أن أوقدت ناراً عظيمة وأتت بخرقة زرقاء أحكمت لفها وقابلتها بالنار إلى أن اشتدت حميها وصارت في أقصى درجة الحرارة، فباشرت زندي ولم تزل بها كذلك كلما بردت أعادتها للنار إلى أن لان الانتفاخ بعد شدة اليبس، فجرت عليه بزيت ولفته ومضت.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٦١٢)]

* * *

في سنة (٣٢٣هـ) بطل الحج من بغداد لاعتراض القرمطي لهم في الطريق فيما بين القادسية والكوفة، واستيلائه على أمتعة الناس وأحمالهم، فخرج جماعة من العلويين بالكوفة إلى أبي طاهر القرمطي وسألوه أن يكف عن الحج فكف عنهم، وشرط عليهم أن يرجعوا إلى بغداد، فرجعوا ولم يحج من العراق أحد.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٣٢٥)]

❊ ❊ ❊

توجد في الإسكندرية أيضاً عصابة من نهابي الحجاج.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٧٥]

❊ ❊ ❊

(جُبيل حُسْن) هذا وينفرد عن جبل الراحة جبل صغير يقع على درب الحاج على نحو ٣٠ ميلًا غربي نخل يدعى جبيل حسن (في سيناء)، قيل في سبب تسميته ان أحد مماليك مصر حج قديماً الى بيت اللَّه الحرام فرأى في برية الحجاز وهو عائد الى مصر بدوية بارعة الجمال تُدعى حسناً فاختطفها من أهلها وسار بها في قافلة الحجاج فتبعها شقيق لها قصد انقاذها، ولما وصلت قافلة الحجاج الى هذا الجبل دخل المملوك هودج شقيقته ونام فقطع البدوي مقود الجمل الذي يحمل الهودج وفصله عن القافلة فاستيقظ المملوك وهم بالنزول من الهودج ليرى سبب انقطاعه فبادره البدوي بضربة سيف قطع بها رجله ثم اجهز عليه وركب الجمل مع شقيقته وانقلب راجعاً الى قومه فسمّي الجبل باسم شقيقته وكان الأولى أن يسمَّى باسمه.

[«تاريخ سينا» ص٣٧ لنعوم بك شقير]

❊ ❊ ❊

وعند هذه العين (الرملية) خرج علينا ونحن نزول قطاع طريق من نحو جبل سنجار، استاقوا من جمال القافلة سبعة وتسعين جملًا فأدركهم الطلب فلم

يردوا جملًا منها. وأخذت عشرة أفراس منا، وقتلت فرس، وجرح اثنان أحدهما مشرف على الهلاك.

[«النفحة المسكية في الرحلة المكية» ص١٣٧ للشيخ عبداللّه السويدي]

* * *

وفي هذه المرحلة أخذ السارق من على ظهري اللحاف وأنا نائم، فأحسست به فانهزم، وفيها ضاع مشطي.

وفي هذه المرحلة تكثر السراق بزيادة على غيرها إذ لا تخلو مرحلة منهم، قاتلهم اللّه تعالى.

[«النفحة المسكية في الرحلة المكية» ص٣٥٠ للشيخ عبداللّه السويدي]

* * *

في عام (١٥٠٢م- ٩٠٧هـ) استولى داجاما على سفينة عظيمة يطلق عليها الميري، كان يمتلكها الحاكم المملوكي، كانت هذه السفينة قد غادرت كاليكوت محملة بالتوابل، ولأنها كانت كبيرة جداً وآمنة فقد سافر على متنها عدد من أكابر المسلمين لأداء الحج في مكة، وعادت السفينة بهؤلاء الحجاج وببضاعة ثمينة، فاستولت عليها قوات داجاما وحطموها على الرغم من المبالغ الكبيرة التي عُرضت عليهم، ولم يبقوا من ركابها إلا على أحد الربابين لخبرته العالية في الملاحة، ونحو عشرين طفلًا بغرض تنصيرهم.

[(Joao de Barros, Da Asia, Lisbon, 1778-88,1,vi, p.3)]

* * *

كان على العثمانيين أن يتحملوا سيلًا من الشكاوي من أن المؤمنين لم يستطيعوا من جراء فعلة البرتغاليين الذهاب إلى بيت مكة لأداء الحج، كما لم يستطيعوا إيصال الصدقات إلى الفقراء، لأن النصارى كانوا يستولون عليها في البحر، وأيضاً داخل البحر الأحمر، وكانوا يقتلون المسلمين وينهبونهم أو

على الأقل يأسرونهم.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٥٢لمعراج نواب مرزا]

* * *

كانت للشيخ أحمد بن الشمس الحاجي الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ قافلة مأمونة يسيرها في المواسم من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، ويلتحق به خلق كثير من حجاج بيت اللَّه الحرام، ولم يكن الناس ساعتها يستطيعون التنقل بين المدينتين المقدستين إلا في ظل حراسة شديدة من الجيش لكثرة قطاع الطرق.

ويروى عنه أنه كان إذا التقى باللصوص في سفره يظن الناس أنه سيداريهم على سنة الركوب ولكنه كان ينقلب عليهم بالتوبيخ والإهانة والتحقير ويقول لهم ما معناه: بئس القوم أنتم تخيفون المسلمين، وتقطعون الطريق على المؤمنين، وتغصبون أموال ضيوف رب العالمين، فيقع كلامه عليهم كالصواعق المرسلة، فلا يكون منهم إلا الانكسار والخضوع.

[«أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق جهودهم العلمية وقضاياهم العامة» تأليف بحيد بن الشيخ يربان القلقمي الإدريسي]

* * *

في التاسع من صفر سنة (١١٠٣هـ): جاء الخبر بأن الشريف سعيد عد الحج الشامي، وأن جماعة من عنزة قد اعترضوه على الماء، فقتل منهم جماعة وأسر جماعة، وأوصل الحج إلى العلا، فنصبت الرايات بدور السادة الأشراف على جري العادة لخبر النصرة، وفرح بذلك الناس.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١٥٨/٥)]

* * *

في سنة (١١٠٥هـ) خرج الشريف سعيد بن سعد في ساقة الحج العجمي في محرم، ولحق الشامي بالمدينة.

وصادف في دخوله المدينة بعض عرب عنزة معترضين للحج، ففتك بهم، وقتل منهم عدة رجال.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ١٦٦)]

* * *

في سنة (١١٠٥هـ) لم يحج أحد من أهل مكة إلا من كتب له الحج - مما قيل - وأخذ بعض الحجاج في طريق منى، ونهبت عرب عتيبة بعرفة من الحاج قبل وصول الأمراء بحيث أنهم لما وصلوا لم يجدوا شيئاً من الميرة، وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن الورادين على طريق الحج، وفروا من هناك.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ١٨٦)]

* * *

في شهر ربيع الأول سنة (١١١٨هـ) وصل بعض عرب عنزة وأخبروه أن الحاج الشامي وصل إلى بلده بالسلامة، إلا أنه تحير في المدينة المنورة، وجلس إلى إحدى وعشرين صفر، والسبب لذلك على ما قيل:

أنه في إيابه إلى مكة حيره عرب عنزة أربعة أو خمسة أيام في العلا، وأخذوا من صر السنتين اللتين مضتا في زمن خاله بيرم أغلى وسنته هذه، وأنه مسك منهم ستة أنفار، ووضع فيهم الحديد، ووصل بهم إلى المدينة، وحبسهم في القلعة إلى أن حج ورجع، فوجد جماعة من عنزة قد وصلوا إلى الجرف - طريق المدينة -، فخرج شيخ حرمها وأغوات العسكر، وأصلحوا بينهم، وكتبوا على العرب حجة بأنه ما يقع منه شيء من الضرر على الحجاج، ولا يعترضوا أحداً منهم، فتم الأمر على ذلك وتوجه بالسلامة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٧٥)]

* * *

خرج نصوح باشا المدينة المنورة من ذي القعدة سنة (١١٢٤هـ) وبلغه أن حرباً

جلسوا له في الطريق، لما بلغهم أنه نوى وعزم على حربهم وهلاكهم، وأنه جاء إليهم بعدة أحمال مناشير لقطع نخلهم لموجب ما سبق منهم في العام الماضي من الحرب، فاعتدوا واحتزموا لقتاله، فجاءه بعض أهل المدينة وقال له: مالك قدرة عليهم، فترك طريقهم، وأخذ طريقاً غيره، فحصل له غاية المشقة والتعب، فزعق نفيره، ومشى في طريق القاحة، وتاه في جبالها، ومات عطشاً، وحصل غاية المشقة والشدة على الحجاج حتى شهدوا الموت، ثم إنهم ظفروا بامرأة دلتهم على الماء والطريق.

وبلغ عرب حرب ذلك فأدركه البعض منهم، وأتعبه غاية التعب، وقتلوا من جماعته زهاء ثلاثين رجلًا، وأخذوا من أطراف الحجاج بعض جمال وأحمال، وخيل، وحملين من المناشير، عجزت عن حملها جمالها فتركوها. فما وصل رابغ إلا بعد المقاساة الشديدة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٥٢٩)]

* * *

كانت لعرب البادية في تبوك إتاوة على الركب في كل سنة يأخذونها من أميرهم، يعطونها من بيت المال، وفي هذه السنة عزل الأمير الذي كان يأتي بالركب كل سنة، واستبدل به غيره ممن لا يعرف حال الطريق وأعرابها، فلما جاءته شيوخ العرب لأخذ ما كان لهم عادة من عند السلطنة منعهم من ذلك، وأغلظ لهم في القول، وظن أن قوة عسكره تحميه منهم، ولم يعلم أن من قبله من الأمراء ما تحاملوا بذلك إلا لعجزهم عن مقاومتهم، فراجعوه في ذلك وناشدوه، فصمم على الامتناع، فلما أيسوا منه شنوا الغارة على الركب، فدافعهم قليلًا فانهزم، فنهبوا من الركب شيئاً كثيراً، فلما رجع لم يخرج من المدينة حتى بعث إلى الشام ليأتيه المدد، وواعدهم موضعاً معروفاً في

الطريق، ومع ذلك التزم للأعراب أزيد مما هو عادتهم ن فسلم اللَّه الركب بسبب ذلك.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٧٥)]

* * *

لا يخلوا نهر النيل من اللصوص الذين ينهبون القوارب، وهم يكثرون في هذا الوقت من العام لكثرة عدد الحجاج الذين يتخذون طريقهم مبرحين في النيل من رشيد للقاهرة، ويعلم اللصوص أن الحجاج يحملون معهم مبالغ مالية.

[«رحلة جورج بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٣٣٢)]

* * *

قبيلة من العرب تسمى اللَّهباء ما بين رابغ والمدينة حرفتها السرقة والنهب قديما ويتبعون القوافل من مكة إلى المدينة ذهاباً وإياباً ويختفون نهاراً في الجبال، وفي الليل يسرقون الحجاج، وبعد انقضاء الحج يبيعون سرقتهم من الأمتعة الثمينة بأدنى قيمة، ومن عاداتهم إذا تزوج منهم أحد يمهل زوجته بالمهر إلى آخر موسم الحج ليدفعه من سرقته.

[«دليل الحج» لمحمد صادق باشا ص١٠٤]

* * *

استقل العلامة محمد بن محمد الجزري (٧٥١هـ - ٨٣٣م) قافلة حج بنجد فتعرضت لهجوم قطاع الطرق عليها فنهبوا ما فيها من أموال وخاصة ما مع الجزري من تحف وهدايا فرجع إلى عنيزة وتأخر عن حج عام (٨٢٢هـ) ونظم في عنيزة خلال هذا الشهر كتاب» الدرّة المضيئة في قراءات الأئمة الثلاثة المرضية» وصوّر فيها هذه الحادثة التي تبين جانباً من أحوال نجد الأمنية في

تلك الحقبة حيث قال:

غريبة أوطان بنجد نظمتها وعظم اشتغال البال واف وكيف لا
صددت عن البيت الحرام وزورة المقام الشريف المصطفى أشرف العلا
وطبقني الأعراب بالليل غفلة فما تركوا شيئاً وكدت لأقتلا
فأدركني اللطف الخفي وردني عنيزة حتى جاءني من تكفلا
بحلمي وإيصالي لطيبة آمناً فيارب بلغني مرادي وسهلا

ويحتمل أنه مكوثه في عنيزة قد درس عليه عدد من التلاميذ والطلاب فانتفعوا به في خلال هذه الفترة.

[«الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٢٥٧)]

* * *

فمن يريد الذهاب إلى الحجاز من الهند عليه أن يحصل على تذكرة مرور تسمى تذكرة الحجاز من أماكن توجد بجانب إدارة الشرطة في بومبي، فتجد المئات بل الألوف من الناس يتعرضون كل يوم للنهب من بعض شذاذ الآفاق تحت سمع وبصر رجال الشرطة وهم يحاولون الحصول على هذه التذكرة ينهبون أموالهم تحت مسميات كثيرة، ولا شك بأن هذه النقود تؤخذ باسم الشرطة وبعلم الشرطة، ويشترك في قسمة ما نهب كبار الموظفين وإلا كيف يقوم بالنهب حفنة قليلة من المسامرة.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٨٩٧]

* * *

قيقعان

قيقعان: يضم القاف وفتح العين وسكون الياء المثناة تحت وكسر القاف الثانية وفتح العين الثانية مع الألف ثم النون. هو الجبل الذي يشرف على المسجد

الحرام من الشمال الغربي، يمتد شمالاً إلى الحجون وغرباً إلى بئر طوى وجنوباً إلى حارة الباب والشبيكة، ومن أقسامه اليوم: جبل هندي، وجبل العبّادي، وجبل السليمانية، وجبل الفلق. وغيرها.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق بن غيث البلادي ص١٢]

❊ ❊ ❊

جبل قعيقعان: يسمى الأحمر ويسمى هو أبو قبيس الأخشبان والحبجبان، ويقع قعيقعان شمال مكة، وأضاف العبدري أنه متصل بالحجون بجزء يشرف منه على المقبرة.

[«الرحلة المغربية» للعبدري ص١٧٣]

❊ ❊ ❊

حرف الكاف

كتب

كانت حياة الشيخ محمد عابد السندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مليئة عامرة بالجد والاجتهاد في العلم والعمل، فمن ذلك قيامه بترتيب مسند الإمام الشافعي واختصاره وتهذيبه في طريق السفر، وأوقات نزوله للراحة والاستقاء، فقد قال في ختام كتابه هذا:

وكان الشروع في جمعه في شهر ذي القعدة سنة (١٢٢٩هـ)، بعد ما ركبت في ساعية لسفر الحج، وكان تمامه والفراغ منه بعد العصر، يوم الخميس، ليلة عشرين من ربيع الأول سنة (١٢٣٠هـ)، وذلك عند رجوعي من أرض الحرمين في مسجد القنفذة وجامعها. وما كان يمكنني كتابته إلا في السواقي والمنازل (النزول للراحة واستسقاء الماء).

ونحو هذا الخبر عن نشاطه العلمي أوقات نزوله للراحة في طريق السفر، ما سجله هو في نهاية الجزء الأول من نسخة بخط يده من كتاب +لسان الميزان؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال:

تم الجزء الأول في ٢٨ شعبان سنة (١٢٥١هـ)، ونحن نازلون بمستورة، شادون إلى رابغ للاعتمار في رمضان إن شاء اللَّه تعالى، ويتلوه الجزء الثاني: عبد الواحد.

ومن نشاطه العلمي في نشره للعلم، وتدريسه وإقرائه، أنه كان يدرس بالحرم المكي والنبوي باستمرار ومثابرة وصبر عجيب، فمن ذلك ما حكاه السيد الكتاني في فهرس الفهارس حيث قال:

فكان مدة مقامه بالمدينة المنورة، مثابراً على إقراء كتب السنة، حتى إنه كان

يختم الكتب الستة في ستة أشهر، بل حدثني المسند الخطيب السيد أبو جيدة بن عبد الكبير الفاسي أنه حدثه شيخه المعمر العلامة الشيخ حسن الحلواني المدني أنه سمع عل الشيخ محمد عابد الكتب الستة في شهر، وأخذها عنه دراية في ستة أشهر، وهذا الصبر عجيب عن المتأخرين.

[«الإمام الفقيه محمد عابد السندي» بقلم سائد بكداش ص ٩٨]

* * *

كان الحجاج - قديماً - ينسخون المناسك، ويحملونها معهم كي يقرأوها، ويطالعوها في أثناء تأدية مناسك الحج، ومما وقفت عليه منسك آخر في المنطقة وقف كتبه أحمد بن ناصر بن محمد بن عبداللّه بن عبدالوهاب الحنبلي النجدي. ولقد اعتنى الملك عبدالعزيز - طيب اللّه ثراه - بهذا الشان فطبعت مناسك كثيرة على نفقته، من أقدمها منسك: جد الشيخ محمد الشيخ سليمان بن علي - رحمهم اللّه - عام (١٣٥١هـ).

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٣٩ لعبداللّه سعد الدريس]

* * *

حجاج فارس وكذلك حجاج الملايو هم الذين يبحثون عن الكتب، يقال إن الوهابيين بصفة خاصة هم الأكثر بحثاً عن الكتب التاريخية، هذه الملاحظة سمعتها تتردد مراراً في المدينة المنورة، أثناء مقامي في دمشق، التي تعد أغنى الأسواق من حيث الكتب في الشرق كله، كما أنها تعد الأرخص من حيث أسعار الكتب نظراً لعدم تردد الأوروبيين عليها بصورة متكررة، وقد بلغني أن كثيراً من عرب بغداد، الذين جرى تكليفهم سراً من قبل سعود - الرئيس الوهابي - قاموا بشراء الكثير من المؤلفات التاريخية، وعندما قام أبو نقطة بتخريب موانئ اليمن، قام بنقل عدد كبير من الكتب، التي أرسلها إلى الدرعية.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٢٦٤) لجون لويس بوركهارت]

* * *

كداء

كَداء: الموضع الذي يستحب للمحرم دخول مكة منه، وهو الثنية التي بأعلى مكة التي تهبط منها المقبرة المعروفة بالمعلاة والأبطح، ويقال: لها الحجون الثاني.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٨)]

* * *

قال المحب الطبري: هي بالفتح والمد بصرف على إرادة الموضع، وتركه على إرادة البقعة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٨)]

* * *

في سنة (٨١١هـ) سهّل بعض المجاورين موضعاً مستصعباً في رأسه فاللَّه يثيبه، وسهّل غيره من المجاورين بمكة في النصف الثاني من سنة (٨١٧هـ) طريقاً في هذه الثنية غير الطريق المعتادة، وهذه الطريق تكون على يسار الهابط من هذه الثنية إلى المقبرة والأبطح، وكانت خربة ضيقة جداً، فتحت ما يليها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت، فصارت تسع أرب مقاطر من الجمال محملة، وكانت قبل ذلك لا تسع إلا واحداً، وسهّل أرضها بتراب ردم فيها حتى استوت، وصار الناس يسلكونها أكثر من الطريق المعتادة، وجعل بينها حاجزاً حجارة مرصوصة، وكان في بعض الطريق قبور فأخفي أثرها، ثم جعل مشد العمائر بالمسجد الحرام سودون المحمدي في سنة (٨٣٧هـ) هذين الطريقين طريقاً واحدة حسنة تسع عدة من المقاطر من الجمال المحملة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٨)]

* * *

كُدى

كُدى: الموضع الذي يستحب الخروج منه لمن كان في طريقه هو الثنية التي بأسفل مكة التي بني عليها بابها المعروف بباب الشبيكة على ما يقتضيه كلام المحب الطبري في شرح التنبيه، وهي بضم الكاف والقصر والتنوين، وهي بقرب جبل قعيقعان وإلى صوب ذي طوى.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/١٠٨)]

* * *

كسوة الكعبة

الروايات تدل على أن أول من كسا الكعبة الأنطاع والوصائل وهي ثياب حبرة من عصب اليمن ثلاثة وهم: إسماعيل عليه السلام وعدنان وتبع، وأول من كساها الديباج ستة: خالد ونتيلة ومعاوية ويزيد وابن الزبير والحجاج.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص١٩٣]

* * *

في كلام البلقيني: أن تبّع اليماني لما كساها الخسف انتفضت، فزاله عنها، فكساها المسوح والأنطاع فانتفضت، فزاله عنها، فكساها الوصائل فقبلتها. قال: والوصائل ثياب موصولة من ثياب اليمن.

[«السيرة الحلبية» للحلبي (١/ ٢٨٠)]

* * *

كانت قريش تشترك في كسوة الكعبة المشرفة حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة فقال لقريش: أنا أكسوها سنة وحدي وجميع قريش سنة أي وقيل: كان يخرج نصف كسوة الكعبة في كل سنة، ففعل ذلك إلى أن مات فسمته قريش:

العدل، لأنه عدل قريش وحده في كسوة الكعبة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٥١)]

* * *

عن ابن جريج أنه كان يقول: أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع، كساها العصب، وجعل لها باباً يغلق.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٦٢)]

* * *

قال ابن قتيبة: أول من كساه الأنطاع والبرود اليمانية أسعد أبو كرب الحميري.

[«المعارف» لابن قتيبة ص٥٥٩]

* * *

أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع وهو أسعد أري في النوم أنه يكسوها فكساها الأنطاع، ثم أري أن يكسوها فكساها الوصايل ثياب حبرة من عصب اليمن، وجعل لها باباً يغلق.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٥٤٢)]

* * *

قال تبع في ذلك:

كسونا البيت الذي حرم اللّه ... ملاء معضدا وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا ... وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلًا ... وقد رفعنا لوائنا معقودا

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» للشيخ عبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ١٨٤)]

قال النبي ﷺ: «هذا يوم يعظم اللّه فيه الكعبة، ويم تكسى فيه الكعبة».

[رواه البخاري]

* * *

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أيضاً أن الدارقطني روى في المؤتلف: أن أول من كسا الكعبة الديباج نتلة بنت جناب والدة العباس بن عبد المطلب، كانت أضلت العباس صغيراً فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج.

[«فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٤٥٩)]

* * *

قال ابن إسحاق وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانية عشر ذراعاً، وكانت تكسى القباطي ثم كسيت بعد البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف. قال الحافظ ابن كثير: ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد اللّه بن الزبير بعد سنة (٦٠هـ) وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية.

[«السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ١٩٢-١٩٩)]

* * *

كساها النبي ﷺ الثياب اليمنية ثم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم القباطي، ومعاوية وابن الزبير ومن بعدهم.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٥٣)]

* * *

عن أبي نجيح قال: كان عمر ين الخطاب رضي الله عنه ينزع ثياب الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحجاج. ويروى أن أول من جرد الكعبة وكشفها شيبة بن عثمان. ويروى أنه دخل على عائشة فقال: يا أم المؤمنين تجتمع على الكعبة الثياب فتكثر، فيعمد إلى بيار فيحفرها ويعمقها فتدفن فيها ثياب الكعبة لكيلا يلبسها الحائض والجنب، قالت عائشة رضي الله عنها: «ما أصبت وبئس ما صنعت لا تتعد لذلك، فإن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل اللّه والمساكين وابن السبيل.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٥٨)]

عن أبي نجيح عن أبيه قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع كسوة الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحاج فيستظلون بها على السمر بمكة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٧٠)]

❊ ❊ ❊

يروى أن عثمان أول من ظاهر بها كسوتين القباطي والبرود، وكان عمر يكسوها من بيت المال.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٥٣)]

❊ ❊ ❊

أول من كساها كسوتين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[«تاريخ مكة» للأزرقي ٢٦٠]

❊ ❊ ❊

وأخبرني محمد بن يحيى حدثني سليم بن مسلم عن موسى بن عبيدة الزبدى: إن عمر بن الخطاب كسا الكعبة القباطى من بيت المال، وكان يكتب فيها إلى مصر، فتحاك له هناك، ثم عثمان من بعده، فلما كان معاوية بن أبي سفيان كساها كسوتين، كسوة عمر القباطى، وكسوة ديباج.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٦٦)]

❊ ❊ ❊

قال الأزرقي: ومعاوية رضي الله عنه أول من كسا الكعبة الديباج مع القباطي، بعث بذلك إلى شيبة بن عثمان، وأمره أن يجرد الكعبة ويغسلها ويطيبها ويلبسها ما بعث. ففعل ذلك، وقسم ما عليها من الثياب على أهل مكة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٧)]

❊ ❊ ❊

لما ولي عبد الملك بن مروان كان يبعث كل سنة بالديباج، فيمر به على

المدينة، فينشر يوماً في مسجد رسول اللَّه ﷺ على الأساطين هاهنا وهاهنا، ثم تطوى ويبعث بها إلى مكة، وكان يبعث بالطيب إليها، وبالمجمر، وإلى مسجد رسول اللَّه ﷺ، ثم كان أول من أخدم المعبة يزيد بن معاوية، وهم الذين كانوا يسترون البيت.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٧٦)]

* * *

قال هشام بن عروة أن كسا عبد اللَّه بن الزبير الكعبة الديباج.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٦٦)]

* * *

لما كانت خلافة بني العباس ترتبت الكسوة للكعبة كل سنة ثلاث كسوات وذلك في خلافة المأمون ابن هارون الرشيد فإنه أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات كل سنة، فتكسى الديباج الأحمر يوم التروية، وتكسى القباطى أول رجب، وتكسى الديباج الأبيض في عيد رمضان واستمر على ذلك.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» محمد صالح الشيبي العبدرى ص ١٩٩]

* * *

قال العلامة قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في الأعلام: أول من حلى الكعبة في الجاهلية بالذهب عبد المطلب جد النبي ﷺ بالغزالتين اللتين وجدهما في بئر زمزم حين حفرها.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٣٨١)]

قال العسكري في الأوائل: إن أول من خلّق البيت ابن الزبير، وكذا قال ابن إسحاق، وأول من أخدمه يزيد بن معاوية، وفي كتاب ابن إسحاق: أن أول من خلّقها عبد المطلب بن مناف جد النبي ﷺ وهو من الذين أخذهما من كنز الكعبة، وقال ابن دحية: المهدي أول من حلّاها وطلا جدرانها بالمسك

والعنبر من أعلاها إلى أسفلها.

[«اللمحة اللطيفة» لابن حجر العسقلاني ص ١٢٢]

* * *

أول من ذهّب الكعبة في الإسلام عبد اللَّه بن الزبير، وجعل على أساطينها صفائح الذهب، وجعل مفاتيحها من الذهب.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢١٩)]

* * *

كان المأمون يكسو الكعبة ثلاث مرات في السنة، فكانت تكسى الديباج الأحمر يوم التروية ولا يخاط ويترك الإزار خوفاً من أيدي الناس إلى يوم عاشوراء فيرخى الإزار، ويوصل بالثوب الأحمر، وتكسى القباطي أول رجب، وتكسى الديباج الأبيض في العاشر من رمضان على الإزار الأول، ثم كتب إلى المأمون أن الإزار التي تكساه يوم عاشوراء لا يبقى إلى آخر السنة، فأمر أن تكسى إزاراً رابعاً من الديباج الأبيض، وقال ابن الضياء: أن ابتداء كسوتها الديباج الأبيض سنة (٢١٦هـ).

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ١٧٨)]

* * *

قال الجلال السيوطي في محاضراته: وفي سنة مائتين وست وستين نهبت العرب كسوة الكعبة.

زاد الفاسي: فصار بعضها إلى صاحب الزنج، وكانت شدة عظيمة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٧٤)]

* * *

لما حج المهدي العباسي سنة (١٦٠هـ) رفع إليه أنه قد اجتمع على الكعبة ثياب

كثير حتى أنها أثقلتها، ويخشى على الجدران من ذلك، فأمر بتجريدها، ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر، ثم كساها بثلاثة أثواب قباطي وخز وديباج، وهو جالس في المسجد مما يلي دار الندوة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٦٢)]

* * *

في الدولة الأموية والدولة العباسية اهتم الخلفاء بكسوة الكعبة حتى كسيت مرتين إحداهما بالقباطي، والثانية بالديباج، وكانت كسوة الديباج تعلق يوم عاشوراء، وتكسى القباطي في آخر شهر رمضان ابتهاجاً واستعداداً لعيد الفطر، أما أول من ابتدأ هذا التقليد فكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وفي أحيان أخرى تكسى ثلاث كساوي في السنة الواحدة كما حدث في عهد المنصور، والمهدي، وهارون الرشيد.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في أبان العصر العثماني» لمحمد علي بيومي ص ٢٦٩]

* * *

لما كانت الدولة العباسية والخلافة الهاشمية وكان محل الخلافة بغداد والعراق، فكان أمر الإمرة والمحمل والكسوة منها، وما يرد من مصر وغيرها من الركوب فلا تعلق لهم بولاية أمر الموقف والحج، وإنما كالتوابع للمولى من جانب الإمام.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري (١/ ٢٤٢)]

* * *

في سنة (١٦٠هـ) حج المهدي العباسي فذكر له السدنة أن كساوي الكعبة كثرت، وأن البناء ضعيف، ويخشى عليه من ثقلها، فأمر بأن تجرد وأن لا يسدل عليها إلا كسوة واحدة وهي العادة الجارية الآن.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٦٢]

ذكر الفاسي: نهبت الحجاج ببستان بني عامر، وأخذت كسوة الكعبة وطيبها. وكان الذي فعل ذلك رجل من بني عقيل بن أبي طالب، أنفذه إبراهيم بن موسى ابن جعفر الصادق أخو علي بن موسى ليقيم الحج بالناس، فوافق قدوم المعتصم بالحج في جماعة من القواد، فعرف أنه لا قدر له بهم ففعل ما فعل.

فخرج إليه عيسى بن يزيد الجلودي من مكة في مائة فارس، فصبّح العقيلي وأصحابه، وأسر أكثرهم، وعاد بكسوة الكعبة وأموال التجار إلا ما كان مع من هرب.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٤٧)]

❊ ❊ ❊

أول عربية كست الكعبة الحرير والديباج نتيلة بنت خباب بن كلب بن مالك بن عمرو بن زيد مناة بن عامر بن نزار وهو الضحاك بن اسعد بن الخزرج بن تيم اللَّه ابن النمر بن قاسط بن دعما بن ربيعة بن نزار أم العباس بن عبد المطلب، فإنه ذهب عليها العباس فنذرت إن لقيته أن تكسو الكعبة، فلقيته، فوفت بنذرها - قاله السهيلي -.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٣٧٣)]

❊ ❊ ❊

كانت أم العباس بن عبد المطلب أول امرأة عربية كست الكعبة في الجاهلية، وسبب ذلك أنها أضلت ابنها ضرار أخا العباس، وكانت تنشد حين أضلته:

أضللت أبيضاً لوذعيا ... لم يك لحلوبا ولا دعيا
أضللت أبيض غير خاف ... للفتية الغر بني مناف
ثم لعمر منتهى الأضياف ... سن لفهر سن الإيلاف

❊ ❊ ❊

في القر يوم القر والإيصاف

ونذرت إن وجدته لتكسون الكعبة، فوجده رجل من إحدى القبائل العربية فأتاها به، فوفت النذر، فكست الكعبة الحرير والديباج.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٦١]

❊ ❊ ❊

قال الفاسي: وفي سنة أربعمائة وست وستين كسيت الكعبة الديباج الأصفر من فوق الديباج الأبيض الذي كساها إياه أبو نصر الاستراباذي.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري ٢/ ٢٣٤]

❊ ❊ ❊

فأما كسوة الكعبة فقد اهتم بها المصريون اهتماماً كبيراً حيث كساها السلطان الظاهر بيبرس البندقدار، وكانت أول كسوة إلى الكعبة سنة (٦٦١هـ).

كما أرسل السلطان محمد بن قلاوون من مصر إلى الكعبة كسوة سنة (٨٢٦هـ)، كسيت بها في اليوم الثالث بعد يوم النحر حيث وضعها الشيبيون على الكعبة وهي كسوة سوداء.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١٢٤)]

❊ ❊ ❊

في عهد الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان الاهتمام بالكسوة حيث أوقف ثلاثة قرى مصرية على كسوة الكعبة وملحقاتها.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١٢٤)]

في سنة (٦١٦هـ) كسا الملك الظاهر بيبرس الصالحي الكعبة الشريفة، وهو أول من كساها من ملوك الترك.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٧٨]

كانت الكعبة المشرفة بعد الخلفاء العباسيون تكسى تارة من قبل سلاطين مصر، وتارة من قبل سلاطين اليمن.

[«درر الفرائد» لعبد القادر الجزيري ص٥٧٤]

* * *

حج السلطان المظفر يوسف سنة (٦٥٩هـ) وكسا الكعبة المشرفة ولم يكسها ملك قبله بعد سقوط الخلافة العباسية بمصر.

[«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني ص١١]

* * *

أول من بدأ بالطراز المذهب السلطان سليم من آل عثمان.

[«تحصيل المرام» للصباغ (١/ ١٥٥)]

* * *

يقول حامد عباس: وبدأت تكسى الكعبة بالديباج الأسود منذ كساها الناصر لدين اللَّه أبو العباس أحمد الخليفة العباسي، وقد بدأ حكمه سنة (٥٧٥هـ) واستمرت إلى يومنا هذا.

[«قصة التوسعة الكبرى» لحامد عباس ص١٠٨]

* * *

أول من بدأ بالطراز المذهب السلطان سليم خان من آل عثمان.

[«السلسلة الذهبية» للدهلوي ص٣٨]

* * *

اعلم أن كل سلطان من سلاطيننا آل عثمان أدامهم اللَّه تعالى إلى آخر الزمان إذا تولى الخلافة يكتب اسمه على الحزام مدة خلافته، وتتبع هذه الكسوة ستارتان توضع أحدهما على باب الكعبة، وتوضع الأخرى بداخل الكعبة على باب الرحمة، وستارة ثالثة توضع على مقام إبراهيم وهي نطرزة بالفضة مثل

الحزام، وكيس مفتاح باب الكعبة.

[«تاريخ الكعبة المعظمة» لبا سلامة (١/ ٢٧٩-٢٨٢)]

❊ ❊ ❊

لم يعمل للكعبة زادها اللَّه شرفاً وتعظيماً نطاق بكسر النون يشد به جدرانها إلا مرة واحدة فقط، وذلك كما ذكره الأسدي: أنه حصل في أوائل القران الحادي عشر الهجري تشقق بالجدار الشامي أي الذي من ناحية حجر إسماعيل وقد ازداد في عام (١٠١٩هـ) حيث وقع مطر بمكة جاء على أثره السيل فدخل المسجد الحرام، فنهلت مياه الأمطار إلى داخل الكعبة من سطحها، وأصاب الجداران الشرقي والغربي وجدران الحجر تصدع.

فأراد السلطان أحمد بن السلطان محمد هدم البيت الشريف، وأن يجعل حجارة هذه الجدران للكعبة المعظمة ملبسة واحدة بالذهب وواحدة بالفضة. فمنعه العلماء من ذلك وقالوا له: يمكن حفظها بنطاق يلم هذا الشعث، فعمل لها نطاقاً من النحاس الأصفر مغلفاً بالذهب، أنفق عليه نحو ثمانين ألف دينار، وجرى تركيبه في أواخر عام (١٠٢٠هـ) وأوائل عام (١٠٢١هـ).

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ٦٦)]

❊ ❊ ❊

قال ابن بطوطة: وفي اليوم السابع والعشرين من شهر ذي القعدة تشمر أستار الكعبة الشريفة إلى نحو ارتفاع قامة ونصف من جهاتها الأربع صوناً لها من الأيدي أن تنتهبها ن ويسمون ذلك إحرام الكعبة، وهو يوم مشهود بالحرم الشريف.

[«رحلة ابن بطوطة» ص١٨١]

❊ ❊ ❊

يحاول المسلمون بشكل عام الحصول على قصاصة من هذه الكسوة (كسوة

الكعبة) لاستخدامها كشريط يضعونه في المصحف لتبيان المواضع التي وصلوا عندها في القراءة، ولأغراض أخرى شبيهة، وعلى أيه حال فقد لاحت الفرصة فحصلت على ما أريد.

[«رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٥٤٠)]

❊ ❊ ❊

تصنع الكسوة في مصنع غزل القطن ونسجه المسمى مصنع الخرنفش في باب الشعرية بالقاهرة، وتقوم على صنعها أسرة تتوارث هذا العمل أباً عن جد هي أسرة أو بيت السادي، وكانت تصنعها من خليط من الحرير كما تدل على ذلك العينة التي في حوزتي، وتتكون الكسوة من ثماني قطع، وعندما تكون الكسوة جاهزة في حي الخرنفش بالقاهرة فغنها تحمل في موكب إلى مسجد الحسين حيث تخاط قطعها وتعد لحملها في رحلة إلى الأراضي المقدسة.

[«رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٥٦٢)]

❊ ❊ ❊

الزخارف والتحلية الموجودة الآن على كسوة الكعبة وأغلبها من آيات القرآن الكريم عرفت أول ما عرفت سنة (٨١٠هـ) في الجانب الشرقي من الكعبة على ستارة بابها.

وأما اللون فلم يكن واحداً في كسوات الكعبة منذ بدايتها وإنما كان حسب رغبة من يكسوها، ثم أصبح رغبة الخليفة أو من يكل إليه ذلك حتى كان زمن الناصر العباسي فكساها الديباج الأسود المطرز بالأصفر والتزم ذلك من بعده من الخلفاء وهو ما عليه الكسوة في العهد الحاضر.

ومما يجدر ذكره أن إزار الكعبة لم يكن سابلًا، وإنما كان شامراً مرتفعاً، ثم

مازال يزاد حتى بلغ الشاذوران.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٦٣]

❊ ❊ ❊

أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في مستهل شهر محرم سنة (١٣٤٦هـ) بإنشاء دار خاصة لعمل كسوة الكعبة المعظمة في مكة المكرمة، وتم توفير كل ما يحتاج إليه العمل، وافتتح مصنع كسوة الكعبة في منتصف العام نفسه.

[«مصنع كسوة الكعبة المشرفة» الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ص١٨]

❊ ❊ ❊

أمر الملك عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في مستهل شهر المحرم سنة (١٣٤٦هـ) بإنشاء دار خاصة لعمل الكسوة، فبنيت بحارة أجياد وتمت عمارتها خلال ستة أشهر من طابق واحد، فكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة وصنع الكعبة بمكة المكرمة.

[«رعاية الحرمين» للسبيل ص٧٣]

❊ ❊ ❊

وضعت الستارة المنقوشة لأول مرة على باب الكعبة المشرفة عام (٨١٠هـ).

[«مصنع كسوة الكعبة المشرفة» الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي ص٢٤]

❊ ❊ ❊

كسيت في الجاهلية والإسلام أنواعاً من الكسي: ومن ذلك الديباج الأبيض الخراساني، والديباج الأحمر الخراساني، والديباج الصفر، وكسيت في خلافة الناصر العباسي كسوة خضراء وسوداء، واستمرت تكسى السواد حتى الآن، وفيها طراز أصفر، وكان قبل ذلك أبيض.

[«العقد الثمين للفاسي (١/٥٨)]

❊ ❊ ❊

في زمن رحلة ابن جبير فكانت الكسوة مرسلة من بغداد، وتسلم لزعيم آل الشيبي ويقومون بوضعها على الكعبة المشرفة، وتميزت الكسوة بلونها الأخضر اليانع ويزين أعلاها رسم أحمر عريض، وعقب وضع الكسوة ترفع جوانبها لصيانتها من عبث الأعاجم.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص١٥٧]

* * *

أول حريق وقع في الكسوة عام الفتح بيد امرأة كانت تجمر الكعبة، وفي أثناء ذلك طارت شرارة إلى الكسوة التي كساها بها المشركون فاحترقت فعريت الكعبة.

[«قصة التوسعة الكبرى» لحامد عباس ص١٠٧]

* * *

كان ثوب الكعبة المشرفة في أواخر العصر العباسي يتكون من (٣٤) قطعة منها (١٨) قطعة في الجانبين الشرقي والغربي من الكعبة المشرفة، وتوزع (١٦) قطعة في كل من الجانبين الجنوبي والشمال منها.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٦١]

* * *

لما ولي عبد الملك بن مروان كان يبعث كل سنة بالديباج فيمر به على المدينة فينشر يوماً في مسجد رسول اللّه ﷺ على الأساطين ههنا وههنا ثم تطوى ويبعث به إلى مكة.

[«فتح الباري» (٣/ ٤٥٩)]

إن الستارة الشريفة أي غطاء الكعبة المنسوجة من الإبرسيم الأسود تتألف من قطعتين يطلق على أحدهما اسم حجاب وهي الغطاء، ويطلق على الأخرى اسم نطاق، ويبلغ طول قطعة القماش التي يعمل منها الحجاب (١٠٦٠) ذراع والنطاق (٥١) ذراع، وفي عهد المماليك كانت ترسل كسوة أخرى حمراء عند تبدل

السلاطين لتعليقها على جدار الكعبة.

[«مرآة جزيرة العرب» لأيوب صبري باشا (٢/ ٨٥)]

❊ ❊ ❊

أما في زمن رحلة ابن جبير فكانت الكسوة مرسلة من بغداد وتسلم لزعيم آل الشيبي ويقومون بوضعها على الكعبة المشرفة وتميزت الكسوة بلونها الأخضر اليانع يزين أعلاها رسم أحمر عريض وعقب وضع الكسوة ترفع جوانبها لصيانتها من عبث الأعاجم.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف نواب ص٢٣٤]

❊ ❊ ❊

كسيت الكعبة المشرفة في ذلك العام (١٣٤٦هـ) التي تعتبر أول كسوة للكعبة تصنع بمكة المكرمة، وظلت دار الكسوة بأجياد تقوم بصناعة الكسوة الشريفة منذ تشغيلها عام (١٣٤٦هـ)، واستمرت في صناعتها حتى عام (١٣٥٨هـ)، ثم أغلقت الدار، وعادت مصر بعد الاتفاق مع الحكومة السعودية إلى فتح أبواب صناعة الكسوة بالقاهرة عام (١٣٥٨هـ)، وأخذت ترسل الكسوة إلى مكة المكرمة سنوياً حتى عام (١٣٨١هـ) حين توقفت مصر عن إرسال الكسوة الشريفة في ذلك التاريخ، وقامت الدولة السعودية بإعادة فتح وتشغيل مبنى تابع لوزارة المالية بحي جرول.

[«مجلة الحج» العدد الثاني صفر (١٤٣٣هـ)]

❊ ❊ ❊

وإذا كان أول يوم من ذي الحجة تشهر أستار الكعبة الشريفة إلى نحو ارتفاع قامة من جهاتها الأربع، ويجعلون مكان ذاك إزار أبيض، ويسمون ذلك إحرام الكعبة، وتوفر القناديل بمنارات المسجد الحرام، وهو يوم مشهود إشعاراً بالموسم الشريف.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١٢٦ للحسن بن محمد الغسال]

بوصول الكسوة الجديدة إلى مكة فإن الكسوة القديمة تنزع وتعطى للسدنة الذين يخدمون البيت وهم من جهتهم يبيعونها إلى الحجاج بأربعة أشرفيات أو خمسة للقطعة. ومن يحصل على جزء منها من الحجاج يكون في غاية السعادة؛ لأنه ما كان يحلم بأن يجد قطعة من كسوة الكعبة ليحتفظ بها مدى الحياة ذكرى مقدسة. وهم يقولون: إذا وضعت قطعة منها تحت رأس المسلم في فراش موته كان ذلك كفارة له عن جميع ذنوبه.

[bi,., p.351]

❋ ❋ ❋

الشريف ينزع الكساء القديم ويقطعها قطعاً يبيعها للحجاج الذين لا يبالون غالباً كم يدفعون؛ لأنهم متشوقون إلى إمتلاكها، وتكلف القطعة التي في حجم قطعة الورق، قطعة سلطانة أي تسعة شلنات أو عشرة، كذلك يقطع الحبل القطني الذي يكون في أسفل الكسوة إلى قطع ويباع، ويشتري الكثيرون قطعاً من كسوة البيت كي توضع على صدورهم ساعة مماتهم، وتدفن معهم، ولتكون لهم حرزاً من كل شر وهم أحياء. وفي اعتقادي أن الشريف الحاكم يجني مبالغ من الكسوة القديمة تعادل قيمة الكسوة الجديدة التي يقال: إن إنجازها يحتاج إلى عمالة كبيرة على مدار السنة.

[Pitts in Foster, ed., the Read Sea., p.31]

❋ ❋ ❋

وبعد أن تظل الكعبة مكشوفة هكذا بضعة أيام، يجرى إنزال الكسوة لتغطى البناية كلها، إذ يجرى ربط الكسوة إلى حلقات من النحاس الأخضر مثبتة في الأرض، رفع الكسوة القديمة عن الكعبة كان يجرى بطريقة غير لائقة، وكان الحجاج يتسارعون هم وأهل مكة حول هذا الموضوع، هذا الصراع نفسه كان يدور بين الكبار والصغار، من أجل الحصول على مجرد قطع صغيرة من تلك الكسوة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٧٩) لجون لويس بوركهارت]

الحجاج يجمعون التراب والغبار الذي يعلق بجدران الكعبة، من تحت الكسوة، ويبيعونه، عند عودتهم إلى بالدهم باعتبار ذلك تذكاراً مقدساً، في اللحظة التي يجرى فيها تغطية الكعبة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٠) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

عندما تكون (الكعبة) عارية تماماً (عريان Ureyan على حد قولهم)، تتجمع مجموعة من النساء حول الكعبة، وهن «يزغردن».

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٠) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

اختلف العلماء في بيع كسوة القديمة للكعبة المشرفة، فمنهم من أجاز بيعها ومنهم من منع. والقول المعتمد الجواز، واستدل عليه بما يأتي:

روى الأزرقي في تاريخه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحجاج فيستظلون بها في السمر بمكة، وروي أيضاً أن شيبة بن عثمان دخل على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إن الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر فنعمد إلى بيار فنحفرها ونعمقها فندفن فيها ثياب الكعبة لكي لا تلبسها الحائض والجنب، قالت عائشة: ما أصبت وبئس ما صنعت لا تعد ذلك، فإن ثياب الكعبة إذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب، ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل اللّه تعالى والمساكين وابن السبيل.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٣)]

❊ ❊ ❊

قال نجم الدين الطرسوسي في منظومته:

وما على الكعبة من لباس إرث جاز بيعه للناس

ولا يجوز أخذه بلا شرا للأغنياء لا ولا الفقرا

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٤)]

* * *

الكعبة

قال القاضي عياض: الكعبة هو البيت نفسه لا غير، سمي بذلك لتكعيبها وهو تربيعها، وكل بناء مرتفع مربع كعبة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١٧٤)]

* * *

تسمية الكعبة بالبيت العتيق: اختلف في تسميته بالعتيق فقيل: لأن اللَّه اعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار، وقيل: لقدمه لأنه أول بيت وضع كما تقدم، والعتيق القديم قاله الحسن، وقيل: لأنه كريم على اللَّه لأنه لم يجر عليه ملك لأحد من خلق اللَّه فلا يقال: بيت فلان، وإنما يقال: بيت اللَّه، وقيل: لأنه اعتق من الغرق لما أنه رفع زمن الطوفان، وقيل: لشرفه سمي عتيقاً، وقيل: لأنه يعتق زائره من النار وهو قريب مما قبله، وقيل: غير ذلك. وهو المعتمد.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص١٩]

* * *

قال ابن عباس: وجعل إبراهيم عليه السلام الحجر جنب البيت عريشاً من آراك تقتحمه العنز، فكان زرباً لغنم إسماعيل، قال: وحفر إبراهيم عليه السلام جباً في بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت، يلقى فيه ما يهدى للبيت، وهو الجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي هبل الصنم الذي كانت قريش تعبده وتستقسم عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة.

قال: وكان إبراهيم يبني، وينقل له إسماعيل الحجارة على رقبته، فلما ارتفع

البنيان قرب له المقام، فكان يقوم عليه ويبني ويحوله له إسماعيل من نواحي البيت، حتى انتهى إلى موضع الركن الأسود، قال إبراهيم لإسماعيل: يا إسماعيل ابغني حجراً أضعه هاهنا يكون للناس علماً، يبتدؤن منه الطواف، فذهب إسماعيل يطلب له حجراً، ورجع وقد جاءه جبريل بالحجر الأسود، وكان للَّه - عز وجل - استودع الركن أبا قبيس حين غرّق اللَّه الأرض زمن نوح، وقال: إذا رأيت خليلي يبني ويبني فأخرجه له.

قال: فجاءه إسماعيل فقال: يا أبت من أين لك هذا.

قال جائني به من لم يكلني إلى حجرك، جاء به جبريل.

فلما وضع جبريل الحجر في مكانه، بنى عليه إبراهيم وهو حينئذ يتلألأ تلألؤاً من شدة بياضه، فأضاء نوره شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً. قال: فكان نوره يضيء إلى منتهى أنصاب الحرم من ناحية نواحي الحرم قال: وإنما شدة سواده أصابه الحريق مرة بعد مرة في الجاهلية والإسلام.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٨٨)]

لم يكن في سقف الكعبة قبل بناء الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا روزان، فلما هدمها ونباها من جديد، جعل فيها أربع روزان يدخل الضوء منها لجوف الكعبة المشرفة، والروزان جمع روزنة بفتح الراء والزاي وهي الكوة وهي معربة كما في «مختار الصحاح».

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٤٧)]

❊ ❊ ❊

في سنة (٤٣٣هـ) انكسر الركن اليماني قدر أصبع، وغفل الناس عن سدها، وصارت القطعة عند قدوم قوم من أهل مكة من الحسنيين فحصل بمكة وباء عظيم وموت، لا يقيم المريض أكثر من ثلاث ويموت، ومات من أهل الدار التي فيها القطعة من الركن نحواً من اثني عشر رجلًا، فرأى بعض الصالحين

من المجاورين في المنام من يقول له: ردوا ما فقد من البيت فإنه يرفع عنكم الوباء.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٢٢٣)]

* * *

في بعض حواشي الكشاف: أن كل بيت مربع فهو عند العرب كعبة، ذكره الأزهري.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٥٣)]

* * *

ذكر الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار:

ونو بهار بلخ بناه أحد أجداد خالد بن برمك، وعارضوا به الكعبة، وكانوا يطوفون به، ويحجه أهل مملكتهم، ويلبس الحرير، وكان بيتاً حول أروقته ثلاثمائة وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامة، وكان من يليه يسمى برمكاً - يعني والي مكة - وانتهت البرمكة إلى خالد بن برمك، فأسلم على يد عثمان وسماه عبد اللَّه. انتهى.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٥٤)]

* * *

في القاموس: وبُس بيت لغطفان بناها ظالم بن أسعد لما رأى قريشاً يطوفون بين الصفا والمروة فذرع البيت، وأخذ حجراً من الصفا، وحجراً من المروة فرجع إلى قومه، فبنى بيتاً على قدر البيت، ووضع الحجرين وقال: هذان الصفا والمروة فاجتزوا به عن الحج، فأغار عليهم زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٥٥)]

* * *

ذكر الأزرقي: أن الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة إعظاماً للكعبة، وأول من بنى

بيتاً مربعاً بمكة حميد بن زهير، فقالت قريش: ربع حميد بيتاً إما حياة وإما موتاً.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٥٦)]

* * *

تخريب الحبش للكعبة يكون بعد رفع القرآن العظيم على ما ذكره السهيلي، وذلك بعد موت سيدنا عيسى عليه السلام قاله جماعة وصححه بعض العلماء المتأخرين. ونقل الحليمي أن ذلك في زمن عيسى عليه السلام.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ١٩)]

* * *

فائدة:

قال الزمخشري في «ربيع البرار»: ومن سنة أهل الحرم أن كل من علا الكعبة من عبيدهم فهو حر، لا يجمعون بين عز هؤلاء وذل الرق.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٢٠)]

* * *

قال محمد بن سوقة: كنا جلوساً عند سعيد بن جبير في ظل الكعبة فقال: أنتم في أكرم ظل على وجه الأرض.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٠٥)]

* * *

كان الناس لا يرفعون بيوتهم عن الكعبة المشرفة احتراما لها، كما جاء ذلك في تاريخ الإمام الأزرقي. وأن الناس في العصور السابقة كانوا أكثر إيماناً واحتراما للمسائل الدينية الدقيقة، وعلى سبيل المثال نقول: إن أحد سلاطين الأتراك دخل ليلًا مخدع نومه فرأى مصحفاً معلقاً في الجدار الذي عند سريره فلم يرقد بل ظل واقفاً إلى الصباح.

ولقد روى الإمام السيوطي رحمه الله في كتابه «حسن المناظرة في أخبار مصر

والقاهرة»: أنه في سنة (٧١٩هـ) أمر الملك المؤيد الخطباء بالمساجد والجوامع إذا وصلوا إلى الدعاء إليه في الخطبة أن يهبطوا المنبر درجة ليكون اسم اللَّه ورسوله في مكان أعلى من المكان الذي يذكر فيه اسم السلطان، فصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الأزهر، وابن النقاش بجامع ابن طولون، قال ابن حجر: وكان مقصد السلطان في ذلك جميلًا.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٢٠)]

* * *

أتى رجل من قبيلة الزيلع من اليمن إلى باب الرحمة يوم الجمعة ودخله وأغلقه عليه، وأحد لا يشعر بذلك، فلما خرج الرجال من البيت ثم النساء بعدهم، أغلق الحجبي باب الكعبة على عادته وهو لا يعلم به، فبقي الزيلعي داخل البيت، ولم يدر ما يصنع ولا أين يذهب إلى أن ألهمه اللَّه تعالى إلى صعود الأدراج التي داخل البيت الشريف، فظهر على سطح الكعبة المشرفة عند مغرب الشمس من ليلة الاثنين، فرآه الناس فصاحوا بالشيبي المذكور، فأتى بالمفتاح فحل عليه الباب، فنزل وقد كان يئس من الحياة، وأشرف على الهلاك.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٨٥)]

* * *

عن أبي الطفيل قال: شهدت علياً ﵁ وهو يخطب، وهو يقول: سلوني فواللَّه لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، وسلوني عن كتاب اللَّه فواللَّه ما منه آية إلا وأنا أعلم: إنها بليل نزلت، أم بنهار، أم بسهل نزلت، أم بجبل.

فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين علي ﵁ وهو خلفي قال: أفرأيت البيت المعمور ما هو؟

قال: ذلك الصّراخ فوق سبع سماوات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/٦٦)]

* * *

قال عطاء: النظر إلى البيت عبادة، والناظر إلى البيت بمنزلة الصائم القائم الدائم المحنث المجاهد في سبيل اللَّه سبحانه.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/٣٦٨)]

* * *

قال ابن عباس: قال رسول اللَّه ﷺ: «البيت الذي في السماء يقال له: الضراح، وهو مثل بناء هذا البيت الحرام ولو سقط لسقط عليه، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً».

[«معجم الطبراني» (١٢١٨٥)]

* * *

كانت قريش في الجاهلية يفتحون البيت يوم الاثنين والخميس، وكان حجابه يجلسون عند بابه فيرتقي الرجل فإذا كانوا لا يريدون دخوله دفع وطرح، وربما عطب، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء، يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة.

وكان أول من خلع الخف ولم يدخل بهما الوليد بن المغيرة.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ١٤٣]

* * *

جاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي اسم آخر للكعبة هو: الحمساء. قال ما نصه: والحمس: الأمكنة الصلبة جمع أحمس، وهو لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم، أو لالتجائهم بالحمساء

وهي الكعبة لأن حجرها أبيض إلى السواد.

[«القاموس المحيط» مادة حمس للفيروز أبادي]

* * *

ذكر الأزرقي في تاريخه: الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة، وأن أول من بنى بيتاً مربعاً بمكة حميد بن زهير، فقالت قريش: ربّع حميد بيتاً إما حياة وإما موتاً، وأضاف أن شيبة بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا هدنه تعظيماً للبيت من أن يتطاول على البنيان.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٧٩)]

عن عثمان بن طلحة قال: كنا في الجاهلية نفتح الكعبة يوم الإثنين والخميس، فأقبل النبي ﷺ يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس فأغلظت عليه ونلت منه فحلم علي، ثم قال: يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت، فقلت: لقد هلكت قريش يومئذ وذلت قال: لا بل عمرت وعزت يومئذ. فدخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال.

فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان ائتني بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه مني ثم دفعه إلي، وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن اللَّه - عز وجل - استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم في هذا البيت بالمعروف.

قال: فلما وليت ناداني فرجعت فقال: ألم يكن الذي قلت لك؟ قال: «فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت. فقلت: بلى أشهد أنك رسول اللَّه».

[«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٣٧)]

* * *

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق اللَّه السموات والأرض، فبعث اللَّه ريحاً صفاقة فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا اللَّه - عز وجل - الأرض من تحتها، فتمادت ثم تمادت فأوثقها اللَّه تعالى بالجبال، قال: فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس ولذلك سميت مكة أم القرى.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٣)]

* * *

في سنة (٨٤٧هـ) سقط من الكعبة حجر من تحت الميزاب، فنقل بما فيه إلى قبة الفراشين، واستمر أياماً إلى أن أعيد مكانه.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٤٣]

* * *

قال الفاكهي حدثني أبو علي الحسن بن مكرم قال: حدثنا عبد اللَّه بن بكر قال: حدثنا أبو بكر بن حبيب قال: جاورت مكة فعابت أسطوانة من أساطين البيت، فأخرجت، وجيء بأخرى ليدخلوها مكانها وطالت عن الموضع، فأدركهم الليل، والكعبة لا تفتح ليلًا فتركوها مائلة ليعودوا من الغد فيصلحوها، فجاؤوا من الغد فأصابوها أقوم من القدح انتهى. وهذا غريب، وفيه للبيت كرامة.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٤٥]

* * *

ذكر الأزرقي عن ابن جريج: أن أول من فرشها بالرخام الوليد بن عبد الملك.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص١٥٢]

* * *

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره، ولأن

أطيب الكعبة أحب إلي من أن أهدي لها ذهباً وفضة.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٧٠]

* * *

روي عن أبي نجيح أن عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما كان يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر، ويجمر كل جمعة برطلين من مجمر.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٤٨]

* * *

أول من ابتدأ غسل الكعبة رسول اللَّه ﷺ وذلك يوم فتح مكة، فبعد أن كسر الأصنام وأزال عنها معالم الشرك أمر بغسلها.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٨٦]

* * *

قال بعض العلماء: سؤال ما الحكمة في ميل الخلق إلى الكعبة الشريفة؟

فأجاب: إن الحكمة في ميل الخلق إلى الكعبة الشريفة أنه لما خلق اللَّه الأرواح وتكاثرت عليها العلوم غشّاها بالماء الكوني للراحة من تزايد تلك العلوم، فكان أصل الكعبة طائفاً على الماء كالحشفة، تجمرت مع ذوات الأرواح فكانت الأرواح معها تلك النسبة من القدس.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر بن محمد الجزيري (١/ ٣٧)]

* * *

سئل بعض العلماء: ما الحكمة في أن المشاهد للكعبة المعظمة إذا فارقها يزداد شوقاً؟ وكذلك كل مواصل، وإذا فارق محبوبة ازداد شوقاً؟

فأجاب: لأنه إذا فارق صار يشاهد بالروح بعد أن كان يشاهد بالعين، وشهادة

الأرواح أقوى من شهادة الأجرام، فيقوى حبه بقدر شهوده.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر بن محمد الجزيري (١/ ٣٨)]

❊ ❊ ❊

عن مجاهد قال: بلغني أنه لما خلق اللّه السموات والأرض كان أول شيء وضعه فيها البيت الحرام، وهو يومئذ ياقوتة حمراء لها بابان شرقي وغربي، فجعله مستقبل البيت المعمور، فلما كان زمن الغرق رفع في ديباجتين وهو فيهما إلى يوم القيامة، واستودع اللّه الركن أبا قبيس.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٥٠)]

❊ ❊ ❊

لم يجعل إبراهيم عليه السلام للكعبة في بنائه لها باباً، ولا قفلًا، ولا سقفاً، كان بناؤه مثال البساطة التامة.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٥)]

❊ ❊ ❊

عن عمرو الهذلي قال: رأيت قريشاً يفتحون البيت في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، وكان حجابه يقعدون عند بابه فيرقي الرجل الذي لا يريدون دخوله فيدفع ويطرح وربما عطب، وكانوا لا يدخلون الكعبة بحذاء يعظمون ذلك ويضعون نعالهم تحت الدرجة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ١٧٤)]

❊ ❊ ❊

سميت الكعبة بذلك لارتفاعها ونشوزها على الأرض، كل شيء علا وارتفع فهو كعب عند العرب، ومنها كعبت الجارية تكعب إذا نهد ثديها، ومنه كعب القدم وكعب الفتاة.

[«لسان العرب» كعب]

قال ابن عباس: إنما سميت بكة لأنه كان يجتمع فيها النساء والرجال

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٨٨)]

❊ ❊ ❊

عن ابن جريج أنه كان يقول: إنما سميت بكة لتباك الناس بأقدامهم قدام الكعبة.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٨٠)]

❊ ❊ ❊

أول من بنى بيتا مربعا حميد بن زهير فقالت العرب: ربّع حميد بن زهير بيتاً، إما حياة وأما موتا.

[«أخبار مكة» (١/ ٢٨٠)]

قال ابن ظهيرة: ومن أسمائها أي مكة القادس، نقله الفاسي عن صاحب المطالع، وهو مأخوذ من التقديس أي التطهير يعني أنها تطهر الذنوب.

[«الجامع اللطيف» لابن ظهيرة]

❊ ❊ ❊

قال معمر وأيوب السختياني: بنيت الكعبة من خمسة أجبل: لبنان، وطور زيتا، وحراء، ومن الجودي، وكان ربضه من حراء.

[«مصنف عبد الرزاق» (٥/ ٩٢)]

❊ ❊ ❊

ها نحن أولاء نقف في تقليد إبراهيمي أمام أقدم معابد التوحيد في العالم.. أمام الكعبة. والكعبة مكعب مجوف خال تماماً، مبنى بأحجار ضخمة. إنها صورة معمارية لكمال اللّه في أبسط تصوير، بعيدا عن التعقيد الذي يبدو في الفن القوطي وفن الروكوكو.

[«الطريق إلى مكة» ص١٥ لمراد هوفمان]

❊ ❊ ❊

أفتى علماء السلف بخصوص تزيين الكعبة بالمعلقات المصنوعة من الذهب أو الفضة على وجهين أحدهما بالتحريم والآخر بالجواز. وعلى هذا التقدير فإن تزيين بيت اللَّه والحجرة النبوية المعطرة بناء على ذلك جائز.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٦٩٧) لأيوب صبري باشا]

* * *

انظر بعينك بَهجةَ الحسناء ... ما بعد هذا منظرٌ للرائي
فَهْي التي سلبَتْ فؤادَ محبّها ... بجمالِ بهجتِها ونورِ بهاءِ
جعلَ المهيمنُ كلَّ عام حَجَّها ... فرضاً وهذا صَحَّ في الأنباءِ
بشراكِ يا عيني انظري وتدللي ... وتلذذي منها بطيبِ لقاءِ
شَنِّف بذكرِ مطافِها ومقامِها ... أُذْني فهذا اليومُ يومُ هناءِ

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ١٧٦)]

* * *

يقول الأميري:

الكعبة الشماء في مذهبي ... قيمتها ليست بأحجارها
والقرب من خالقها ليس في ... تشبث المرء بأستارها
قدسية الكعبة في جمعها ... أمتنا من كل أقطارها
وأنها محور أمجادها ... وأنها مصدر أنوارها
وكعبة المؤمن في قلبه ... يطوف أنى كان في دارها

[«صفحات ونفحات عمر بهاء الدين الأميري» ص ١٦]

* * *

كنز الكعبة

لما بنى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الكعبة المشرفة حفر في باطنها على يمين من دخلها حفرة عميقة كالبئر وجعل عمقها ثلاثة أذرع يلقى فيها ما يهدى إليها من المتاع

والحلي والذهب والفضة والطيب وغير ذلك، فهذه الحفرة تسمى بخزانة الكعبة وبالجب، وبالغبغب، وبالأخسف، وكان يمسى مال الكعبة بالإبرق.

فلما بنتها قريش قبل البعثة بخمس سنوات أبقوا جب الكعبة في مكانه ونصبوا عليه هبل، وهو أعظم أصنام قريش، كان عمرو بن لحي قدم به من هيت من أرض الجزيرة، ونصبه على الجب في بطن الكعبة وأمر الناس بعبادته، وذلك قبل بناء قريش، فلما بنتها وضعت هبل على الجب كما كان سابقاً.

ولم نر أحداً من المؤرخين ذكر شيئاً عن جب الكعبة في بناء ابن الزبير وفي بناء الحجاج هل أبقوه فيها كما كان أم طمروه وردموه؟

والذي نراه واللّه تعالى أعلم بالغيب أن جب الكعبة ردم بالحجارة في بناء ابن الزبير أو كان كذلك في بناء الحجاج إلى يومنا هذا، لأن أرض الكعبة من الداخل مرتفعة الآن عن أرض المطاف ارتفاعاً موازياً لعتبة بابها، فقد كبست بالحجارة التي فضلت من أحجار الكعبة حين بناء الحجاج، وكان أول من فرشها بالرخام الوليد بن عبد الملك.

فلما ردموا جب الكعبة في باطنها، وجعلوا خزانتها في دار شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، فصارت هدايا الكعبة في هذه الدار التي كانت إلى جنب دار الندوة عند المسجد الحرام.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٤٤٩)]

❊ ❊ ❊

عن مجاهد قال: كان في الكعبة على يمين من دخلها جب عميق حفره إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حين رفعا القواعد، وكان فيه ما يهدى للكعبة ليس لها سقف، فسرق منها مال على عهد جرهم مرة بعد مرة، وكان جرهم ترتضي لذلك رجلًا يكون عليه يحرسه، فبينا رجل ممن ارتضوه عندها إذ سولت له نفسه فانتظر حتى إذا انتصف النهار وتقلصت الظلال وقامت المجالس وانقطعت الطرق ومكة

إذ ذاك شديدة الحر بسط رداءه ثم نزل في البئر فأخرج ما فيها فجعله في ثوبه، فأرسل اللَّه - عز وجل - عليه حجراً من البئر فأخرج ما فيها فجعله في ثوبه، فأرسل اللَّه عز وجل عليه حجراً من البئر فحبسه، حتى راح الناس فوجدوه فأخرجوه وأعادوا ما وجدوا في ثوبه من البئر فسميت بذلك البئر الأخسف، فلما أن خسف بالجرهمي وحبسه اللَّه، بعث اللَّه عند ذلك ثعباناً فأسكنه في ذلك الجب في بطن الكعبة أكثر من خمسمائة سنة، يحرس ما فيه فلا يدخله أحد إلا رفع رأسه وفتح فاه، فلا يراه أحد إلا ذعر منه، وكان ربما يشرف على جدار الكعبة فأقام كذلك في زمن جرهم وزمن خزاعة وصدراً من عصر قريش حتى اجتمعت قريش في الجاهلية على هدم البيت، وعمارته فحال بينهم وبين هدمه، حتى دعت قريش عند المقام عليه، والنبي ﷺ معهم، وهو يومئذ غلام لم ينزل عليه الوحي بعد، فجاء عقاب فاختطفه ثم طار به نحو أجياد الصغير.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٤٤)]

* * *

كانت الفرس تهدي إلى الكعبة أموالًا وجواهر من الزمن الأول، وكان ساسان ابن بابك أهدى غزالتين من ذهب وجواهر وسيوفاً وذهباً كثيراً إلى الكعبة.

[«مروج الذهب» للمسعودي (١/ ٢٤٢)]

* * *

عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة - يعني ابن عثمان - على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر، ثم قال: لقد هممت ألا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته.

قلت: إن صاحبيك لم يفعلا؟ قال - يعني عمر -: هما المرءان أقتدي بهما.

[«رواه البخاري» (٢/ ٥٧٨)]

* * *

قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر: يحتمل أن يكون تركه ﷺ رعاية لقلوب قريش، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، ويؤيده: ما وقع عند مسلم في بعض طرق الحديث: «ولأنفقت كنز الكعبة في سبيل اللّه وجعلت بابها بالأرض»، وهذا التعليل هو المعتمد.

وعليه فإنفاقه جائز، كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد إبراهيم عليه السلام لزوال الامتناع.

[«فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٤٥٧)]

* * *

قال محمد بن إسحاق: إن البئر التي كانت في جوف الكعبة كانت على يمين من دخلها، وكان عمقها ثلاثة أذرع، يقال: إن إبراهيم وإسماعيل حفراها ليكون فيها ما يهدى للكعبة، فلم تزل كذلك حتى كان عمرو بن لحي، فقدم بصنم يقال له: هبل من هيت من أرض الجزيرة، وكان هبل من أعظم أصنام قريش عندها، فنصاه على البئر في بطن الكعبة، وأمر الناس بعبادته، وكان الرجل إذا قدم من سفر بداية على أهله بعد طوافه بالبيت، وحلق رأسه عنده.

وهبل الذي يقول له أبو سفيان: أعل هبل أي أظهر دينك، فقال النبي ﷺ: اللّه أعلى وأجل.

وكان اسم البئر التي في بطن الكعبة الأخسف، كان العرب تسميها الأخسف.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ١٤٠)]

* * *

يذكر عن الحسين بن الحسن العلوي عمد إلى خزانة الكعبة في سنة مائتين في الفتنة حين أخذ الطالبيون مكة، فأخذ مما فيها مالاً عظيماً ن وقال: ما تصنع

الكعبة بهذا المال؟ نحن أحق به، نستعين به على حربنا.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢٩٣)]

* * *

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي وائل رضي الله عنه قال: جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر رضي الله عنه فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبيك لم يفعلا. قال هما المرآن اقتدي بهما.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص٢١٥]

* * *

أول من حلى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي ﷺ بالغزالتين الذهب اللتين وجدهما في بئر زمزم لما حفرها.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٥٢)]

* * *

عن مشيخة أهل مكة وبعض الحجبة: أن الحسين بن الحسن العلوي أتى إلى خزانة الكعبة سنة (٢٠٠هـ) في الفتنة حين أخذ الطالبيون مكة، وأخذ مما فيها مالًا عظيماً وانتقله إليه، وقال: ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً لا ينتفع به؟ نحن أحق به نستعين به على حربنا.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ١٧٠]

* * *

كهرباء

عن مسلم بن خالد الزنجي قال: بلغنا أن أول من استصبح لأهل الطواف في المسجد الحرام عقبة بن الأزرق بن عمرو الغساني، وكانت داره لاصقة بالمسجد

الحرام من ناحية وجه الكعبة، والمسجد يومئذ ضيق ليس بين جدر المسجد وبين المسجد الحرام المقام إلا شيء يسير، فكان يضع على حرف داره مصباحاً كبيراً يستصبح فيه فيضيء له وجه الكعبة والمقام وأعلى المسجد، وأول من أجرى للمسجد القناديل وزيتاً معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

[«تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» لأبي البقاء محمد ابن الضياء المكي ص ١٢٣]

* * *

أول من استصبح بين الصفا والمروة خالد بن عبد اللَّه القسري في خلافة سليمان بن عبد الملك.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٨٧)]

* * *

أول من استضاء في المسجد الحرام عقبة بن الأزرق، وكانت داره ملاصقة لجدار المسجد الحرام من ناحية باب الكعبة، والمسجد يومئذ ضيق ليس بين جدار المسجد والمقام إلا شيء يسير، فكان يضع المصباح على حرف جداره، وكان المصباح كبيراً يستضيء به على زمزم والمقام وعلى المسجد. وأول من رتب القناديل: معاوية بن أبي سفيان.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٨٦)]

* * *

ذكر القاضي محمد بن موشى: أول من اتخذ المصابيح في المسجد الحرام للطائفين عتبة بن الأزرق لأن داره كانت ملاصقة للمسجد الحرام، فكان يضع فوق داره مصباحاً كبيراً.

[«مرآة الحرمين» رفعت باشا (١/ ٢٣٦)]

* * *

قام الخليفة عبد الملك بن مروان بإضاءة ما بين الصفا والمروة بالقناديل ليلًا، كما أمر باتخاذ مصباح كبير مقابل الركن الأسود مرفوعاً على عمود وضعه في طرف صحن المطاف بالقرب من بئر زمزم.

[«تاريخ مكة» لأحمد السباعي ص١٢٨]

* * *

في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) تم إضاءة ما بين الصفا والمروة بالقناديل ليلاً.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٣٧]

* * *

أورد الغازي بالصحيفة المذكورة ما ذكره الشيخ حسين با سلامة في تاريخ عمارة المسجد الحرام عن إضاءة المسجد بالكهرباء وملخصه:

أن الشريف حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أتى بماكينة كهرباء وأمر بوضعها في مدرسة أم هانئ أمام دار الحكومة، ثم في سنة (١٣٤٠هـ) أتى بماكينة أخرى وضعت في دار بأجياد. وكان ابتداء الإنارة بها في غرة رمضان سنة (١٣٤٠هـ)، ثم نقلت إلى المستودع الذي خلف دار الحكومة الذي يسمى سابقاً فرن الميري أي محل الحبس الآن، وابتدأت الإنارة منه في ٢٨ شوال من السنة المذكورة، ثم في عهد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تبرع أحد التجار من أهالي رانكون بماكينة كبير للمسجد الحرام في سنة (١٣٤٥هـ) وكانت الإنارة بها في غرة ذي القعدة من السنة المذكورة.

ثم في شعبان سنة (١٣٤٧هـ) أمر جلالة الملك عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتجديد عموم اللمبات التي بالمسجد الحرام وزيادتها حتى تبلغ الألف لمبة فعمل ذلك ولم يهل شهر رمضان من السنة المذكور حتى صار المسجد الحرام مضاء عمومه بالكهرباء.

ثم صدر أمر جلالة الملك أيضاً في سنة (١٣٤٩هـ) بشراء ماكينة قوية تضم إلى

الماكينة الكبيرة الأخرى، ثم في سنة (١٣٥٠هـ) وضع على حجر إسماعيل شمعدانات من النحاس الأصفر وعمل على كل شمعدان منها ثلاثة أغصان، وعلق على كل غصن مصباح كهربائي، ووضع أيضاً ستة وعشرون أسطوانة في حصاوى المسجد الحرام صنعت بالأسمنت المسلح طوال الأسطوانة نحو ثلاثة أمتار وعلق على الأسطوانة أربعة مصابيح كهربائية.

وفي سنة (١٣٥٣هـ) أهدي للمسجد الحرام نواب بهادر بالهند الحاج سر محمد مزمل ماكينة كهرباء عظيمة وتم تركيبها في أواخر شعبان سنة (١٣٥٤هـ) وأضيء بها المسجد الحرام في ابتداء شهر رمضان من السنة المذكورة.

هذا ولما عمّ إدخال الكهرباء في مكة المشرفة بواسطة المكرمين الشيخ إبراهيم الجفالي وإخوانه أنير المسجد الحرام ومكة كلها في تاريخ ١٤ شهر صفر سنة (١٣٧٣هـ) ووضعت المراوح الكهربائية بالمسجد الحرام ليستريح الناس من الحر.

وانظر مسألة الإنارة أيضاً في عنوان «إضاءة المسجد الحرام بالأتاريك والكهرباء».

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤)]

❊ ❊ ❊

في عهد الملك خالد رَحِمَهُ اللَّهُ تم تركيب مكيفات صحراوية ومراوح عادية في المسعى لتقليل درجات الحرارة، ووقاية الساعين بين الصفا والمروة من شدة الحر.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٨٨]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٣٤٢هـ) جُلبت آله كهربائية لإنارة المشعر الحرام أي المسعى خاصة، فوضعت في بناية خاصة وسط المسعى بجوار مركز البلدية.

[«جريدة القبلة» العدد ٧٨٠ ص ١ سنة (١٣٤٢هـ)]

❊ ❊ ❊

قال محيي الدين رضا: يسرني في هذا المقام أن أقول إن تحقيق هذه الرغبة صار وشيك الإنجاز، ولقد صليت الجمعة يوم ٢٤ ذي الحجة سنة (١٣٦١هـ) الموافق لأول يناير (١٩٤٣م) في بناية زمزم لأسمع الشيخ أبا السمح إمام الحرم وخطيبه، وكنت أود الصلاة في العراء بجوار الكعبة لكن الإمام أشفق علي من الشمس ودعاني للصلاة في بناية زمزم، وكان بعض سيوف الإسلام أمراء اليمن يجلسون في البناية فقال: أبو السمح: أما آن للمسلمين أن يضعوا مكبراً للصوت في الحرم ليسمع المصلون التلاوة؟ ثم وجه الكلام إلى أمراء الإسلام ومعهم عالم منهم، فقال له: أما فكرتم في هذا في اليمن؟، فقال: إننا لم نبحث في هذه المسألة حتى الآن. فقال له الإمام: لكن ماذا ترون فيها؟ فقال فضيلته: يسعنا ما وسع سلفنا فاغتاظ أبو السمح وقال: إن العالم يتقدم ونحن نظل جامدين ونحن نعرض عن كل هذا ما هو مفيد ونقول يسع الأمة ما وسع سلفها، هذه سفسطة لا يهضمها أحد.

وكان وقت الخطبة قد حان فتركنا الإمام وذهب إلى المنبر.

وبعد ذلك سألت أحد أبناء الإمام يحيى وكانوا ثلاثة جواري: هل تعتقدون أن جلالة الإمام يحيى يمنع من الاستفادة بالإذاعة؟ فقال: إنني أعتقد أن جلالته يوافق على الاستفادة بمكبرات الصوت إذا عرض عليه الأمر ولا سيما في الحرم حيث يجتمع عشرات الألوف من الحجاج.

وقلت لأبناء الإمام إن مصر استعملت مكبرات الصوت في كثير من مساجدها ولم ينتقد عملها أحد فأظهروا استحسانهم للأمر، والحق يقال إن استعمال مكبرات الصوت في المساجد صار لازماً لزوماً عظيماً، ولا سيما في المساجد الكبيرة وفي مقدمتها الحرم المكي.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٢٠]

❊ ❊ ❊

حرف اللام

لباس

ويقصد مكة زمن الحج أنواع العالم الإسلامي من جميع أطراف المسكونة: فترى بها الأزياء المتباينة والسحن المختلفة، حتى ليجدر بها أن تسمى بالمعرض الاسلامي، ولقد رأيت فيها رجلًا يابانياً من كبار قوّاد اليابان قد أسلم وقدم إليها لتأدية فريضة الحج.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٤٠ لمحمد البتوني]

❊ ❊ ❊

حرف الميم

ماء

أول من عمل مواسير المياه من العرب بمكة المكرمة:

ذكر الإمام الأزرقي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «تاريخ مكة» وفي باب «ذكر ما عمل في المسجد من البرك والسقايات» ما ملخصه: أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ابن مروان - رحمهم اللَّه جميعاً - كتب إلى خالد بن عبد اللَّه القسري رَحِمَهُ اللَّهُ: أن أجر لي عيناً تجري من الثقبة من مائها العذب الزلال حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود، ويضاهي بها رغم ماء زمزم. قال: فعمل خالد بن عبد اللَّه القسري البركة التي بفم الثقبة يقال لها: بركة القسري، ويقال لها أيضاً: بركة البردي ببئر ميمون وهي قائمة إلى اليوم بأصل ثبير، فعملها بحجارة منقوشة طوال، وأحكمها وأنبط مائها في ذلك الموضع، ثم شق لها عيناً تسكب فيها من الثقبة، وبنى سد الثقبة وأحكمه، والثقبة شعب يفرع فيه وجه ثبير، ثم شق من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص حتى أظهراها في فوارة تسكب فيه فسقية من رخام بين زمزم والركن والمقام، حتى جرت وظهر ماؤها، ثم أمر خالد بن عبد اللَّه القسري بعمل وليمة كبيرة ذبحت فيها المذابح بسبب هذا العمل إلى آخر ما ذكره الإمام الأزرقي في تاريخه.

وخالد بن عبد اللَّه القسري المذكور هنا هو أمير مكة المكرمة في ذلك العهد، والثقبة بالتحريك هو موضع في أوائل جبل ثبير من جهة حراء لا يبعد عن المسجد الحرام بأربع كيلومترات، فمن هذا التاريخ المعتمد الموثوق يعلم أن أول من عمل مواسير المياه من الرصاص هو أمير مكة المكرمة خالد بن عبد اللَّه القسري.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٢٢)]

❊ ❊ ❊

للماء شأن يذكر ولا سيما في موسم الحج فيكثر استهلاك الماء من الآبار فتقل مياهها بطبيعة الحال ولا سيما في الطريق ما بين مكة وجبل عرفات. وكان من أهم ما اتجهت إليه أنظار الملك ابن سعود بعد فتحه الحجاز هو العمل على حل هذه المشكلة فأمر ببناء أحواض تخزن فيها المياه بكثرة قبل تدفق سيول الحجاج وبذلك يجدون حاجتهم منها بسهولة وبثمن مقبول.

والماء هنا نوعان: عذب ومالح، فالعذب يستخرج من ين تسير في قناة من الحجر تحت الأرض وهي المعروفة «بعين زبيدة» ويبتدئ أولها قبل منطقة السيل، ويروى أن الملكة زبيدة زوجة هارون الرشيد هي التي أنشأت هذه القناة فسهلت على أهل مكة الحصول على أهل مكة سبيل الحصول على المياه العذبة، ولهذه العين عدة فتحات يزدحم عندها السقاة لأخذ حاجتهم منها ويحدثون ضجيجاً يصم الآذان. أما المياه المالحة فتستخرج من آبار ارتوازية وهي ليست مالحة جداً ولكن الحاجة تدفع بعض الناس إلى استعمالها، ومياه بئر زمزم الكائنة وسط الحرم الشريف من هذا النوع لا يتناولها الناس إلا على سبيل البركة.

[«رحلة في قلب نجد والحجاز» ص١٥٢ لمحمد شفيق أفندي]

❋ ❋ ❋

ماء الشرب في جدة من الصهاريج القديمة التي تملأ من ماء المطر أو العيون الموجودة خارج المدينة، وكلما قربت تلك العيون من البحر كانت مياهها ملحة غير صالحة للشرب، وفيها مواسير كان وضعها عثمان باشا نورى سنة (١٣٠٢هـ) وسير الماء فيها من عين الرغامة التي تبعد عن المدينة شرقا بنحو عشرة كيلومترات، وهي الآن مهدمة، وقد اهتمت بلدية المدينة باصلاحها ولكن يظهر أن الحكومة لا يمكنها عمارتها الا بمعونة الأهالى وهم لا يساعدون على ذلك لأن لهم مصلحة في بيع ميه صهاريج على الحجاج بأثمان باهظة،

على أن سواد الحجاج لا يشربون أثناء وجودهم في هذه المدينة إلا من المياه التي يأتون بها اليهم من الحفر والآبار وفضلًا عن وساختها فإن طعمها يميل دائماً إلى الملوحه ولولا فضل اللَّه عليهم لهلكوا منها جميعاً.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٨ لمحمد لبيب البتنوني]

* * *

وعندي نصيحة للذين من عادتهم العناية بأمر ماء الشرب: ذلك أنهم إذا أرادوا الحج أخذوا معهم ما يكفيهم من المياه المعدنية أثناء الطريق، أما مدة وجودهم في مكة والمدنية فحسبهم على الماء المخصص لشربهم، ولو أضافوا على كل لتر منه عشر نقط من محلول مركب من واحد في الألف من برمنجانات البوتاسا لكان أحفظ لصحتهم. وهناك طريقة أخرى لتنقية الماء تنقية تامة، وهي أن يؤخذ أقراص مجهزة تسمى أقراص (فيارو جورج) ذات ثلاثة ألوان: الأول أزرق والثاني أحمر والثالث أبيض. فيذاب أولا قرص أزرق ثم آخر أحمر في لتر من الماء المراد تنقيته، وهناك يتم اتحادهما بهذا الماء فتموت جميع الجراثيم التي فيه في مسافة عشر دقائق، ثم يوضع فيه القرص الأبيض فيتحد مع اليود الذي به ويعمل معه تركيباً عديم الطعم، وبهذه الطريقة يكون الماء صالحاً للشرب. وإذا لم يكن لا هذا ولا ذاك فعليهم بفلتر سفرى يمتصون به الماء ولو في الصحراء.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٦٧ لمحمد البتنوني]

* * *

يوجد بجوار باب الرحمة وباب السلام من الخارج حنفيات للوضوء من عمل السلطان عبدالمجيد كما توجد أمكنة للحاجة على بعد منها.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٤٣ لمحمد البتنوني]

* * *

تم حفر أربعة أحواض ضخمة تم تخصيصها منفصلة لقوافل الحجيج الكبيرة الأربع، حيث خصص واحد منها لإطفاء عطش قافلة حجاج القاهرة، وآخر لحجاج قافلة بغداد، والثالث لحجاج دمشق، والرابع لأولئك الحجاج القادمين من اليمن.

أما بالنسبة للمغاربة أو غيرهم من الحجاج القادمين من أفريقيا والجزر الآسيوية، فقد كانوا يتدبرون ترتيباتهم وحدهم بمكة إذ لم تكن أعدادهم - في أي وقت - أساسية أو كثيرة على الإطلاق.

[«رحلة في بلاد العرب الحجاز» ص١٨٩ لمحمد بن آل زلفة]

❊ ❊ ❊

وإننا قد قاسينا من الظمأ في بقية يومنا وعامة ليلتنا بين بحرة وجدة ما لم نعرف له نظيراً في تاريخ حياتنا ن فكنا نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة.

[«رحلة الحجاز» لمحمد رشيد رضا]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ٩٢٦)]

❊ ❊ ❊

كانت العادة جرت بأن يملأ الحجاج زمزمياتهم بالماء قبل العهد السعودي، ولكن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود نظم الأمور في عرفات ومنى ومزدلفة وسائر الحجاز، وذلك فضل من اللَّه عليه وعلى الناس.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٣٧]

❊ ❊ ❊

الماء يساق من على بعد (٧٠) فرستاً من نبع عين يقع على التلال السفحية من جبل القرى، ثم يلتقي مجروره مع ساقيه تنطلق من وادي النعمان، فيطلق عليه عين الزبيدة باسم زوجة خليفة بغداد الشهير هارون الرشيد التي سيق الماء للمرة الأولى في عام (٨٢٧م) بفضل أموالها حتى جبل عرفات، وفي عام (١٥١٩م) في

عهد السلطان سليمان القانوني تم تمديد مجرور الماء حتى مكة، ولكن الأمطار الوابلة كانت تفسده دائماً، ولذا يتعطل في غالب الأحيان. وللمرة الأخيرة جرى إصلاحه بأموال مجموعة من الحجاج وتبرع بها مختلف الناس في عهد والي الحجاز عثمان باشا، وبهذا النحو لا يزال يؤدي وظيفته في الوقت الحاضر.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٦]

* * *

عند جبل عرفات يمر الماء عبر بضعة أحواض مكشوفة طويلة مبنية لأجل استحمام الحجاج، ولاستعمال الماء عبر بضعة أحواض مكشوفة طويلة مبنية لأجل استحمام الحجاج.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٩٧]

* * *

منذ أربع سنوات هطل الوابل الأخير الذي ملأ جميع صهاريج ينبع وضواحيها، ولذا كانت جميع الأقبية في المدينة أثناء إقامتي فيها فارغة من زمان، وبعد فترة وجيزة شرب الحجاج كل مضمون صهاريج العامة أيضاً.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٢٤]

* * *

في كل مسقى من المساقي التي على الطريق تُوجد قلعة صغيرة وخزان كبير تُسقى منه الإبل، هذه القلاع تقوم حراستها مجموعات صغيرة تظل طوال العام تحرس المؤن المخزنة في تلك القلاع.

شيوخ القبائل يلتقون القافلة عند هذه المساقي، والمعروف أن هذه المساقي مملوكة للبدو، ويحصل الشيوخ في تلك اللقاءات على الإتاوة المحددة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١١)]

* * *

المساقي أو المحطات لا تبعد الواحدة منها عن الأخرى مسافة تزيد على مسير إحدى عشرة ساعة أو اثنتي عشرة..

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١١)]

❊ ❊ ❊

مأزمان

قال النووي: والمأزمان جبلان بين عرفات ومزدلفة بينهما طريق. هذا معناه عند الفقهاء فقولهم: على طريق المأزمين: أي الطريق التي بينهما، وأما أهل اللغة فقالوا: إن المأزم الطريق الضيق بين جبلين. كذا في شفاء الغرام.

[«تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ٣٢٥)]

❊ ❊ ❊

المأزمان اللذان يستحب للحاج أن يسلك طريقهما إذا رجع من عرفة وهو الموضع الذي تسميه أهل مكة الآن مضيق بين مزدلفة وعرفة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٩٥)]

❊ ❊ ❊

المأزمان: مثنى مأزم وهو الطريق الضيق بين الجبلين ونحوه، وهو طريق يأتي بين مزدلفة من جهة عرفة، لا يدفع الناس ليلة المزدلفة إلا معه، فإذا أفضوا منه كانوا في المزدلفة.

[«معالم مكة التاريخية والأثرية» لعاتق بن غيث البلادي ص١٢]

❊ ❊ ❊

مال حرام

مات رجل في طريق مكة فحفروا له فدفنوه، ونسوا الفأس في لحده، فكشفوا عنه التراب ليأخذوا الفأس فإذا رأسه وعنقه قد جمعا في حلقة الفأس، فردوا عليه

التراب، ورجعوا على أهله فسألوهم عنه، فقالوا: صحب رجلا فأخذ ماله، فكان منه يحج ويغزو.

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل اللَّه إلا كل طيبة ما كل من حج بيت اللَّه مبرور

[«فضائل الحج والعمرة» لسيد العفاني]

❊ ❊ ❊

مثل

يقال في عقد العزم على الحج: من هذرى بالحج حج.

[«الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» (٨/ ٢٤٠) لعبدالكريم الجهيمان]

❊ ❊ ❊

في احترام التلبس بفريضة الحج، والبعد عن مفسداتها تقول العامة لمن قصر أو تهاون: أنت حاج وإلا داج.

[«الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» (٣/ ٧٣) لعبدالكريم الجهيمان]

❊ ❊ ❊

قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يقول العوام: حج يقضي حاجة.

[«الأمثال العامية في نجد» (١/ ٣٩١) لمحمد ناصر العبودي]

❊ ❊ ❊

لا حج إلا بالسماري، ويذكر أن السماري هذا من أهل الخرج، وصاحب المثل عاش زمن الإمام فيصل بن تركي.

[«الأمثال الشعبية في قلب جزيرة العرب» (٢/ ٢٣٨) لعبدالكريم الجهيمان]

❊ ❊ ❊

قيل للحجاج عليكم بجمال طرابلسية وقربة مصرية لأن قرب هذا البلد ردية الدباغ، وماؤها خبيث المساغ ومع ذلك لا تمسك الماء إلا كما يمسكه الغربال، ومع ذلك يحتاج صاحبها إلى كثير منها بل قد تؤديه إلى العطب، والتلف في بعض المفاوز لكونها تضيع الماء.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» (٢/ ١٨٤) لسيدي الحسين الورثيلاني]

❊ ❊ ❊

من أمثال الحجاج: لا رجال إلا رجال الحورا، ولا جمال إلا جمال الدورا. والحورا في شمال الجزيرة العربية، والمعني: أن الرجال الحقيقيين هم الذين يأخذون بالحزم في هذه الأرض، فلا يغترون فيقطعونها، وهم من نهب أعرابها سالمون، لأنهم من أجرأ الأعراب على الشرفة؟ وهذا بالنسبة إلى الحجاز، فإن المثل فيه ضرب.

وأما من غيره، فما رأيت أجرأ على النهب، ولا أضر على الركب من عرب بالمغرب، في طريق الحاج بأرض يقال لها: وادي سيدنا خالد، ويعنون بالدورا، الدورة أي الرجعة أي لا يعد جابراً من الحجال إلا الذي صير في حال الرجوع من الحجاز إذ هو آخر السفر، ومحله قلة العلق.

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللّه الحرام» ص٧٠ للمُرادى]

❊ ❊ ❊

مجالس

زرت حضرت صاحب السمو الملكي الأمير عبد اللّه بن الأمير فيصل وقدس لاستقبال المهنئين وكان عنده صقر خاص، ولذلك حدثنا سموه عن أنواع الصقور وأجودها وعلاماتها، دخلنا على سموه وكان يحدث بعض العلماء نجد عن أدباء مصر وميزاتهم في الكتابة والخطابة، وكان عند دخولنا يتحدث عن الدكتور طه

حسين بك وفصاحته في إذعانه وبلاغة أسلوبه، مما دلنا على أن سموه على حداثة سنه عالم بأحوال الكتاب والأدباء ورجال السياسة بدرجة لا يكاد يصدقها من لم يحضر مجالسه، ولقد أتيح لي مجالسته غير مرة فوجدت فيه علماً ومعرفة يندر أن يعنى بها من كان في منزلته الرفيعة وفي سنه المبكرة ولكن لا عجب في ذلك فهو شبل الأمير فيصل المعظم الذي أدهش جلاسه في الحجاز ومصر وأوربا وأمريكا بعلمه وعظيم اطلاعه ودقيق ملاحظاته.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٤٨]

❊ ❊ ❊

مجاورة

كان عمر رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء النسك بالدرة ويقول: يا أهل اليمن يمنكم، ويا أهل الشام شامكم، ويا أهل العراق عراقكم فإنه أبقى لحرمة ربكم في قلوبكم.

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٦٠٣)]

❊ ❊ ❊

قال علي بن الموفق: جلست يوماً في الحرم بمكة المشرفة، وقد حججت ستين حجة، فقلت في نفسي: إلى متى أتردد في هذه المسالك والقفار، ثم غلبتني عيني، فنمت وإذا قائل يقول: يا ابن الموفق! هل تدعو إلا بيتك إلا من تحب؟ فطوبى لمن أحبه المولى، وحمله إلى المقام الأعلى، وأنشد يقول:

دعوت إلى الزيارة أهل ودي ... ولم أطلب بها أحداً سواهم
فجاءوني إلى بيتي كراماً ... فأهلاً بالكرام ومن دعاهم

[«رحلة الصديق إلى البيت العتيق» ص١٣ للسيد صديق خان]

❊ ❊ ❊

إن في مكة ملاويين صاروا مكيين بطول الإقامة، وبعد أن تنفد أموالهم يعودون إلى بلادهم ليبيعوا المسابح والكتب العربية والعطور وغيرها، أو يحاولون الإفادة مالياً من الحكمة أو التصوف الذي تعلموه في مكة أو من عطر قداستهم المكية.

[(Hurgronje, p,222)]

* * *

قال أيوب صبري باشا: كان سكان البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيادة دول غير مسلمة يترددون على الحرمين الشريفين وكان بعض هؤلاء يفضلون الإقامة في أحد الحرمين الشريفين ومجاورتهما بعد أداء الحج لذا إتخذ الإنجليز والفرنسيون والروس والبرتغاليون والهولنديون الذين يستعمرون الهند وآسيا الوسطى والجزائر وجاوه وغيرها قنصليات في جدة لخدمة رعاياهم في ظاهر الأمر وقضاء مصالحهم ولكنها في الحقيقة للتجسس.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص٩٨ لأيوب صبري باشا والدكتور محمد حرب.]

* * *

وأما المجاورة بها (مكة): فذهب إمامنا الأعظم وطائفة من العلماء كابن رشد من المالكية وابن الطيب من الشافعية إلى كراهة المقام بها، وذهب الشافعي وأحمد وغيرهما كأبي يوسف ومحمد من أئمتنا، وابن القاسم من المالكية إلى استحبابه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٣٤)]

* * *

قال في «الكشاف» في تفسير سورة العنكبوت في الحث على المهاجرة إذا احتيج إليها ما نصه:

ولعمري إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير، ولقد جربنا وجرب أولونا فلم

نجد فيما درنا وداروا أعون على قهر النفس، وعصيان الشهوة، وأجمع للقلب المتلف، وأضم لِلْهَمِّ المنتشر، وأحث على القناعة، وأطرد للشيطان، وأبعد من كثير من الفتن، وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم اللَّه وجوار بيت اللَّه. فللَّه الحمد على ما سهل من ذلك، وقرب، ورزق من الصبر، وأوزع من الشكر.

[«الكشاف» للزمخشري (٣/ ٤٦١)]

❊ ❊ ❊

قال القاضي في جامعه بعد الكلام على المجاورة:

هذا الكلام في المجاورة فقط من غير سكنى، وأما السكن والانقطاع فبالمدينة أفضل.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٤٢)]

شعراً:

ستور بيتك نيل الأمن منك وقد ... علقتها مستجيراً أيها الباري
وما أظنك لما أن علقت بها ... خوفاً من النار تدنيني من النار
وها أنا جار بيت أنت قلت لنا ... حجوا إليه وقد أوصيت بالجار

[«مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي ص ٤٨]

❊ ❊ ❊

المحصب

المحصب يستحب فيه للحاج بعد انصرافه من منى، وهو مسيل بين مكة ومنى، وهو أقرب إلى مكة بكثير، وحده من جهة مكة الحجون.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ١٦٠)]

❊ ❊ ❊

أما حده من جهة منى: فجبل العيرة، وهو بقرب السيل الذي يقال له: سيل

الست بطريق منى، على ما ذكر الأزرقي في تعريفه.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٨٠)]

* * *

محطة

المساقى أو المحطات لا تبعد الواحدة منها عن الأخرى مسافة تزيد على مسير إحدى عشرة ساعة أو اثنتي عشرة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

ينبع بلدة صغير على بعد يومين من المغيرة تميزت بقلة سكانها وبها محطة مهمة لنزول الحجاج بها، ويوجد بالغرب منها أرض واسعة عبارة عن سبخة لا نبات فيها فاستخدم هذا الموضع لنزول الركب، واشتهرت ينبع بسوقها الكبير، وبه يتم بيع التمر الذي اشتهرت به المنطقة للركب، وبه يتم تزويد الركب بكل ما ينقصه لاستكمال مسيرتهم إلى مكة المكرمة، كما اشتهرت بعذوبة وطيبة مائها.

[«الرحلة المغربية» للعبدري ص١٦٣]

* * *

محمل

المحمل: إطار مربع من الخشب هرمي القمة، له ستر من الديباج الأحمر، وعليه زخارف وكتابة مطرزة، تطريزاً فاخراً بالذهب على أرضية من الحرير الأخضر أو الأحمر، وله قماقم أربعة من الفضة المطلية بالذهب، وينتهي هذا الكساء بشراريب تعلوها كرات فضية يتفرع منها سلوك دقيقة، وللمحمل مصلحة حكومية لإعداد كل هذه المواد الخام وصنعها بالقاهرة يشرف عليها

موظف كبير، والناس يتبركون عادة بالمحمل ويتمسحون بالكسوة، ويقبلون شراريبها ومن استطاع ذلك كان له الفخر حتى كأنه قبل يد النبي ﷺ.

[«قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» ص ٣٥١ لأحمد أمين]

* * *

والمحمل لا يحوي شيئاً إلا مصحفين صغيرين داخل صندوقين من الفضة المذهبة معلقين في القمة، ويحمل المحمل على جمل ضخم، يتمتع أيضاً بما يتمتع المحمل من تبرك له وإعفائه من العمل بقية السنة ويسمى جمل المحامل.

[«قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» ص ٣٥١ لأحمد أمين]

* * *

المحمل شبه هرم كانوا يغطونه بالديباج الأخضر أي المخمل (وهو القطيفة) منقوشاً عليه آيات من القرآن، وأضاف أهل الشام يعظمون المحمل ولا يذكرونه مرة إلا قالوا: المحمل الشريف.

[«ذكريات علي الطنطاوي» (٧/ ٣٠٧)]

* * *

اختصر القلقشندي تعريف المحمل فقال فيه: آلة كالمحفة إلا أنها تحمل على ظهر الجمل.

[«صُبح الأعشى» للقلقشندي (٢/ ١٣٠)]

* * *

كان الموكب الذي يحمل الكسوة يسمى المحمل، وكان المحمل المصري يُودع باحتفال رسمي، فإذا وصل المحملان استقبلا في جدة ومكة استقبالًا رسمياً، وكان إذا وصل ركب أحدهما مكة أناخ بجوار باب النبي ﷺ في حفل عام تعزف فيه موسيقى مكة والمحمل، ثم ينقل على أكتاف الرجال من باب النبي ﷺ إلى المسجد حيث يستقر كل محمل مكانه المخصص بين باب

النبي ﷺ وباب قايتباي، ويبقيان كذلك إلى يوم السفر، فيخرج كل منهما في يومه المحدد ليحتفلوا بتوديعه بعد أن يطوف الجمل بع عدة طوفات في الشارع أمام باب علي.

[«تاريخ مكة» للسباعي (٢/ ٥٤٩)]

* * *

نقل صاحب مرآة الحرمين عن السيوطي: إن أول من أحدث المحامل في طريق مكة شرفها اللّه تعالى الحجاج بن يوسف الثقفي.

[«مجلة تراث» العدد٢٨/ ٢٠٠١ ص٢٢]

* * *

ذهب بعض المؤرخين إلى أن المحمل يبتدئ تاريخه من سنة (٦٤٥هـ)، وقالوا إنه هو الهودج الذي ركبت فيه شجرت الدر ملكة مصر أثناء حجها في هذه السنة.

[«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني ص١٩٢]

* * *

دخلت على الوليد بن عبد الملك في بعض حاجاته عائشة بنت طلحة بن عبد اللّه التيمي وهو بمكة فقالت: يا أمير المؤمنين مر لي بأعوان يكونون معي، فضم إليها جماعة يكونون معها، فحجت ومعها ستون بغلًا وعليها الهوادج والرحال، وحجت سكينة بنت الحسين، فكانت عائشة أحسن منها آلة وثقلًا، فقال حادي عائشة:

عائش يا ذا البغال الستين ... لا زلت ما عشت كذا

فشق على سكينة فنزل حاديها فقال:

عائش هذه ضرة تشكوك ... لولا أبوها ما اهتدى أبوك

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٤٢)]

* * *

كان يتحرك في كل عام أربع قوافل للحج من كافة أنحاء الدولة العثمانية من أربع

جهات: دمشق، ومصر، وبغداد، واليمن، وفي مواعيد محددة وفق نظام رتيب وبرفقة قوة عسكرية يقودها أحد كبار العسكريين ويسمى (سردار الحج)، وكل قافلة يرأسها شخصية كبيرة تسمى (أمير الحج)، وتتمثل هذه القوافل بقافلة الحاج الشامي وتضم: حجاج بلاد الشام، والجزيرة العربية، وكردستان، وأذربيجان، والقوقاز، والقرم، والأناضول، والبلقان، وحجاج استانبول العاصمة. وقافلة الحاج المصري وتضم: حجاج مصر، وشمال أفريقيا (المغرب العربي). وقافلة الحاج العراقي وتضم: حجاج العراق، وبلاد فارس. وأخيراً قافلة الحاج اليمني وتضم: حجاج اليمن، والهند، وماليزيا، وأندنوسيا وغيرها.

[«الملامح الجغرافية لدروب الحجيج» لسيد عبد المجيد بكر ص١١]

❊ ❊ ❊

كانت القافلة السورية هي الأقوى دوماً، منذ زمن الخلافة، يوم أن كان الخلفاء شخصياً يرافقون الحجاج من بغداد إلى مكة. تبدأ القافلة السورية من القسطنطينية وينضم إليها حجاج شمالي آسيا أثناء مرورها عبر الأناضول وسوريا إلى أن تصل إلى دمشق، التي تمضي فيها أسابيع عدة، وعلى امتداد الطريق من القسطنطينية إلى دمشق، يعمل الجميع على راحة القافلة، وسلامتها، وترافقها قوات الحكام من بلد إلى آخر.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٨) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

ما زال المحمل الشامي يرد إلى مكة والمدينة صحبة أميره والحجاج، والجنود الشاهانية، والموسيقى السلطانية، والذخيرة الكافية إلى أن قامت الحرب الكبرى في سنة (١٣٣٢هـ) الموافق (١٩١٤م)، فإن الأتراك شغلوا عن إرساله منذ دخلوا في الحرب بجانب دول الاتفاق.

[«مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا (٢/ ٣٠٥)]

❊ ❊ ❊

المحمل السوري ينطلق من دمشق حيث يتجمع قبيل انطلاقه عدد كبير من الحجاج سواء من سوريا ذاتها أم من الأناضول وبلاد فارس المجاورتين، وتخصص لحماية القافلة فصيلة خاصة تألفت في سنة (١٨٩٨م) من (٥٥٠) من الخيالة بينهم (١٥٠) شخصاً على الهجائن و(٢٠٠) من الضبطية الخيالة بصحبة مدفعين جبليين، وبرئاسة باشا خاص يعهد إليه بأن ينقل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة مبالغ مالية لكل نفقة الولاية السنوية، وعادة يقطع المحمل السوري الطريق إلى المدينة المنورة في غضون (٢٧-٣٠) يوماً، ومن المدينة إلى مكة في غضون (١٢) يوماً، وبعد انتهاء المراسم يعود في الحال إلى دمشق بالطريق ذاته.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٦٠]

من المناظر المألوفة قبيل تحرك قافلة الحج الشامي تنصيب راية الحج وتعرف باسم السنجق كانت توضع في مكان بارز يؤمه المؤمنون، وخصص تحت قبة النسر في المسجد الأموي الكبير بدمشق إشعاراً ولخروج القافلة، ثم تحمل على ظهر جمل إلى دار الحكومة، وهناك ينظم موكبا الخروج والوداع الرسمي، ويتقدم الموكب المحمل الشريف المشغول من نفائس القماش المخملي الموشى بخيوط ذهبية في دار الطراز السلطانية باسطنبول محمولا على ظهر جمل يقوده أمير الحج.

[«مجلة تراث» العدد ٢٨/ ٢٠٠١ ص٢٧]

* * *

رواية شاهد عيان مسيحي عن عودة قافلة دمشق عام (٨٣٢هـ - ١٤٣٢م)، ويقول فيها: تتكون تلك القافلة من ٣٠٠٠ جمل كان قد استقبلها الحاكم والأعيان على مشارف مدينة دمشق، وكانت تحمل نسخة من القرآن الذي: غلف بغلاف من الحرير عليه نقش بالرسوم المغربية.

وزين الجمل الذي كان يحمله بالحرير أيضاً.

ويتقدم الجمل أربعة موسيقيين، وعدد كبير من حملة الطبول والآلات الموسيقية يحدثون صخباً عالياً، وكان يسير أمام الجمع وحوله نحو ثلاثين رجلًا يحمل بعضهم العصي، وبعضهم يحمل السيوف، في حين يحمل آخرون البنادق يطلقون منها الأعيرة النارية بين الفينة والأخرى.

ويأتي وراء هذا الجمل ثمانية رجال من كبار السن يمتطون ظهور أسرع الإبل، توافقهم خيول ذوات سُرُج مزدانة بنقوش مدهشة على عادة أهل البلد. وتليهم سيدة تركية من أقرباء السلطان في محفة (تختروان) يحملها جملان مزينان بزينة غالية.

وقد كان كثير من هذه الجمال مغطى بالقماش الموشى بالذهب.

وتتكون القافلة من المغاربة والأتراك والبربر والتتار والفرس والطوائف من أتباع النبي محمد.

[«Sir John Mandeville, al, London, 1848, p,301»]

❋ ❋ ❋

تعتبر مراسم الاحتفال بقافلة الحاج الشامي من أطول المراسم الدينية والمدنية وأكثرها روعة لما نالته من اهتمام من الدولة العثمانية والولاة، لاعتقادها بأن ذلك قد يرسخ احترامها في نفوس السكان.

[«سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي (٢/ ١٦١)]

❋ ❋ ❋

موكب الزيت والشموع: وكان يقام عادة في السابع من شوال من كل عام وهو خاص بموكب الزيت والشموع التي سترسل من دمشق إلى الحرم النبوي الشريف مع القافلة حيث يؤتى بالزيت من قرية (كفر سوسية) تحمله جمال مزينة ويسير في مقدمتها بيرق أخضر بشراشيب حمراء يكتب عليها بعض العبارات الدينية، وينطلق الموكب من قرية كفر سوسية إلى دمشق حيث يوضع الزيت إلى جانب

أدوات الحج الأخرى، بالإضافة إلى شموع بمقاييس مختلفة يحملها مجموعة من الرجال وأهرى يحملون المباخر المصنوعة من الفضة أو مطلية بالذهب.

[«مجتمع مدينة دمشق» ليوسف نعيسة ص٦٦٧]

* * *

موكب المحمل والصنجق: المحمل: هيكل مغطى بقماش مخملي أخضر كتب عليه بالقصب آيات من القرآن الكريم يحمله جمل مزين بأقمشة مزركشة وجلود جميلة يرافق أمير الحج من دمشق إلى الأماكن المقدسة في الحجاز، وهو يمثل شعاراً وبيرقاً للسلطان العثماني، ورمزا لسيادته على الحرمين الشريفين.

والصنجق: علم النبي ﷺ كان يحمل على جمل موظف خاص يلبس هنداماً مزركشاً، وكانوا يحترمون الجملين ويتمسحون بهما تبركاً، إذ كان يحمله خلف جمل المحمل جمل آخر ويحفظونه في دمشق ويرفعونه أمام قافلة الحج، ويخرج موكبهما من دمشق إلى الحج في السادس عشر من شوال.

[«مجتمع مدينة دمشق» ليوسف نعيسة ص٦٦٧]

* * *

من تنظيمات الحج قديماً وضع شفرات، وكلمات يتنادى بها أفراد الحملة أو الخبرة، وتقال عادة في: النزول، والارتحال، والبحث عن الضائع، أو المتأخرين، وهذا ما يسمونه بالتنويه أو النبهة، أو المنادى إذا ساروا مسافة محددة، أو حلوا أو ارتحلوا، أو قفلوا من الحج: ينوهون بالحاج، بكلمة تعارفوا عليها، ويرددها أفراد الحملة كي يعرفوا المفقود منهم، وتلحّن هذه الكلمة بطريقة الحداء بحيث تعطي بعض الحروف عدة حركات، ويتناوب على التصويت اثنان، ويبدأ التنبيه عند اجتماع الحملة، كما تقال في موسم الحج في منى، وعرفات، وعرف لأهل الحريق ونعام والمفيجر كلمة: يا مرحوم، ولأهل حوطة بني تميم: يا حمّاد، ولأهل الحلة: ياهل العليمي،

ولأهل الحلوة ياهل المرتمي، ولأهل الخرج يا عثمان، ولأهل الأفلاج ياثابان (شعيب معروف في الأفراج، وكذلك العليمي والمرتمي شعيبان والبقية أعلام شخصية)، كما ينصب «بيرق» لمتقدمي ركب الحجيج علامة للبعيد، ولمن لا يسمع النداء، بصورة متعارف عليها، فكان لأهل هذا الطريق البيرق الأخضر، أو قماش أبيض حوافه حمر.

[«طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» ص٤٠ لعبداللّه سعد الدريس]

❊ ❊ ❊

المحمل المصري يرجع تاريخه أي تاريخ إرساله للحجاز إلى عهد شجرة الدر سنة (٦٤٨هـ)، وأنه كان هودجاً لها حين حجت، وقد زيّنته بخمائل الحرير والتطريز البديع من فوقه الأحجار الكريمة، وكانت تحمل معها هدايا للكعبة والحجرة الشريفة، ثم تتابع إرساله وإرسال تلك الهدايا إلى يومنا هذا.

[«مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا (٢/٣٠٦)]

❊ ❊ ❊

تعتبر البداية الفعلية لانتظام قافلة الحاج المصري على الدرب البري في سنة (٦٧٧هـ -١٢٦٨م) في العهد المملوكي.

[«الرحلة المغربية» للعبدري ص١٥٧]

❊ ❊ ❊

ذهب بعض المؤرخين إلى أن المحمل يبتدئ تاريخه من سنة (٦٤٥هـ)، وقالوا إنه هو الهودج الذي ركبت فيه شجرة الدر ملكة مصر في حجها في هذه السنة، وصار بعدها يسير سنوياً أمام قافلة الحاج وليس فيه من أحد لأن مكان الملوك لا يجلس فيه غيرهم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٠ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

يحتفل به - المحمل - في بعض شوارع القاهرة، ثم يحتفل به في ميدان القلعة، ويحضر هذا الاحتفال من ينوب عن الملك والحكومة وأمير الحج وبعثته وبعض العلماء والكبراء، وقد اعتادوا في هذا الاحتفال أن يقبل الأمير مِقود الجمل.

[«قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» ص٣٥١ لأحمد أمين]

* * *

ويعمل للمحمل يوم خروجه من مصر احتفال كبير من أيام الدولة الأيوبية، وهذا الاحتفال الآن له يوم مشهود بالقاهرة تمشي فيه الجنود الراكبة والبيادة وحرس المحمل وركبه وخدمته من ضوية وعكامة يتقدمهم أمير الحج الذي يعينه الجناب العالي الخديو سنوياً، وهو من الباشوات العسكريين في الغالب، وبعد أن يدور المحمل دورته المعتادة في ميدان القلعة يمر على المصطبة، وهي المكان المعد لجلوس الجناب العالي الخديوي يوم هذا الاحتفال ومعه رجال حكومته السنية من الوزراء الفخام والعلماء الاعلام وكبار ذوات العاصمة، وهنالك يأتي حضرة مأمور الكسوة الشريفة وبيده زمام جمل المحمل فيستلمه الجناب العالي منه ويسلمه إلى أمير الحاج، وعندها تضرب المدافع ويسير الموكب تتقدمه أشاير السادة الصوفية ثم الجنود ثم جمل المحمل يتقدمه أمير الحج ويتلوه المحاملى والجمالة ثم الفرايحية (الطبالون) على جمالهم، ويستمر هذا الموكب سائراً الى المحجر فالدرب الاحمر ويمر من بوابة المؤيد فالغورية فالنحاسين فباب النصر فالعباسية، وهنالك يتفرق الموكب وينزل ركب المحمل الى خيامهم التي ضربت لهم في فضاء العباسية، وينصب المحمل في وسط ساحتها ليزوره من يريد التبرك به حتى إذا كان يوم السفر الى السويس نقلوه مع أدواتهم وذخائرهم إلى وابور المحمل الذي يكون مهيأً في محطة العباسية، وبعد الشحنة يسير إلى السويس ومنها يبحر إلى جدة، ثم يقصد مكة براً.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤١ لمحمد البتنوني]

* * *

تضم القوافل السنوية المتحركة من حلب والقاهرة إلى مكة غالباً نحو ثلاثين إلى أربعين ألف شخص، وتسير تحت حراسة عسكرية بقيادة قائد يعينه السلطان، ويطلق عليه اسم (أمير الحج).

وتتبع هذه القافلة نظاماً دقيقاً جداً في حركتها بإشراف القائد الذي تنضوي تحته الرتب الكثيرة وحراس من الانكشارية مع مدفعية الميدان، وتشكل جميع هذه المنظومة قوة حماية.

وتتسم حركة القافلة بالدقة والانتظام، فهي تتحرك وتتوقف بتوقيت منتظم، وتعلن الأوامر بإطلاق الإشارة، وعندما ينزلون في المساء تنصب الخيام والمطابخ والمطاعم والمقاهي في الحال، ويتشكل مخيم كبير، وبالسرعة نفسها يُطوى كل شيء، ويحمل على الإبل في الصباح، في انتظار الطلقات النارية التي تؤذن بتحرك القافلة. وتقطع القافلة المصرية المسافة إلى مكة في أربعين يوماً، حيث تقيم بها نحو شهر لأداء مناسك الحج، ذلك الملتقى الذي تُقضى فيه المقاصد التجارية والدينية على السواء. وتعود القافلة بنظامها نفسه، وتتوقف في المدينة المنورة في طريق عودتها؛ وذلك لزيارة المسجد النبوي، ولتقديم العطايا والصدقات، وفي المدينة يوجد قبره ﷺ، في حين أن مكة المكرمة هي مسقط رأسه.

[«Rooke, op. cit.,p76»]

❊ ❊ ❊

وللمحمل المصري كسوتان: كسوته اليومية وهي من القماش الأخضر، وكسوته المزركشة ولا يلبسها إلا في المواكب الرسمية.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٢ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وفي أيام وجود المحمل بمكة يوضع فيما بين باب النبي وباب السلام بكسوته

اليومية، فيكون هناك مزاراً للناس على إختلاف أجناسهم، ولا ينقلونه من هذا المكان الا في مواكبه الرسمية.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٢ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وعند السفر به (المحمل) إلى المدينة المنورة يسير اليها ركبه أما بالبر من الطريق السلطاني أو الفرعي أو الشرقي، وإما من طريق البحر من جدة إلى ينبع ومنها براً إلى المدينة أو إلى الوجه، ومنه إلى محطة العلا، ثم يتوجه في السكة الحديدية إلى المدينة، والمحمل الآن يسير في هذا الطريق الأخير لتعنت أعراب الطريق البري من مكة وينبع وتشددهم في طلباتهم وزيادة مرتباتهم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٢ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وعند وصول المحمل إلى المدينة المنورة يدخلها باحتفال كبير من باب العنبرية، وهنالك يطلق له واحد وعشرون مدفعاً، حتى إذا وصل إلى الباب المصري ترجل كل من في موكبه اجلالا لمقام الرسول صلوات اللّه عليه، فإذا وصلوا إلى باب السلام أتي شيخ الحرم واستلم زمام الجمل وأصعده على سلم الباب وأناخه على تلك الصدفة الواسعة، وهنالك يرفع المحمل ويوضع في مكانه من الحرم غربي المنبر الشريف وترفع كسوته المزركشة ويلبسونه الكسوة الخضراء، ويلبس أمير الحج ومن معه من المستخدمين لباس الخدمة في الحجرة الشريفة (وهو عمامة وفرجية بيضاء مشدود عليها حزام أبيض)، ثم يحملون كسوة المحمل بكل احترام ويدخلونها في الحجرة الشريفة من الباب الشامي ويتركونها في جانب من ساحة مقام السيدة فاطمة رضي الله عنها.

ولا تزال بالحجرة الشريفة حتى يخرجوها يوم سفر المحمل من المدينة

المنورة، ويوكبون بها في وم خروجه من المدينة كما كان الحال في يوم دخوله.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٢ لمحمد البتنوني]

* * *

وعند عودة المحمل الى مصر يحتفل بقدومه رسمياً احتفال كبير يحضره الجناب العالي الخديوي أو من ينيبه عنه، فيسير الموكب من العباسية إلى القلعة من الطريق التي كان خرج منها، حتى اذا وصل الى مكان الجناب العالي الخديوي في المصطبة استلم سموه زمام الجمل من أمير الحج وسلمه إلى حضرة مأمور تشغيل الكسوة، وعندها تطلق المدافع ويتم الاحتفال.

وتحفظ كسوة المحمل بمخزن في المالية، وهذه الكسوة تجدد كل عشرين سنة مرة وتبلغ تكلفتها نحو ألف وخمسمائة جنيه مصري.

أما كسوته الخضراء فيكسى بها سنوياً بعد عودته ضريح سيدي يونس السعدي (بحيانة باب النصر) وأظن أنه كانت له مدة حياته خدمة في سفرية المحمل.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٢ لمحمد البتنوني]

* * *

في العصر العثماني تجمعت قافلة الحج المصرية في ركب واحد وأصبح أميراً واحداً عليها، ومسئوليته أن يحافظ على المحمل، وقد كان يحتفل به احتفالاً كبيراً في شهر رجب، ويسمى بدوران المحمل الأول، وهو بمثابة إعلان عن الحج لمن يريد، ويقام لذلك احتفال في النصف الثاني من شهر شوال، ثم لعد ذلك وفي نفس الشهر يقام احتفال أكبر وأضخم ويسمى دوران المحمل الثاني فيكون يوماً مشهوداً في حياة المصريين جميعاً حيث تزين الحوانيت والمنازل، وتوضع كسوة المحمل عليه من الحرير النفيس المطرز بالذهب والقصب على جمل مزين بزينة طيبة، ويبدأ الموكب من باب النصر وأمامه القضاة والمحتسب وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من الرماحة وفي أيديهم الرماح، ويظل

الموكب يتهادى حتى يصل إلى القلعة، فيستعرض الباشا الكسوة ثم ينصرف المحمل إلى الفسطاط، وكان للمحمل كسوتان، كسوته المعتادة وهي البفتة الخضراء وكسوته المزركشة، ولا يلبسها إلا في المواكب الرسمية.

ويحمل المحمل ومعداته في العصر العثماني مجموعة من الجمال تزيد على العشرين، ويذهب به أمير الحج إلى الحجاز.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني» لمحمد علي بيومي ص ٢٨٢]

المحمل المصري ينطلق من القاهرة قبل أن يحتل الإنجليز القطر المصري، كان المحمل ينطلق في طريق البر عبر السويس والعقبة والوجه وينبع ورابغ إلى مكة ويعود بالطريق ذاته معرجاً على المدينة المنورة، أما الآن فينقلون المحمل المصري من السويس إلى جدة بالباخرة ويعيدونه عبر المدينة المنورة إلى الوجه حيث تنتظره باخرة خاصة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٦١]

❊ ❊ ❊

وفي سنة (١٨٩٨م) وصل المحمل المصري إلى جدة ودون أية حماية لأن الإنجليز، كما شاع لم يوافقوا على إعطاء العساكر، ولذا خفرته فصيلة تركية في ربوع الحجاز.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٦١]

❊ ❊ ❊

يحتفل بالمحمل في مصر مرتين في العام: مرة عند طلوع الناس إلى الحج، ومرة عند عودتهم منه وهو يثير في الجماهير عواطف قوية شديدة نحو الحج، وفي الاحتفال تضرب المدافع، وتغنى أغاني الحجاج.

[«مجلة تراث» العدد ٢٨/ ٢٠٠١ ص٢٤]

❊ ❊ ❊

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): تتوافر لدينا تفصيلات تقرير عن قافلة قدمت للحج من القاهرة عام (١٥٦٥م - ٩٧٢هـ).

غادرت القافلة القاهرة في التاسع من مايو عام (١٥٦٥م) (٩ رجب سنة ٩٧٢هـ)، ووصلت إلى العقبة في الخامس من يونيو، وإلى ينبع - ميناء المدينة - في الثاني والعشرين منه، واستقرت بمكة المكرمة في الثالث من يوليو (٤ذي الحجة)، ثم غادرت القافلة مكة بعد إتمام الحج في الثالث والعشرين من يوليو لتقضي الأيام الأربعة اللأولى من أغسطس في المدينة المنورة قبل أن تغادرها عائدة إلى مصر.

لقد كان هذا التوقيت دقيقاً، فقد جاءت مدة إقامة القافلة في مكة في هذه السنة (٣-٢٣يوليو) موافقة في التقويم الإسلامي لذي الحجة ٤-٢٤/ سنة ٩٧٢هـ.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص٨٩ لمعراج نواب مرزا]

* * *

بيان ما يصرف من المالية سنوياً في تسفير المحمل والمرتبات الجارى صرفها في مكة والمدينة المنورة حسب الوارد في الميزانية الاخيرة.

- ٠١٢٨٢ مرتبات وتعيينات لأمير الحج ومستخدمي المحمل.
- ٠٢٥١١ مرتبات العربان.
- ٠١٤٩٣ مرتبات الاشراف بمكة والمدينة المنورة.
- ٠١٦٥٧ مرتبات تكية المدينة المنورة.
- ٠٢٨٧٩ أهالي مكة والمدينة.
- ٠٣٠٠٠ مرتبات لمكة والمدينة تصرف سنوياً من أوقاف الحرمين والاوقاف الخصوصية والاهلية والخيرية ومن الخاصة الخديوية والمالية.

* ٢٢٥٠٠ ثمن ومصاريف قمح الصدقة بمكة والمدينة.

* ٠١٦٢٩ ثمن شمع وقناديل للحرمين.

* ٠٠١٥٥ ثمن خيام وقرب وخلافها.

* ٠٤٢٤٨ أجرة منقولات براً وبحراً وأجر جمال.

* ٠٦٤٢٠ قيمة ما يرسل كل سنة الى الحرمين الشريفين من الزيوت والحصر وخلافها من ديوان الأوقاف.

* ٠٠٢٦٥ مصاريف نثرية.

- المجموع الكلي: ٥٠٠٠٠ جنيهاً مصرياً.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٤٢ لمحمد البتنوني]

* * *

حجاج البربر يأتون حالياً عن طريق البحر من الإسكندرية، ثم يبحرون بعد ذلك من السويس بواقع خمسين حاجتً أو مائة حاج في المرة الواحدة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٤)]

* * *

ألفي حاج هو أعلى رقم يمكن أن يصل إليه عدد حجاج البربر، كانت القوافل الأخيرة تضم ما بين ستة آلاف وثمانية آلاف رجل.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٥)]

* * *

الحجاج البربر يرتدون ملابس بسيطة تنم عن الفقر فإنهم يحملون معهم من المال ما يكفي احتياجاتهم، وقلة قليلة من هؤلاء البربر هم الذين يمارسون الشحاذة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٤)]

* * *

مرت آخر قافلة مغربية عبر الأراضي المصرية في عام (١٨١١م)، وسمح لهم الوهابيون بزيارة مكة بعد أن تأكدوا أنهم أقلعوا عن الممارسات المشينة التي كانوا يسمون بها كلًا من المصريين والسوريين، ولكن القافلة ألمت بها مصائب كثيرة في طريق عودتها من جانب أعدائها من ناحية، وافتقارها من ناحية ثانية إلى المرشدين والتموينات، الأمر الذي أسفر عن وفاة الكثيرين من أفراد هذه القافلة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» لجون لويس بور كهارت (٢/ ١٤)]

❋ ❋ ❋

في سنة (٩٦٣هـ) رتب والي اليمن الوزير مصطفى باشا محملًا بعد أن استأذن مقام الخلافة باسم صنعاء اليمن ليرسله إلى مكة المعظمة، ولما صدر الأمر السلطاني أرسل المحمل الذي رتبه إلى مكة المكرمة. ولما وصل المحمل المذكور إلى مكة المكرمة استقبله الشريف حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (بركة ماجن)، ألبس أميره الخلعة وأدخل المحمل الشريف، وأنزل في ميدان المعالي. وبعد ذلك أرسل المحمل كل سنة إلى سنة (١٠٤٩هـ)، ولكن بناء على الفتنة التي حدثت خلال تلك السنة انقطع ولم يرسل بعد.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٨٢) لأيوب صبري باشا]

❋ ❋ ❋

جرت العادة أن تصل إلى مكة قافلتان يمنيتان، كانتا تأتيان عن طريق البر في الأزمان السابقة. كان الناس يطلقون على القافلة الأولى من هاتين القافلتين اسم: الحج القبصي، الذي كان يبدأ من مدينة صعدة في اليمن، ويشق طريقه عبر الجبال إلى الطائف، ومنها إلى مكة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٥) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

القافلة اليمنية الثانية، التي شكلها المواطنون اليمنيون، والمواطنون الفارسيون، وكذلك المواطنون الهنود الذين كانوا يصلون إلى موانئ اليمن، كانت تسير محاذية للساحل، وقد توقفت تلك القافلة في حوالي عام (١٨٠٣م)، ولم يجر تشكيلها بعد ذلك.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٥) لجون لويس بوركهارت]

* * *

في بداية القرن الهجري الرابع عشر حدث تغيير في جزء من درب الحاج العراقي (درب زبيدة) حيث تحول الطريق إلى حائل، وذلك لأخذ المكوس من الحجاج في عهد آل رشيد، وبالتالي جاءت خلاصة المنازل الرئيسية لدرب الحاج بين الكوفة ومكة كما يلي: القادسية، العيذب، مغيثة، القرعاء، واقصة، العقبة (بركة العقبة)، القاع، زبالة، الشقوق، البطان، الثعلبية، الخزيمية، الأجفر، فيْد، سمير، الحاجر، النقرة، المغيثة، الربذة، السلسلة، عمق، معدن بن سليم، الأفيعية، المسلح، غمرة، ذات عرق، بستان بن معمر، مكة المكرمة.

[«الملامح الجغرافية لدروب الحجيج» لسيد عبد المجيد بكر ص٢٦]

* * *

كان المحمل العراقي أجل المحامل في وقته، لأن الخلافة الإسلامية كانت في مدينة بغداد عاصمة العراق، وكان معول أقاليم الإسلام على ما يصدر منها ويرد إليها، والولايات والأمور الدينية والدنيوية إنما تنشأ منها ويخبر بها عنها.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٢٦)]

* * *

لما تقلص ظل الخلافة عن العراق وآل أمر الملوك والمتغلبين من الأمراء والأعيان ضعف شأن المحمل العراقي، فكان يستهتر بركبه العربان، وكثيراً ما اعتدوا عليه، ففي سنة (٦٣١هـ) رجع الحج العراقي إذ طم عرب الأجاودة

الآبار، واختلف الحجاج مع العربان حتى ضاق الوقت، فرجعوا من حيث أتوا.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٢٦)]

* * *

في سني (٦٣٣هـ) و(٦٣٤هـ) و(٦٣٥هـ) و(٦٣٦هـ) و(٦٣٩هـ) لم يحج العراقيون لدخول التتر بغداد، ثم صار المحمل العراقي يجيء مرة وينقطع أخرى إلى القرن التاسع الهجري.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٢٧)]

* * *

تشير المصادر التاريخية أن هناك عدة محامل للحجاج كانت تأتي إلى أرض الحجاز هي: العراقي والمصري والشامي واليمني. وكان المحمل العراقي يعد من أجل المحامل في وقته لأن الخلافة الإسلامية كانت في مدينة بغداد.

[«مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا (٢/ ٣٠٤)]

* * *

كانت قافلة الحج السوداني تبدأ عادة سيرها من منطقة بركة بالقاهرة مناطق تجمع الحجاج من أفريقية، وهذه المنطقة يوجد بها العديد من المنشآت والآبار وأحواض المياه والأسلبة لتقديم الخدمات المتنوعة لوفود الحجيج الذين يجتمعون فيها من مختلف الأنحاء.

[«مجلة تراث» العدد ٧٥/ ٢٠٠٥ ص١٤]

* * *

وقد بلغ من إكبار ملوك دولة المماليك للمحمل أنهم أمروا جميع حكام البلاد التي يمر عليها في طريقه بأن يقبلوا خف الجمل عند استقباله، واستمر أمراء مكة يقبلونه حتى أعفاهم من ذلك السلطان جقمق في سنة (٨٤٣هـ).

[«تاريخ الكعبة» للخربوطي ص١٨٠]

من عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج لملاقاته، فإذا وافاه ترجل عن فرسه، وأتى الجمل الحامل للمحمل، فقلب خف يده اليمنى، وقبّله خدمة لصاحب مصر.

[«صبح الأعشى» لأحمد بن علي القلقشندي (٤/ ٢٧٧)]

❋ ❋ ❋

قضاء المحمل: هذه الوظيفة عبارة عمن يكون حاكماً شرعياً ينصبه ولي الأمر ليتعاطى الأحكام الشرعية بين الحجيج ذهاباً وإياباً ضبطاً لوقائع المسلمين.

وكانت هذه الوظيفة يتولاها في الأيام الجركسية قاض من قضاة المذاهب الأربعة، يعينه قاضي قضاة ذلك المذهب إما بسؤال أمير الحاج له، أو بسعي قاضي المحمل وطلبه من غير رشوة للحاكم على تقرير هذا المنصب مطلقاً.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص١٦٧]

❋ ❋ ❋

أحد الحجاج الكويتيين سنة (١٩٢٥م) لا يحب الحركة وبدلًا من أن يواجه التعب الناتج عن ركوب الجمل لمدة شهر أو للجزء الأكبر منه، فلقد قرر أن يصنع له هودج على الجمل بحيث يتمكن صاحبنا أن يتمدد بسهولة، بعد فترة رفع أسطول السفن الصحراء مرساته وسار في الأفق حتى غاب عن الأنظار.

[«تاريخ الكويت السياسي» لحسين خزعل (٥/ ٤٤)]

❋ ❋ ❋

المدينة المنورة

فائدة:

للمدينة عشرة أسماء: المدينة، طيبة، طابة، جبار، مجبورة، يندد، يثرب، الدار، الإيمان، وجاء أن من أسمائها: المحبة والمحبوبة.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٤٢)]

ذكر سفرنا من المدينة على ساكنها الصلاة والسلام:

كان وداعنا للنبي ﷺ يوم الأحد الثامن والعشرين لذي الحجة، وقد أودعناه الأرواح ورحنا بالأشباح:

أودّعكم وأُودِعكم جناني ... وأنثر عبرتي نثر الجماني
وقلبي لا يريد لكم فراقاً ... ولكن هكذا حكم الزمان

[«ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» لمحمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المغربي]، [«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٥٤)]

* * *

قال الصنعاني يذكر رحلته إلى طيبة وزيارة المدينة:

ومن بعد ما طفنا طواف وداعنا ... رحلنا لمغنى المصطفى ومصلاه
ووالله لو أن الأسنة أشرعت ... وقامت حروب دونه ما تركناه
ولو أننا نسعى على الروس دونه ... ومن دونه جفن العيون فرشناه
وتملك منا بالوصول رقابنا ... ويسلب منا كل شيء ملكناه
لكان يسيرا في محبة أحمد ... وبالروح لو يشرى الوصال شريناه
ورب الورى لولا محمد لم نكن ... لطيبة نسعى والركاب شددناه
ولولاه ما اشتقنا العقيق ولا قبا ... ولولاه لم نهو المدينة لولاه
هو القصد إن غنت بنجد حداتنا ... وإلا فما نجد وسلع أردناه
وما مكة والخيف قل لي ولا منى ... وما عرفات قبل شرع أراناه
به شرفت تلك الأماكن كلها ... وربك قد خص الحبيب وأعطاه
لمسجده سرنا وشدت رحالنا ... وبين يديه شوقنا قد كشفناه
قطعنا إليه كل بر ومهمه ... ولا شاغل إلا وعنا قطعناه
كذا عزمات السائرين لطيبة ... رعى الله عزما للحبيب عزمناه
وكم جبل جزنا ورمل وحاجر ... ولله كم واد وشعب عبرناه

ترنحنا الأشواق نحو محمد ... فنسري ولا ندري بما قد سريناه
ولما بدا جزع العقيق رأيتنا ... نشاوى سكارى فارحين برؤياه
شممنا نسيما جاء عن نحو طيبة ... فأهلا وسهلا يا نسيما شممناه
فقد ملئت منا القلوب مسرة ... وأي سرور مثل ما قد سررناه
فواعجباه كيف قرت عيوننا ... وقد أيقنت أن الحبيب أتيناه
ولقياه منا بعد بعد تقاربت ... فواللَّه لا لقيا تعادل لقياه
وصلنا إليه واتصلنا بقربه ... فللَّه ما أحلى وصولا وصلناه
وقفنا وسلمنا عليه وإنه ... ليسمعنا من غير شك فديناه
ورد علينا بالسلام سلامنا ... وقد زادنا فوق الذي قد بدأناه
كذا كان خلق المصطفى وصفاته ... بذلك في الكتب الصحاح عرفناه
وثم دعونا للأحبة كلهم ... فكم من حبيب بالدعا قد خصصناه
وملنا لتسليم الإمامين عنده ... فإنهما حقا هناك ضجيعاه
وكم قد مشينا في مكان به مشى ... وكم مدخل للَّهاشمي دخلناه
وآثاره فيها العيون تمتعت ... وقمنا وصلينا بحيث مصلاه
وكم قد نشرنا شوقنا لحبيبنا ... وكم من غليل في القلوب شفيناه
ومسجده فيه سجدنا لربنا ... فللَّه ما أعلى سجودا سجدناه
بروضته قمنا فهاتيك جنة ... يا فوز من فيها يصلي وبشراه
ومنبره الميمون منه بقية ... وقفنا عليها والفؤاد كررناه
كذلك مثل الجذع حنت قلوبنا ... إليه كما ود الحبيب وددناه
وزرنا قبا حبا لأحمد إذ مشى ... عسى قدما يخطو مقاما تخطاه
لنبعث يوم البعث تحت لوائه ... إذ اللَّه من تلك الأماكن ناداه
وزرنا مزارات البقيع فليتنا ... هناك دفنا والممات رزقناه
وحمزة زرناه ومن كان حوله ... شهيدا وأحدا بالعيون شهدناه
ولما بلغنا من زيارة أحمد ... منانا حمدنا ربنا وشكرناه

ومن بعد هذا صاح بالبين صائح   وقال ارحلوا يا ليتنا ما أطعناه
سمعنا له صوتا بتشتيت شملنا   فيا ما أمر الصوت حين سمعناه
وقمنا نؤم المصطفى لوداعه   ولا دمع إلا للوداع صببناه
ولا صبر كيف الصبر عند فراقه   وهيهات إن الصبر عنه صرفناه
أيصبر ذو عقل لفرقة أحمد   فلا والذي من قاب قوسين أدناه
فوا حسرتاه من وداع محمد   وأواه من يوم التفرق أواه
سأبكي عليه قدر جهدي بناظر   من الشوق ما ترقى من الدمع غرباه
فيا وقت توديعي له ما أمره   ووقت اللقا واللَّه ما كان أحلاه
عسى اللَّه يدنيني لأحمد ثانيا   فيا حبذا قرب الحبيب ومدناه
فيا رب فارزقني لمغناه عودة   تضاعف لنا فيه الثواب وترضاه
رحلنا وخلفنا لديه قلوبنا   فكم جسد من غير قلب قلبناه
ولما تركنا ربعه من ورائنا   فلا ناظر إلا إليه رددناه
لنغنم منه نظرة بعد نظرة   فلما أغبناه الشرور أغبناه
فلا عيش يهنى مع فراق محمد   أأفقد محبوبي وعيشي أهناه
دعوني أمت شوقا إليه وحرقة   وخطوا على قبري بأني أهواه
فيا صاحبي هذي التي بي قد جرت   وهذا الذي في حجنا قد عملناه

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٣٨)]

❊ ❊ ❊

شعراً:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة   بسلع، ولم تغلق علي دروب
وهل أحد باد لنا، وكأنه   حصان أمام المقربات جنيب
يخب السراب الضحل بيني وبينه   فيبدو لعيني تارة ويغيب
فإن شفائي نظرة إن نظرتها   إلى أحد والحرتان قريب
وإني لأرعى النجم حتى كأنني   على كل نجم في السماء رقيب

وأشتاق للبرق اليماني إن بدا وأزداد شوقاً أن تهب جنوب

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٤٢)]

***

مراكب

المسافة بين مكة وجدة مسافة القصر (وهي مسافة: ستة عشر فرسخاً وهو ما يعادل ٨٥كم تقريباً)، ويكثر المسير بينهم على الحمير السيارة، فيصلها في نحو تسع ساعات، ولم أرى أسرع مضياً من حمير الحجارة (هي الحمير التي تحمل الحجاج وأمتعتهم مسافة قصيرة بين جدة ومكة المكرمة، وربما سميت بذلك، لأنها تسير في طريق حجري بين المدينتين أو أنها كانت للحجارين في هذه الأماكن) لكنها متعبة غاية التعب، فلذلك آثرت الركوب على الجمل لما فيه مشيه من الراحة والطمأنينة.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١٣٠ للحسن بن محمد الغسال]

***

الجمَّال: من يحمل الحجاج والتجار على الإبل من مكان إلى مكة المكرمة، ويقال للمجموعة المجاميل، ومن أشهر من عرف بها من المؤرخين الهَمْداني ٣٤٤ﻫ، ونص على ذلك بقوله: «وكنت أنظر إلى التجار إذا حملناهم إلى مكة من صعدة» وقال الشاعر جهز بن شرار:

أقفت من الحوطة مربّ الجمال قد عقّبت بلعوم والضلع عنها

[«تاريخ اليمامة» (٢/ ١٨٧) لعبدالله بن محمد خميس]

***

ورد من إحصاءات عن عدد الجمال في طريق حاج اليمامة في منتصف القرن الرابع عشر الهجري عند لوريمر وابن عيسى ما يلي: في الدلم ٦٠٠ جمل، والسلمية ٢٠٠ جمل، والعذار ٤٠ جملًا، واليمامة ٣٠٠ جمل بمجموع

١١٤٠ جملًا، بينما مجموع الجمال في حوطة تميم والحريق ١٣٠٠ جملًا؛ ففي حوطة تميم ٥٠٠ جمل، والحلوة ٣٠٠ جمل، والحريق ٥٠٠ جمل، ومما نتج عن ذلك عبر وسائل النقل والإكراء انتقال صادرات اليمامة إلى الحجاز، ومن أهمها: التمور والقمح وأجودها الحنطة، وهي المعروفة ببيضاء اليمامة، وقد عرضت في أسواق مكة والمدينة في عهد هارون الرشيد، وقصة الصحابي ثمامة بن أثال واضحة في ذلك.

[«الـ ١٠٠٠ سنة الغامضة من تاريخ نجد» ص٤٥٥ لعبدالرحمن السويداء.]

❊ ❊ ❊

وكان الحجاج يقيمون في عيذاب أو القصير نحو شهر من الزمان في انتظار الفلايك التي تحملهم الى جدة ويسمونها جلايا (واحدتها جلبة)، وهي سفن صغيرة غير محكمة الصنع وشراعها في الغالب من الحصير.

وكان أصحابها يتعسفون بالحجاج فيشحنونها بأكثر من حمولتها؛ وكثيراً ما كانت تفرق في وسط البحر بمن عليها من الحجيج الذين يذهبون ضحية مطامع أولئك الأشرار، ومن صول به طول عمره الى جدة وصلها في نحو أسبوعين يتقلب في أثنائها بين تحكم الملاح، وتبرم الرياح، وانزعاج الماء، واضطراب الهواء.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٩ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

الجمالة في الغالب نحيفو الجسم رفيعوا الساقين قصار القامة يكاد أن لا يكون في جسمهم عضل بالمرة، أما عظمهم فهو الحديد أو أشد صلابة، ولهم قدرة على العدو بحيث لا يلحقهم فيه أحد: ولقد رأيت رجلًا منهم يعدو وراء جمل شارد حتى تعلق بذيله فعاقه عن الجري ثم أمسك بزمامه.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٤-٢١٥ لمحمد البتنوني]

أما ملابسهم (الجمالة) فهي قميص عليه حزام من الجلد به عادة سكين طويلة أو سيف صغير، وفي يدهم عصا غليظة قصيرة يسمونها المطرقة وعلى رؤوسهم تلك الصمادة (الكوفية) التي يلفون عليها باشكال مختلفة. وبعض عرب الشروق واليمن يستعملون غير الطاقة شيئاً من الخوص يشبه البر نيطة الواسعة ان لم يكن هو هى ويسمونها الظلة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٥ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وبعض الجمالة يلبسون نعلا في رجله تقيها من حرارة الأرض وحصبائها، أما نظافة ملابسهم فلا يمكنني أن أقول لك عنها غير أنها إذا اتصلت بجسومهم لا يخلعونها مطلقاً حتى تتخلع هي عنها، وهذا لا يكون الا إذا أكل عليها الدهر وشرب. والمترفون منهم يغيرون ملابسهم كل سنة مرة في موسم الحج، وبعضهم يلبس عليها عباءة من الصوف أيام الشتاء تقيهم شدة البرد يسمونها مشْلجاً. ولون هذه الملابس كلون الجبال أو الرمال: فتراها صفراء قاتمة أو حمراء طوبية، وربما كان اختيارهم لهذه الألوان حتى لا تُرى بسهولة من بعد بل يشكل فيها الأمر على الرائي. وفي ذلك مالا يخفاك من الفكرة التي أسسها الخبث والغدر!! وربما أخذ من هذه تغطية الاستحكامات الجديدة في أوروبا بطبقة ترابية تشبه أرض المنطقة المحيطة بها. وبعض كبراء الحجيج يعطون جمالتهم عباءة من الجوخ الاحمر فيفرحون بها فرحاً عظيماً وتقع في نفوسهم موقعاً حسناً ويتباهون بها على أقرانهم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص ٢١٥ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

والجمالة بعد الابتعاد عن مكة يلحفون للحجاج في السؤال، ويغلظن لهم في الاقوال: فترى أصواتهم هنا وهناك قائلين لركابهم (جرجوش - هللّه - سكر -

جرش) فيجيبه هذا الحاج أنت أخذت، ويقول الآخر ما بقى شيئاً أو ما في معنى ذلك. وهناك يكثر بينهم الأخذ والرد الذي ينتهي بأخذ الجمالة ما يريدون. وكثيراً ما ترى في الطريق بعض أعراب من غير جمالة القافلة ومعهم جمال ضئيلة وهم ينادون (يارُ ويكِبْ يارُ ويكِبْ) ويكون ذلك غالباً في المحطات الاهلة بالسكان: وتصغيرهم للراكب في ندائهم لا يخلو من معنى ينطبق على حقيقة من يركب معهم من هؤلاء الذين لم تسمح لهم ذات يدهم بالاستعداد على ركائبهم قبل سفرهم، ولهذا فانهم يتساهلون في أجرتها كثيراً. وترى ذلك على الخصوص في طريق عرفة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢١٥ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

راكب القوافل لا ضمانة له بالمرة، وهو بين أيدي المقومين والمطوفين كالطيرة الضعيفة في يد الطفل إن شاء أطرمها وإن شاء أهال عليها المصائب والمتاعب من كل جهة، لانهم طبعاً في هذا الفضاء، أرباب الحكومة والقضاء.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٢٠ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): كان أعداد من الناس يسافرون من غرب الهند - خصوصاً من ميناء سورات المركزي - ولكننا نعلم أيضاً أن آخرين يتوجهون من مواني أخرى على الساحل الغربي تحت رعاية حكام (بيجابور) و(أحمد نقار) كما ان بعض السفن تبحر إلى البحر الأحمر من مواني الساحل الشرقي من (جولكوندا)، ومن البنغال أيضاً.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص١٠٤ لمعراج نواب مرزا]

❊ ❊ ❊

مروة

المروة: مكان مرتفع في أصل جبل قيقعان على بعد (٣٠٠) متراً من الركن الشامي، ويقع في الشمال الشرقي للمسجد الحرام قرب باب السلام، ويفصل الجبلين (٤٢٠) متراً تقريباً، وكان قبل التوسعة السعودية المسعى عام (١٣٧٥هـ) سوق عظيمة بين الصفا والمروة تباع فيها الحبوب التمور والسمن، مما جعل الساعين يجدون مشقة أثناء السعي لازدحام الناس على حوانيت الباعة وكان في المسعى التواء.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨١]

❊ ❊ ❊

قال الفاسي: والعقد الذي في المروة جدد بعد سقوطه سنة ثمانمائة وواحد، أو في أوائل التي بعدها.

وعمارته هذه من قبل الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، واسمه مكتوب في أعلى هذا العقد.

نقل عن المحب الطبري ما نصه: والمروة في وجهها عقد كبير مشرف، والظاهر أنه جعل علماً لحد المروة، وإلا لما كان وضعه عبثاً، وقد تواتر كونه حداً بنقل الخلف عن السلف، وتطابق الناسكون عليه، فينبغي للساعي أن يمر ويرقى على البناء المرتفع عن الأرض.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٤٠٠)]

❊ ❊ ❊

قال عرّام: ومن جبال مكة: المروة جبل مائل إلى الحمرة، وهي في جانب مكة الذي يلي قعيقعان.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ١١٦)]

المروة: واحد مرو وهي حجارة بيض، برّاقة صلاب، أو الصخرة القوية المتعرجة، وهو الأبيض الصلب، وهي جبل مكة شرفها اللَّه.

[«لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ٢٧٥)]

❊ ❊ ❊

المروة حجر عظيم يبدو وكأنه انقسم نصفين بينهما فرجة مقدارها اثنا عشر ذراعا، وبني فيها درجات.

[«مستفاد الرحلة» للتجيبي ص٢٢٧]

❊ ❊ ❊

وأما المروة: أيضاً فحجر عظيم إلى أصل جبل متصل بجبل قيقعان، كان قد انقسم على جزئين وبقيت بينهما فرجة تبين منها درج عليها إلى آخر الوقوف.

[«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» أحمد بن يحيى بن فضل العمري شهاب الدين (١/ ٧٨)]

❊ ❊ ❊

غريبة: في عشرين جمادى الأولى سنة (١١٣٧هـ) شنقوا في المسعى رجلًا يقال له: ولد المغربي، قتل والدته ودفنها بالبيت لأجل حطام الدنيا، فدل عليها نتن ريحها، فلا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم. قال القائل:

لي ولد لقد نشا ... وحبه ملأ الحشا
كنا نظن رشده ... فما نشا كما نشا

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٦١٢)]

❊ ❊ ❊

الشنق بفتح الأولى وسكون الثانية في عرف الناس اليوم هو الصلب بالفتح، لقد كان موضع الصلب منذ قرون في المسعى عند المروة في محل السبيل المصري للماء، وهذا السبيل كان يبعد عن المروة بنحو سبعين متراً، وقد هدم هذا السبيل في زماننا لتوسعة المسعى.

فغذا أرادوا صلب رجل من المجرمين والقتلة صلبوه وشنقوه في موضع هذا السبيل. فقد قال الغازي في تاريخه نقلًا عن ابن فهد: أنه في سنة (٨١٧هـ) أنشأ عطية المطير سبيلًا بالمروة، وكان موضع هذا السبيل قبل ذلك معداً للشنق، فقال شعبان الآثاري في ذلك:

بمكة دار للشنق ركنها وأضحت سبيلًا بعد كل بلية
وأضحى لسان الحال منها يقول رضيت من المولى بخير عطية

وقال بعضهم أيضاً:

بمسعى رسول اللّه دار معدة لشنق فصارت للأنام سبيلًا

انتهى كلام الغازي.

نقول: ولم نبحث عن تاريخ بناء هذا السبيل بالمروة غير أننا نعتقد بيقين أن بناءه كان في عهد الأتراك قبل سنة (١٣٠٠هـ). ولقد انتهى عهد الصلب والشنق بمكة المشرفة وأبدلوه بالقتل بالسيف، وجعلوا مكان القتل بالسيف أمام قصر الحميدية وهو بجهة الصفا، يبعد عن جبل الصفا كبعد السبيل عن المروة أي أن قصر الحميدية كان يقابل مدخل أجياد، ثم هدم قصر الحميدية وما يجاوره في زماننا لتوسعة المسجد الحرام، فصار اليوم قتل المجرم بالسيف أمام باب سعود أحد أبواب المسجد الحرام، وهو يقابل محل قصر الحميدية الذي هدم الآن للتوسعة، والسبب الذي جعلهم يقتلون المجرم بالسيف أو الصلب بالصفا والمروة هو لأجل أن يشاهد الساعون بالمسعى والخارجون من المسجد الحرام قتل المجرم الآثم، وذلك ردعاً للناس من الفساد والإفساد، والحمد للّه الذي أبدل الصلب بالسيف، فإن السيف أريح للمقتول من الصلب.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٧)]

* * *

مزدلفة

المزدلفة: الموضع الذي يؤمر الحاج بنزوله والمبيت فيه بعد دفعه من عرفة ليلًا، وهو ما بين مأزمي عرفة التي تسميه أهل مكة المضيق وعين محسر.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٨٤)]

❊ ❊ ❊

سميت مزدلفة: لازدلاف الناس إليها أي: اقترابهم، وقيل: لمجيئهم إليها في زلف من الليل أي ساعات، ويقال له: جمع لاجتماع الناس إليها، وقيل: لاجتماع لآدم وحواء فيها، وقيل: لجمع الصلاتين فيها.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٩٧)]

❊ ❊ ❊

عن عطاء قال: أردف النبي ﷺ أسامة بن زيد حتى جاء جمعاً، فلما جاء الشعب الذي يصلي فيه الآن الخلفاء المغرب يعني خلفاء بني أمية نزل فيه فأهراق الماء ثم توضأ، فلما رأى أسامة نزول النبي ﷺ نزل أسامة، فلما توضأ النبي ﷺ وفرغ قال لأسامة: لم نزلت؟ وعاد أسامة فركب معه، ثم انطلق حتى جاء جمعاً، فصلى المغرب والعشاء، قال: فلم يزل النبي ﷺ يلبي في ذلك حتى دخل جمعاً يخبر عنه أسامة بن زيد.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٥/ ٤٦)]

❊ ❊ ❊

كان عطاء إذا ذكر له الشعب قال: اتخذه رسول اللّه ﷺ مبالاً، واتخذتموه مصلى يعني خلفاء بني أمية، وكانوا يصلون فيه المغرب.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٥/ ٤٤)]

❊ ❊ ❊

جُمع ضد التفرق: وجمع هي المزدلفة سميت لاجتماع الحجاج فيها عند الإفاضة من عرفة. وبها المشعر الحرام، ومن قال: هي قزح وهم.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٦٧]

* * *

إنما سميت المزدلفة لمزدلف الناس عنها، وأنهم يقيمون بها يوماً كاملًا.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٣١٢)]

* * *

مزدلفة: المشعر الحرام ومصلى الإمام يصلي فيه المغرب والعشاء والصبح، وقيل: لأن الناس يدفعون منها زلفة واحدة أي جميعاً.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ١٢٠)]

* * *

المشعر الحرام هو جبل في المزدلفة يقال له: قزح، وقيل المشعر الحرام: المزدلفة كلها.

[«شرح صحيح مسلم» للنووي (٨/ ١٨١)]

* * *

مزدلفة: وصفها ابن جبير وابن بطوطة والبلوي بأرض منبسطة فسيحة تقع بين جبلين، وقدروا المسافة بين منى وعرفات بمثل المسافة بين منى ومكة.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص١٥٠]، [«رحلة ابن بطوطة» لابن بطوطة ص١٦٩]
[«تاج المفرق» للبلوي (١/ ٣١٦)]

* * *

مُحَسِّر هو الموضع الذي يستحب للحاج الإسراع فيه، هو ناد بين منى والمزدلفة، وهو الموضع الذي يقال له: وادي النار وهو مشهور بذلك إلى الآن، ويقال له: المهلل لأن الناس إذا وصلوا إليه في حجهم هللوا فيه

وأسرعوا السير في الوداي المتصل به.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/٥٧٨)]

❊ ❊ ❊

مكسّر: هو الجبل الذي يشرف على المشعر الحرام من الجنوب بالمزدلفة، وهو حدها اليماني.

[«أودية مكة المكرمة» لعاتق البلادي ص ١١٤]

❊ ❊ ❊

مساكن

بناء البيوت وتبويبها:

كان سعد بن عمر السهمي أول من بنى بيتا بمكة وقد قيل فيه:

وأول من برأ بمكة بيته وسور فيها مسكناً بأثافي

وكانوا يبنونها بحيث لا تستوي على سقوف مربعة كنا نفعل اليوم، وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير، واستهولت قريش عاقبة التربيع في هندسة البيت. فقالت: ربع حميد بيتاً إما حياة وإما موت، وأول من بوب في مكة حاطب بن أبي بلتعة، وكانوا يجعلون بين يديها العرصات ينزل الحجاج فيها والمعتمرون.

ولما شرعت بعض الدور تصنع لها أبواباً كانوا يقصرون ذلك على بعض غرفها ويتركون مداخلها مشرعة على عرصاتها دون أبواب. وقد قيل إن هند بنت سهيل عندما استأذنت عمر بنت الخطاب في أن تجعل على دارها بابين وقال لها: إنما تريدون أن تغلقوا دوركم دون الحجاج والمعتمرين، قالت: واللَّه ما أريد إلا أن أحفظ على الحجاج متاعهم فأغلقها عليهم من اللصوص، فأذن لها فبوبتها.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/٩)]

❊ ❊ ❊

عثرت على رجل عرض عليَّ غرفة مؤثثة، استأجرتها، ولما كانت بلا خادم، فقد عشت وأقمت مع مالك الغرفة. كانت أسرة ذلك الرجل مكونة من زوجة وطفلين، وقد انسحبت لتعيش في فناء (حوش) صغير مكشوف، بجوار الغرفة التي أقيم فيها، كان صاحب الغرفة واحداً من فقراء المدينة المنورة، وكان يعمل مطوفا، على الرغم من أن حياة ذلك الرجل وأسلوب معيشته أدنى من مستوى الطبقة الثانية من المكيين، فإنها كانت تكلفني خمسة عشر قرشاً يومياً، واكتشفت بعد الرحيل، ضياع قطع من ملابسي، جرى أخذها من جوال سفرى، لم يكن ذلك هو كل ما حدث، فقد دعانى ذلك الرجل في يوم العيد على عشاء فخم، بصحبة ستة من أصدقائه، في الغرفة التي كنت أقيم فيها، وفي صبيحة اليوم التالي قدم الرجل لي فاتورة فيها كل تكاليف هذه العزومة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٣٠) لجون لويس بوركهارت]

* * *

كل مباني المكيين، فيما عدا منازل الأثرياء والأعيان، يجرى إنشاؤها لإقامة المستأجرين إذ يجرى تقسيم المنزل إلى شقق عدة، منفصلة عن بعضها البعض، ويتكون كل منها من غرفة جلوس ومطبخ صغير.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٣٨) لجون لويس بوركهارت]

* * *

نجد الحجاج الزنوج يتخذون من المنازل المهدمة بيوتاً لهم، بعض هؤلاء الزنوج يقيمون في مكة، ونساؤهم يقمن بعمل مشروب مُسْكر يصنعنه من الذرة، ويسمونه البوظة، التي يغرم بها أحط سكان المدينة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٤٧) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الجدران الخارجية للمسجد الحرام هي عبارة عن جدران المنازل المحيطة

بالمسجد من جميع الجوانب هذه المنازل كانت في الأصل تنتمي إلى المسجد، والقسم الأكبر من هذه المنازل ملك لأفراد بعينهم، هؤلاء الأفراد اشتروا هذه المنازل، وهم يؤجرون هذه المنازل لكبار أغنياء الحجاج بأسعار عالية جداً، قد تصل إلى خمسمائة قرش.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٩٦) لجون لويس بوركهارت]

* * *

يصح لهم أداء صلاة الجمعة وهم داخل هذه المساكن، لأن رؤية هؤلاء الناس للكعبة وهم في منازلهم تدخلهم ضمن الموجودين في المسجد نفسه. على مستوى أرضية الأبهاء المعمدة، ويطل عليها.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٩٦) لجون لويس بوركهارت]

* * *

المستجاب

المستجاب هو ما بين الركن واليماني والباب المسدود في دبر الكعبة قال الفاسي: روينا في استجابة الدعاء فيه خبراً في مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٢٠)]

* * *

المستجاب: ما بين الركن اليماني والباب المسدود في دبر الكعبة والدعاء عنده مستجاب.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٣٠]

* * *

مستجار

في «تشويق المساجد»: إن المستجار ما بين الركن اليماني والباب المسدود،

وهو في ظهر الكعبة مقابل الملتزم وهو أي المستجار أربعة أذرع وثلاثة أصابع، ويسمى ذلك الموضع مستجار من الذنوب، وعرض الباب المسدود ثلاثة أذرع ونصف الذراع.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٥٥)]

* * *

كان جماعة من السلف، منهم القاسم بن محمد، وعمر بن عبد العزيز، وجعفر بن محمد، وأيوب السختياني، وحميد الطويل، يلتزمون ظهر الكعبة بين الركن اليماني والباب المسدود.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٥٥)]

* * *

قال معاوية بن أبي سفيان: من قام عند ظهر البيت ودعا استجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وهذا القول لا يكون من معاوية إلا عن سماع من الشارع ﷺ.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٢٣)]
[«تاريخ مكة» (١/ ٣٤٨)]

* * *

المستجار: هو ما قابل الملتزم من ظهر الكعبة وهو بين الركن اليماني والباب المقفول، وهو من أماكن إجابة مظنة الدعاء، ويسمى ملتزم عجائز قريش.

[«الكعبة والحج في الصور المختلفة» لأبي القاسم زين العابدين ص١٥١]

* * *

مر ابن الزبير بعبد اللَّه بن عباس بين الباب والركن الأسود فقال: ليس هاهنا الملتزم، الملتزم دبر البيت، فقال ابن عباس: هنالك ملتزم عجائز قريش.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٣٤٧)]

المسجد الحرام

قال مجاهد: خلق اللَّه موضع البيت الحرام قبل أن يخلق اللَّه شيئاً من الأرض بألفي عام. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لو أن إبراهيم حين دعا قال: اجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لازدحمت عليه اليهود والنصارى ولكنه خص حين قال: أفئدة من الناس، فجعل ذلك للمؤمنين. وأخرج عن مجاهد قال: لو قال إبراهيم: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لزاحمتهم عليه الروم وصحيح، وهذا صريح فهم الصحابة والتابعين والتبعيض مِن منَ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٠٥)]

❊ ❊ ❊

لم يكن للمسجد الحرام آنذك أي سور يحيط به، بل كانت منازل قريش وأهل مكة تحيط بالكعبة من كل جانب، وكانت تتخللّها الطرقات الضيقة التي تمر بين البيوت.

[«الجامع اللطيف» لابن ظهيرة ص١٩٧]

❊ ❊ ❊

مكان البيت الحرام خفي بسبب الغرق فيما بين نوح وإبراهيم - عليهما السلام -، وكان موضعه أكمة حمراء يتعبد عندها الناس، حتى بوأ اللَّه مكان البيت لإبراهيم عليه السلام.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٥٣)]

❊ ❊ ❊

قال الشيخ محمد طاهر الكردي رحمه الله: اختلف الناس في موضع دار الندوة على ثلاثة أقوال فمنهم من يقول: أن مكانها هو مكان المقام الحنفي، ومنهم من يقول أن مكانها لا يعرف بالضبط ولكنها كانت واقعة بين المقام الحنفي ورواق

باب الزيادة، ومنهم من يقول: أن مكانها هو رحبة باب الزيادة بما في ذلك الحصباء والرواق.

ولقد أردنا ترجيح أحد هذه الأقوال منذ ثلاث سنوات حينما كنا نشتغل بتأليف كتابنا «مقام إبراهيم عليه السلام»، ولكنا لم نهتد، إلى دليل قوي لترجيح شيء منها، غير أن اللّه سبحانه وتعالى هدانا الآن إلى تحقيق ذلك بما لا يقبل الشك والريب فله الحمد والشكر فهو الفتاح العليم.

والراجح: أن محل دار الندوة وفنائها هو رحبة باب الزيادة بما في ذلك الحصباء والرواق ونستدل على هذا بأربعة أمور:

الأمر الأول: أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد اللّه بن الزبير رضي الله عنهم اشترى كل منهم في خلافته الدور المتلاصقة للمسجد الحرام فهدمها وأدخلها في المسجد الحرام ليتسع، فلو كانت دار الندوة في محل المقام الحنفي لهدمت وأدخلت في المسجد الحرام في زمن عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان لقرب مقام الحنفي من الكعبة، ولكان من العبث والكذب أن يقال أن المعتضد باللّه أدخل دار الندوة في المسجد الحرام.

والأمر الثاني: أن أمير المؤمنين محمد المهدي العباسي زاد في المسجد الحرام سنة (١٦٤هـ) زيادات كثيرة وهو الذي أمر أن يجعل المسجد الحرام على هيئة التربيع حتى تقع الكعبة المشرفة في وسطه كما هو الآن فلو كانت دار الندوة داخل التربيع لذكرها المؤرخون.

والأمر الثالث: أن الذي أدخل دار الندوة في المسجد الحرام هو أمير المؤمنين المعتضد باللّه العباسي (٢٨١هـ) وعمارته المعروفة هي رحبة باب الزيادة بما فيه الباب القطبي - وهذه الرحبة - هي دار الندوة، فلم يعمل المعتضد شيئاً في داخل المسجد الحرام هو على هيئة التربيع والذي هو من عمل عمارة المهدي، فكيف

يقال أن محل دار الندوة هو موضع المقام الحنفي الذي داخل المسجد وفي طرف دائرة المطاف؟.

والأمر الرابع: لا يخفى أن دار الندوة التي كان يجتمع فيها صناديد قريش للمشاورة فيما يخصهم من مهمات الأمور أصبحت فيما بعد سباطة تطرح فيها الأوساخ والقمائم إلى المسجد الحرام، فإذا سالت جاءت الأمطار وسالت السيول دخلت هذه الأوساخ والقمائم إلى المسجد الحرام، فكتب قاضي مكة وأميراها أيضاً مكاتبات إلى وزير المعتضد باللَّه يومئذ بأن دار الندوة قد تهدمت وخربت وصارت تلقى فيها القمائم، حتى صارت ضرراً على المسجد الحرام وجيرانه، وإذا جاءت السيول وحملتها إلى المسجد، فلو نظفت وهدمت وجعلت رحبة متصلة بالمسجد الحرام يصلي فيها الناس ويتسع الحجاج بها لكانت مكرمة كبرى ومنقبة عظيمة للخليفة... إلخ، فأمر عندئذ أمير المؤمنين المعتضد باللَّه بإدخال دار الندوة في المسجد الحرام. وانظر تفصيل ذلك في كتب التاريخ.

فلا يعقل أن يكون محل دار الندوة هو مكان مقام الحنفي الملتصق بالمطاف وأن تلقى القمائم هناك عند الكعبة المشرفة بينما موضع المقام الحنفي هو من الزيادات التي أدخلت المسجد الحرام في زمن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ثم اتسع المسجد الحرام وصار على هيئة التربيع في زمن محمد المهدي المذكور، وانظر خريطة الزيادات بالمسجد الحرام في صحيفة (٩١) من كتابنا «مقام إبراهيم» عليه السلام ليظهر لك الأمر بالمشاهدة، فعلم مما ذكرناه أن محل دار الندوة التي أدخلها المعتضد باللَّه في المسجد الحرام هو رحبة باب الزيادة بما فيه من الأروقة والحصباء واللَّه تعالى أعلم.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٧٣)]

* * *

قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي ﷺ هو الذي أمر قريشاً أن تبني بيوتها حول الكعبة بمكة لا تهاون بأمرها وإنما ملاذاً بها حتى تهابهم الناس فلا يستحلون قتالهم ولا يهضمون حقوقهم، كما هو أول من بنى داراً قبل قريش وهي دار الندوة لتقتدي قريش به في بناء بيوتها، وانظر إلى حكمة قصي في بدء بناء دار الندوة قبل بناء دار خاصة لنفسه فدار الندوة هي عبارة في عرفنا ونطلق عليها في عصرنا هذا «قصر الحكم» أو «دار البرلمان» أو «مجلس الوزراء» أو «دار الإمارة» لأن دار الندوة كانت قريش لا تبرم أمراً إلا فيها ولا يقبل فيها من غير بني قصي إلا من بلغ سن الأربعين ويدخلها بني قصي جميعاً كبيرهم وصغيرهم، وغير ذلك من الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يكون عضواً فيها.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/٧٦)]

* * *

فائدة: أخرج الأزرقي بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنا لنجد في كتاب اللَّه تعالى أن حد المسجد الحرام من الخرزة إلى المسعى.

وأخرج أيضاً بسنده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: أساس المسجد الحرام الذي وضعه إبراهيم عليه السلام من الخرزة إلى المسعى إلى مخرج سيل أجياد، قال والمهدي وضع المسجد على المسعى انتهى.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص١٢٩]

* * *

قال مجاهد: البيت العتيق أعتقه اللَّه من النار من كل جبار، فلا يستطيع جبار يدعي أنه له، ولا يقال بيت فلان، ولا ينسب إلا إلى اللَّه - عز وجل -.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد الخولي ص٢٤]

* * *

في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه كثر الناس، فوسع المسجد وكانت هذه التوسعة

سنة (٢٦هـ)، كما بنى رضي الله عنه للمسجد أروقة، فكان ذو النورين أول من بنى أروقة للمسجد الحرام.

[«مجلة تراث» العدد ٦٣/ ٢٠٠٤م ص٢١]

* * *

الخليفة الوليد بن عبد الملك، هو أول من قام بعمل أعمدة من الرخام وسقفه بالصاج المزخرف، وجعل على رؤوس الأعمدة الذهب، وجعل في داخل المسجد رخام، وعمل منه الفسيفساء، وجعل له شرفات.

[«تاريخ عمارة الحرم المكي» لفوزية حسين مطر ص١٢٥]

* * *

أجرى عبد الملك بن مروان وتحديداً في سنة (٧٥هـ) تجديداً في عمارة المسجد الحرام دون أن يحدث أي زيادة في مساحته، لكنه قام برفع جدرانه وسقفه بالساج، ووضع على رأس كل أسطوانة خمسين مثقالاً من الذهب.

[«مجلة تراث» العدد ٦٣/ ٢٠٠٤م ص٢١]

* * *

في عهد المعتضد باللَّه تم إضافة دار الندوة إلى المسجد الحرام، ودعّم هذا الجزء بأساطين وطاقات وأروقة مسقّفة بالساج المزخرف، وأوصلت بالمسجد الحرام عن طريق اثني عشر باباً فتحت في حائط المسجد.

[«مجلة تراث» العدد ٦٣/ ٢٠٠٤م ص٢٢]

* * *

قال محمد صادق باشا في حج سنة (١٢٩٨هـ): وأما المراحيض فانها خارجة عن الحرم في بعض جهات مخصوصة وللوضوء حنفيات خارجة عن المسجد.

[«دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» ص٥٧ لمحمد باشا صادق]

* * *

طال انتظاري وبحر الدمع مندفع ... وذكرياتي هي البركان يستعر
والزائرون على أبوابك احتشدوا ... مدوا الأكف إلى مولاك وانبهروا
يبكون مجدا على التاريخ مزدهرا ... وينشجون نشيجا كله عبر
أرنو إلى المنبر الميمون مدكرا ... وكل من في رحاب البيت قد هدروا
أبكي على نفحات جل بارئها ... وشعشعات الهوى العذري تحتضر
ضج الحجيج أسى وانساب مدمعه ... فضج من دمعه الأركان والحجر
شدوا الرحال لمسجد طابة أمما ... أعشى خطاه الخنا المرذول والحذر
صل العطاش طريق النبع وانتثروا ... يا ويحهم في فيافي البؤس قد نثروا
يا رب جيل الخطايا فارو ظامئه ... يا رب يوم به الآمال تزدهر

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١١١)]

* * *

زاد النبي ﷺ في مسجده الشريف ثلاثة عواميد من جهة الغرب في السنة السابعة من الهجرة الشريفة بعد عودته من غزوة خيبر.

[«وفاء الوفاء» للسمهودي (١/ ٣٥١-٣٥٤)]

* * *

ثم زاد فيه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في العام السابع عشر عامودين من جهة الغرب، أما الشمال فأكثر من عامودين.

[«وفاء الوفاء» للسمهودي (٢/ ٤٨١-٤٩٢)]

* * *

ثم زاد فيه سيدنا عثمان رضي الله عنه في العام التاسع والعشرين عامود واحداً من جهة الغرب، وأكثر من عامود من القبلة، وأنشأ فيه محرابه المشهور باسمه الآن.

[«وفاء الوفاء» للسمهودي (٢/ ٥١٣-٥٢٥)]

* * *

المسجد يبتدئ من قبلة عثمان، أعنى من الحائط القبلي إلى الصحن من جهة، وفي طول ما بين الرحمة وباب النساء من جهة أخرى. وهذا القسم جميعه مغطى بقباب ترتكز على أقواس قامت على عمد من الصوان المكسو بطبقة من المرمر الموشى بماء الذهب. والقسم الثاني هو الصحن، ويسمونه الحصوة، شكله مستطيل إلى الباب الشامي ويحيط به من جهاته الثلاث، أروقة ثلاثة فيها أعمدة تحمل أقواسا رفعت عليها قباب تناطح السحاب.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٣٩ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وعدد جميع أعمدة الحرم الشريف بما فيها الملتصقة بحوائطه يبلغ ثلاثمائة وسبعة وعشرين عموداً، منها ٢٢ داخل المقصورة الشريفة. وفي مدخل الباب الشامي المدرسة المجيدية.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٣٩ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

المسجد النبوي له خمسة أبواب: باب السلام، وباب الرحمة في الغرب، والباب المجيدى في الشمال، وباب النساء، وباب جبريل (أو باب البقيع) في الشرق. وتقفل هذه الأبواب كلها بعد صلاة العشاء إلى قبيل الفجر، وهي سنة من عهد عمر رضي الله عنه.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٤٢ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

المسعى

عن عاصم الأحول قال: قلت لأنس بن مالك: أكنتم تكرهون الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت الآية؟ قال: نعم كنا نكره الطواف بينهما لأنهما من

أثر الجاهلية، حتى نزلت الآية ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾.

[«السنن الكبرى» للنسائي كتاب المناسك باب الصفا والمروة (٢/ ٤١٠) (٣٩٤٥)]

* * *

روى الطبري عن الشعبي عن سبب نزول الآية الكريمة ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾: أن وثنا كانا في الجاهلية على الصفا يسمى إسافا، ووثنا على المروة يسمى نائلة، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بالبيت مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان قال المسلمون: إن الصفا والمروة إنما كان يُطاف بهما من أجل الوثنين، وليس الطواف بهما من الشعائر.

[«تفسير الطبري» (٢/ ٧١٤)]

* * *

قال ابن همام الحنفي: الفرق بين الطواف بالبيت والمسعى أن الطواف: دوران لا يأتي إلا بحركة دائرية، فيكون المبدأ والمنتهى واحد بالضرورة، أما المسعى: فهو قطع مسافة مستقيمة وذلك لا يقتضي العودة إلى بدئه.

[«فتح القدير» للشوكاني (٢/ ٤٦٠)]

* * *

منذ قديم الزمان وفي عهد إبراهيم عليه السلام لم يكن بهذا الوادي سوى الصخور، ثم جاء قصي بن كلاب فبنى الناس بيوتهم حول الكعبة في العصر الجاهلي، وعند بزوغ الإسلام لم يكن في المسعى سوى بعض الدور التي بنيت في عرضه، ثم بدأ بعد ذلك كبار الصحابة منذ عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في توسعة المسجد، ثم سار على نهجه الخلفاء من بعده.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨٤]

* * *

دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ كانت بالمسعى بين باب علي رضي الله عنه وباب النبي ﷺ، وهذه الدار أصبحت رباطاً يسكنه الفقراء من القرن العاشر الهجري.

ثم في أواخر شهر جمادى سنة (١٣٧٦هـ) هدمت هذه الدار لتوسعة المسجد الحرام والشوارع، وكانت إلى هذه الدار ينتهي حد المسعى عرضاً من جهة باب العباسي أحد أبواب المسجد الحرام المقابل لهذه الدار، وهذا الباب كان واقعاً بين باب النبي ﷺ وباب علي رضي الله عنه، وكانت في هذه الدار من جهة المسعى أحد العلمين الأخضرين اللذان وضعاً علامة لانتهاء الهرولة في السعي لمن جاء من الصفا، فهدم هذا العلم تبعاً لهدم الدار.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٧٧)]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٦١هـ) اشترى قاضي مكة - الأوقص المخزومي - بأمر أمير المؤمنين المهدي الدور التي بين المسجد والمسعى كل ذراع مكسراً فيما دخل في المسجد الحرام بخمسة وعشرين ديناراً، وما دخل في الوادي بخمسة عشر ديناراً، وهدم جميعها، ووضع المسجد على ما هو عليه شارعاً على المسعى، وأمر المهدي بأساطين الرخام فنقلت في السفن من الشام حتى أنزلت بجدة، ثم حملت منها على العجل إلى مكة، فوضعت في المسجد الحرام على ما هي عليه الآن.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٢٨٧]

❊ ❊ ❊

اعلم أننا إذا نظرنا إلى الوراء يعني إلى زمان سيدنا إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - نجد أن ما بين الصفا والمروة أي بطن الوادي، كان نازلًا عميقاً على حسب الطبيعة قبل أن تمتد الأيادي لإصلاح ما بينهما، ثم لابد أن

ترتفع الأرض قليلًا إلى زمان سيدنا محمد ﷺ لا من فعل البشر وإنما بفعل الطبيعة، وذلك بنزول الأمطار ومجيء السيول التي تسبب نزول الصخور الأحجار من فوق الجبال والأتربة والرمال من الطريق فترتفع الأرض عما كانت عليه من قبل شيئاً فشيئاً.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي(٥/ ١٣٣)]

* * *

جاء في تاريخ الأزرقي: عن جابر بن عبد اللَّه يحدث عن حجة النبي ﷺ يقول: ثم نزل عن الصفا حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا أصعد من الشق الآخر مشى أ هـ. وفي تاريخ الأزرقي أيضاً عند الكلام على زيادة المهدي الخيرة: وإنما يسلك من المسجد الحرام إلى الصفا في بطن الوادي، ثم يسلك في زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادي والصفا. اهـ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٣٣)]

* * *

يقول ابن حجر على حاشيته على إيضاح النووي نقلًا عن الرضي بن خليل المكي: إن الوادي كان نازلًا حتى إن الشخص كان يصعد درجاً كثيرة ليرى البيت الحرام، بل قيل إن الفرسان كانت تمر في المسعى والرماح قائمة فلا يرى من بالمسجد إلا رؤوسها اهـ.

فالظاهر مما تقدم واللَّه تعالى أعلم أن أرض المسعى كان فيها منعرجات ومنحدرات ونزول وطلوع، ولا شك أن ذلك مما لا يريح الساعين لكن الأجر على قدر المشقة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٣٣)]

* * *

الميلان الأخضران هما العلمان اللذان أحدهما بركن المسجد الذي فيه المنارة التي يقال لها: منارة باب علي، والآخر: في جدر باب المسجد الذي يقال له: باب العباس، والعلمان المقابلان لهذين العلمين أحدهما في دار عباد بن جعفر، ويعرف اليوم بسلمة بنت عقيل، والآخر في دار العباس ويقال له اليوم: رباط العباس.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٥/ ٥٩٨)]

* * *

وفي سنة (٥٧٣هـ) أمر أمير المؤمنين المستضيء باللَّه بعمارة الأميال الخضر بالمسعى المعظم.

[«إتحاف الورى» لابن فهد (٢/ ٥٤١)]

* * *

لم نر من تكلم عن تسوية أرض المسعى وتعبيده والذي نذهب إليه واللَّه تعالى أعلم أن أول ما بدئ بإصلاح أرض المسعى وتسويتها كان في زمن أمير المؤمنين محمد المهدي الذي زاد في المسجد الحرام من جميع جهاته زيادة كبيرة، والذي كان يقف بنفسه على أعمال المهندسين والشغالين ويبدي لهم من الآراء السديدة الجبارة ما يجعلهم حيارى إزائها، ثم بعد تنفيذ أوامره يشكرونه ويحمدون له رأيه الكريم، حتى إنه من شدة عنايته بالزيادة في المسجد الحرام ورغبته القوية الأكيدة في تربيعه، وجعل الكعبة المشرفة بوسطه تماماً أمر المهندسين أن ينصبوا الرماح فوق أسطحة الدور من أول الوادي إلى آخره، والمهدي قائم على جبل أبي قبيس ينظر إلى كل ذلك، فلما اطمأن قلبه إلى هندستهم من فوق الرماح، وعرف ما يدخل المسجد، وما يكون في الوادي أقرهم على الوضع المناسب، ثم سافر إلى العراق، بعد أن خلّف لهذا العمل الجليل العظيم من الأموال ما لا يعد ولا يحصى، وكانت الزيادة للمهدي مرتين في سنة (١٦٠هـ) ثم في سنة

(١٦٤هـ) كما فصلنا ذلك في محله.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٣٣)]

❊ ❊ ❊

وقد دخل في هذه التوسعة جزء من المسعى إلى المسجد الحرام، ومن مستلزمات هذه العمارة الواسعة تسوية أرض المسعى وردم بعض المنخفضات بالأتربة والحجارات المتبقية والمتخلفة عن هذه العمارة.

ثم ما زال الحكام يصلحون أرض المسعى كلما حصلت مناسبة لذلك، فقد أصلح في عهد المأمون في حدود سنة (٢٠٢هـ)، وكذلك في عهد جعفر المتوكل على اللَّه، فقد أمرت أمه بعزق وادي مكة جميعه، وكذلك في عهد السلطان قايتباي، وذلك حينما حصل التعدي على جزء من أرض المسعى من قبل بعض أتباعه.

إلى غير ذلك مما لا نتمكن من تتبعه فإصلاح أرض المسعى وتسويتها وارتفاعها كان شيئاً فشيئاً، إلى أن وصلت إلى حالتها الحاضرة اليوم. ففي عصرنا الحاضر فرش أرض المسعى من الصفا إلى المروة بالحجارة وذلك بأمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ في سنة (١٣٤٥هـ) ولا يخفى أن في كل هذا الأحوال ترتفع أرض المسعى تدريجياً.

أما أرض المسعى الآن في هذه التوسعة السعودية فإنها في غاية من الجمال والنظافة مبلط بالأسمنت ليس فيها عيب، والحق يقال: أن بناء المسعى وتسقيفه بشكله الحاضر، لم يسبق لحكومة من الحكومات السابقة أن عملت مثله أبداً. نسأل اللَّه التوفيق والقبول.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٣٣)]

❊ ❊ ❊

جاء في تاريخ الغازي أيضاً: ذكر الشيخ با سلامة في كتابه «تاريخ عمارة

المسجد الحرام» أنه ذرع شارع المسعى بالمتر فقال: من أول الدرج إلى الصفا عند الجدر الواقع في منتهى الصخرة (١١) مترا و(٦٠) سنتمتراً، وعرض أصل الصفا التي عليها الثلاثة عقود (١٢) متراً ومن ابتداء درج الصفا إلى العلم الأخضر الملاصق لمنارة باب علي (٧٤) متراً، ومن هذا العلم إلى العلم الأخضر الواقع في باب العباس وهو موضع الهرولة (٦) أمتار، ومن هذا العلم إلى أول درج المروة (٣٤٠) متراً، وعند المروة عقد كبير سعته (٧) أمتار، ومن العقد إلى الجدر الواقع في صدر المروة (٨) أمتار (٧٥) سنتمتراً.

وعلى ذلك يكون طول شارع المسعى من ابتداء درج الصفا إلى ابتداء درج المروة (٣٧٤) متراً، ومن صدر الجدر الذي في منتهى علو الصفا إلى صدر الجدر الواقع في منتهى علو المروة (٣٩٤) متراً و(٣٥) سنتمتراً.

وعلى ذلك يكون ذرع العمري منطبق تمام الانطباق على ما ذرعناه من ابتداء درج الصفا إلى ابتداء درج المروة، وأما ذرع الأزرقي فربما يكون من أول درج الصفا قبل أن يعلو شارع المسعى حينما كان درج الصفا (١٢) درجة إلى أول درج المروة حينما كان درجها (١٥) درجة. ا.هـ من تاريخ الغازي، وبحث الذرع مستوفى في كتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام» فراجعه إن شئت.

واليوم بعد التوسعة السعودية التي حصلت في المسجد الحرام، وبعد عمارة المسعى، ونقص جميع ما تقدم من عمارات الحكومات السابقة، وتسوية أرضه بالأسمنت المسلح لسهولة السعي، أن نذكر بالضبط التام قياس ما بين الصفا والمروة بالمتر، فنقول: إن قياس ما بين الصفا والمروة هو (٣٧٥) متراً كما قسناه بأنفسنا، وربما زاد أو نقص بعض السنتمترات وذلك بسبب اعوجاج السير أو استقامته وليس في ذلك من بأس.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤٠)]

❊ ❊ ❊

لم يسبق قط أن جعل للمسعى سقف أي مظلة يقي الساعين لفح الشمس وحرارة الجو إلا في سنة (١٣٤١هـ) فقد أمر صاحب الجلالة الشريف حسين بن علي بن محمد بن عون ملك الحجاز رَحِمَهُ اللَّهُ بعمل سقيفة للمسعى لحفظ الساعين من حرارة الشمس، فشرعوا في عملها وتم إنشاؤها في شهر شوال من السنة المذكورة، فكانت السقيفة تمتد من باب العباس إلى المروة، أما من الباب المذكور إلى الصفا فإنه لم يسقف لقصر المسافة وجمال المنظر، وكان مكتوباً على السقيفة جملة أبيات لبعض الشعراء، ولقد مدح بعض الشعراء الشريف الحسين بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ في تسقيفه للمسعى، فمما قاله سعادة الشيخ محمد صالح القزاز مدير مكتب مشروع التوسعتين بمكة المشرفة والمدينة المنورة حالياً في عهد حكومتنا السنية:

لسيد العرب مولى المجد مفخرة ... أضحى بها فضله للخلق منشوراً
هو الحسين الذي أمست مآثره ... عظمى وأصبح فيها الخير مسطوراً
أقام للمشعر الأسنى مظلته ... حتى غدا كل من يبغيه مسروراً
بهمة السند القزاز من فخرت ... به العلا وغدا بالمجد مشهوراً
فيا مليكاً أعز اللَّه محتده ... دم في سرور بسيف اللَّه منصوراً
واهنأ ببشر وإقبال يؤرخه ... من سعد حكمك صار السعي مشكوراً

ويعني القائل بهمة السند القزاز أي بهمة ابن عمه الشيخ عبد الوهاب القزاز رَحِمَهُ اللَّهُ الذي أشرف على البناء المذكور.

وأما فرش المسعى وتبليطه من الصفا إلى المروة بالحجارة المربعة وبناؤها بالنورة، فقد كان في سنة (١٣٤٥هـ) فقد أمر جلالة الملك عبد العزيز المذكور فرشها من أولها إلى آخرها بالحجارة منعاً إثارة الغبار، فشرعوا برصف المسعى وانتهوا من ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة، وهذه أول مرة يفرش فيها المسعى بالحجارة، وكان قبل ذلك تراباً يثور الغبار منه بسبب

الساعين، فاستراح الناس وسهل السعي بعد رصفه وتبليطه، فجزى اللَّه الملك عبد العزيز مؤسس الدولة السعودية خير الجزاء.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ١٤١-١٤٢)]

* * *

ذكر الشيخ با سلامة في «تاريخ عمارة المسجد الحرام» (ص: ١٤١- ١٤٢) أنه ذرع شارع المسعى بالمتر فقال: من أول الدرج إلى صدر الصفا عند الجدر الواقع في منتهى الصخرة (١١) متر و(٦٠) سنتي.

وعرض أصل الصفا التي عليها الثلاثة العقود (١٢) متر.

ومن ابتداء درج الصفا إلى العلم الأخضر الملاصق لمنارة باب علي (٧٤) متراً.

ومن العلم إلى أول درجة المروة (٢٤٠) متراً وعند المروة عقد كبير سعته (٧) أمتار.

ومن العقد إلى الجدر الواقع في صدر المروة (٨) أمتار و(٧٥) سنتي وعلى ذلك يكون طول شارع المسعى من ابتداء درج الصفا إلى ابتداء درج المروة (٣٧٤) متراً.

ومن صدر الجدر الذي في منتهى علة الصفا إلى صدر الجدر الواقع في منتهى علو المروة (٣٩٤) متراً و(٣٥) سنتي.

وعلى ذلك يكون ذرع ابن فضل اللَّه العمري منطبقاً تماماً الانطباق على ما ذرعناه من ابتداء درج الصفا إلى ابتداء درج المروة.

وأما ذرع الأزرقي فربما يكون من أول درج الصفا قبل أن يعلو شارع المسعى، حينما كان درج الصفا (١٢) درجة إلى أول درج المروة حينما كان درجها (١٥) درجة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١١٧)]

* * *

موضع المسعى فيما بين الميل الذي بالمنارة والميل المقابل له لم يكن مسعى إلا في خلافة المهدي العباسي، لتغيير موضع السعي قبله في هذه الجهة وإدخاله في المسجد الحرام في توسعة المهدي له ثانياً، لأنه قال: حدثني جدي قال: لما بنى المهدي المسجد الحرام وزاد الزيادة الأولى اتسع أعلاه وأسفله وشقه الذي يلي دار النبوة والشامي، وضاق شقه اليماني الذي يلي الوادي والصفا، فكانت الكعبة في شق المسجد، وذلك أن الوادي كان داخلًا لاصقاً بالمسجد في بطن المسجد اليوم.

وكانت الدور وبيوت الناس من ورائه في موضع الوادي اليوم، إنما كان موضعه دور الناس، وإنما كان يسلك من المسجد إلى الصفا في بطن الوادي، ثم يسلك في زقاق ضيق حتى يخرج إلى الصفا من التفاف البيوت فيما بين الوادي والصفا، وكان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم، وكان باب دار محمد بت عباد بن جعفر عند حد ركن المسجد الحرام اليوم عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي فيما علم المسعى، وكان الوادي يمر دونها في موضع المسجد الحرام اليوم.

ثم قال الأزرقي بعد أن ذكر شيئاً يتعلق بالزيادة في هذا الجانب، فابتدؤوا عمل ذلك في سنة (١٦٧هـ)، واشتروا الدور وهدموها، فهدموا أكثر دار ابن عباد بن جعفر العائذي، وجعلوا المسعى والوادي فيها.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٧٩)]

***

قال العلامة القطبي بعد ذكر تحويل المسعى عند موضعه، وها هنا إشكال عظيم ما رأيت من تعرض له، وهو أن المسعى بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية التي أوجبها اللّه تعالى علينا في ذلك المحل المخصوص، ولا يجوز لنا العدول عنه، ولا تعتبر هذه العبادة إلا في ذلك المكان المخصوص الذي

سعى رسول اللَّه ﷺ فيه، وعلى ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وحول المسعى دار ابن عباد كما تقدم.

أما المكان الذي يُسعى فيه الآن فلا يتحقق أنه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول اللَّه ﷺ أو غيره فكيف يصح السعي فيه وقد حول محله كما ذكر هؤلاء الثقات؟

ولعل الجواب عن ذلك: أن المسعى في عهد رسول اللَّه ﷺ كان عريضاً، وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعي فيه، ولم يحول تحويلًا كلياً وإلا لأنكره علماء الدين من الأئمة المجتهدين - رضوان اللَّه عليهم أجمعين - مع توفرهم إذ ذاك، فكان الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما والإمام مالك بن أنس رضي الله عنه موجودين يومئذ، وقد أقروا ذلك وسكتوا عليه، وكذلك من صار بعد ذلك الوقت مرتبة الاجتهاد كالإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل، وبقية المجتهدين - رضوان اللَّه عليهم أجمعين - فكان إجماعاً منهم رضوان اللَّه عليهم على صحة السعي من غير نكير نقل عليهم.

قال: وبقي إشكال في جواز إدخال شيء من المسعي في المسجد، فكيف يصير ذلك مسجداً؟ وكيف يصير حال الاعتكاف فيه؟

وحله: بأن يجعل حكم المسعى حكم الطريق العام.

وقال علماؤنا: يجوز إدخال الطريق في المسجد إذا لم يضر بأصحاب الطريق، فيصير مسجداً ويصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسعى، فاعلم ذلك.

قال القطب: وهذا مما تفردت ببيانه، وللَّه الحمد على توفيقه لتبيانه.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٢٢)]

* * *

أول من سقف المسعى منذ تاريخ بناء المسجد الحرام فهو ملك الحجاز الشريف حسين بن علي بن عون، حيث لم يكن له سقف يقي الساعين شدة الشمس وحرارتها، وكان ذلك في شوال (١٣٣٥هـ).

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي (٥/ ٣٦٢)]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٣٤١هـ) أمر صاحب الجلالة الهاشمية ملك الحجاز حامي حمى الحرمين الشريفين الشريف حسين بن علي بن محمد بن عون بإنشاء سقيفة المسعى، فجرى عملها بجد واجتهاد، وتم إنشاؤها على أحسن طرز وأبدع نظام في شهر شوال من السنة المذكورة.

وهذه السقيفة تمتد من باب العباس من جهة الصفا إلى المروة، وبذلك أصبحت المسعى كلها في ظل ظليل ما عدا المسافة القصيرة التي هي من الصفا إلى باب العباس فإنها لم تسقف لأجل أن ظل بيوت ذلك المكان يغني عن التسقيف، وقد جعل لهذه السقيفة بابان.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٢٦)]

❊ ❊ ❊

ضرب غلمان السعود بن الملك الكامل ملك اليمن، والذي ملك اليمن وهم يسعون ويقولون: اسعوا قليلًا قليلًا فإن السلطان نائم سكران في دار السلطنة بالمسعى وكانت تسمى دار القوارير، ومحلها محل المدرسة القايتبائية، والدم يجري من سيقان الناس.

[«سمط النجوم العوالي» للعصامي (٤/ ٢٣٠)]

❊ ❊ ❊

أمر الملك عبد العزيز آل سعود - يرحمه اللَّه - في عام (١٣٤٥هـ) بتوسعة

المسعى، ورصفت أرضيته بالحجارة لعدم إثارة التراب والغبار أثناء المسعى.

[«مسلك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨٦]

❊ ❊ ❊

في عهد الملك سعود - يرحمه اللَّه - ونتيجة لوجود المباني وضيق الطرق المؤدية إلى المسعى بسبب المباني والدكاكين أمر - يرحمه اللَّه - في سنة (١٣٦٨هـ) بإزالة تلك المنشآت التي كانت قائمة في الجهة المقابلة للمسجد شرق المسعى، ثم أدخل الدور الأول في المسجد، وتم بناء طابقين للمسعى، كما جعل مسار مزدوج ليستخدمه العجزة، وفي سنة (١٣٧٦هـ) عندما حدث تصدع في عقد المروة تم إزالته للضرر الذي قد يلحق بالناس، وفي سنة (١٣٨٤هـ) تم تشييد قبة الصفا في بداية عهد الملك فيصل - يرحمه اللَّه -، وفي عهد الملك خالد - يرحمه اللَّه - تم تركيب المكيفات للصفا.

[«مسلك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨٦]

❊ ❊ ❊

في عهد الملك عبد اللَّه - حفظه اللَّه - عام (١٤٢٨هـ) تم هدم البناء لعدم توسعة في منطقة المسعى، وزيادة طابق علوي ثالث، وأصبح عرض المسعى، في التوسعة الجديدة (٤٠) متراً بعد أن كان في عرضه في عهد الملك عبد العزيز (٢٠) متراً، وتوفر التوسعة الجديد مساحة مربعة مقدارها (٧٢) ألف متر مربع بعد أن كانت المساحة المتاحة السابقة (٢٩,٤٠٠) متر مربع، ومساحات أخرى لأصحاب الاحتياجات الخاصة والخدمات لتصبح (١٢٥) ألف متر مربع، وتعد توسعة المسعى من الأعمال التي شغلت أولي الأمر من الخلفاء والأمراء منذ القدم، فمنذ سكن إبراهيم عليه السلام لم يكن في الوادي سوى بعض الدور، ثم في عهد كبار الصحابة كانت البيوت والدور تضيق على الناس طوافهم وسعيهم، فأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتوسعة المسجد

وهدم تلك الدور، وفي عهد التابعين ازداد عدد القادمين فبدأت توسعة المسجد الحرام وحتى عصرنا الحاضر.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٨٨]

❋ ❋ ❋

يقول الشيخ عبد اللّه بن جبرين - يرحمه اللّه - وهو من أعضاء هيئة كبار العلماء أن المسعى الجديد امتداد للصفا والمروة وشاهدته بنفسي قبل (٦٠) عاماً.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ٤٩٠]

❋ ❋ ❋

قبل التوسعة السعودية للمسعى عام (١٣٧٥هـ) كان بين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة تباع فيها الحبوب، واللحم، والتمر، والسمن وغيرها، ولم تكن بمكة سوق منظمة سوى هذا السوق الذي كان يقع في المسعى، مما جعل الساعين يجدون مشقة أثناء السعي لازدحام الناس على حوانيت الباعة.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٣٤]

❋ ❋ ❋

في عهد مؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللَّهُ تم تبليطه وفرشه كاملًا بحجارة مربعة، وهي ما يطلق عليها «الحجر الصوان» وكان ذلك في عام (١٣٤٥هـ)، فهو بذلك يعد أول من بلط المسعى كاملًا منعاً لإثارة الغبار والأتربة.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٤٦]

❋ ❋ ❋

في عهد الملك عبد العزيز آل سعود أمر رَحِمَهُ اللَّهُ في عام (١٣٦٦هـ) بإعادة سقف المسعى بطريقة معمارية روعي فيها الإتقان والجودة العالية، وامتد السقف طول المسعى ما عدا آخر ثمانية أمتار من جهة باب علي، حيث كان بهواً وميداناً متسعاً.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٤٨]

في عام (١٣٨٤هـ) في بداية عهد الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تم تشييد قبة الصفا المقببة، كسوة واجهات الدور الأول من المسعى وأعمدته وأرضيته بالرخام، وتغطية سقفه بالزخارف المصنوعة من الحجر الصناعي الملون، وقد أصبحت مساحة المسعى بعد أن ألحق بالمسجد (١٦٧,٠٠٠) متراً للطابقين.

[«حدود الصفا والمروة» لعبد الملك بن دهيش ص٨٨]

❋ ❋ ❋

أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (١٢٩٣-١٣٧٣هـ) مؤسس الدولة السعودية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سنة (١٣٤٥هـ) بفرش المسعى بالحجارة منعاً لإثارة التراب والغبار، فسهل السعي بعد رصف وتبليط المسعى، وأيضاً تسقيفه في عام (١٣٦٦هـ)، حيث بلغ عرض السقيفة التي أمر الملك عبد العزيز بإنشائها (٢٠) متراً وبطول (٣٥٠) متراً من الصفا وحتى المسعى.

[«عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي» لعبد اللطيف بن دهيش ص١٢١]

❋ ❋ ❋

قال سيدى الحسين الورثيلانى في رحلته للحج: فذهبنا للسعي في حر عظيم وأزدحام قوي فبدأنا بالصفا وصعدنا درجها إلى أن رأينا لكعبة كما هو السنة فدعونا اللَّه بالدعاء الوارد فيها فمررنا كذلك إلى المروة ثم كذلك إلى تمام السبعة فلم نكمل السعي حتى اشتد علي الحال فظننت عدم التمام فكملته راجلا بمنة اللَّه والفضل من السلام لأن محل السعي محل سوق عظيم وازدحام حميم. وأقول كما قال شيخنا ما نصه ولو أيقظ اللَّه الأمراء لمنعوا الناس من التسوق فيه أيام الموسم لكان في ذلك نفع كثير وأجر كبير.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٥٤- ٤٥٥ لسيدي الحسين الورثيلاني]

❋ ❋ ❋

فلما أصر رسل الأمير وألحوا (في السعي بالسيارة) ترك السيارة (السائق صابر) وأبى أن يسوقها فتولاها غيره، وأحسب صابرا قد حقدها علينا وأسرها لنا فقد تخلى عنا بعد أن عدنا إلى جدة، وعلى أن هناك حاقدا غيره، هو زكي باشا. سعى على قدميه مع بقية إخواننا وسعينا نحن بالسيارة فجعل بعدها يشنع علينا ويشهر بنا - مازحا - في كل خطبة له، بل جعل يتخذ من ذلك دليلا على أن الإسلام لا يتنافى التقدم ومظاهر المدنية الحديثة، وما كان هذا الدليل ينقصه ولكنها الرغبة في التشهير بضعفنا وإعيائنا والمباهاة بقوته وجلده على الرغم من سنه.

[«رحلة إلى الحجاز» ص٦٣ إبراهيم المازني]

❋ ❋ ❋

قالت آنجيلا ميلو أو الحاجة ليزا عبداللّه سنة (١٤٢٠هـ): المسافة بين الصفا والمروة تبلغ نحو ثلاثمائة وثلاثين متراً، فإذا ضربناها بسبعة، نصل إلى ثلاثة كيلومترات وثلاثمائة وعشرة أمتار.

[«الطريق إلى السلام» ص٢٩ لأبو بكر أحمد باقادر]

❋ ❋ ❋

لقد ساءني شخصياً حالة طريق المسعى فهو مع اعوجاجه ترى الحوانيت المتنوعة على جانبيه، فمن إسكافي إلى بائع خضار إلى بائع حلويات، فهذا يبزق تحت أرجل الساعين وذالك ينثر الماء الوسخ وآخر يرمي فاسد الخضار، حالا لا تتناسب وشرف المحل والعمل.

[«رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» ص٦٧ لسعد بن أحمد الربيعة]

❋ ❋ ❋

ما يذكر في هذا المقام أن سيادة الشريف أشار عليه (الخديو عباس) لعدم المحظور شرعاً خصوصاً وهو في تعبه الشديد بعد هذا السفر الطويل، فامتنع

سموه قائلًا: «ما عليَّ لو غبرت قدمى ساعة في سبيل اللّه».

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٢ لمحمد لبيب البتنوني]

❊ ❊ ❊

المسعَى هو المكان المخصص لتنفيذ القصاص، في هذا المكان يجرى القصاص من المذنبين وإعدامهم. أثناء مقامي في مكة شاهدت رجلًا وهم يقصون عنقه بناء على حكم من القاضي.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٥٢) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

مشقة

الفقراء أو أولئك الذين تتملكهم رغبة الحصول على مبلغ كبير من المال يرضون بالسير مع القافلة سيراً على الأقدام لكي يعملوا خدماً، ولذلك يموت الكثيرون منهم على الطريق بسبب التعب.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١١) لجون لويس بور كهارت]

❊ ❊ ❊

الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل بن مامين أول من حج من قبيلة آل الجيه المختار، ورجع إلى أهله سالما، وقد كانوا قبله كل ما سافر منهم إلى الحج يموت في سفره قبل رجوعه لأهله حتى صار ذلك كأنه أمر معتاد عندهم مجرب، لاطمع لهم في إياب من سافر للحج إلى أهله، لكثرة موتهم في طريقه.

[«الرحلة المعينية» ص٣١٨ لماء العينين بن العتيق]

❊ ❊ ❊

معظم هؤلاء التكارنة يمضون سنوات في رحلتهم من ديارهم إلى مكة؛ وبصفة عامة، فإنهم يعملون أثناء الطريق مخترقين القارة الإفريقية، أحايين كثيرة يقضون بضع سنوات في مزارع القطن بالسودان.

وفي مرة لقيت رجلًا وزوجته، كانا قد بدآ رحلتهما ومعهما طفل واحد، فأصبحوا أسرة من ستة بعد انتهاء الحج - وكانت رحلتهم آنذاك قد استغرقت أربع عشرة سنة. لكن أوقر ما لقيته من الحجاج التكارنة كان رجلًا عجوزاً قوي البنية، ادعى أن عمره ١٢٠ سنة، وأنه قضى ما لا يقل عن سبعين سنة في الطريق من لاغوس إلى جدة، حيث لقيته في (١٩٣٠م).

لقد أمضى عمره كله في دراسة الدين والفلسفة الإسلامية، وشملت رحلته الطويلة إقامات طويلة أيضاً في المراكز العلمية المختلفة التي كانت في طريقه. وبعد مساءلة دقيقة استخرجت منه معلومة دقيقة، هي أنه كان في الخرطوم حين قتل جوردن باشا بأيدي قوات المهدي.

[«حاج في الجزيرة العربية» ص٣٨ لهاري سانت فيلبي]

* * *

قال د/ مايكل ن. بيرسون سنة (١٩٩٦م): فربما استغرقت الرحلة سنتين على الأقل، وقد تستغرق نحو ثماني سنوات لإكمال رحلة الحج ذهاباً وإياباً.

[«الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» ص٨٧ لمعراج نواب مرزا]

* * *

وقد سمعت أن بعض حجاج إفريقيا القادمين من الساحل الغربي يأخذون سبع سنوات ذهاباً وإياباً، وبعض الناس يأتون من تركستان، يعبرون المناطق الجبلية المغطاة بالثلج، ويصارعون العواصف الثلجية، حتى إذا ماوصلوا بالقرب من الأماكن المقدسة، وجدوا جواً مختلفاً تماماً، وجدوا جواً جافاً وحاراً تهب فيه العواصف الرملية.

[«ياباني في مكة» ص١٠٠ لتاكيشي سوزوكي]

* * *

يتذكر البعض أن رحلات الحج في الماضي كانت كثيرة المشاق إذ كان بعض

رجال البادية يقودون الحجاج على ظهور الإبل من دبي إلى مكة في رحلات تستغرق ستة أشهر ذهاباً وعودة، وكثير الذين ماتوا ولم يحجوا بسبب تلك المشاق.

[«مجلة تراث» العدد ٤/ ١٩٩٩ ص٦]

* * *

حينما قام الشاعر الكويتي فهد بورسلي بالحج إلى بيت اللّه الحرام على ظهر جمل، وفي هذه القصيدة يصف ظروف السفر على هذه الوسيلة قائلًا:

أنصح التاجر نصيحة والفقير ... لا يحدّونه على ركب البعير
لا يحدّونه على رجب الرجاب ... بالدراهم يشتري ضيم وعذاب
عقب خمسة يسحب وروكه سحاب ... من نزل من كورها مثل الكسير
خلفوا بالقلب جرح مايطيب ... والمجرّب يالربع غير الطبيب
والسبايب من صديج ومن جريب ... شورهم يالعنبو من يستشير
ذموا الموتر وحدّوني على ... رجب وحشي الصياهد والفلا
من محلة شيلته لي منزلا ... ما نصفّي يوم لي طفل صغير
قلت أبي كواية ترى حالي ركيك ... قالوا استح يافهد عيبٍ عليك
شوف رجب الكور هو سلك الرجال ... اركبه واصبر على ندح الغزال
ما تعرف الحج في رجب الجمال ... بالأجر زايد على رجب الزفير
قلت أنا أدري ولكن وشيفيد ... دام أشوف الحال تنقص ما تزيد
كلما صاح المصوّت للشديد ... جن واحد جاوي لب الضمير
اتركز وأصطلب بين الشاهدين ... ما أتحرّك لا يسار ولا يمين
بس أحاتي يا أمان الخايفين ... والجواعد حدرنا شبّت سعير
حالةٍ حالة رزالة والسلام ... طوال ليلك ما تهنى في المنام
بس هوّن ضيمهم باب السلام ... يوم شفته تمّت دموعي هدير

ما أروح الحج إلا في قطار | أو زفير ما تشوف إلا الغبار
جان لزّمتوا عليّ أركب حمار | بس أفارج يالربع ركب البعير
أنصح التاجر نصيحة والفقير | لا يحدّونه على ركب البعير

[«ديوان الشاعر الكويتي الشعبي فهد بورسلي» ص ١٥٧]

* * *

مطاف

أخبرني من أثق به من أهل مكة حين صلاتي الجمعة بظلة زمزم في عام (٩٦٢هـ) أن الحجارة الأولى في بعضها طلسم صغير محكوم بمنع الحمام أن تذرق نحو الكعبة، أو تعلو سطحها إلا إذا كانت مريضة، فتعلوا السطح للاستشفاء، وأنه من تاريخ إزالة ذلك الطلسم مع أحجار المطاف لم يزل الحمام يتوالى خرءها وذرقها على الطائفين وحول البيت، وصارت تعلو على السطح ولو لم تكن مريضة.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٤٩]

* * *

أول من بلط المطاف عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنه لما بنى الكعبة، وفرغ من بنائها، وبقيت معه بقية من الحجرة، ففرش بها حول البيت نحواً من عشرة أذرع، وتبعه غيره ففرش باقي المطاف.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٤٩]

* * *

كان حول المطاف عشرة أعمدة من نحاس يستضاء بها على أهل المطاف بعث بها الواثق العباسي.

[«البحر العميق» للقرشي (٣/ ٢٧٠)]

أشار ابن جبير إلى الأرض المحيطة بالكعبة المشرفة، وأنها مفروشة بحجارة

تشبه الرخام، وفي وقت وجود ابن بطوطة عبارة عن حجارة سوداء تصبح شديدة الحرارة بفعل أشعة الشمس، فعملوا على رشها بالماء من حين لآخر لإكسابها نوعاً من البرودة.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٦٣]، [«رحلة بان بطوطة» لابن بطوطة ص١٣٧-١٢٢]

* * *

مطبوعات

توزيع بعض الأوراق المطبوعة باسم الخلافة العربية، وقد يكون ذلك بمحض الصدفة أو نتيجة الجهل.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٢٧]

* * *

معاليق

يقال: إن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب أول من علّق على الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة، ثم نقل عن الأزرقي شيئاً أهدي إلى الكعبة منها: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما اهدي إليه هلالان، فبعث بهما فعلقهما في الكعبة، وبعث السفاح بالصحيفة الخضراء فعلقت في الكعبة، وبعث المأمون بالياقوتة التي تعلق في كل موسم بسلسة من الذهب في الكعبة، وأهدى المعتصم العباسي قفلًا لباب الكعبة وزنه ألف مثقال ذهباً في سنة تسع عشرة ومائتين، وكان والي مكة من قبله صالح بن العباس، فأرسل إلى الحجبة ليعطيهم القفل، فأبوا أن يأخذوه منه لأجل أنه طلب منهم القفل الأول ليرسله إلى الخليفة فأبوا أن يعطوه ذلك، وتوجهوا إلى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة القديم

عليها، وأعطاهم القفل الذي كان بعثه إليها فاقتسموه بينهم.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢٢٣)]

* * *

مما أهدي إلى الكعبة الشريفة طوق من ذهب مكلل بالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسلها ملك السند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين، وعرض ذلك على المعتمد على اللَّه فأمر بتعليقها في البيت الشريف، فعلّقت.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٥/ ٢٣٦)]

* * *

مما علّق على الكعبة بعد الأزرقي قصبة من فضة عليها بيعة جعفر أمير المؤمنين المعتمد على اللَّه وبيعة أبي أحمد الموفق بأمر اللَّه ابن أخي المعتمد على اللَّه، قدم بهما الفضل بن عباس في موسم سنة إحدى وستين ومائتين، وكان وزن القصبة ثلاثمائة وستين درهماً فضة، وعليها خارجاً من ذلك ثلاثة أزرار بثلاث سلاسل من فضة، ودخل الكعبة يوم الاثنين لأربع ليال خلون من صفر، فعلّق هذه القصبة مع معاليق الكعبة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢٢٥)]

* * *

بعث عبد الملك بن مروان بالشمسيتين وقدحين من قوارير، وضرب على الأسطوانة الوسطى الذهب من أسفلها إلى أعلاها صفائح، وبعث الوليد بن يزيد بالسرير الزينبي وبهلالين وكتب عليهما اسمه، وبعث أبو جعفر بالقارورة الفرعونية.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢٢٤)]

* * *

أسلم ملك من ملوك التبت، وكان له صنم من ذهب يعبده في صورة إنسان،

وكان على رأس الصنم تاج من الذهب مكلل بخرز الجوهر، والياقوت الأحمر والأخضر، والزبرجد، وكان على السرير مربع مرتفع من الأرض على قوائم، والسرير من فضة، وكان على السرير فرشة الديباج، وعلى أطراف الفرش أزرار من ذهب وفضة مرخاة، والأزرار على قدر الكرين في وجه السرير.

فلما أسلم ذلك الملك أهدى السرير والصنم إلى الكعبة، فبعث به إلى أمير المؤمنين عبد اللَّه المأمون هدية للكعبة والمأمون يومئذ بمرو من خراسان، فبعث به المأمون إلى الحسن بن سهل بواسط، وأمره أن يبعث به إلى الكعبة، فبعث به مع نصير بن إبراهيم الأعجمي - رجل من أهل بلخ من القواد - فقدم به مكة في سنة إحدى ومائتين.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٢٥)]

* * *

أرسل السلطان أحمد بن محمد بن مراد الكوكب الدري، وكان لا قيمة له، ولم يسبق لأحد من ملوك الهند والعجم مثله، وعلّق على القبر الشريف.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٤٩٣)]

* * *

كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة، شيوخ سدنة البيت الشريف إذا احتاجت اختلست منها ما يسد به خللّها، وتدفع به فقرها واحتياجاتها وقد أدركنا في أيام الصبا وقد خفت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يتهم بذلك، بل أخبرني نجار أنه عمل لأحدهم محطا مركبا من الخشب مؤلفاً من عدة أعواد، طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فتطول ثم تفك وتحمل في الكم، فإذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل وحده كما هو عادة مشايخ الكعبة، وركّب ذلك المحط ونزّل قنديلًا وفك تلك الأعواد،

وعفس ذلك القنديل ووضعه في كمه الواسع، ثم أذن للناس بالدخول بالبيت الشريف، وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه، تجاوز اللَّه عنه، وافتقد مرة أمير من أمراء جدة قنديلًا كان علّقه قريباً في البيت الشريف، فكلم على ذلك الشيخ وأراد إهانته فلم يقدر على ذلك، فتكلم الناس عليه، وكان يقول: المحافظة على بنية الإنسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة، لا ينفعها تعليقها ولا يضرها فقدها، وقد وصلنا إلى حد المخمصة، فنعذر في ذلك أن وقع فعله منا.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» للشيخ عبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٤٩٤)]

* * *

أما الهدايا التي أرسلت إلى الكعبة فمنها قفل ومفاتيح أهداها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب عليها حلقتين من ذهب مرصعتين باللؤلؤ، كل حلقة زنتها ألف مثقال، وفي كل حلقة ست لؤلؤات، وفي زمن الناصر محمد بن قلاوون أهدى أربعة قناديل كل قنديل منها مقدار الدروق المكي اثنان ذهب واثنان فضة.

[«تاريخ الكعبة» لحسين سلامة ص ٢١٤]

* * *

ذكر الفاكهي: أن مما أهدي إلى الكعبة طوقاً من ذهب مكللًا وبالزمرد والياقوت مع ياقوتة كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة (٢٥٩هـ)، فعرض أمره على المعتمد على اللَّه فأمر بتعليقها في البيت الشريف.

[«إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام» لعبد الكريم القطبي ص٥٩]

* * *

معجن إبراهيم

عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «أن جبريل أمّ بالنبي ﷺ حين فرضت الصلاة عند باب الكعبة مرتين» رواه الشافعي بإسناد حسن.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: أن الحفرة الملاصقة للكعبة بين الباب والحجر، وهي التي تسميه العامة المعجن، هي المكان الذي صلى فيه جبريل عليه السلام بالنبي ﷺ الصلوات الخمس في اليومين حين فرضها اللّٰه تعالى على أمته.

قال القاضي عز الدين ابن جماعة في مناسكه الكبرى: ولم أر ذلك لغيره وفيه بعد، لأن ذلك لو كان صحيحاً لنبهوا عليه بالكتابة في الحفرة ولما اقتصروا في التنبيه على من أمر بعمل المطاف. انتهى كلامه.

قال القرشي في «البحر العميق»: وليس هذا بلازم لأنه يحتمل أن يكون الأمر كما قال عز الدين بن عبد السلام، ولا يلزم التنبيه بالكتابة عليه، والشيخ عز الدين ناقل وهو حجة على من لم ينقل.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّٰه الحرام» لعبد اللّٰه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٢٣)]

* * *

حفرة المعجن: ويسمى أيضاً مقام جبريل، وهي عبارة عن الحفرة الموجودة في جهة الركن العراقي من الجدار الشرقي للكعبة المعظمة عند مقام إبراهيم على مسافة ثلاثة أصابع من الكعبة، وطول حفرة المعجن ثمانية أشبار وثمانية أصابع، وعرضها خمسة أذرع، وعمقها أربعة أصابع، ويروى أن سيدنا إبراهيم أعد في هذه الحفرة الطين الذي استخدمه في بناء الكعبة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّٰه الحرام» لعبد اللّٰه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٢٣)]

* * *

قال النبي ﷺ: «أمني جبريل عند باب الكعبة مرتين».

قال الفاسي: يحتمل ثلاثة وجوه:

الأول: أن يكون صلى وجاه الباب.

الثاني: أن يكون في الحفرة المرخمة التي عند باب الكعبة على يمينه.

الثالث: أن يكون في الملتزم وهو بعيد، والوجه الأول أقرب لأنه عند الباب حقيقة.

[«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» لابن ظهيرة ص١٣٧]

❋ ❋ ❋

نقل القاضي أبو البقاء ابن الضياء في منسكه «البحر العميق» عن الفقيه إسماعيل الحضرمي نفع اللّٰه به: أنه لما حج سأل المحب الطبري عن ثلاث مسائل: عن الحفرة الملاصقة للكعبة في المطاف، وعن البلاطة الخضراء التي في الحجر، وعن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكا، فأجاب: بأن الحفرة مصلى جبريل بالنبي ﷺ، والبلاطة الخضراء قبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويشير من رأسها إلى ناحية الركن الغربي مما يلي باب بني سهم ستة أشبار فعند انتهائها يكون رأس إسماعيل.

والقبران المرجومان فهو أن البيت الشريف أصبح يوماً في دولة بني العباس، وقد لطخه رجلان بالعذرة، فقبض عليهما أمير مكة واستأذن الخليفة في أمرهما، فأمر بصلبهما، فصلبا في هذا الموضع فصارا يرجمان إلى الآن.

[«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» لابن ظهيرة ص١٤١]

❋ ❋ ❋

قال القطب الحنفي: وبلصق الكعبة في وسط مقام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحفرة التي على يمين باب الكعبة حجر من الرخام الأزرق الصافي منقور فيه ما صورته: (بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، أمر بعمارة هذا المطاف الشريف سيدنا

ومولانا الإمام الأعظم المفترض الطاعة على سائر الأمم أبو جعفر المنصور المستنصر باللَّه أمير المؤمنين بلغه اللَّه آماله، وذلك في سنة (٦٣١هـ) وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

[«تحصيل المرام» للقطب الحنفي ص١٧٧]

❋ ❋ ❋

يوجد في المطاف بالقرب من باب الكعبة في جهة الشمال قسم محنط مربع طول كل ضلع من أضلاعه متران تقريباً، وهذا هو المعجن الذي كان إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يعجن فيه مونة البناء لإبراهيم.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص٧٣]

❋ ❋ ❋

المعجن: هو حفرة صغيرة كانت ملاصقة لجدار الكعبة بين باب الكعبة والركن العراقي، وكان سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يجمع فيها المواد اللازمة لبناء الكعبة.

[«ذكرى من مكة المكرمة» لخالد محمد حامد ص٣٧]

❋ ❋ ❋

قال سيدنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن ما بين الحِجر والباب لا يقوم إنسان فيدعو اللَّه تعالى بشيء إلا رأى في حاجته بعض الذي يحب.

[«أخبار مكة» للفاكهي (١/ ١٦٥)]

❋ ❋ ❋

قال الشيخ العز بن عبد السلام: إن الحفرة الملاصقة للكعبة بين الباب والحجر، وهي التي تسميه العامة: المعجن هي المكان الذي صلى فيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصلوات الخمس في اليومين حين فرضها اللَّه تعالى على أمته.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٤١٩)]

❋ ❋ ❋

وصلينا النفل مراراً في الحفرة التي عن يسار باب البيت التي صلى فيها جبريل بالنبي ﷺ الصلوات الخمس يؤمه فيها يحدد له أوقاتها، ويقال إنها هي الحفرة التي كان إسماعيل يعجن فيها الطين لبناء البيت يناوله لأبيه إبراهيم عليه السلام ويناوله الحجارة والله أعلم.

[«الرحلة الحجازية» ص١٧٠ للحافظ محمد يحيى المختار الولاتي]

* * *

مفتاح الكعبة

القفل تابع لنفس الباب فمتى كان الباب كان القفل ومفتاحه، والقفل يشمل الضبة الخشبية ويشمل القفل الحديد بجميع أشكاله وأنواعه. وقد سبق أن تكلمنا عن تجديد باب الكعبة المعظمة، وهنا نتكلم عن تجديد قفل باب الكعبة ومفتاحه، ولا ندري هل تجديد القفل تابعاً لتجديد باب الكعبة أم لا على كل حال نذكر هنا ما وقفنا عليه في بعض كتب التاريخ فنقول:

١- أسعد الحميري، وهو تبّع اليماني أول من جعل للكعبة باباً يغلق، ومعنى هذا أنه وضع عليه قفلًا وهو الضبة الخشبية بالطبع.

٢- قريش حينما بنوا البيت جعلوا له باباً وكان يغلق ويفتح، ومعنى هذا أيضاً أنهم جعلوا له ضبة خشبية، وهو قفل زمانهم.

٣- عبد الله بن الزبير حينما بنى البيت، كان يغلق بالضبة لقرب عهده بقريش.

٤- الحجاج بن يوسف الثقفي لما بنى البيت كان يغلق بالضبة، كعهد ابن الزبير.

٥- قال ابن فهد: بعث المعتصم بالله العباسي سنة (٢١٩هـ) للكعبة قفلًا فيه ألف دينار.

٦- عمل الملك المظفر صاحب اليمن لما حج سنة (٦٥٥هـ) باباً وقفلًا للكعبة.

٧- قفل ومفاتيح أهداه إليها الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر، والمظنون أن ذلك كان حينما حج سنة (٦٦٧هـ).

٨- قال الغازي: لما استناب الشريف حسن بن عجلان سنة (٨٠٤هـ) في صفر في الحكم بمكة الأمير بيسق لسفره إلى حلى عمل المذكور بعض أعمال لم يرض بها الشريف حسن فنقم عليه، منها: أنه عمل قفلًا ومفتاحاً في جمادى الأولى من السنة المذكورة لباب الكعبة، وركبه عليها وأخذ القفل والمفتاح الذين كانا الكعبة، فأخذ الشريف حسن منه القفل والمفتاح القديمين وأعادهما إلى الكعبة. انتهى.

٩- القفل والمفتاح لباب الكعبة المشرفة في عصرنا هذا فقد أمر بصنعهما السلطان عبد الحميد خان في سنة (١٣٠٩هـ).

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٧٥)]

❋ ❋ ❋

قال الفاكهي في سنة (٢١٩هـ) بعث المعتصم باللّه العباسي للكعبة بقفل فيه ألف دينار، وعلى مكة يومئذ صالح بن العباس، فأرسل صالح إلى الحجبة، فدعاهم ليقبضهم القفل، فأبى الحجبة أن يأخذوه، فأجبرهم على ذلك، وأراد أن يأخذ قفلها الأول، ويرسل به إلى الخليفة، فكلموه فتركه عندهم، وأذن لهم بالخروج إليه، فخرجوا إليه فكلموه فيه، فترك قفلها، وأعطاهم القفل القديم الذي بعث به إليها فقسموه بينهم.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٠٢]

❋ ❋ ❋

أول من اتخذ للكعبة غلقاً تبّع، ثم ضرب لها عبد المطلب باباً من حديد، وهي الأسياف القلعية التي كانت مع الغزالين الذهب، وهو ما استخرجه عبد المطلب من بئر زمزم.

[«مسالك الأبصار "لابن فضل اللّه العميري (١/ ١١١)]

❋ ❋ ❋

ذكر الفاكهي: كان من سنن المكيين وهم على ذلك إلى اليوم إذا ثقل لسان الصبي وأبطأ كلامه عن وقت عادته جاؤوا به إلى الحجبة وسألوهم أن يدخلوا مفتاح الكعبة في فمه فيتكلم بإذن اللَّه، وذلك مجرب إلى وقتنا هذا.

وقال ابن ظهيرة: قال بعض شيوخنا: وإلى عصرنا هذا وهو سنة خمس وثمانمائة.

قال ابن ظهيرة: وهو إلى وقتنا هذا، وهو سنة أربعة وتسعمائة ولا يخصون بذلك من ثقل لسانه بل يفعلون ذلك بالصغار مطلقاً تبركاً بذلك، ورجاء أن يمن عليهم بالحفظ والفهم، وقد فعل بنا آباؤنا وفعلنا نحن بأبنائنا.

[«الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» لابن ظهيرة ص ٣٣]

* * *

في سنة (٩٩٦هـ) لثلاث بقين من شهر رمضان فتح الشيخ عبد الواحد الشيبي الكعبة المشرفة للنساء على جاري العادة، فسرق من حجره مفتاح الكعبة، وهو مصفح الذهب، فوقعت الضجة وأغلقت أبواب الحرم وفتشت النساء، فلم يظفروا به، ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمي، فأخذه وقرره فقال: تزييت بزي النساء يوم فتح البيت الشريف وسرقته من حجر الفاتح، وكبس بيته فوجد عنده غير المفتاح سرقات أقر بها فقطع رأسه، وأعاد المفتاح إلى الشيخ عبد الواحد.

[«إتحاف فضلاء الزمن» لمحمد بن علي بن فضل الطبري المكي ص٥٧]

* * *

روى الفاكهي عن جبير بن مطعم أن النبي ﷺ لما ناول عثمان المفتاح قال: غيبوه، فلذلك يغيب المفتاح.

[«فتح الباري» لابن حجر (٨/ ١٩)]

* * *

كان موكب المفتاح يتم حسب مراسم معينة، فكان يخرج الكتخدا في موكب

إلى ساحل البارودخانة ليستقبل السفينة التي تحمل والأقفال القديمة، فإذا وصلت إلى الشاطئ تسلم الكتخدا هذه المفاتيح والأقفال من الأغا الذي أتى بها، ثم يقبلها ويرفعها على رأسه، ويسير بها هكذا في موكب حتى يصل إلى القصر الهمايوني، وهناك يقدمها إلى أكبر موظفي القصر (أغادار السعادة) الذي يضعها بدوره على منضدة مغطاة بأفخر أنواع القماش، ثم تحمل إلى السلطان فيقوم بدوره بحفظها في مكان مخصص لها بالقصر.

[«الكعبة المشرفة» ليلماز طرجان ص٦٠]

❊ ❊ ❊

مقام إبراهيم

قال عبد اللَّه بن عباس: لبث إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما شاء اللَّه أن يلبث، ثم جاء الثالثة، فوجد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قاعداً تحت الدوحة التي ناحية البئر يبرئ نبلًا له أو نباله، فسلم عليه ونزل إليه، فقال إبراهيم: يا إسماعيل إن اللَّه تعالى قد أمرني بأمر.

فقال له إسماعيل: فأطع ربك وما أمرك.

قال إبراهيم: أمرني ربي أن أبني له بيتاً.

قال له إسماعيل: وأين؟

يقول ابن عباس: فأشار له إلى أكمة مرتفعة على ما حولها عليها رضاض من حصباء، تأتيها السيول من نواحيها ولا تركبها، يقول ابن عباس: فقاما يحفران من القواعد، ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ويحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته ويبني الشيخ إبراهيم، فلما ارتفع البناء وشق على الشيخ إبراهيم قرب له إسماعيل هذا الحجر يعني المقام، فكان يقوم عليه ويبني ويحول له في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت. يقول ابن عباس: فلذلك

سمي مقام إبراهيم وقيامه عليه.

[«تاريخ مكة للأزرقي» (١/ ٨٠)]

* * *

وضع الكسوة على المقام من اختراع دولة آل عثمان فقد كان من عادة سلاطينهم أن يكسوا مقام إبراهيم الخليل - عليه والصلاة والسلام - الذي هو بجوار الكعبة بسكة سوداء مطرزة بأسلاك الفضة المموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة المعظمة، وتوضع هذه الكسوة على التابوت الخشبي الذي هو داخل الشباك الحديد فوق حجر المقام، وكانت هذه الكسوة تأتي سنوياً مع كسوة الكعبة من مصر زمن الدولة العثمانية، وأحياناً كانت تأتي كسوة المقام في كل خمس سنين مرة، ثم انقطعت كسوة المقام منذ سنوات عديدة إلى اليوم، والكسوة التي على المقام الآن هي قديمة لها أكثر من سبعة عشر سنة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٣٥١)]

* * *

وضع كسوة فوق المقام تحجب الحجر المكرم بدعة نكرة ما فعلتها الصحابة ولا التابعون ولا من بعدهم، وإنما حدث ذلك في زمن الدولة العثمانية على أنه لو كان تحتها ضريح لقلنا تلك عادة جارية، ولو كان تحتها سر من الأسرار، أو كان المقام يتأثر بضوء الشمس والقمر لقلنا: يجب ستره حتى لا ينكشف السر ولا يتضرر المقام من الضوء.

أما وحيث كان تحتها ذلك الحجر المكرم المحترم الذي قال اللَّه تعالى في حقه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وقال جل جلاله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فإنه يجب رفع الستارة عنه لينظر المسلمون إلى هذا المقام المقدس الذي أمرهم اللَّه تعالى بالصلاة خلفه، وليعرفوا أنه حجر لا غير، فتغطية المقام بالكسوة توقع الناس في الجهل بحقيقته، وتوجب لهم الوسواس

وانشغال البال في تصور شكله وهيئته.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٣٥١)]

* * *

كان المقام في أرض المطاف من أيام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلى ما بعد الإسلام معروضاً في أرض المطاف تأتي عليه السيول والأمطار ومعرضاً للمس واللمس فلا بد بمرور هذه الأحقاب الطويلة والعصور البعيدة أن يتغير نوعاً ما، وأن تتسع فتحاتا القدمين وأن تمحى آثار أصابع الخليل عليه السلام خصوصاً وقد أظهر الإسلام فضله وازدحم الناس على استلامه وإن لم يؤمروا بذلك ما لم يحفظ في مكان لا تصل إليه الأيدي، لذلك عملت له مقصورة عليها قبة ووضعت فوق المقام فبذلك صار في حرز مكين مأمون العاقبة، ولقد كان حجر المقام موضوعاً على كرسي ملبس بصفائح الرصاص، ثم في سنة إحدى وأربعين ومائتين أمر أمير المؤمنين محمد المستنصر باللّه بإبدال صفائح الرصاص بصفائح فضة، كما ذكر ذلك الإمام الأزرقي في تاريخه أخبار مكة.

ولم يعرف بالضبط أول من وضع له تابوتاً، غير أنه قيل: إن اقرب وقت صنع فيه ذلك سنة عشر وثمانمائة بمعنى أنه صنعت للمقام مقصورة ثابتة لا تنتقل ولا تتحرك، وإلا فقد كانت للمقام قبة قبل هذا التاريخ، فقد ذكر ابن جبير الأندلسي في رحلته وقد حج سنة خمسمائة وثمانية وسبعين للهجرة صفة المقام، ثم قال: لموضع المقام قبة مصنوعة من حديد موضوعة إلى جانب زمزم، فإذا جاءت أشهر الحج وكثرت الناس رفعت القبة الخشب ووضعت القبة الحديد.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٣٥٣)]

* * *

وضع زجاج على مقام إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ورفع المقصورة الحديدية التي كانت عليه:

قررت رابطة العالم الإسلامي التي تعقد في موسم الحج من كل عام رفع المقصورة الحديدية التي كانت موضوعة فوق مقام إبراهيم عليه السلام منذ مئات السنين، ويوضع بدلًا عنها زجاج قوي جميل على نفس المقام الكريم مع بقائه في مكانه الأصلي من غير تحريكه ولا زحزحته عن موضعه أبداً، ونرى أن هذا القرار نعم هو القرار، فيه راحة المسلمين بتوسعة المطاف مع بقاء المقام الكريم في محله الأصلي القديم.

ولقد نشر هذا القرار بالصحف، فقد ذكرت جريدة المدينة المنورة الصادرة بتاريخ ٨ صفر سنة (١٣٨٥هـ).

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٣/ ٣٦٤)]

* * *

في سنة (١٦١هـ) حلى المهدي المقام، وسبب تحليته أن المقام رفع فانثلم وخيف عليه أن يتفتت، فكتب في ذلك الحجبة إلى المهدي، فبعث بألف دينار، فضُبِّب بها المقام من أعلاه وأسفله.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٢/ ٢٠٢)]

* * *

في العصر العثماني ازداد اهتمام العثمانيين بكسوة المقام الشريف، فقد أرسل السلطان سليم الأول كسوة له في سنة دخوله مصر (٩٢٣هـ)، وظلت كسوة المقام ترسل مع القافلة المصرية طوال العصر العثماني.

[«مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني» لمحمد علي فهيم بيومي ص ٢٧٥]

* * *

قال الرازي في تفسيره: إن مقام إبراهيم اشتمل على الآيات، لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة الصماء دون بعض آية، لأن من الصخرة ما تحت قدميه فقط، وإبقاؤه دون آيات سائر

الأنبياء - عليهم السلام - آية خاصة لإبراهيم - عليه السلام -، وحفظه مع كثرة أعدائه من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين ألوف السنين آية، فثبت أن مقام إبراهيم عليه السلام فيه آيات كثيرة.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص١٢١]

* * *

أول من طوق مقام إبراهيم عليه السلام أي الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت الحرام بالذهب أمير المؤمنين محمد المهدي العباسي، وذلك سنة (١٦١هـ).

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص١٢٢]

* * *

جرت العادة في زمن سلاطين آل عثمان حين قاموا بعمل كسوة الكعبة المعظمة يكسون مقام الخليل إبراهيم عليه السلام بكسوة سوداء مطرزة بأسلاك الفضة المموهة بالذهب على شكل ستارة باب الكعبة والحزام، وتوضع هذه الكسوة على التابوت الخشبي الذي هو داخل الشباك الحديدي فوق حجر المقام، ومكتوب عليها من الجهات الأربع بالتطريز الآيات القرآنية.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص١٢٢]

* * *

أول ما حُلي المقام في خلافة المهدي العباسي سنة (١٦١هـ).

[«تاريخ مكة» للفاكهي (١/ ٤٧٥)]

* * *

إن ذرع المقام ذراع، وإن القدمين داخلان فيه سبع أصابع. وحررت لما كنت مجاوراً بمكة المشرفة سنة (٧٥٣هـ) مقدار ارتفاعه من الأرض فكان نصف ذراع وربع ذراع وثمن ذراع بالذراع المستعمل في زماننا بمصر في القماش، وأعلا

المقام مربع من كل جهة: نصف ذراع وربع ذراع، وموضع غوص القدمين ملبس بفضة، وعمقه من وفق الفضة سبعة قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش.

[«هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك» لعبد العزيز بن محمد الكناني ص١٣٥١]

* * *

لما فرغ من التأذين أمر بالمقام فوضع قبلة، فكان يصلي إليه مستقبل الباب، ثم كان إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد يصلي إلى باب الكعبة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٠)]

* * *

عن نوفل بن معاوية الديلي قال: رأيت المقام في عهد عبد المطلب مثل المهاة، والمهاة: خرزة بيضاء. انتهى.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٠)]

* * *

عن أبي مليكة قال: موضع المقام هو هذا الذي به اليوم، وهو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلا أن السيل ذهب به في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فجعل في وجه الكعبة حتى قدم عمر فرده بمحضر من الناس.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٥)]

* * *

كان بين المقام وبين الكعبة ممر العنز.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (١/ ٤٥٥)]

أول ما حلي المقام في خلافة المهدي العباسي سنة (١٦١هـ).

[«تاريخ مكة» للفاكهي (١/ ٤٧٦)]

* * *

وقد اعتادوا «الشيبيين» حفظ المقام الشريف داخل الكعبة وعند إخراجه في الأيام العادية توضع عليه قبة من خشب، أما في الموسم فتوضع قبة حديد صوناً له من أيدي الحجاج.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٦٣]

* * *

لما فرغ من التأذين أمر بالمقام فجعله قبلة، فكان يصلي إليه مستقبل الباب، ثم كان إسماعيل بعد يصلي إليه إلى باب الكعبة.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٠)]

* * *

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت المقام فيه أصابعه وأخمص قدميه والعقب غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (١/ ٤٥٠)]

* * *

عن عبد اللّه بن شعيب قال: ذهبت أرفع المقام في خلافة المهدي فانثلم، قال: وهو من حجر رخو يشبه السنان فخشينا أن يتفتت، فكتبنا في ذلك إلى المهدي، فبعث إلينا بألف دينار فضببنا به المقام أسفله وأعلاه، ولم يزل ذلك الذهب عليه حتى ولي أمير المؤمنين جعفر المتوكل على اللّه فجعل عليه ذهباً فوق ذلك الذهب أحسن من ذلك العمل في مصدر الحاج سنة (٢٣٦هـ).

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٦)]

* * *

لم يكن مقام إبراهيم ثابتاً في موضعه كما هو اليوم، بل كان ينتقل من مكانه أيام الموسم ليصان في جوف الكعبة، وكانت له قبة من خشب يرفعونها عنه في بعض

المواسم، ويجعلون بدلها قبة من حديد.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢٠٤)]

❋ ❋ ❋

مقامات

يوجد بالمسجد الحرام أربع مقامات ينسب كل واحد منها إلى أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب وهي: المقام الشافعي، المقام الحنبلي، المقام الحنفي، المقام المالكي. يقول الشيخ حسين با سلامة صاحب كتاب «تاريخ عمارة المسجد الحرام» رَحِمَهُ اللَّهُ أنه بحث كثيراً في الكتب عن اسم أول من أحدث هذه المقامات، وعن سنة حدوثها فلم يعثر على شيء، والذي ظهر له بعد البحث الطويل أنها حدثت بين القرنين الرابع والخامس. قال: وذلك لأن ابن عبد ربه الأندلسي حينما وصف المسجد الحرام في كتابه «العقد الفريد»: ذكر كل ما احتواه من أروقة وأبواب وسقاية العباس وغيرها مما أزيل من المسجد الحرام، ولم يذكر المقامات الأربعة. وقد توفي ابن عبد ربه سنة (٣٢٨هـ) فدل ذلك على عدم وجودها في ذلك العصر.

وقد ابن جبير الأندلسي في رحلته المقامات الأربعة ووصفها، وكان ذلك في السنة التي حج فيها وهي سنة (٥٧٨هـ) فدل على ذلك أنها أحدثت قبل ذلك التاريخ. فظهر من ذلك أن حدوث المقامات كان في القرن الرابع أو الخامس، ثم ساق الشيخ با سلامة خبر المقامات تفصيلًا.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ٩١)]

❋ ❋ ❋

أما كيفية الصلاة في هذه المقامات الأربعة، فقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته لما حج وذلك سنة (٧٢٨هـ) قال ما خلاصته: أن يصلي أولًا إمام الشافعية، ثم

يصلي بعده إمام المالكية، ويصلي إمام الحنبلية معه في وقت واحد، ثم يصلي إمام الحنفية، كل واحد في محرابه، وترتيبهم هكذا في الصلوات الأربعة، وأما صلاة المغرب فيصلونها في وقت واحد كل إمام يصلي بطائفة، ويدخل الناس من ذلك سهو وتخليط، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي، وسجد الحنفي بسجود الحنبلي، وتراهم مصغين كل واحد إلى صوت المؤذن الذي يسمع طائفته لئلا يدخل عليه السهو.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ٩٣)]

* * *

هدم المقامات الأربعة التي كانت بالمسجد الحرام:

لما صدرت الموافقة الملكية على توسعة المطاف، وهدم المقامات الأربعة في زماننا، قاموا بتنفيذ الرغبة الملكية، فهدموا أولًا المقام الحنبلي الذي هو بقرب بئر زمزم، وذلك في ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر شعبان سنة (١٣٧٧هـ).

ثم هدموا المقام المالكي الذي يقع بين المقام الحنبلي والمقام الحنفي أي كان مقابلًا لظهر الكعبة، وذلك في ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شهر شعبان من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧هـ).

ثم هدموا المقام الحنفي الذي يقع في الجهة الشمالية ويقابل ميزاب الكعبة، وذلك بعد عيد الفطر أي يوم السبت الثمن من شهر شوال من السنة المذكورة سنة (١٣٧٧هـ).

وكان في هذا المقام مكبرات الصوت المسماة ميكرفونات ليصل إلى الناس صوت الذي يقيم الصلاة، ويكبر لدى حركات الإمام، فعند هدم هذا المقام نقلوا هذه الميكرفونات إلى المقام الشافعي الذي هو فوق سطح بئر زمزم.

وأما المقام الشافعي فقد تأخر هدمه عن السنة المذكورة سنة (١٣٧٧هـ) لأنه

ليس له بناء مستقل وحده كالمقامات الأخرى، فهو يقع فوق بناء بئر زمزم فهدمه لا يكون إلا بإزالة هذا البناء، ثم الناس في حاجة إلى من يبلغهم حركات الإمام، ومكبرات الصوت فوق هذا البناء، فلا يمكن إزالته لتوسعة المطاف إلا إذا بني لمكبرات الصوت موضع خاص ثابت، ولم يقرر ذلك لدخول موسم الحج ووصول بوادر الحجاج، ثم إنهم هدموا المقام الشافعي مع بناية بئر زمزم في سنة (١٣٨٣هـ)

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ٩٨)]

❊ ❊ ❊

تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب في ذلك الوقت الأمر الذي انفردت به مكة المكرمة في ذلك الوقت عما سواها من المدن. حيث كان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة إمام مقدّم للصلاة بطائفته بالمسجد الحرام ولكن الأولوية للإمام الشافعي لأنه من قبل الخليفة فهو الذي يقيم الخطبة ويبدأ بالصلاة وأهل مكة على مذهبه. ويليه بقية الأئمة كما يوجد إمام خامس لفرقة الزيدية وأعيان مكة على مذهبه ولهذا يلقون الدعم واستمرارية الوجود.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف نواب ص٢٤٩]

❊ ❊ ❊

المقامات الأربعة الخاصة بأئمة المذاهب الأربعة من جملة المستحدثات التي لا محل لها في الشريعة الإسلامية، وقد أنشئت في سنة ٨١٥هـ حينما كان يحكم مصر فرج بن برقوق بن أنس من ملوك الشراكسة. وأراد شاه إيران نادر شاه أن يزيد المقامات إلى خمسة بإنشاء مقام خاص للمذهب الجعفري، إلا أنه لم ينل مطلبه وخاب في مسعاه.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٧٤٠) لأيوب صبري باشا]

❊ ❊ ❊

أتباع هذه المقامات الأربعة يجلسون بالقرب منها لأداء الصلاة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

أثناء مقامي في مكة كان الأحناف هم الذين يبدأون بالصلاة، لكن حسب الأعراف والتقاليد الإسلامية يتعين أن يبدأ الشافعية بالصلاة في الحرم المكي، ثم يتلوهم الحنفية، فالمالكية وأخيراً الحنابلة. صلاة المغرب تعد إستثناء من هذا العرف؛ إذ تؤديها المقامات الأربعة مع بعضهم بعضاً في آن واحد.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

المقام الحنبلي هو المكان الذي يجلس فيه ضباط الحكومة وموظفيها، والأعيان الآخرون أثناء الصلاة، في هذا المكان يجلس كل من الباشا والشريف، ويجلس فيه الطواشيَّة أثناء غيابهما عن المسجد الحرام. هؤلاء الطواشيَّة يملأون الفراغ الموجود تحت المقام عند المقدمة.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

الفراغ الموجود خلف المقام (مقام إبراهيم) مخصص للحاجات، اللاتي يزرن المسجد الحرام لأداء صلاة المغرب وصلاة العشاء، وقلة قليلة من هؤلاء الحاجات هن اللاتى يشاهدن أثناء الصلوات الثلاث الأخرى في المسجد.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٢) لجون لويس بوركهارت]

* * *

تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب في ذلك الوقت الأمر الذي إنفردت به مكة المكرمة في ذلك الوقت عما سواها من المدن. حيث كان لكل

مذهب من المذاهب السنية الأربعة إمام مقدّم للصلاة بطائفته بالمسجد الحرام ولكن الأولوية للإمام الشافعي لأنه من قبل الخليفة فهو الذي يقيم الخطبة ويبدأ بالصلاة وأهل مكة على مذهبه. ويليه بقية الأئمة كما يوجد إمام خامس لفرقة الزيدية وأعيان مكة على مذهبه ولهذا يلقون الدعم واستمرارية الوجود.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» ص٢٤٩ لعواطف نواب]

* * *

ولقد لفت انتباه الرحالة تعدد الأئمه وصلاة كل إمام بمن يتبعه واستنكارهم لذلك وزاد استنكارهم من وجود الفرقة الزيدية وإمامها فالإمام الزيدي كان موجوداً زمن رحلة ابن جبير عام (٥٧٩هـ - ١١٨٣م)، واستمر وجوده إلى وقت مجيء التجيبي مكة سنة ٦٩٦ه / ١٢٩٦م، ولكن اختفى وجوده في وقت وجود ابن بطوطة الذي زار مكة المكرمة سنة (٧٢٦هـ - ١٣٢٥م) ضمن رحلاته المتعددة إذ أنه لم يذكر وجود الفرقة الزيدية.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» ص٢٤٩ لعواطف نواب]

* * *

وصل مرسوم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢٦هـ - ١٣٢٥م) إلى الشريف عطيفة يستنكر فيه وجود إمام زيدي بالحرم فأصدر إليه أمراً بمنعه فنفذ الشريف الأمر.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» ص٢٤٩ لعواطف نواب]

* * *

ومما ذكر عن أفعال الزيدية زيادتهم في الآذان «حي على خير العمل» بعد «حي على الفلاح» وصفوا بأنهم روافض لا يجمعون مع الناس وإنما يصلون ظهراً أربعاً ويصلون المغرب عقب فراغ الأئمة من صلاتهم ويتبرؤون من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، ويبدو أنه لم يكن لأهل مكة وعلمائها طاقة على الاعتراض فضلًا عن

التغيير إلا بالقلوب لمساندة أعيان مكة لهم، وقد عبر ابن جبير عن استنكاره للزيدية بقوله: «واللَّه من وراء حسابهم وجزائهم، أما التجيبي فعبر بقوله» واللَّه تعالى يرشدهم إلى مذهب أهل السنة والجماعة بمنه وكرمه.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» ص٢٥٠ لعواطف نواب]

* * *

ولم يتطرق أحد من الرحالة إلى بداية وجود (الإمام الحنفي والمالكي) وتعددهم بالحرم الشريف غير أن التجيبي أورد خبراً عن بداية تعددهم، فقال: إن تعددهم جاء نتيجة تغلب الديلمي على العراق فتفرق العلماء من العراق ومن الحجاز إلى غيرها من البلدان، فبقي الناس بالحرم الشريف أشتاتاً بغير إمام لهم يقيم لهم الصلاة، ففزع أهل كل مذهب في الحرم إلى رجل منهم فقدموه ليصلي بهم جماعة فمضي العمل على ذلك من يومئذ، ولم يوضح التجيبي من هو المعني بالديلمي كما أغفل تحديد السنة أيضاً.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» ص٢٥٢ لعواطف نواب]

* * *

وللحرم أئمة سنية وإماماً خامساً لفرقة الزيدية، وأشراف هذه البلدة على مذهبهم وهم الزيديون، ولا يجتمعون مع الناس إنما يصلون الظهر أربعاً، ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة من صلاتها، فأول الأئمة السنية الشافعي، ثم المالكي والحنبلي، وصلاته مع صلاة المالكي في حين واحد، ثم الحنفي، وهذا في غير المغرب. أما في المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلونها في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها، يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة، ثم يقيم مؤذنوا سائر الأئمة، وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي، أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذن مصغية لصوت

إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير الناس.

[«رحلة ابن جبير» ٨٤]

* * *

كانت كيفية صلاة الأئمة في المقامات مرتبة الشافعي، فالحنفي، فالمالكي، فالحنبلي، وكان قبل ذلك يتقدم المالكي على الحنفي، ثم تقدم عليه الحنفي، وهذا كله في غير صلاة المغرب، فإنهم كانوا يصلونها جميعاً في وقت واحد، وكان يحصل بموجب ذلك اشتباه كثير للمصلين، ثم برز أمر السلطان الملك الناصر فرج بأن الإمام الشافعي بالمسجد الحرام يصلي المغرب وحده دون الأئمة الباقين، وكان ورود الأمر منه سنة (٣١١هـ) فنفذ أمره فاستمر الشافعي يصلي المغرب وحده دون الباقين إلى ورود أمر الملك المؤيد أبي النصر صاحب مصر بأن الأئمة يصلون المغرب كما كانوا يصلون قبل ذلك ففعلوا ذلك، وكان أول وقت فعل ليلة السادس من ذي الحجة سنة (٣١٦هـ).

وكذلك كانت تجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على الصلاة في وقت واحد في عشاء رمضان خاصة، هذا كله بالنسبة إلى ما كان، أما في زماننا فالشافعي يتقدم في الصلوات كلها ما عدا المغرب، فالحنفي يتقدم عليه به، والمالكي والحنبلي لا يصليان إلا الصبح فقط في جميع السنة إلا في شهر الحج منها، فإن المالكي يصلي الخمس، فالترتيب بين الثلاثة في الصبح: المالكي، ثم الحنبلي، ثم الحنفي، وفي الموسم يتقدم المالكي قبل الكل، لأنه بمجرد أن يؤذن المؤذن يتقدم فيصلي، فتارة تكون تمام صلاته بعد تمام أذان الحزورة، فيدخل الإمام الشافعي، وتارة يتقدم الإمام الشافعي وهو في أثناء الصلاة. هذا كله بالنسبة إلى الظهر والعصر، وأما المغرب فإنه هو والحنفي في آن واحد.

[«الأرج المسكي» لعلي المكي ص١٧٣]

* * *

قال عبد اللَّه بن غازي: وأما في زماننا ففي الأوقات الثلاثة: الظهر والعصر والعشاء يتقدم الإمام الحنفي، ثم الشافعي، ثم المالكي، ثم الحنبلي. وأما الصبح فيتقدم الإمام الشافعي، ثم المالكي، ثم الحنبلي، ثم الحنفي. وأما المغرب فيصلي الإمام الحنفي، ثم الشافعي فقط.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥١٨)]

* * *

وأما حدوث صلاة هذه الأئمة على هذه الصيغة لا أعلم في أي وقت كان.

ثم نُقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي سنة (٤٩٧هـ) وأن الحنبلي لم يكن موجوداً، وإنما كان إمام الزيدية.

وذُكر: ووجدت ما يدل على أن الحنبلي كان موجوداً في عُشر الأربعين وخمسمائة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٤٦٥)]

* * *

غريبة: في تاسع شهر رجب من سنة (١١٣٩هـ) أعيدت صلاة الصبح في مقام الحنفي مرة أخرى بتكبير وسببها: أنه صلى رجل يقال له: علي أفندي صاقزلي، وقرأ سورة الفتح وغلط فيها، فردوه ناس من الطواف ومن خلفه أيضاً، فرجع إلى الغلط ثم بعد الصلاة تعصبوا عليه وقالوا: أنت أخذت برد من مكان في الطواف ن وما أخذت عمّن خلفك، فصلاتك باطلة، فأمروا المكبّرين فكبروا، وأعادوا مرة أخرى بإقامة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٥٩٣)]

* * *

وفي سابع وعشرين من شعبان سنة (١٣٤٣هـ) تعيّن الشيخ عبد الرحمن بن داود من علماء نجد إماماً بالمصلين في المقام الحنبلي، فكان يصلي في الناس

في الأوقات الأربعة أي الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم يصلي الإمام الشافعي، وأما الصبح فكان يصلي الإمام الشافعي أولًا، ثم الحنبلي، ثم المالكي، ثم الحنفي.

[«جريدة أم القرى» العدد (٣) ص ٣ سنة (١٣٤٣هـ)]

❋ ❋ ❋

في شهر رمضان سنة (١٣٤٣هـ) صدر الأمر أن بعد صلاة العشاء يصلي بالناس التراويح إمام واحد يقرأ فيه القرآن العظيم، ومن أراد أن يصلي التراويح إماماً بجماعة فليتحر فراغ الإمام، فإذا فرغ صلاها بجماعة، فصلى العشاء بالناس في أول ليلة رمضان الشيخ عبد اللَّه بن حسن في المقام الحنبلي، ثم صلى التراويح في المقام المذكور الشيخ خليل العجيمي عدة ليالي، ثم بعد ذلك صلى الشيخ جمال ميرداد إلى آخر رمضان، وكان هو يصلي الوتر بالناس جماعة ثلاث ركعات بتسليمتين، يقرأ في الثالثة دعاء القنوت بعد الركوع جهراً.

[«جريدة أم القرى» العدد (٣) ص ٣ سنة (١٣٤٣هـ)]

❋ ❋ ❋

قال ابن جبير في صلاة أئمة المسجد الحرام في وقت واحد في صلاة المغرب: وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة، فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي أو سلم احدهم بغير سلام إمامه، فترى كل أذن مصغية لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو، ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار أو رحلة ابن جبير»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٥٧)]

❋ ❋ ❋

قال ابن جبير في أئمة المسجد الحرام: ويوضع الشمع بين أيدي الأئمة في

محاريبهم، والمالكي أقلهم شمعاً وأضعفهم حالًا، لأن مذهبه في هذه البلاد غريب، والجمهور على مذهب الشافعي وعليه علماء البلاد وفقهاؤها إلا الإسكندرية فأكثر أهلها مالكيون.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار أو رحلة ابن جبير»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٥٧)]

❋ ❋ ❋

قال ابن جبير: وللحرم أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية، وأشرف أهل هذه البلدة على مذهبهم، وهم يزيديون في الأذان: حي على خير العمل إثر قول المؤذن حي على الفلاح.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار أو رحلة ابن جبير»]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٥٦)]

❋ ❋ ❋

أهل العلم نقلوا أن مكة شرفها اللّٰه تعالى لم يجمع فيها الصلاة المفروضة بالحرم الشريف بإمامين في حالة واحدة ولا جماعة بعد جماعة، من زمن أمر النبي ﷺ عتاب بن أسيد عام الفتح سنة (٨هـ) إلى أن غلب عضد الدولة على العراق، فتفرق العلماء من العراق ومن الحجاز إلى غيرهما من البلدان، فبقي الناس في الحرم أشتاتاً لا إمام لهم يقيم لهم الصلاة، ففزع أهل كل مذهب في الحرم إلى رجل منهم فقدموه ليصلي بهم جماعة ن فمضى العمل على ذلك من يومئذ.

[«مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ١٨٩)]

❋ ❋ ❋

تعدد الأئمة في الحرم المكي تبعاً لتعدد المذاهب في ذلك الوقت الأمر الذي انفردت به مكة المكرمة في ذلك الوقت عما سواها من المدن، حيث كان لكل

مذهب من المذاهب السنية الأربعة إمام مقدم بطائفته بالمسجد الحرام، ولكن الأولوية للإمام الشافعي لأنه من قبل الخليفة فهو الذي يقيم الخطبة ويبدأ بالصلاة، وأهل مكة على مذهبه، ويليه بقية الأئمة كما يوجد إمام خامس لفرقة الزيدية، وأعيان مكة على مذهبه.

[«رحلة ابن جبير» لابن جبير الأندلسي ص٧٨]

* * *

وصل مرسوم من السلطان الناصر محمد بن قلاوون في سنة (٧٢٦هـ) إلى الشريف عطيفة يستنكر فيه وجود إمام زيدي بالحرم فأصدر إليه أمر بمنعه فنفذ الشريف الأمر.

[«العقد الثمين» للفاسي (٦/ ٩٨)]

* * *

لم يتطرق أحد من الرحالة إلى بداية وجودهم (تعدد الأئمة) وتعددهم بالحرم الشريف غير أن التجيبي أورد خبراً عن بداية تعددهم فقال: إن تعددهم نتيجة تغلب الديلمي على العراق فتفرق العلماء من العراق ومن الحجاز إلى غيرها من البلدان، فبقى الناس بالحرم الشريف أشتاتاً بغير إمام لهم يقيم لهم الصلاة ففزع أهل كل مذهب في الحرم إلى رجل منهم فقدموه ليصلي بهم جماعة فمضى العمل على ذلك يومئذ، ولم يوضح التجيبي من هو المعني بالديلمي، كما أغفل عن تحديد السنة أيضاً.

ولعل المعنى هنا بالديلمي هو معز الدولة ابن بوية.

[«الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف محمد يوسف نواب ص٢٥٢]

* * *

في شهر ربيع الثاني سنة (١٣٤٥هـ) اجتمع فريق من العلماء الحجازيين والنجديين، وقرروا أن تكون الجماعة التي تقام في المسجد الحرام جماعة

واحدة، وانتخب من كل مذهب ثلاثة أئمة، ومن الحنابلة أمامان، يتناوبون في أوقات الصلوات الخمس. فكان من الحنابلة: الشيخ أبو السمح، والشيخ أحمد الخطيب، ومن الشافعية: الشيخ عبد الرحمن الزواوي، والشيخ محمد علي خوقير، والشيخ عمر فقي، ومن الحنفية: الشيخ عباس عبد الجبار، والشيخ عبد الملك ميرداد، ومن المالكية: الشيخ أمين فودة، والشيخ عبد اللَّه حمودة، والشيخ عباس مالكي.

وقد وافق جلالة الملك على هذا الترتيب، وجرى العمل بمقتضاه، وأصبحت الجماعة في الحرم المقدس جماعة واحدة.

[«جريدة أم القرى» العدد (٩٨) ص ٣ سنة (١٣٤٥هـ)]

* * *

قال العلامة ابن الضياء الحنفي: وقد وفق اللَّه سيدنا العلامة شيخ الإسلام محيي السنة، ومميت البدعة بالمسجد الحرام تفردرش الحنفي في مجاورته مكة المشرفة لإزالة بدعة الوقيد على المقامات الأربعة بالمسجد الحرام في ليلة سبع وعشرين من رجب وغيره من الليالي التي توقد فيها ن فسعى في إبطالها، واجتهد في ذلك فبطلت بحمد اللَّه بمساعدة ولي الأمر سنة ثمانمائة وثمانية عشر.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٤٢١)]

* * *

مقبرة

في سنة (١٠٩٨هـ) ابتدئ بعمل حائط على مقبرة مكة المشرفة، وذلك لما أنهي الوزير سليمان ما يحدث من التلويث والنجاسة في القبور بالحج، حيث نزول الحجاج ونصبهم خيامهم عليها، وطبخهم قدور الطعام فيها، فانتدب لعمارتها

الشلبي عثمان حميدان وزير مكة، وقسم المقبرة قسمين، وجعل لكل واحد منهما سوراً بأبواب.

[«إتحاف فضلاء الزمن» لمحمد بن علي الطبري المكي (٢/ ١٣٤)]

* * *

مكة

من أسماء مكة:

بكة: سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة، بمعنى يبكون بها ويخضعون، وقيل: لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون.

قال قتادة: إن اللَّه بك الناس بها جميعا، فيصلي الناس أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها.

البيت العتيق.

البيت الحرام.

البلد الأمين.

المأمون.

أم رُحْم: يعني: أنها أصل الرحمة.

أم القرى، وصلاح، والعرش على وزن بدر.

والقادس: لأنها تطهر من الذنوب.

والمقدسة.

والناسة: بالنون، والناسة: سميت بذلك لقلة الماء بها إذ ذاك، أو لأن من بغى بها أخرج منها.

الباسة والبساسة.

والحاطمة.

والرأس: وكوثى، والبلدة، والبنية، والكعبة، والقرية، ومعاد، والنابية، والمكتان، والمعطشة، وبرق، وبساق.

[«البداية والنهاية» لابن كثير (٢/ ٦٤)]

* * *

أما أسماء مكة المشرفة فكثيرة منها: مكة، والمعطشة، وبكة، والعروض، والبلد الأمين، والبلد، والقرية، وأم القرى، وكوثى، وأم كوثى، وفاران، والمقدسة، وقرية النحل، والحاطمة، والوادي، والحرم، والعرش، وبرد، وصلاح، وطيبة، ومعاد، والباسة، والناشة.

[«إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام» لعبد الكريم القطبي ص٣١]

* * *

للعلماء تأويلات لتسميتها بأم القرى:

أحدهما: أن بها البيت الشريف الذي هو مبدأ الأرض وأصلها الذي تفرعت عنه بقعته.

ثانيهما: كونها قبلة تؤمها الوجوه، وبها بيت اللَّه - عز وجل -، ولما اطردت العادة أن يكون بلد الملك وبيته هما المقدمان على الأماكن سميت أمّا، لأن الأم متقدمة.

[«الأرج المسكي في التاريخ المكي» لعلي بن عبد القادر الطبري ص٦٥]

* * *

أورد الفاسي أن بكة بالباء هو موضع البيت وهو الكعبة، ومكة بالميم موضع

القرية، وهو ما يحيط بالكعبة المشرفة.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٩٥)]

* * *

قيل إن بكة تشمل البيت والمسجد، ومكة اسم للحرم كله.

[«القرى لقاصد أم القرى» محب الدين الطبري ص٦٥٠]

* * *

أورد تقي الدين الفاسي أسماء عدة لمكة غير التي وردت في القرآن الكريم منها:

الحاطمة، وكوثى، والسلام، وصلاح، والقادسة، والمقدسة، والباسة، والناسة، والبساسة، والقرية، وأم رحم، وأم الرحمن، والعريش، والرأس.

[«شفاء الغرام» (١/ ٩٣-١٠١)]

* * *

صلاح: بكسر آخره على البناء بوزن حذام وقثام:

هو اسم من أسماء مكة المشرفة. كان لأبي سفيان بن حرب جار يقال له: أبو مطر، فتبدى بالمغمس، فقال أبو سفيان يدعو جاره إلى مكة:

أبا مطر هلم إلى صلاح ... ليكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديماً ... وتأمن أن ينالك رب جيش

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ١٥٥]

* * *

قال الأزرقي في صحيفة (٢٢٨) من الجزء الثاني: وبكة الوادي الذي به الكعبة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾، قال: وبطن الوادي الذي فيه بيوت سراج والمربع حائط بن برمك. وهو اليوم يقال له وادي إبراهيم.

وفي تاريخ الأزرقي أيضا: عن ابن عباس قال: إنما سميت بكة لأنه يجتمع فيها الرجال والنساء، وعن ابن جرير أنه كان يقول: إنما سميت بكة لتباك الناس قدام الكعبة. ويقال إنما سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة. انتهى.

نقول: لا يبعد أن يكون بكة ومكة (بالباء والميم) اسمان على مسمى واحد وهو البلد الأمين الذي فيه وادي إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -.

ولا يبعد ايضاً أن يكون بكة بالباء هو ما بين الأخشبين (جبل أبي قبيس وجبل قيقعان) وهما جبلان متقابلان قريبان من بعض، والكعبة المشرفة تقع بينهما، ومكة بالميم هو نفس البلدة الطاهرة واللّه تعالى أعلم.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٥٢٢)]

* * *

تمتاز مكة عن سائر البلدان على وجه الأرض بجملة أمور:

منها: أنها مهبط الوحي ومركز نزول القرآن وابتداء ظهور الإسلام.

ومنها: أن القادم إليها يجب عليه التجرد من ثيابه ودخولها بإحرام بنية العمرة أو الحج.

ومنها: أنه ليس فيها إلا دين واحد وهو الإسلام فليس فيها دينان.

ومنها: أنه يمنع شرعاً دخول الكافر ودفنه فيها.

ومنها: أنه يحرم حمل السلاح فيها إلا للضرورة.

ومنها: أنه يحرم صيدها على جميع الناس سواء في ذلك أهل مكة وأهل الحرم وغيرهم وسواء المحرم والحلال.

ومنها: أن دماء الهدايا والجيرانات مختص بمكة وبالحرم ولا يجوز في غير ذلك من البقاع.

ومنها: أنه يحرم قطع شجرة ويضمن ما يقطع منها.

ومنها: أنه يحرم إخراج شيء من ترابه أو حجاراته إلى الحل أو البلدان الأخرى.

ومنها: مضاعفة الحسنات فيها وبالأخص الصلوات في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه عن عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة.

ومنها: أنه يبعث من مقبرتها سبعين ألف يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم سبعين ألف وجوههم كالقمر ليلة البدر كما في الحديث.

ومنها: أن الدجال سيطأ جميع البلدان حين خروجه إلا مكة والمدينة وبيت المقدس.

ومنها: أنه ما من نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إذا كذبه قومه إلا وخرج إلى مكة يعبد اللَّه تعالى حتى يأتيه اليقين، وأن حول الكعبة قبر ثلاثمائة نبي، وما بين الركن اليماني والركن الأسود قبر سبعين نبياً، وقبر إسماعيل وأمه هاجر في الحجر تحت الميزاب، وأن ما بين زمزم والمقام قبر نوح وهود وشعيب وصالح.

وروى الأزرقي عن مجاهد أنه قال: حج خمسة وسبعون نبياً كلهم قد طاف بالبيت وصلى في مسجد منى، فإن استطعت أن لا تفوتك صلاة في مسجد منى فافعل.

ومنها: أن أهل مكة يتجهون في صلاتهم إلى الكعبة من جميع الجهات الأربعة بخلاف بلدان العالم فكل بلدة تتجه إلى الكعبة من جهة واحدة. وما أبهج منظر

المسجد الحرام حين الصلاة فإن الجميع يصلون حول الكعبة من جميع الجهات على اتساعه، ولا يوجد منظر يأخذ بمجامع القلوب ويشرح الصدور.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (١/ ٤٩٩)]

❊ ❊ ❊

مكة تقوم في بطن وادٍ هو وادي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقع المسجد الحرام والكعبة المشرفة في بطنه، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي دائرة حول الكعبة، وكانت المناطق المنخفضة نسبياً في الساحات المحيطة بمكة تسمى البطحاء، وكل ما نزل عن الحرم يسمونه المسفلة، وما ارتفع يسمونه المعلاة.

[«مكة في عصر ما قبل الإسلام» لأحمد أبو الفضل ص٣٦]

❊ ❊ ❊

كان سعيد بن عمرو السهمي أول من بنى بيتاً بمكة، وقد قيل فيه:

وأول من بوأ بمكة بيته ... وسور فيها مسكناً بأثافي

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ١٩)]

❊ ❊ ❊

فائدة:

قالوا: أفضل من مكة صف الجهاد وثغره عند الحنابلة، ووجهه أن النفع المتعدي أفضل من القاصر، ولذا كان مداد العلماء أفضل من دم الشهداء - كذا رأيته بخط الأفاضل - فليتأمل.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (١/ ٢٣١)]

❊ ❊ ❊

لطيفة:

من اللطائف المناسبة لهذا البحث الطريف: ما حكاه صديقنا العزيز سعادة السيد أحمد هاشم مجاهد وكيل وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة فلقد

أخبرنا: أنه لما كان في جدة في شهر ذي القعدة سنة (١٣٨٤هـ) حضر إلى مكتبه أحد محرري الصحف الأجنبية من الإفرنج لأخذ بعض المعلومات من سعادته عن الحج والحجاج، فلما انتهى الصحفي الإفرنجي من مهمته قال لسعادته: لا أدري لماذا يمنع المسلمون الإفرنج من دخول مكة المكرمة أو المدينة المنورة إن هذا لتعصب شديد، بينما المسيحيون لا يمنعون المسلمون من دخولهم في الكنائس؟فأجاب سعادة السيد أحمد مجاهد: إن ذلك يرجع لأمرين أساسيين:

الأول: أن المسلمين يؤمنون بسيدنا موسى وسيدنا عيسى - عليهما الصلاة والسلام - ويحبونهما ويحترمونهما كباقي الأنبياء - صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين - فلا معنى إذن من منعهم دخول كنائسهم لرؤيتهما، وأما اليهود والنصارى من الإفرنج فإنهم لا يؤمنون بنبينا وسيدنا محمد ﷺ فلا معنى إذن أن يدخلوا إلى الحرمين الشريفين الطاهرين المقدسين، لأن مكة المكرمة هي بلد اللَّه الأمين، وأن المدينة المنورة هي بلد رسوله ﷺ فلا يدخل فيهما إلا من كان يؤمن باللَّه وملائكته وبجميع كتبه ورسله.

والثاني: أن منع دخول الكفار إلى الحرم لم يكن تعصباً من المسلمين بل هو من أمر اللَّه - عز وجل - ومن أمر نبينا محمد ﷺ منذ ظهور الإسلام فلذلك لا يمكن لجميع المسلمين أن يتساهلوا في هذا الأمر مطلقاً، مع العلم بأن الكفار ليسوا ممنوعين من دخول المسجد الحرام بمكة أو المسجد النبوي فقط، وإنما هم ممنوعون أيضاً من الاقتراب من نفس البلدتين الطاهرتين أي إذا وصلوا إلى حدود الحرم منهما منعوا من الوصول إلى أطراف الحرم، والمسافة بين أول حد الحرم ونفس البلدة نحو عشرين كيلومتراً تقريباً. هذا هو السبب الأساسي لمنع الكفار من دخول الحرمين الشريفين.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٥/ ٨١)]

* * *

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين اختار الطائف: لأن أذنب بعين ذنباً بركبة أحب إلي من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة. وركبة: موضع بقرب الطائف.

[«منائح الكرم» للصباغ (٢/ ٦٠١)]

* * *

عن عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق اللَّه السموات والأرض، فبعث اللَّه ريحاً صفاقة، فصفقت الماء فأبرزت عن خشفة في موضع البيت كأنها قبة، فدحا اللَّه - عز وجل - الأرض من تحتها فمادت ثم مادت، فأوثقها اللَّه تعالى بالجبال، قال: فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس، ولذلك سميت مكة أم القرى.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٣)]

* * *

قال أيوب صبري باشا: كل إنسان يدخل مكة في أي ساعة من ساعات الليل يجد من غير عناء كل الأشياء التي يعاني في الحصول عليها في أثناء النهار، ولا ينام إنسان أبداً في مكة المعظمة جائعاً.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص٨٩ لأيوب صبري باشا]

* * *

قال الزبير بن بكار: وحدثني عبد الرحيم بن جعفر قال: كانت بنو أمية إذا حمدوا نشأة الفتى فيهم وَلّوْه الطائف، فإن حمدوا ولايته وَلّوه مكة، فإن حمدوا ولايته قالوا: أدخلوه الكير ينصع طيبه، وينفي خبثه فَوَلّوْه المدينة.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٢/ ٥٤)]

* * *

في سنة (١٠٣١هـ) ورد مكة الوزير محمد باشا متولي اليمن منفصلًا عن باشويتها، فدخل مكة من البر، وأثقاله من البحر، وكان وروده مكة غرة

شعبان من السنة المذكورة، وجاءت أثقاله في سفينة إلى جدة ومن جملتها فيل برسم الهدية للسلطان عثمان خان، فأخرج الفيل وساروا به إلى أن وصلوا إلى أم قرين (موضع على مرحلة من مكة وهي من الحرم) فخرج جماعة من أهل مكة لرؤيته، وذهب به من هناك إلى جدة، فظهر شؤمه، فإن بعد حلوله جدة بيسير جاء خبر قتل السلطان، ثم إن الوزير الذي أتى به توفي بمكة السادس عشر من شوال من السنة المذكورة، ودفن بالمعلاة. قال:

وأرخت هذه السنة بقولي:

حرم اللَّه حل ساحته … قدم الفيل ضل من رشده

كثر الهم يا فتى أرّخ … سنة الفيل همها شيده ما

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٣/ ٥٧٠)]

❊ ❊ ❊

أول ظهور بعض الأشياء بمكة المكرمة في العهد السعودي:

١- أول من صلي عليه في المسجد الحرام لما مات أبو إهاب بن عزيز بن قيس كما في «الإصابة» في صدر الإسلام

٢- أول من أدار الصفوف حول الكعبة خالد بن عبد اللَّه القسري سنة ٧٥هـ.

٣- كان طبع النقود لأول مرة بمكة المشرفة في أواخر عهد الشريف الحسين ابن علي رَحِمَهُ اللَّهُ ١٣٤٢هـ.

٤- أول ما ظهر الثلج بمكة في مصنع الثلج للحاج نسيم الشامي ١٣٣٩هـ.

٥- أول سيارة ظهرت بمكة هي سيارة الشريف الحسين بن علي أهداها له الكنداوني في سنة ١٣٣٨هـ.

٦- أول ظهور أقلام الجيب بمكة في سنة ١٣٣٤هـ.

٧- أول مرة منعت المحامل من الوصول إلى الحرمين الشريفين كان في سنة ١٣٤٣هـ.

٨- أول ظهور استعمال السيارات في مكة وفي المملكة كلها كان سنة ١٣٤٦هـ.
٩- أول ظهور الكهرباء بالمسجد الحرام كان سنة ١٣٤٦هـ.
١٠- شيوع استعمال الكهرباء في مكة وفي المملكة كلها كان من سنة ١٣٦٥هـ.
١١- استعمال المراوح في المسجد الحرام كان في سنة ١٣٦٦هـ.
١٢- استعمال مكبرات الصوت أي الميكرفون في المسجد الحرام بمكة المشرفة كان سنة ١٣٦٧هـ.
١٣- تأسست أمانة العاصمة سنة ١٣٣٢هـ.
١٤- أول مصحف طبع بمكة المشرفة وكان بخط المؤلف هذا الكتاب وكان سنة ١٣٦٩هـ.
١٥- أول ظهور سفلتة شوارع بالزفت والقير كان بجدة سنة ١٣٥٢هـ.
١٦- أول ظهور مصلحة الموتى ونقلهم بالسيارات إلى المقابر والمغاسل كان سنة ١٣٧٦هـ.
١٧- كثرة انتشار المدارس وشيوعها بمكة وغيرها كان من سنة ١٣٥٤هـ.
١٨- كثرة أقامة الأجانب بمكة والمملكة السعودية كانت من سنة ١٣٥٥هـ.
١٩- كثرة البضائع والسلع والحاجات والأقمشة والكماليات كانت من سنة ١٣٦١هـ.
٢٠- كثرة ظهور صالونات الحلاقة كانت من سنة ١٣٧٣هـ.
٢١- ابتداء توسعة المسجد الحرام كان سنة ١٣٧٥هـ.
٢٢- توسعة المطاف لأول مرة في التاريخ كانت سنة ١٣٧٧هـ.
٢٣- تجديد سقف الكعبة المشرفة كان سنة ١٣٧٧هـ.
٢٤- كثرة ظهور المساجد في جميع البلدة كانت من سنة ١٣٧٠هـ.
٢٥- انتشار العمران وبناء القصور بالأسمنت المسلح بمكة كان من سنة ١٣٧٥هـ.
٢٦- ابتداء توسعة الشوارع بمكة كان من سنة ١٣٨٠هـ.
٢٧- كثرة ظهور المستشفيات وإحضار الأطباء الأجانب كان من سنة ١٣٧١هـ.

٢٨-كثرة سفر الناس إلى الخارج من البلاد الإسلامية والأفرنجية كانت سنة ١٣٧١هـ.

٢٩- ابتداء ظهور الوزارات ومجلس الوزارات كان من سنة ١٣٧٤هـ.

٣٠- أول ظهور المدارس للبنات بجميع المملكة كان من سنة ١٣٧٨هـ.

٣١- أول ظهور استعمال دوافير القاز والبوتوقاز كان من سنة ١٣٧٤هـ.

٣٢- كثرة ظهور النساء في الشوارع وفي محلات البيع والشراء كانت من سنة ١٣٧٤هـ.

٣٣- ابتداء تعدد صلاة الجمعة بمكة المشرفة كان من سنة ١٣٧٥هـ.

٣٤- ابتداء انتقال أهل مكة من حول المسجد الحرام والسكنى في أطراف مكة وضواحيها وكان ذلك بسبب توسعة المسجد الحرام وهدم ما حوله من المنازل والبيوت ١٣٧٥هـ.

٣٥- ابتداء ظهور المواتير الكهربائية أي الماكينات التي تشتغل بالكهرباء لسحب المياه من الآبار وخزانات المياه كان في سنة ١٣٦٨هـ.

٣٦- انتشار محلات التصوير الفوتوغرافي كان من سنة ١٣٥٥هـ.

٣٧- ظهور علب اللبن الحليب البودرة المجفف كان من بعد سنة ١٣٥٠هـ.

٣٨- كان ظهور السمن الصناعي الذي في العلب والصفائح من سنة ١٣٥٥هـ.

٣٩- كان إبطال استعمال القرب للسقائين والاستعانة عنها بصفائح التنك سنة ١٣٨٢هـ.

٤٠- كان إبطال بيع الرقيق ومنع اتخاذ العبيد والجواري بمكة وفي جميع المملكة في سنة ١٣٨٢هـ.

٤١- أول سيل عظيم في عهدنا دخل المسجد الحرام ووصل إلى باب الكعبة كان في سنة ١٣٦٠هـ.

٤٢- أول استعمال الإسمنت كان من سنة ١٣٥٠هـ.

٤٣- أول إنزال فم بئر زمزم إلى أسفل أرض المطاف كان في سنة ١٣٨٣هـ.

٤٤- أول نشأة مدارس البناء بمكة المشرفة وانتشارها في جميع المملكة السعودية كان في سنة ١٣٧٩هـ.

٤٥- أول إنشاء المطارات للطائرات بجدة وفي جميع المدن الرئيسية للمملكة كان من سنة ١٣٥٠هـ.

٤٦- أول انتشار التلفونات بمكة المشرفة كان من سنة وكان بها قبل ذلك في عهد الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز الأسبق رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحو عشرين تلفوناً لدى كبار رجال حكومته واليوم تعد التلفونات بمكة بالآلاف سنة ١٣٥٠هـ.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ١٣٦)]

* * *

أرض بها البيت المحرم قبلة ... للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها ... والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها ... وإلى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعا ... والحجر والركن الذي لا يرحل
والمسجد العالي المحرم والصفا ... والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف أجرها ... وبها المسئ عنه الخطايا تغسل

[«إفادة الأنام بذكر بلد اللّه الحرام» للعلامة عبد اللّه بن محمد الغازي (١/ ١٧٥)]

* * *

أرض بها البيت المحرم قبلة ... للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها ... والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها ... وإلى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مرتعا ... والحجر والركن الذي لا يرحل
والمسجد العالي المحرم والصفا ... والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف أجرها ... وبها المسيء عنه الخطايا تغسل

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» للشيخ عبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ١٧٥)]

يقول علي الجارم:

يكاد إذا مر الحجاز بذكره ... وجيرته من صدره يتوثب
بلاد بها الرحمن ألقى ضياءه ... على لابتيها والعوالم غيهب
يجللها قدس من الله سابغ ... وينفحها نشر من الخلد طيب
إذا نسب الناس البلاد رأيتها ... إلى جنة الفردوس تعزى وتنسب
وإن نضبت أنهارها فبحسبها ... من الدين نهر للَّهدى ليس ينضب
يفيض على الأقطار يمنا ورحمة ... ويزأر في أذن العتاة ويصخب
تفجر من نبع النبوة ماؤه ... له الحق ورد والسماحة مشرب

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٨٥)]

❋ ❋ ❋

الملتزم

هو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة، كما ثبت عن ابن عباس.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٣٤٧)]

❋ ❋ ❋

ذكر العلماء - رحمهم اللَّه تعالى - حديثاً مسلسلاً بإجابة الدعاء في الملتزم وهو ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا اللَّه فيه عبد دعوة إلا استجابها. أخرجه القاضي عياض في «الشفا».

أقول: وأنا أروي هذا الحديث مسلسلًا عن شيخي وأستاذي العلامة المحقق مولانا عبد الحق المهاجر المكي عن الشيخ عبد الغني الدهلوي، ثم المدني عن عابد السندي قال: أخبرني به عمي محمد حسين الأنصاري عن الشيخ محمد بن محمد بن محمد المغربي عن الشيخ محمد البابلي عن الشيخ أحمد بن خليل

السبكي عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني عن شرف الدين أبي بكر بن عز الدين بن عبد العزيز بن جماعة عن يحي بن فضل اللَّه العمري عن مكي بن علان أنا أبو الطاهر السلفي قال: سمعت أبو الفتح بن مسعود الغزنوي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن نصر اللبان يقول: سمعت أبا القاسم حمزة بن يوسف السهمي بجرجان يقول: سمعت أبا القاسم عبد اللَّه بن محمد بن خلف البزار بمصر يقول: سمعت محمد بن الحسن بن راشد الأنصاري يقول: سمعت أبا بكر محمد بن إدريس المكي يقول: سمعت عبد اللَّه الحميدي يقول ك سمعت سفيان بن عيينة يقول: سمعت عمرو بن دينار يقول: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء، وما دعا اللَّه فيه عبد دعوة إلا استجابها.

قال ابن عباس: فواللَّه ما دعوت اللَّه عز وجل دعوة فيه إلا استجاب منذ سمعت هذا الحديث.

قال عمرو: وأنا واللَّه ما أهمني أمر فدعوت اللَّه عز وجل فيه إلا أجابني منذ سمعت هذا الحديث عن ابن عباس.

قال سفيان كذلك. قال الحميدي كذلك. وهكذا قال كل واحد من الرواة إلى أن قال الشيخ عابد السندي وأقول: دعوت اللَّه فيه بأمور كثيرة دنيوية وأخروية فظهرت إجابتها في الدنيوية، وأرجوا ظهورها في الأخروية.

وقال شيخ مشايخنا الشيخ عبد الغني: وأنا واللَّه دعوت في فاستجاب لي.

وقال شيخنا الشيخ عبد الحق: وأنا دعوت اللَّه عز وجل فاستجاب لي.

قلت: وأنا دعوت اللَّه فيه وأرجوا الإجابة منه بفضله وكرمه.

قال الشيخ عابد السندي رحمه الله في «الحصر الشارد»: أخرجه القاضي عياض

في «الشفاء» مسلسلًا.

وقال الحافظ المهدي: هذا حديث حسن غريب من حديث عمرو بن دينار تفرد به مسلسلًا محمد بن إدريس المكي كاتب الحميدي عنه، وقد روي من حديث أبي الزبير عن ابن عباس موقوفاً، ومثله لا يكون رأياً، ورواية أبي الزبير أخرجها سعيد بن منصور والبيهقي في سننهما، وهو شاهد قوي.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (١/ ٥٥٢)]

* * *

قال ابن عباس: الملتزم والمدعى والمتعوذ ما بين الحجر والباب، قال أبز الزبير: قد دعوت هناك بدعاء بحذاء الملتزم فاستجيب لي.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٦٨)]

* * *

مر ابن الزبير بعبد اللَّه بن عباس بين الباب والركن الأسود، فقال: ليس ها هنا الملتزم، الملتزم دبر البيت، قال ابن عباس: هنالك ملتزم عجائز قريش.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٦٩)]

* * *

طاف عبد الملك بن مروان والحارث بن عبد اللَّه بن أبي ربيعة أسبوعاً حتى إذا كانا في دبر الكعبة تعوذ عبد الملك، فقال الحارث: تدري من أحدث هذا؟ عجائز قومك.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٦٩)]

* * *

طاف محمد بن عبد اللَّه ين عمرو مع أبيه عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، فلما كان في السابع أخذ بيده إلى دبر الكعبة فجبذه، وقال أحدهما: أعوذ باللَّه من النار، وقال الآخر: أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، ثم مضى حتى أتى الركن

فاستلمه، ثم قام بين الركن والباب فالصق وجهه وصدره بالبيت، وقال: هكذا رأيت رسول اللَّه ﷺ فعل.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٣٧١)]

* * *

إنما سمي بذلك لأن الناس يلتزمونه ويدعون عنده وهو من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٢٩]

* * *

قال ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له. قال ابن عباس رضي الله عنه وأنا ما دعوت اللَّه بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت رسول اللَّه ﷺ إلا استجيب لي.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٢٩]

* * *

أما الملتزم فهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[«الجامع اللطيف» لجمال الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي ص٣٠]

* * *

قال الأزرقي: طاف آدم بالبيت سبعاً، ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال: اللَّهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، اللَّهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي، والرضا بما قضيت علي. قال: فأوحى اللَّه إليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه

وغمومه ونزعت الفقر عنه من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها. فمنذ طاف آدم عليه السلام كانت سنة الطواف.

[«إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام» لعبد الكريم القطبي ص٣٩]

❊ ❊ ❊

عن عمرو بن شعيب عن أبيه أنه قال: طفت مع عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ فقال: نعوذ باللَّه من النار، ثم مضى حتى استلم الحجر الأسود، وقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطاً، ثم قال: هكذا رأيت رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم يفعله.

[«سنن أبو داود (٢/ ١٨١)]

❊ ❊ ❊

منارة

قبل التوسعة السعودية للمسجد الحرام (١٣٧٥- ١٣٨٥هـ) كان للمسجد الحرام سبع منائر بيانها:

الأولى: منارة باب العمرة شيدها أبو جعفر المنصور، وسقطت سنة (٥٥١هـ) فعمرها وزير صاحب الموصل، ثم جددت بأمر السلطان سليمان خان عام (٩٣١هـ)، ثم عمرت (١٢٠١هـ) قبل إزالتها.

الثانية: منارة باب السلام أنشأها الخليفة المهدي، هدمت عام (٨١٦هـ) زمن سلطان مصر برقوق، ثم جددها مراد الثالث عام (٩٨٣هـ) قبل إزالتها.

الثالثة: منارة باب علي أنشأها أيضاً المهدي، وأعاد بنائها سليمان خان عام (٩٧٠هـ) بعد تخربها وجعلها دورين بدل دور واحد، وظلت على عمارتها حتى أزيلت.

الرابعة: منارة باب الوداع ذكر ابن فهد في حوادث سنة (٧٧٢هـ) أن سلطان مصر الأشرف شعبان عمر تلك المنارة بعد سقوطها سنة (٧٧١هـ)، وجعلها دورين وظلت على حالها حتى أزيلت، وأثبت ذلك في لوح رخامي محفوظ الآن بمتحف الحرم.

الخامسة: منارة باب الزيادة أنشأها المعتضد العباسي في زيادة دار الندوة، وذكر ابن فهد في حوادث سنة (٨٣٨هـ) أن الأمير سودون المحمدي هدم مئذنة سويقة وبناها عالياً. وهذا وقد أثبت في لوح رخامي وهو محفوظ بمتحف الحرم الشريف.

السادسة: أنشأها قايتباي المحمودي خلف مدرسته في الجانب الشرقي فيما بين بابي السلام والنبي ﷺ.

السابعة: أنشأها سليمان خان العثماني بين مدارسه الأربعة التي شيدها في الجانب الشمالي من المسجد.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام» لمحمد صالح الشيبي العبدرى ص ٨١]

❋ ❋ ❋

كان بعض المؤذنين يسهرون فوق المآذن التي بناها الرشيد في الجبال ليؤذنوا فيها، ولعله أذان السحر الذي كان مستعملًا، وقد أهملت هذه المنائر بتقادم الأجيال وخربت ولم يبق منها أثر.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٢٤١)]

❋ ❋ ❋

مناخ

قال أيوب صبري باشا: ارتفاع درجة الحرارة في مكة إلى هذا الحد يرجع إلى أن مدينة مكة المكرمة محاطة بسلسلة من الجبال المرتفعة. حيث تعكس أحجار

هذه الجبال الحرارة التي تكتسبها من الشمس على البلدة، وفي فصول الصيف تستمر هذه الحرارة حتى منتصف الليل، لذا احتاج الأمر إلى مساحة خضراء تقلل من تأثير الحرارة على البلدة، وتجلى العيون بخضرتها.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص١٠٨ لأيوب صبري باشا والدكتور محمد حرب]

❋ ❋ ❋

الحج الشريف يصادف على مدة ستة أشهر فصل القيظ الذي فيه حر شديد وحر أشد هو حر السرطان والأسد والسنبلة، وهذا لا يطيقه إلا أهالي خط الاستواء، والتكارنة ومن هم في ضربهم، فأما حجاج مصر والشام والمغرب والأناضول والبلقان وتركستان وشمالي فارس وأفغانستان وشمالي الهند فإنهم يطوّقون من هذا الحر عذاباً واصباً.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠٠٣)]

❋ ❋ ❋

منبر

أول من أحدث المنبر بالمسجد الحرام أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو منبر صغير على ثلاث درجات، قدم به من الشام لما حج، وهو أول من أتى به إلى مكة.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٩٩]

❋ ❋ ❋

على جانب مقام إبراهيم، وفي مواجهة الجزء الأوسط من مقدمة الكعبة، يوجد المنبر الخاص بالمسجد الحرام، هذا المنبر مكون من الرخام الأبيض الجميل الذي عليه عدد من الزينات المحفورة، وجرى إرساله على سبيل

الهدية للمسجد في العام ٩٦٩ الهجري، من قبل السلطان سليمان بن سليم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ١٨٧) لجون لويس بوركهارت]

* * *

منى

منى: هو الموضع الذي يؤمر الحجاج بنزوله يوم التروية والإقامة به حتى تطلع الشمس على ثبير في يوم عرفة وفي يوم النحر وفيما بعده من أيام التشريق، والمبيت به في ليالي أيام التشريق لأجل رمي الجمار، وهو من أعلا العقبة التي فيها الجمرة التي تلي مكة المعروفة بجمرة العقبة إلى وادي محسر.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٩٠)]

* * *

منى: هي بليدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان، تعمر أيام الموسم، وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها، وعلى رأس منى شعبان بينهما أزقة، والمسجد في الشارع الأيمن، ومسجد الكبش بقرب العقبة، وبها مصانع وآبار وخانات وحوانيت، وهي بين جبلين مطلين عليها.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ١٩٨)]

* * *

تقع منى جهة الشرق، والجنوب الشرقي من المسجد الحرام، وهي أحد المشاعر المقدسة الثلاث (منى - مزدلفة - عرفات) وتبلغ مساحتها (١٦،٨) بما فيها السفوح الجبلية.

[«حدود المشاعر المقدسة منى مزدلفة عرفات» لعبد الملك الدهيش ص٢١]

* * *

يفصل بين منى ومزدلفة المجرى الرئيسي لوادي محسر الممتد من الشمال إلى الجنوب.

[«حدود المشاعر المقدسة منى مزدلفة عرفات» لعبد الملك الدهيش ص٢١]

❊ ❊ ❊

وهي بليدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان، تعمّر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا ممن يحفظها، وعلى رأس منى شعبان بينهما أزقة، والمسجد في الشارع الأيمن، ومسجد الكبش بقرب العقبة، وبها مصانع وخانات وحوانيت، وهي بين جبلين مطلين عليها.

[«معجم البلدان» لياقوت الحموي (١٩٨/٥)]

❊ ❊ ❊

عن ابن جريج قال قلت لعطاء: أين منى؟ قال: من العقبة إلى محسر، قال عطاء: فلا أحب أن ينزل أحد إلا فيما بين العقبة إلى محسر.

[«شفاء الغرام» للفاسي (٣١٩/١)]

❊ ❊ ❊

قال النووي: حد منى ما بين وادي محسر، وجمرة العقبة، ومنى شعب طوله نحو ميلين، وعرضه يسير، والجبال المحيطة به ما أقبل منها عليه فهو من منى، وما أدبر منها فليس من منى، ومسجد الخيف، على أقل من ميل مما يلي مكة، وجمرة العقبة في آخر منى مما يلي مكة.

[«صلة الناسك» لابن الصلاح ١٦٩]

❊ ❊ ❊

قال ابن الصلاح: وليس وادي محسر من مزدلفة ولا من منى، وهو مسيل ماء بينهما.

[«صلة الناسك في صفة المانسك» لابن الصلاح ص١٦٨]

عن عطاء قال: حد منى رأس العقبة مما يلي منى إلى النحر.

وعن ابن جريج قال: كل منى إذا هبطت من محسر ما صعدت في بطن المسيل فأنت في منى إلى العقبة عند جمرة العقبة.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢٤٦)]

❊ ❊ ❊

أما الحد الشمالي فهو الجبل المسمى القابل وما أقبل منه على منى فهو منها، والحد الجنوبي هو الجبل المسمى الصائح وما أقبل منه على منى فهو منها.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢٤٧)]

❊ ❊ ❊

قال النووي في تهذيب الأسماء: وهو شعيب ممدود بين جبلين أحدهما ثبير، والآخر الضائع. قال وحدها من جهة شماله جمرة العقبة، ومن الشرق وجه مزدلفة وعرفات بطن المسيل إذا هبطت من وادي المحسر.

[«تهذيب السماء» للنووي (٣/ ٣٣٣)]

❊ ❊ ❊

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إنما سميت منى لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أراد أن يفارق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: تمن، فقال: أتمنى الجنة، فسميت منى لأمنية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إنما سميت منى لما يمنى فيها من الدماء.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ١٨٠)]

❊ ❊ ❊

أفرد الفاكهي في كتابه بحثاً يتعلق بمنى وحدودها، وقال: سميت منى لاجتماع الناس بها، والعرب تقول لكل يجتمع فيه الناس: منى.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢٤٦)]

❊ ❊ ❊

قال ياقوت الحموي: منى: بالكسر والتنوين، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم، سمي بذلك لما يمنى به من الدماء أي يراق، ومنى اللَّه الشيء قدرّه، وبه سمي منى.

[«حدود المشاعر المقدسة منى مزدلفة عرفات» لعبد الملك الدهيش ص١٧]

❋ ❋ ❋

سميت منى لاجتماع الناس بها، والعرب تقول لكل مكان يجتمع فيه الناس منى.

[«أخبار مكة» للفاكهي (٤/ ٢٤٦)]

❋ ❋ ❋

قال ابن جريج: إنما سميت منى لما يمنى بها من الدماء.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (٢/ ٥٦٧)]

❋ ❋ ❋

قال بعض أهل العلم: إنما سميت منى لما يمنى فيها من الدماء، قال الشاعر:

منت لك أن تلاقيك المنايا أُحادٌ أحاد في الشهر الحلال

ويروى: منى لك أن تلاقيني.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد الخولي ٣٣٨]

❋ ❋ ❋

سميت بذلك لما يمنى فيها من الدماء أي يراق، وهو المشهور والذي ذكره اللغويين وغيرهم، أو لأن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أراد أن يفارق آدم قال له: أتمن الجنة، فسميت بذلك لأمنية أدم. كذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو لاجتماع الناس بها، لأن العرب تسمي كل مجتمع للناس منى، أو لمن اللَّه تعالى على الخليل بفداء ابنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو لمنّ اللَّه تعالى على عباده بالمغفرة أو غير ذلك. يستجاب الدعاء فيها مطلقاً أو في نصف ليلة البدر على ما قاله النقاش أو

ليالي التشريق كلها لأنها من الأماكن الشريفة والمنازل المنفية.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٣)]

* * *

قال عطاء: حد منى رأس العقبة مما يلي منى إلى محسر.

[«تاريخ مكة» للفاكهي (٤/ ٢٤٦)]

* * *

ذكر الإمام الشافعي ما يقتضي أن العقبة ليس من منى لأنه قال: وحد منى ما بين قرن وادي محسر إلى العقبة التي عندها الدنيا إلى مكة، وهي جمرة العقبة التي بايع رسول اللَّه ﷺ الأنصار عندها، وليس محسر ولا العقبة من منى، وسواء سهل ذلك وجبلها فليس منها. هكذا نقل عنه سليمان بن خليل في «منسكه».

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٠)]

* * *

قال المحب الطبري بعد أن ذكر في حد منى معنى هذا: والعقبة التي تنسب إليها الجمرة منه.

[«القرى» للطبري ص ٥٤٣]

* * *

قال الفاسي: ما في كلام المحب الطبري في «القرى» صريح أن جمرة العقبة من منى. ونقل عنه ابن جماعة في منسكه على ما أخبرني عنه خالي أنه قال: أن العقبة من منى، ولم ينقل عن أحد أن الجمرة ليست من منى انتهى.

وهذا يخالف ما يقتضيه كلام الشافعي والنووي من أن العقبة ليست من منى. واللَّه أعلم بالصواب.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٩١)]

* * *

قال ابن عابدين: جمرة العقبة هي ثالث الجمرات على حد منى من جهة مكة، وليست من منى.

[«حاشية ابن عابدين» (٢/ ٥١٢)]

❊ ❊ ❊

قال العلامة السيد عبد اللّه الميرغني في «عدة الإنابة»: ومنى يصرف فيكتب بالألف، ويمنع من الصرف فيكتب بالياء، والغالب التذكير والصرف، وجزم الجوهري بتذكيره وصرفه. وأنشد على تذكيره:

سقى منى ثم رواه وساكنه ... وما ثوى فيه واهي الودق منبعق

وجاء في تأنيثه للعرجي:

ليومنا بمنى إذ نحن ننزلها ... أسر من يومنا بالعرج أو ملل

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ١٠٢)]

❊ ❊ ❊

في أواخر شهر ذي الحجة سنة (١٣٤٧هـ) أصدر جلالة الملك أمره السامي إلى أمانة العاصمة بفتح أربعة شوارع في منى منعاً للإزدحام أيام الحج، يخصص واحد منها للمشاة، وآخر للشقادف، وثالث للبهائم، ورابع للسيارات والعربات، فباشرت أمانة العاصمة في شهر ربيع الثاني سنة (١٣٤٨هـ) في إتمام هذا المشروع، فذهبت لجنة إلى منى وفحصت الشوارع الموجودة فيها وطريقة إصلاحها، وقد رأت أن شارعين من هذه الشوارع تحتاج إلى ترميم فقط، وأما الآخران فيحتاجان إلى بعض الإصلاحات وفتح منافذ لها.

[«جريدة أم القرى» العدد (٢٤٩) ص ٢ سنة (١٣٤٨هـ)]

❊ ❊ ❊

قال الدهلوي: السر في نزول منى أنها كانت سوقاً عظيماً من أسواق الجاهلية مثل عكاظ ومجنة وذي المجاز، وإنما اصطلحوا عليه لأن الحج يجمع أقواماً

كثيرة من أقطار متباعدة، ولا أحسن للتجارة ولا أرفق بها من أن يكون موسمها عند هذا الاجتماع، ولأن مكة تضيق عن تلك الجنود المجندة، فلو لم يصطلح حاجزهم وباديهم وخاملهم ونبيهم على النزول في فضاء منى لحرجوا، وإن اختص بعضهم بالنزول لوجدوا في أنفسهم، ولما جرت العادة بنزولها اقتضى ديدن العرب وحميتهم أن يجتهد كل حي في التفاخر والتكاثر وذكر مآثر الآباء، وإراءة جلدهم، وكثرة أعوانهم، ليرى ذلك الأقاصي والأداني، ويبعد به الذكر في الأقطار، وكان للإسلام الحاجة إلى اجتماع مثله تظهر به شوكة المسلمين وعدتهم ليظهر دين اللَّه، ويبعد صيته، فأبقاه النبي ﷺ وحث عليه، وندب إليه ونسخ التفاخر وذكر الآباء وأبدله بذكر اللَّه.

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٧٠)]

* * *

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منى يتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ١٧٩)]

* * *

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول اللَّه ألا نبني لك بيتاً أو بناء يظلك من الشمس، فقال: لا إنما هو مناخ لمن سبق إليه.

[«مسند الإمام أحمد» (٦/ ١٨٧)]

* * *

لا ينبغي لأحد أن يختص بمكان من أماكنها دون غيره، فيحظر عليه حظاراً، أو يتخذ داراً، بل الناس في النزول بها شرع واحد، وأهل مكة وسواهم في ذلك سواء.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٥٩٣)]

* * *

تميزت منى بطولها الممتد نحو ميلين وضيق عرضها، محاطة بالجبال المقبل منها من منى والمدبر ليس منها، وصفها التجيبي بشبه قرية مقامة على جانبي الوادي بين عرفات ومكة، وفيها قليل من نبات الأدر.

[«ملء العيبة» لابن رشيد (٥/ ١٠٥)]، [«مستفاد الرحلة» للتجيبي ص٣٤٢]

❊ ❊ ❊

يوجد في (منى) صف من البنايات، القسم الأكبر منه عبارة عن خرائب، هذه البنايات من ممتلكات المكيين أو البدو، أو قد يشغلونها طوال أيام الحج الثلاثة، ثم تترك خالية بقية العام، وهي الفترة التي لا يسكن أحد خلالها في منى مطلقاً. بعض هذه البنايات عبارة عن بنايات بأي حال من الأحوال.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٤٦) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

افتقار وادي منى إلى الماء يضع أمام الحجاج الفقراء صعاباً كثيرة؛ كان يجرى جلب بعض الماء من مزدلفة، أو من خزان مقام خلف وادي منى، على الطريق المؤدى إلى مكة، وكانت القربة تملأ نظير أربعة قروش.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٤٧) لجون لويس بوركهارت]

❊ ❊ ❊

وخرجنا لمنى، ونحر قلبي حتى وصلنا إليها بعد ساعة ونصف، ونزلنا هناك بدار اكترتيها باثنين وعشرين أبرم، وهو بتقريب نصف ريال، ثم ارتحلنا منها في الساعة العاشرة من الليل، وأن المستحب هو المبيت، ولكن في هذا الزمان يتعذر ذلك من وجوه، بل كثير من سنن الحج أميتت وللَّه الأمر من قبل ومن بعد.

[«الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» ص١١٦ للحسن بن محمد الغسال]

❊ ❊ ❊

ومن خواصه (منى): أن الذباب لا يظهر به وقت الحاج مع توفر أسبابه إلى الغاية.

[«بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللّه الحرام» ص٩٢ للمُرادى]

* * *

قال أيوب صبري باشا: وبما أن أغلب الحجاج - في زماننا - يذهبون إلى أداء فريضة الحج عن طريق البحر فقد قل عدد الحجاج المشتركين في قوافل المحامل، كما أنه قد تم حفر كثير من الحفر في أماكن الحجاج بين طريق العمرة وميدان (الشيخ محمود)، ودفن فيها مخلفات الأضاحي المذبوحة في (منى) عند العودة من (عرفات) ابتداء من سنة (١٢٦٧هـ)، وهكذا خلت أماكن تجمع الحجاج من المخلفات التي كانت تفسد الهواء في الماضي.

والآن قد اختفت تماماً آثار التعفن ولم يعد لها أدنى أثر في أماكن تجمع الناس في مدينة مكة المعظمة، في عهد السلطان - ظل اللّه على أرضه - واستراح الحجاج المسلمون وسكان البلد الأمين من المنغصات، وأصبحوا في مأمن من كل الأمراض.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص١١٤ لأيوب صبري باشا والدكتور محمد حرب]

* * *

إلى أواسط سنة (١٣٠٣هـ) الهجرية عانى الحجاج مشقة كبيرة من قلة المياه في منى، وكان من جملة فضائل السلطان أن أمر والى الحجاز الحالي عثمان باشا بإقامة صهريج عظيم له ستة صنبوراً، ولقد تم ذلك بفضل همة لجنة عين زبيدة وحسن خدماتهم، وهكذا نجى الحجاج من مشقة العطش.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٢/ ٨٧٨) لأيوب صبري باشا]

* * *

قال سيدي الحسين الورثيلاني في رحلته للحج: ولما صلينا العصر وجلسنا في

مناخنا هنيئة إذ أخبرني بعض أصحابنا أن أهل تونس زعموا أنهم رأوا الهلال ليلة الثلاثين والراؤون له سبعة أحدهم من طلبة العلم، وسألنا عنهم لنستخبر رؤيتهم فنكون على يقين من أمرهم، فوجدناهم ذهبوا مع الذاهبين لعرفة لأن الأركاب كلها ذهبت كما هي للجبل، ولم ينزل أحد بمنى سوانا وجماعتنا، وهذه السنة عياذا باللَّه أميتت منذ أزمان.

وقد ذكر ذلك الكثير من المرتحلين كالعبدري وابن رشيد ومن بعدها، وذكروا أن الخوف يمنع من المبيت هناك بعد ذهاب الاركاب، وقد من اللَّه علينا بإحياء هذه السنة ولم تفتنا في حدة من الحجات وللَّه المنة والحمد، ولما طرق أسماعنا ما ذكر من الخبر عن التونسيين اجتمع رأينا على الذهاب وقتئذ لعرفات فنستيقن الخبر فرحلنا وقتئذ وبلغنا نمرة وقد غاب الشفق وبتنا بإزائها فإذا بخبر الرائين خبر سجاح.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» ص٤٥٩ لسيدي الحسين الورثيلاني]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٠٩هـ) حج بالناس أمير الحرمين والطائف إبراهيم بن هشام المخزومي، وخطب بمنى الغد من يوم النحر بعد الظهر، وقال سلوني فأنا ابن الوحيد، فإنكم لا تسألون أحداً أعلم مني. فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية، أواجبة هي أم مستحبة؟ فما درى أي شيء يقول فنزل.

[«تاريخ الطبري (٨/ ١٩٥)]

❊ ❊ ❊

يقول الصنعاني:

وبتنا بأقطار المحصب من منى	فيا طيب ليل بالمحصب بتناه
وفي يومنا سرنا إلى الجبل الذي	من البعد جئناه لما قد وجدناه
فلا حج إلا أن نكون بأرضه	وقوفا وهذا في الصحيح رويناه

إليـه ابـتـدرنـا قـاصـديـن إلـهـنـا　　فـلولاه مـا كـنـا لـحـج سـلكـنـاه
وسرنـا إلـيـه قـاصـديـن وقـوفـنـا　　عليـه ومن كـل الجـهـات أتـيـنـاه
عـلى عـلـمـيـه لـلوقـوف جـلالـة　　فلا زالتا تحمى وتحرس أرجاه
وبـيـنـهـمـا جـزنـا إلـيـه بـزحـمـة　　فـيا طـيبـهـا لـيـت الـزحام رجعناه
ولـمـا رأيـنـاه تـعـالـى عـجـيـجـنـا　　نـلبـي وبـالـتـهـلـيـل مـنـا مـلأنـاه
وفـيـه نـزلـنـا بـكـرة بـذنـوبـنـا　　وما كان من ثقل المعاصي حملناه

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ١٧٠)]

❊ ❊ ❊

هـذه الـخـيـف وهـاتـيـك مـنـى　　فـتـرفـق أيـهـا الـحـادي بـنـا
واحـبـس الـركـب عـلـيـنـا سـاعـة　　نـنـدب الـربـع ونـبـكـي الـدمـنـا
فـلـذا الـمـوقـف أعـددنـا الـبـكـا　　ولـذا الـيـوم الـدمـوع تـقـتـنـى

[«الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني (١/ ٢٢٠)]

❊ ❊ ❊

موسيقى

بعد مهرجان الطلقات النارية التي أطلقتها المدافع، والبنادق، عُزفت نوبة التحرك، كما عزفت الفرقة الموسيقية الشاهانية المهتر ثمان مرات، وبعدها تقدمنا وبدأ الموكب في المسير من الطور في الشام.

[«الرحلة الحجازية» ص٨٢ لأوليا جلبى ترجمة الصفصافي المرسي]

❊ ❊ ❊

وكانت إفاضة الجناب العالي (الخديو عباس) حفظه اللَّه من عرفات من الفخامة بما لم يشاهد له مثيل بامرة: فإنه بمجرد ما تحرك المحملان سار حفظه اللَّه وإلى جانبه حضرة الشريف، ثم من في معيتهما من الأمراء والعظماء يحيط بالجميع سياج من الحرس الخديوي يتلوه آخر من حرس الشريف.

ثم انتظم الموكب فسار في مقدمة الركب كوكبة من عسكر البيشة بهجنهم، وفي وسطهم فرقة منهم تدق نوبتهم، والباقون يتغنون بنغمات تدخل رناتها في القلوب فتملؤها سرورا وحبورا، ومن ورائهم شرذمة من عسكر الحرس، يتلوها الجناب العالي وحضرة الشريف يتلوهما حاشيتهما، ومن ورائها فرقة الموسيقى العربية تعزف بنغماتها الشجية، ثم رجال الإشراف من حضر وبدو. وسار الجميع في هذا الموكب الرهيب حتى وصلنا إلى المزدلفة ونحن على غاية ما يكون من الراحة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص١٩٨ لمحمد البتنوني]

* * *

لاحت من الخديوي عباس التفاتة فرأى عسكر على بن دينار (سلطان دارفور)، مع رئيسهم الذي أتى بمحملهم، وراء صفوف الناس من بعده، فأرسل فاستحضر رئيسهم، وبعد أن لاطفه وحياه بما يليق بكرمه، أمر حفظه اللَّه بأن يسير بجنده في هذا الاستعراض، فسار يتقدم رجاله الذين كانوا يحركون حرابهم على نغمة الموسيقى بحماسة كأنهم يتحركون إلى حرب أو طعان.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» ص٢٠٣ لمحمد البتنوني]

* * *

وكان الخديوي عباس حفظه اللَّه يقابل الجميع بصدر رحب، وثغر باسم، ووجه باش، مما جعل الكل يخرج من حضرته داعياً شاكراً. وفي أثناء هذه المقابلات كانت تعزف في أطراف المصطبة موسيقات الحرس الخديوي، والمحمل المصري، والشامي، وموسيقى القوة العسكرية الموجودة بمكة، والى جانبها المزمار البلدي، تتخلل نغماتها طلقات المدافع وهتاف الحجيج بأصوات السرور والحبور من كل جانب بما لا يمكن وصفه.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٢٠٣ لمحمد البتنوني]

ويسير من وراء الشريف الجم الغفير من السادة الإشراف، يتلوها أعيان مكة على خيلهم أو حميرهم، والكل بملابسهم الرسمية ونياشينهم، يتخلل ركابهم الخدم والحشم والعبيد، ومن خلفهم ضاربوا النوبة: وهم موسيقيون عربيون راكبون على خيلهم يضربون بالمزمار البلدي والنقرزان، يحيط بهم عرب البيشه على هجنهم وهم يتغنون من وقت إلى آخر بأغنية حماسية على نغمة الموسيقى، ولا يزال الموكب سائراً على هذا النظام حتى يصل إلى المكان الذي يقصده دولة الشريف.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٢٠٥ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

رحت مع يعقوب اكتشورين - تلميذ ومرافق المؤلف - لمشاهدة الألعاب النارية وللاستماع إلى الموسيقى. كانت الصواريخ جيدة جداً، أطلقوها في ثلاث أماكن قرب مقامي القافلة الشامية والقافلة المصرية وقرب موقف الوالي.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٩٤]

❊ ❊ ❊

قال ابن بطوطة: وإذا كان في أول يوم من شهر ذي الحجة تضرب الطبول والدبادب في أوقات الصلاة بكرة وعشية إشعاراً بالموسم المبارك، ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات.

[«رحلة ابن بطوطة» ص١٨٦]

❊ ❊ ❊

ينبغي تحري موقف رسول اللّه ﷺ. قال الفاسي: وقد اجتهد والدي تغمده اللّه برحمته وجمع فيه بين الروايات فقال: إنه الفجوة التي عن يمينها، وورائها صخرتان متصلتان بصخر الجبل المسمى جبل الرحمة، وهذه الفجوة بين الجبل المذكور والبناء المربع عن يساره، وهي إلى الجبل أقرب بقليل، بحيث يكون

الجبل قبالة الواقف إذا استقبل القبلة، ويكون طرف الجبل تلقاء وجهه، والبناء المربع عن يساره بقليل.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللّه الحرام» لعبد اللّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ٢/ ٩٢]

❊ ❊ ❊

عرفة هو الموضع الذي يستحب للحاج التجنب فيه من الوقوف، وهو بين العلمين الذين هما حد الحرم من هذه الجهة. واختلف فيه فقيل: إنها من الحرم، وهذا يروى عن ابن الحبيب المالكي، وقيل: إنها من عرفة، ومذهب الشافعي أنها ليست من عرفة. وعرنة: بضن العين وفتح الراء المهملة هذا هو المشهور.

[«العقد الثمين» للفاسي (١/ ٥٦٨)]

❊ ❊ ❊

مولود

وفي ذلك اليوم ولدت بعض النساء طفلا وتأخرنا في جماعة انتظارا لها على أن اللّه تفضل بتيسير طلقها وهي زوج سيدي عبد الرحمن الذويبي ثم العمري من بلدنا وكان بيننا وبينه مسيرة يوم ففرحنا له ودعونا له بالبركة وبعد ذلك لحقنا الركب بعد نزوله واستقراره بخيامه.

[«الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» م٢ ص٢٧٦-٢٧٧ لسيدي الحسين الورثيلاني]

❊ ❊ ❊

ميزاب

لما بنى خليل اللّه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - البيت المعظم بناه على ربوة بالرضم حجارة بعضها فوق بعض بدون طين ولا جص ولا أسمنت،

ولم يجعل لها باباً يفتح ويغلق، وإنما ترك مكانها فتحة للدلالة على وجه البيت، كما أنه لم يجعل له سقفاً، وما دام البيت لا سقف له فلا يمكن وضع ميزاب عليه، وفائدة الميزاب جريان ماء المطر منه حتى لا يخر ماء السقف، وحيث لا سقف ولا باب للكعبة المشرفة فإن المطر ينزل على أرضها ويخرج من فتحة الباب ومن شقوق حجارة الجدران التي بالرضم فلا خوف عليها من المطر، ولم تبن كذلك إلا على الفطرة الأولى، ولعدم وجود أناس كثيرون بمكة المشرفة.

فلما كثر الناس وتدرجوا في معرفة بعض الأمور جعلوا للكعبة سقفاً وميزاباً وباباً يفتح وبغلق، فأول من جعل لها سقفاً بعد سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - قصي بن كلاب الجد الرابع لنبينا محمد ﷺ فإنه سقفها بخشب الدوم وجريد النخل حين بناها، ثم صارت بعده بلا سقف إلى أن بنتها قريش، فسقفتها بخشب الدوم وجريد النخل أيضاً، ولا يزال تسقيف بعض البيوت والمنازل في الحجاز إلى عصرنا بخشب الدوم وجذوع النخل وجريدها.

فيعلم بالضرورة من تسقيف الكعبة المشرفة أنه لا بد من وضع ميزاب على سطحها.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٦٧)]

* * *

تغيير ميزاب الكعبة أو تغيير مما يتعلق بها يكون لأمرين: إما أن يكون الميزاب أو الشيء قد اعتراه ضعف أو خراب، وإما أن يكون ذلك بقصد الشرف بخدمة بيت اللَّه الحرام رجاء المثوبة من عند اللَّه - عز وجل - في كلا الأمرين الأجر والثواب، فصاحب الخير لا يعدم الخير.

وهنا نذكر بعض ميازيب الكعبة منذ العهد القديم إلى اليوم فنقول:

١- الميزاب الذي وضعه قصي بن كلاب الجد الرابع للنبي ﷺ وذلك حينما بنى

الكعبة وسقفها، ولم يذكره المؤرخون، ولكن نحن ذكرناه استنتاجاً من تسقيفه لها.

٢- الميزاب الذي وضعته قريش حينما بنت الكعبة قبل نبينا محمد ﷺ بخمس سنين على أشهر الأقوال، فبعد تسقيفها جعلوا لها ميزاباً مصبه على حجر إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - ولا يزال إلى اليوم مكان جميع ميازيب الكعبة التي توضع عليها هو مكان الميزاب الذي وضعته قريش فيه.

٣- الميزاب الذي وضعه عبد اللّه بن الزبير رضي الله عنهما حينما بنى الكعبة وسقفها وذلك سنة (٦٤هـ).

٤- الميزاب الذي وضعه الحجاج بن يوسف الثقفي، فإنه هدم من الكعبة ما زاده ابن الزبير فيها، وهو من جهة حجر إسماعيل، وبالضرورة فقد أزال جميع جدار الكعبة الذي من جهة الحجر، والذي فيه ميزاب ابن الزبير، كما أزال الجدار الشرقي والجدار الغربي ستة أذرع من كل منهما فقط من جهة الحجر، ثم بناها على أساس قريش، فلا بد إذا أنه وضع ميزاباً جديداً بدل ميزاب ابن الزبير الذي مضى عليه عشر سنين، وكان بناء الحجاج لها سنة (٧٤هـ).

٥- الميزاب الذي عمله السلطان سليمان القانوني، عمله من الفضة المطلية بالذهب ن فركب على الكعبة المشرفة بعد قلع الميزاب السابق وذلك سنة (٩٥٩هـ)، وأمر السلطان المذكور بنقل الميزاب القديم إلى خزانة الروم، فتعرض له بنو شيبة فأعطوا في مقابل ذلك وزنه فضة من بندر جدة.

٦- الميزاب الذي ورد من مصر، وكان من الذهب فوضع بدل الميزاب الفضة، وأخذ الأول إلى خزانة العالية للتبرك به وذلك سنة (٩٦٢هـ) ذكره مؤلف كتاب «المحمل والحج».

استأذنا الفنان يوسف أحمد مفتش الآثار العربية ومحيي الخط الكوفي بمصر، ومدرس بمدرسة تحسين الخطوط الملكية، وبكلية الآداب بالجامعة المصرية

رَحِمَهُ اللَّهُ لكن الأستاذ المذكر لم يذكر اسم راسل الميزاب، والذي استنتجناه من سياق الكلام أن هذا الميزاب الذي ورد من مصر كان من طرف السلطان سليمان القانوني أيضاً، لأن مصر كانت تابعة للدولة العثمانية، فالسلطان المذكور بعد أن عمل الميزاب السابق الذي هو من الفضة رأى أن يبدله بميزاب من الذهب، فإن هذا أكمل بمقامه وهو خليفة المسلمين، وأن يحفظ الميزاب السابق في خزانة الدولة بعد أن مكث على سطح الكعبة ثلاث سنوات والسلطان المذكور لقب بالقانوني لأنه في زمانه وضعت قوانين للحكومة عينت فيها مراتب الدولة ومناصبها. جلس السلطان سليمان القانوني على تخت الملك في سنة (٩٢٦هـ) وتوفي سنة (٩٧٣هـ) وعمره أربع وسبعون سنة.

وكان أعظم ملوك دولته وأقوى الدول، وقد افتتح كثيراً من الأقاليم والبلدان.

٧- الميزاب الذي عمله السلطان سليم خان ابن السلطان محمود خان، وهو من الذهب الخالص وعليه كتابة جميلة جدا من الجهات الثلاث، وبقلم الخطاط الشهير عبد اللَّه الزهدي الذي توفي بمصر سنة (١٢٩٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد تم هذا الميزاب مع الكتابة عليه سنة (١٢٧٣هـ) في القسطنطينية الآستانة.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٤/ ١٦٧)]

* * *

قال ابن جبير: ومما يجب أن يُثبت ويؤثر لبركة معاينته وفضل مشاهدته: أن في يوم الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى، وهو التاسع من شتنبر (سبتمبر) أنشأ اللَّه بحرية فتشاءمت فانهلت علينا غديقة، كما قال رسول اللَّه ﷺ وذلك إثر صلاة العصر ومع العشي من اليوم المذكور، فجاءت بمطر جود، وتبادر الناس إلى الحِجر فوقفوا تحت الميزاب المبارك متجردين من ثيابهم، يتلقون الماء الذي يصبه الميزاب برؤوسهم وأيديهم وأفواههم مزدحمين عليه ازدحاماً عظيماً، أحدث ضوضاء عظيمة، كل يحرص على أن ينال جسمه من رحمة اللَّه

نصيباً، ودعاؤهم علا، ودموع أهل الخشوع منهم تسيل، فلا تسمع إلا ضجيج، أونشيج بكاء.

والنساء قد وقفن خارج الحجر ينظر بعيون دوامع، وقلوب خواشع، يتمنين ذلك الموقف لو ظفرن به، وكان بعض الحجاج المشفقين يبل ثوبه بذلك الماء المبارك ويخرج إليهن ويعصره في أيدي البعض منهن فيتلقينه شُرباً ومسحاً على الوجوه والأبدان.

[«تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» لابن جبير]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٥٩)]

* * *

ألف ابن القيم كتابه «تهذيب السنن» في وقت مجاورته في الحرم، فقد ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بقوله: ووقع الفراغ منه في الحجر - حجر إسماعيل شرفه اللَّه تعالى -، تحت الميزاب ميزاب الرحمة في بيت اللَّه، آخر شوال سنة (٧٣٢هـ)، وكان ابتداؤه في رجب من السنة المذكورة.

[«تهذيب السنن» لابن القيم (٨/ ١٢١)]

* * *

يقع ميزاب الكعبة في وسط الجدر الذي يلي الحجر بين الركن الشامي والركن الغربي يسكب في بطن الحجر.

وذرع طول الميزاب أربعة أذرع، وسعته ثماني أصابع في ارتفاع مثلها، والميزاب ملبّس بصفائح من ذهب داخله وخارجه.

وكان الذي جعل عليه الذهب الوليد بن عبد الملك.

وذرع مسيل الماء في الجدر ذراع وسبع عشرة إصبعاً.

[«مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي ص ١٩٢]

عن عطاء عن ابن عباس قال: صلوا في مصلّى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار. قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب، قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: زمزم.

[«فيض القدير» للمناوي (٤/ ٦٤)]

* * *

وأول من حلى الميزاب بالذهب الوليد بن عبد الملك.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٤٦]

* * *

أول من وضع ميزاباً للكعبة قريش حين بنتها سنة (٣٥) من ولادة النبي ﷺ حيث كانت قبل ذلك بلا سقف.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٦٠]

* * *

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صلوا في مصلى الأخيار، واشربوا من شراب الأبرار، قيل لابن عباس: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. قيل: ما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

[«الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة ص٨٤]

* * *

تيسر للسلطان أحمد الأول تبديل الميزاب الشريف الذي كان من الخشب المغطى بالذهب والفضة فبدله بآخر من الخشب المغطى بالذهب الخالص، وأجريت الترميمات اللازمة في الكعبة المشرفة تحت أشراف حسن باشا وكان ذلك في (١٠٢٢هـ).

[«شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني» للدكتور محمد هريدي ص٤٩]

* * *

جعل لها المقتفي العباسي ميزباً من خشب مطلي برصاص في الموضع الذي يجري فيه الماء، وظاهره فيما يبدو للناس مطلي بفضة.

[«الأرج المسكي» لعلي بن عبد القادر الطبري ص١٥١]

* * *

أول من وضع للكعبة ميزاباً قريش حين بنتها، وقد كانت قبل ذلك بلا سقف، ثم توالى الملوك على صنع ميزاب الكعبة واستبداله.

[«التاريخ القويم» للكردي (٤/ ١٧١)]

* * *

عن عطاء قال: من قام تحت مثعب الكعبة فدعا استجيب له، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٣١٦)]

* * *

عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو في الطواف يقول: اللَّهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٣١٧)]

* * *

أول من وضع لها ميزاباً قريش سنة (٣٥) من ولادة النبي ﷺ، حيث كانت قبل ذلك بدون سقف، وتغير الميزاب لخرابه، ففي عهد عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه عندما بنى الكعبة عمل لها ميزاباً، وجعل مصبه على حجر إسماعيل كما فعلت قريش، وأمر الوليد بن عبد الملك بتلبيس ميزاب الكعبة بالذهب من داخله وخارجه.

[«تاريخ الكعبة المشرفة» لحسين با سلامة ص١٨١]

* * *

ذكر القرشي: أنه لما بنى عبد اللَّه بن الزبير رضي الله عنه الكعبة المشرفة جعل ميزابها يصب في الحجر.

[«البحر العميق» ٢/ ٢٣]

* * *

فكل ما على الميزاب وعلى الأركان في جوفها من الذهب فهو من عمل الوليد ابن عبد الملك، وهو أول من ذهّب البيت في الإسلام.

[«تاريخ مكة» للأزرقي (١/ ٢١٢)]

* * *

واغتسلنا ومن باب الصفا خرجنا وإلى المروة سبعة أشواط في طاعة اللَّه سعينا ومصرنا ثم إلى المسجد الحرام عدنا فنوينا الحج من تحت الميزاب وعقدنا ثياب الإحرام ولبينا.

[«رحلة مرتضى بن علوان إلى الأماكن المقدسة والأحساء والكويت والعراق» ص٧٧]

* * *

قال أيوب صبري باشا: عند قلع الميزاب القديم، ورفع رخام سطح البيت الشريف ظهرت في الجو علامات نزول المطر وسمعت أصوات الرعد والبرق في الأطراف والأكناف، مما جعل الناس يقولون: إذا ما أمطرت السماء سيمتلئ داخل كعبة اللَّه بالسيل واستولى عليهم القلق وأخذت قطرات المطر تتساقط متتابعة كأنها در في سلكه. إلا أنه لم تسقط قطرة مطر على الأرض إلى ميزاب الرحمة في مكانه إلى أن غطى سطح بيت اللَّه. وقد انتظم المطر إلى أن غطى السطح الشريف في ارتفاع أربعين ذراعاً من الأرض وعند الانتهاء من تغطية السطح ووضع الميزاب في مكانه أخذ المطر ينهمربشدة لم تر في ذلك العصر مثلها حتى أغرقت السيول الأسواق والمحلات.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب» ص٤٤٨ لأيوب صبري باشا]

ميقات

جاء في معجم البلدان: يلملم ويقال ألملم، الململم المجموع: موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد معاذ بن جبل، وقال المرزوقي: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث، وقيل: هو واد هناك.

[«أودية مكة المكرمة» لعاتق البلادي ص ٥٠]

❊ ❊ ❊

التنعيم: واد ينحدر شمالاً بين جبال بشم شرقاً وجبل الشهيد جنوباً فيصب في وادي يلج، وهو ميقات لمن أراد العمرة من المكيين، وتسمى عمرته: عمرة التنعيم، أي مكان الاعتمار، وذلك تمييزاً لها عن عمرة الجعرانة، وكان يسمى نعمان.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٥٠]

❊ ❊ ❊

الضريبة: ميقات أهل العراق ومن مر بها من غيرهم، تقع في واد ذي مياه قريبة من وجه الأرض شمال شرقي مكة، وهذا المكان الضريبة كان يعرف بذات عرق.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ١٦٠]

❊ ❊ ❊

ذات عرق: قال المتقدمون: عرق هو الجبل المشرف على ذات عرق، وسميت ذات عرق نسبة إليه. وقد تقدم معنا أنها مهل أهل العراق ومن مر بها من المسلمين، وكانت الضرائب تلاع تصب على ذات عرق فغلب اسمها ونسي اسم ذات عرق.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ١٨٤]

❊ ❊ ❊

ميقات ذي الحليفة: يقع مسجد ذي الحليفة إلى الشمال مباشرة من مكة المكرمة وإلى الجنوب الغربي من المدينة المنورة، ويبعد عن المسجد الحرام (٤٣٣) كيلو متر، وعن المسجد النبوي الشريف (١٠) كيلو متر.

[«مواقيت الحج الزمانية والمكانية» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور معراج مرزا ص ٥٣]

* * *

ميقات الجحفة: يقع مسجد ميقات الجحفة إلى الشمال الغربي من مكة المكرمة وإلى الجنوب الشرقي من مدينة رابغ، يبعد ميقات الحجفة عن المسجد الحرام (١٨٧) كيلو متر، وعن مدينة رابغ (١٧) كيلو متر.

[«مواقيت الحج الزمانية والمكانية» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور معراج مرزا ص ٦٢]

* * *

ميقات قرن المنازل: مسجد ميقات قرن المنازل أو ما يعرف اليوم بالسيل الكبير إلى الشمال الشرقي من مكة المكرمة وشمال مدينة الطائف تماماً، ويبعد عن المسجد الحرام (٨٠) كيلو متر، وعن مدينة الطائف (٤٠) كيلو متر.

[«مواقيت الحج الزمانية والمكانية» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور معراج مرزا ص ٧٠]

* * *

ميقات يلملم: يقع مسجد ميقات يلملم القديم أو ما يعرف بالسعدية جنوب مكة المكرمة على مسافة تقدر (١٠٠) كيلو متر، ويبعد عن البحر الأحمر نحو الشرق بحوالي (٤٠) كيلو متر، ويقع مسجد ميقات يلملم (السعدية) على الضفة الشمالية لوادي يلملم بالقرب من بئر السعدية

[«مواقيت الحج الزمانية والمكانية» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور معراج مرزا ص ٨٣]

* * *

ميقات ذي عرق: يقع ذات عرق إلى الشمال الشرقي من مكة المكرمة، وإلى

الشمال مباشرة من مسجد ميقات قرن المنازل (السيل الكبير)، وهو ميقات أهل العراق وسائر أهل الشرق، وهو الحد بين بخد وتهامة.

[«مواقيت الحج الزمانية والمكانية» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور معراج مرزا ص ٩٠]

❊ ❊ ❊

حرف النون

نشيد

أما الفتيات عند دخول المدينة؛ فقد كن ينشدن الأغاني، والقصائد، والأناشيد الدينية، وهن في صحبة الحجاج، حتى الدخول إلى أبواب المدينة، وقد استغرقت هذه الرحلة خمس ساعات.

[«الرحلة الحجازية» ص١٠٨ لأوليا جلبى]

❊ ❊ ❊

وصغار الحجاج من المصريين لهم أغنية يتغنون بها في طريقهم وعلى الخصوص نساؤهم، وهي لا تخرج عن ذكر الطريق للحج وذكر البيت وعرفة وزمزم، وخصوصاص ذكر النبي عليه الصلاة والسلام. وكلها عبارات بسيطة ليس فيها شيء من المعاني العالية نذكر لك شيئاً منها: (أنا أمدح محمد، والحسن والحسين والقاسم أحمد، بلِّغ العاشقين يارب زيارة محمد، مديح باشتياق أنا ما أمدح الا النبي، ياهنااللى انوعد).

(ياليلة ان برّزواو باتوا لِبَرّه، وبات قلبي في حنين، ويطلب من اللَّه يرجعوا سالمين، بنصره من اللَّه، ياهنا اللى انوعد).

(وان جيت حبيبي ياوبور وان جيت حبيبي، لا كنسك وأرشك وبالشمع أقيدك، مروق بخوخه يا بحر، يا بحر مروق بخوخه، لا يمسك عكار، ولا ريح بدوخه، تحت ظل القلوع أبو شال وجوخه، في رابغ نوى الإحرام ولبس احترامه، يا نهار الهنا يوم خلوه يفك احترامه، يا فرح قلبي يوم طلوع الجبل، والخطيب على الجمل، والمُبلّغ يرقي، يا فرح قلبي ساعة النفره، وفرحت عيونا ونزلنا بفرحه، وفوتنا من بين العلمين كان الفجر لايح، يوم دخولنا منى

ونصبنا الخيم وذبحنا الذبايح، وافتكرنا العيال وبقى الدمع سايل، وبعد ثلاث أيام حملنا لمكة، وطفنا طواف الوداع وبرزنا، والجمال حمّلنا، وعلى أبو إبراهيم سرنا، وصلنا قبة المصطفي والأعتاب زمرد، حول مقام النبي، قال الطواشى منين يا جماعة، زوروا النبي زوروا واطلبوا الشفاعة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٢١٧-٢١٨ لمحمد البتنوني]

❋ ❋ ❋

قال العياشي: لما كان يوم الثلاثاء سابع محرم سنة (١٠٧٣هـ) ارتحل الركب المصري من المدينة بعد إقامته ثلاثة أيام بها، وكان الحرم الشريف في أيام إقامتهم لا تكاد تسمع فيه صوت قارئ ولا مؤذن لكثرة اللغط والصخب ورفع الأصوات وازدحام الناس في المسجد لا ينقطع ذلك ليلًا ولا نهاراً، لأن أبواب الحرم الشريف لا تغلق ما داموا هناك، ويكثرون بالليل إيقاد الشموع في المسجد ويجتمع إليهم صبيان أهل المدينة يقرأون لهم مواليد وقصائد في مدح النبي ﷺ وهم محدقون بهم، ويسمون ذلك مولد النبي ﷺ يستعدون له من بلادهم بالشمع والحلوى، ويدفعون للصبيان أجرة على ذلك، ويقع على أرض الحرم الشريف من الشمع المذاب شيء كثير لأجل ذلك، فيلتقطونه ويجمعونه ويرجعون به إلى بلادهم تبركاً به، فتجد منهم في المسجد بالليل جماعات كثيرة على هذا النمط فيكثر لذلك الصياح في المسجد واللغط الذي لا ينبغي، لا سيما مع ما ينضاف إلى ذلك من ولاول النساء، وبكاء الأطفال، واختلاط النساء بالرجال.

[«رحلة ماء الموائد» للعياشي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (١/ ٢٧٢)]

❋ ❋ ❋

نصح

رأى سليمان بن عبد الملك الناس بالموسم فقال لعمر بن عبد العزيز: ما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا اللَّه ولا يسع رزقهم غيره؟ فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء اليوم رعيتك وغداً خصماؤك، فبكى بكاءً شديداً، ثم قال: اللَّه المستعان.

وحملت ملابس جسم سليمان في هذه الحجة على سبعمائة بعير، وقيل: على تسعمائة بعير.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي (٢/ ٦٤٣)]

* * *

دخل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم قال له: يا سالم سلني حاجة! فقال: إني لأستحي من اللَّه أن أسأل في بيت اللَّه غير اللَّه، فلما خرج سأله في أمره فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة؟ فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا، فقال له سالم: أما واللَّه ما سألت الدنيا من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها.

[«البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٢٣٤)]

* * *

في بعض حاجات هارون أخلي له المسعى ليسعى فيه، فتعلق ببغلته وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن عمر بن عبد العزيز بن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم، فوقف له هارون الرشيد وأقبل عليه فصاح به: يا هارون! فقال: لبيك يا عم، قال: ارق إلى الصفا، فلما رقاه قال: ارم بطرفك إلى البيت، قال: قد فعلت، فقال: كم هم يعني الحجيج؟ فقال: ومن يحصيهم إلا اللَّه تعالى؟، قال: فاعلم أيها الرجل أن كل واحد من هذا الخلائق يحاسب

عن خاصة نفسه ويسأل عنها وحدها يوم القيامة، وأما أنت وحدك تسأل عنهم أجمعين، فانظر كيف جوابك حين تُسأل يوم القيامة، فبكى هارون بكاءً شديداً وجلس وخدمته يعطونه منديلًا بعد منديل، وهو يبلها بدموعه، فقال: وأخرى أقولها لك: قال: قل يا عم، فقال: إن الرجل إذا أساء التصرف في ماله حجر عليه، فكيف أنت تسرف في مال المسلمين وتسيء التصرف فيه، وأنت محاسب عليه بين يدي اللَّه عز وجل، فازداد بكاؤه وكثر نحيبه، وأراد جنده أن يطردوا الرجل عنه، فكفهم عنه إلى أن فرغ من نصائحه كلها، وقام عنه بنفسه وهارون يبكي ويتضرع ويستغفر.

[«إتحاف الورى بأخبار أم القرى» لابن فهد (٢/ ٢٢٢)]

* * *

نظافة

اتفق في الخامس من جمادى الثاني في سنة (١١٠٨هـ) أن بلاليع المسجد الحرام مسدودة لم تنظف، فاستمر الماء إلى أن نزل قائم مقام مولانا الشريف السيد عبد الكريم بن محمد، وأمر بفتح السرب الذي للماء، فما فتح إلا قريب الظهر، ونجلت العامة منه قليلًا وقد بلغ الماء باب الكعبة، وقد غطى الحِجر والحَجر الأسود، وامتلأ المسجد بالقمامة، فنظفت زيادة باب الزيادة، واستمر الماء إلى ثاني يوم، فنزلت العامة ونزحته، ثم شرعوا في تنظيفه.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٥/ ٢٢٥)]

* * *

في المدينة (ينبع) يسود قذر فظيع وعلى الأقل في زمن تجمع الحجاج، ونظراً لقلة البيوت يعيش الحجاج في الأراضي الخالية والساحات على مقربة من البحر، وهنا بالذات يرمون كل النفايات، والأماكن المخيفة والمعزولة إلى هذا الحد أو ذاك والمضحل العريض تستعمل لقضاء الحاجة. والمضحل يغطيه الماء على

عمق تافه أثناء المد ويتعرى أثناء الجزر فتفوح منه إذ ذاك رائحة كريهة رهيبة، ولم يتسن لي أن أرى في أي مكان وزمان مثل هذه الكثرة من الذباب، كما في ينبع.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٢٤]

* * *

كانت الزبالة والنفايات تغطي الشوارع، ولم يكن أحد يود رفع هذه النفايات، كانت أطراف المدينة عامرة بجثث الإبل النافقة، وكانت الراحة المنبعثة منها، تجعل الهواء نفاذاً وخانقاً حتى في أوسط المدينة. كانت جثث متعددة ملقاة بالقرب من مستودعات الحج.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٦١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

لأن المكيين يبدءون في ذلك الوقت نزح مجارير وطرنشات منازلهم، ويتكاسلون على نحو يجعلهم لا يحملون تلك الفضلات الآدمية إلى ما وراء أطراف المدينة، وإنما يكتفون بحفر حفرة في الشارع ليضعوا فيها تلك الفضلات الآدمية، وغالباً ما تكون هذه الحفر أمام أبواب المنازل، ثم يغطون تلك الحفر بطبقة من التراب والطين، ومن السهولة بمكان تخيل النتائج التي يمكن أن تترتب على ذلك.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٦١) لجون لويس بوركهارت]

* * *

كنا نلهث من شدة العطش، وقفنا أمام محل صغير يبيع الماء الملون الممزوج بالسكر: ماء بلون أبيض، وآخر بلون أزرق، وثالث بلون أحمر، ورابع بلون أصفر، وقد وُضع الماء المذاب في السكر في أواني زجاجية ضخمة، والعجيب أن الذباب كان يملأ هذه الأواني، وكان بعضه يطفو فوق سطح الماء، ولم يكن هذا وقت التعبير عن (القرف) أو (الاشمئزاز) لأننا كنا في

غاية العطش، ولم يكن يهمنا وجود ذباب أو غبار في هذا الماء الملون الممزوج بالسكر، أخذنَا كوباً مملوءاً بالماء الملون وداخله أربع أو خمس ذبابات، أخرجت الذباب، وشربت الكوب في جرعة واحدة. أما عن الآخرين فكانوا يشربون الماء الملون هذا بذبابه، ولا يهتمون أبداً بالذباب الموجود داخله، أما نحن فأخرجنا الذباب الميت، ثم شربنا، وتعود الناس من أهل البلاد هنا على شرب الكوب بما فيه، ثم يبصقون بعد ذلك الذباب، وتعجبنا، وأثنينا على هذه المقدرة الرائعة.

[«ياباني في مكة» ص١٢٧ لتاكيشي سوزوكي]

❊ ❊ ❊

وضعوا على السجادة (مفرشاً) من القماش الرقيق، ثم وضعوا الصينية، والأطباق التي لم تنظف جيداً، ووضعوا الطعام في هذه الأطباق، وتضمن كل نوع بعض الذباب الميت، فكان علينا أن نتخلص من هذا الذباب، وكانت هذه أول مرة بالنسبة إلى السيد / تشان، تعاطفت كثيراً معه.

[«ياباني في مكة» ص١٤٢ لتاكيشي سوزوكي]

❊ ❊ ❊

ليس بمكة على كبرها ميادين عمومية، اللّهم إلا صحن المسجد الحرام الذي بسعته يؤدي وظيفة الميادين الكبرى.

وهذه الطرق تختلف سعتها من مترين إلى خمسة عشر متراً وتراها في زمن الحج غاية في الوساخة والقذارة مما يوجب على المجلس البلدي في مكة أن يعتني بنظافتها خصوصاً في مدة الموسم.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٣٩ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

في مدة الموسم يرى أهل البلاد لاسيما الأعراب يضعون دائماً سدادتين من القطن في فتحتي مناخرهم بعد أن يغمروهما بدهن المرو يسمونها الصمايم،

ويربطونها بخيط يعلقونه في رقبتهم، حتى إذا آنسوا عدم وجود قذارة رفعوها وأرسلوها على صدرهم. وهم لو علموا أن هذه السدادة ضررها أكبر من نفعها لأبطلوا استعمالها: لأن وظيفة الخياشيم إنما هي لتنقية الهواء من الادران فنسوقه إلى الرئتين نقياً. ولو دخل الهواء الفاسد إلى الرئتين من طريق الفم فانه يدخل اليهما بما فيه من المادة الغريبة فيتصل معها بالدم وهنالك يكون تأثيره الضار والعياذ باللّه. أما الطبقة الراقية وخصوصاً من الأعراب فإنهم يضعون طرف صمادتهم (كوفيتهم) على فمهم وأنفهم، اتقاء البرد أو الروائح الكريهة.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٤٠ لمحمد البتوني]

* * *

وقد كانوا يفطرون في الحرم بعد صلاة المغرب، فيمدون فيه الموائد هنا وهناك، لاسيما في زمن الحر، ولكن الشريف عون الرفيق أبطل هذه العادة (وخيراً فعل): لأن فضلات الأكل كانت توسخ المسجد فتكثر فيه الحشرات والقطط وغيرها.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٥٠ لمحمد البتوني]

* * *

ويفسد هواء مكة في أيام الحج لكثرة الساكنين فيها وعدم العناية بنظافتها.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٦٣ لمحمد البتنوني]

* * *

غريبة: في سنة (١٠٨٨هـ) يوم الخميس ثامن من شوال منها وقع حادث غريب، وكارث عجيب، هو أنه وقع في ليلته أن لُوّث الحجر الأسود، وباب الكعبة، ومصلى الجمعة، وأستار البيت الشريف بشيء يشبه العذرة في النتن والخبث، فصار كل من يريد يقبل الحجر يتلوث وجهه ويداه، ففزعت الناس

من ذلك، وضجت الأتراك واجتمعت، وغسل الحجر والباب والأستار بالماء، وبقي الأتراك والحجاج والمجاورون في أمر عظيم.

وكان إذ ذاك رجل من فضلاء الأروام، فكان يرى جماعة من الأرفاض في المسجد الحرام، وينظر في صلاتهم وسجودهم وحركاتهم عند البيت والمقام، فيتحرق لذلك ويتأوه. فلما وقع هذا الواقع قال: ليس هذا إلا فعل هؤلاء الأرفاض اللئام الذين يلازمون المسجد الحرام، وكان حينئذ مع قضاء الملك العلام، السيد محمد مؤمن الرضوي قاعداً خلق المقام، يتلوا كتاب اللَّه ذي الجلال والإكرام، فأتوا إليه، وأخذت الختمة من يديه، وضرب على رأسه، وسحب حتى أخرج من باب المسجد المعروف بباب الزيادة، فطرح خارج الباب، وضرب بالحجارة والكسارات حتى زهق ومات.

وفي حلل مسكهم إياه من المسجد كلمهم فيه شخص شريف من السادة الرفاعية يسنى: السيد شمس الدين، فعدوا عليه وألحقوه به، فضرب حتى مات وجرّ، ثم أصابوا آخر فضربوه، أخرجوه وقتلوه، وعلى من قبله طرحوه، وفعلوا ذلك برابع ثم خامس.

ولقد رأيتهم مطروحين، وبقي بعضهم على بعض الآتي والذهب يسمعهم السب والركض ن ولقد رأيت ذا الشيء وتأملته فإذا هو ليس من القاذورات، وإنما هو من أنواع الخضروات عجن بعدس مخمج وأدهان معفنات، وصار ريحه ريح النجاسة، وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليلة، ليلة الخميس من الشهر المذكور، ولم يعلم الفاعل لذلك.

وغلب على بعض الظنون أن ذلك جعل عمداً وسيلة إلى قتل أولئك، واللَّه العالم بالسرائر، وهو متولي البواطن والظواهر.

[«سمط النجوم العوالي» للعاصمي (٤/ ٥٣٣)]

❋ ❋ ❋

نفقة

ورأت الدولة التونسية بعد ذلك بعد نفاد نفقة الحجاج وسؤالهم غيرهم أن صنيعهم مخل بشرفها، فصدر أمر علي بعد الإياب باشتراط إعطاء ضمان في المال الكافي للذهاب والإياب أو ما يستدين به الحاج في الخارج، وصار ذلك شرط سبة مضروبة على كل حاج في البلاد التونسية خاصة لما رأت الدولة حصوله من بعض حجاجها.

[«الرحلة الحجازية» لمحمد بن عثمان السنوسي]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٦٠٦)]

* * *

الحجاج أغنياؤهم عدد قليل لأن الغني أكثر الأحيان يميل إلى الرفه والترف، وهذان لا ينتظمان مع الحج ومشاقه ولا سيما إذا كان الفصل صيفاً، وأكثر فصول الحجاز صيف، والقسم الأعظم من الحجاج هم من طبقة المساتير الذين ليسوا من ذوي الفضلة، والذين لا يقدرون أن يعيشوا إلا ببودجة مالية متوازنة مواردها مع نافذها والنفقات غير الملحوظة فيها زهيدة جداً، فهؤلاء يقدرون أن ينفقوا كما شاؤوا، وهؤلاء أكثرهم يبقى سنين من حياته وهو يوفر شيئاً من رزقه ويقطع عن نفسه حتى يجتمع في يده خمسون جنيهاً يدخرها للحج فهو يحسب مصروفه منها بالقرش الواحد.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسين الشريف (٣/ ١٠٠٩)]

* * *

حُرِم الحجاز منذ سنتين أو ثلاث حاج الأناضول لأن مصطفى كمال يأبى أن ينفق التركي شيئاً من ماله في بلاد عربية، فهو قد أراد هذا لأجل التوفير على الأتراك بزعمه، وياليته احتاط للتوفير على أمته في الطرق التي ذهبت فيها

الملايين من أموالهم في جيوب الإفرنج كالخمر والميسر والألبسة الإفرنجية وما أشبه ذلك مما كان السبب في هوى تركيا الاقتصادي إلى ما هو إليه ومما لم يعد سراً مخفياً، فمسألة نفقات الحج كانت نقطة من غدير بالنسبة إلى هذه.

[«الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ١٠٢١)]

❊ ❊ ❊

نمرة

المسجد الذي يصلي فيه الإمام بالناس في يوم عرفة ليس من عرفة بالفاء على مقتضى ما ذكره ابن الصلاح والنووي، وكرم المحب الطبري يقتضي أنه منها، وقيل: إن مقدمه من عرنة بالنون ومؤخره من عرفة بالفاء، ويظهر ثمرة الخلاف في أجزاء الوقوف بهذا المسجد، وتوقف مالك في ذلك، ولأصحابه قولان فيه: بالإجزاء وعدمه.

[«العقد الثمين» للفاسي (١/ ١٠٩)]

❊ ❊ ❊

نمرة: كمؤنث النمر: جبل حائز ليس شامخاً من حدود الحرم الشرقية، يمر بينه وبين عرفة وادي عرنة، إذا ذهبت إلى عرفة حاجاً جعلت نمرة على يمينك، وإذا أفضت من عرفات جعلتها على يسارك.

وبها سميت المنطقة من حولها، وحتى مسجد عرفة يسمى مسجد نمرة.

[«أودية مكة المكرمة» لعاتق البلادي ص ١١٥]

❊ ❊ ❊

بني مسجد نمرة بعد مصير الأمر لبني هاشم بعشر سنين. هكذا نقله عن ابن عبد البر الشيخ خليل في توضيحه على مختصر ابن الحاجب، وعلى هذا بني هذا

المسجد في أوائل عشر الخمسين ومائة.

[«إفادة الأنام بذكر أخبار بلد اللَّه الحرام» لعبد اللَّه بن محمد الغازي المكي الحنفي ٢/ ٨٨]

* * *

نمرة هو الموضع الذي يؤمر الحجاج بنزوله إذا توجه من منى في يوم عرفة، وهو عرنة بالنون على ما ذكره ابن خليل في مسكنه.

[«شفاء الغرام» للفاسي (١/ ٦٠١)]

* * *

نمرة بفتح النون وكسر الميم وفتح الراء مهملة موضع بعرفة وهو الجبل الذي عليه أنصاب الحرم، على يمين الخارج من المأزمين إلى الموقف، وقد كانت عائشة تنزل بها، ثم تحولت إلى الأراك.

[«القرى» للمحب الطبري ص ١٤٧]

* * *

قال النووي: نمرة موضع معروف بقرب عرفات خارج الحرم بين طرف الحرم وطرف عرفات. قال: وهو بفتح النون وكسر الميم، ويجوز إسكان الميم مع فتح النون وكسرها، فتبقى ثلاثة أوجه كما في نظائره.

تهذيب الأسماء واللغات للنووي» (٣/ ٣٤٨)]

* * *

نمرة: جبيل تراه غرب مسجد عرفة، ومسجد عرفة يسمى مسجد نمرة، يفصل سيل عرنة بين عرفة ومسجدها وبين نمرة، وهي على حدود الحرم، وكان رسول اللَّه ﷺ ينزل نمرة يوم عرفة حتى إذا حان الزوال انتقل إلى عرفة.

[«معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق البلادي ص ٣١٠]

* * *

الجزء المتقدم من مسجد نمرة يقع في هذا الوادي، وهو خارج عرفات،

وداخل في الحل، وليس بمشعر، وهو حد فاصل بين الحل والحرم.

[«تاريخ مكة» لعبد الغني ص١٢٠]

❊ ❊ ❊

عمّر السلطان قايتباي مسجد نمرة في عرفة وجعل في صدره رواقين عظيمين، وجدد العلمين الموضوعين لحد عرفة.

[«إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام» لعبد الكريم القطبي ص١٠١]

❊ ❊ ❊

ونمرة: جبيل صغير بوادي عرنة، نزل النبي ﷺ في خيمة عليه، ويسمى أيضاً مسجد إبراهيم، وكان على يمين الموقف.

[«أخبار مكة» للأزرقي (٢/ ٢٠٠)]

❊ ❊ ❊

مررنا وعن يميننا مسجد منعزل كبير يكاد يكون متحللا، يسميه الناس جامع نمرة، أو إن شئت فقل جامع (سيدنا) إبراهيم، وقد بنى هذا الجامع بالشكل الذي هو عليه الآن السلطان «قايتباي» سلطان مصر.

[«ترحال في الجزيرة العربية» ٢/ ٨٨ لجون لويس بوركهارت

❊ ❊ ❊

حرف الهاء

هدية

وما يذكر من الهدايا التي قدمت من قديم الزمان إلى الآن إلى الكعبة ما حلى به أمير المؤمنين عبد اللَّه بن الزبير أساطين الكعبة من الذهب. فقد أرسل عبد الملك ابن مروان إلى عامله خالد بن عبد اللَّه القسري ثلاثين ألف دينار ذهباً ليحلى بها باب الكعبة وأساطينها وأركان داخلها، وأجرى ما أمر به الخليفة. أما القديم من الحلي فأخذه السدنة بحسب قواعدهم القديمة، وأمر لهم بذلك الخليفة.

وأرسل محمد بن هارون الرشيد إلى سالم بن الجراح وإلى مكة ثمانية عشر ألف دينار فضربها سالم صفائح حلى بها الباب، وجعل مساميرها وحلقتي الباب من الذهب، وفرش عتبتها به أيضاً، وأما القديم فأخذه السدنة.

وقد ذكر أن المتوكل العباسي وضع الذهب في إحدى زوايا الكعبة ليربط به جانب الصدع الذي حدث فيها، وأنه فرش العتبة بالفضة وجدد عضادتي الباب من الذهب.

وحلت أم المقتدر العباسي أساطين البيت بالذهب، وصنع الخليفة المقتفى العباسي للكعبة باباً جديداً محلى بالذهب، وبعد أن أعطى ذهبه القديم إلى السدنة، أخذ خشبته فاستصنع منه تابوتاً ليدفن فيه عند الوفاة.

[«إعلام الأنام بتاريخ بيت اللَّه الحرام» لمحمد بن صالح الشيبي ص٢١٩]

* * *

جرت العادة أن تصحب قافلة الحج هدايا في بعض السنوات لتعلق بالكعبة المعظمة، وتاريخ الإهداء للكعبة في الإسلام قديم يرجع إلى الهلالين التي غنمها المسلمون عندما فتحوا المدائن.

[«أخبار مكة» للأزرقي (١/ ٢٢٤)]

قلة قليلة من الحجاج هم الذين يغادرون الحجاز ولا يشترون بعضاً من تلك المسابح من المدينتين المقدستين، وذلك على سبيل الهدايا لأصدقائهم في بلادهم.

[«ترحال في الجزيرة العربية» (٢/ ٦٣) لجون لويس بوركهارت]

❋ ❋ ❋

الحجاج الذين سيعودون فينشغلون بشراء الهدايا والكفن وزمزم، ويستمر الزحام في مكة بيومين أو ثلاث.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٤٧

❋ ❋ ❋

هدي

ذبائح القربان تذبح في شرقي منى وتلقى في حفرة تحفر هناك لهذا الغرض، وكلما امتلأت حفرة بجثث القرابين ردمت وحفرت غيرها وهكذا ن ويكون لها بعد الحج رائحة كريهة جداً، ولو كانت الحكومة تعتني بجمع ما يتراكم فيها من العظام مع ما يختلف منها حول مكة، وتبيعه لإحدى الشركات بجدة، وتصرفه ثمنه في تحسين طرق الحجاج ونظافة شوارع مكة لكان فيه فائدة كبيرة، وقد طلبت شركات كثيرة التزام ذلك من الحكومة السابقة فلم يقبل طلبها، أما الحكومة الحالية فأظن أنها لا ترى مانعاً في ذلك ما دام في مصلحة البلاد.

[«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٨٠٨)]

❋ ❋ ❋

منذ سنة (١٨٦٦م) بدأ تطبيق قاعدة تفرض على الحجاج تقديم أضاحيهم في

الأمكنة المعينة وحدها دون غيرها وطمر الجيف فيما بعد في حفر مهيبة سلفاً، ولكن هذه التدبير وإن كان يبلغ هدفه من حيث الأساس لو يوضع البتة تقريباً موضع التنفيذ صحيح أن الحفر قد حفرت، ولكن الحجاج كانوا يستغلون غياب المراقبة ويفضلون الذبح قرب خيامهم.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٣]

* * *

في منى للبائع والمشتري الخيار يبدأ الذبح في الصباح الباكر، وكل حاج يرسل من يشتري له ذبيحته، ويصل سعر الذبيحة الواحدة في ذلك اليوم ست أو سبع مجيديات، وما دونها بثلاث أو أربع ينخفض سعر الذبيحة الممتازة إلى أربع مجيديات.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٣٢]

الحاج يدفع السعر الذي يطلبه صاحب الشاة فالوقت غير مناسب للمساومة الطويلة، خاصة إذا كان الجو حاراً والحاج لا يدخل في مساومة أبداً، أم المعجزة ففي عقيدة البدو فهم لا يطلبون كثيراً.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٣٢]

* * *

الذي يحدث الآن سنة (١٣٢٨هـ) في منى هو أن تذبح القرابين بمئات الألوف من الأغنام تذبح ثم ترمي في الأخاديد التي تهيئها الحكومة كل عام، ثم يصب عليها الكلس، وبذلك تم اتخاذ التدابير المطابق للصحة.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٣٣]

* * *

من الغريب أنه قبل ثلاثين عاماً كان الناس في الشوارع والأزقة يدوسون لحوم الأضاحي والأغنام الحية بأرجلهم فلا يحرك أحدهم ساكناً ولا يرونه إسرافاً، أما الآن فإن الحجاج لا يستسيغون ما تفعله الحكومة برمي لحوم الأضاحي في

الأخاديد والكل صاروا يتحدثون عن الإسراف والجواز.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٣٣]

* * *

أفتى بعض السفهاء من أدعياء العلم بعدم ذبح القرابين والتبرع بثمنها للأسطول، وتحدثوا بين الناس بذلك، في حين كتب آخرون على صفحات الجرائد بأنهم أرسلوا ثمن الأضاحي إلى جمعية الأسطول (الأسطول العثماني).

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٤٦]

* * *

حرف الواو

وادي

تضم مكة المشرفة ثلاثة أودية رئيسة، تستقطب مياه الحرم وتصرفها إلى الحل وهي: وادي إبراهيم، وادي فخ، وادي محسر.

[«الأساس الجيومورفولوجي» معراج نواب مرزا ص٩]

* * *

وادي محسر: تبدأ أعاليه من منطقة المعيصم متجها نحو الجنوب ظن حيث يشكل الحد الفاصل بين منى ومزدلفة، ويلتقي بعرنة عند الحسينية، ويلتقي وادي محسر مياه مشعري منى ومزدلفة ومنطقة العوالي والعزيزية.

[«الأساس الجيومورفولوجي» معراج نواب مرزا ص١١]

* * *

وادي فاطمة

أول مقر مبيت واستراحة للذين يخرجون من مكة المكرمة القرية المشهورة بوادي فاطمة، وهذه القرية على بعد ستة ساعات من مكة المكرمة بسير الجمال، ولها مياه جارية كثيرة وبساتين كثيرة ونخيل وأشجار أخرى وحدائق.

وما يباع في مكة المكرمة من الليمون واللارنج والخضر المتنوعة غالباً ما تزرع وتنبت في هذه القرية.

[«موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» (٥/ ١٥٥) لأيوب صبري باشا]

* * *

وادي محسر

وادي محسر بضم الميم وفتح الحاء المهملة، وكسر السين المهملة المشددة، سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، أي أعيي، وكل.

[«صلة الناسك» لابن الصلاح ١٦٨]

* * *

وادي محسّر: سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه، أي أعيي وكلّ.

[«صلة الناس في صفة المناسك» لابن الصلاح ص١٦٨]

* * *

قال المديني: سمي بذلك لأنه يحسّر سالكيه ويؤذيهم ويتعبهم.

[«المجموع المغيث» لابن المديني (١/٤٤٦)]

* * *

وهو طريق ضيق بين سلسلتين من الجبال طوله نصف كيلو متر بين مزدلفة ومنى.

[«في رحاب البيت الحرام» للمالكي ص٢٨٠]

* * *

دقم الوبر: بعد الواو الموحدة ثم الراء، باسم الحيوان البري المعروف: الدقم عند أهل الحجاز: نهاية الجبل المكنع من السهل، ودقم الوبر هذا هو نهاية جبل منى اليماني من الشرق، وبطرف دقم الوبر يمر سيل وادي محسّر الذي هو الحد بين منى ومزدلفة.

[«أودية مكة المكرمة» لعاتق البلادي ص ١١٥]

* * *

وباء

وفيها (٧٤٩هـ) وقع بمكة والطائف وجدة وعامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم، حتى جافت البوادي، وهلك كثير من الجمال، وقيل أنه لم يبق بجدة سوى أربعة أنفس، وخلت الطائف ولم يبق إلا القليل، وكان يموت من أهل مكة في كل يوم نحو عشرين نفساً، ودام مدة ثم ارتفع. وهذا الوباء كان عاماً في جميع البلاد وهو بديار مصر أعظم ما كان

[«إتحاف الورى» لابن فهد ٣/ ٢٣٨]

❊ ❊ ❊

وقع في سنة (١٠٤٢هـ) مرض عام غريب حصل منه اعتقال في الركب بحيث أن الإنسان كان يخرج إلى السوق على رجليه فيعاد محمولًا لا قدرة له على القيام من غير داء يشكوه، فأطلقت العامة على هذا الحادث المكسِّر بصيغة اسم الفاعل. وتلاعبت أدباء مكة بهذا المعنى، فمن ذلك قول القاضي محمد بن عبد اللَّه بن ظهيرة القرشي المكي:

لقد واصل المحل المكسِّر في القرى — وعم جميع الخلق في أشرف القرى
وقد كان جمع الخلق بالخصب سالما — يصيرهم بالمحل جمعاً مكسرا

وقال القاضي عبد اللطيف بن جار اللَّه بن ظهيرة:

جاء المكسر يسعى مكة بعد جدة — فليته ما أتانا ولا تجاوز حده

وكان دواء الناس منه شرب الليم مع المكسر بعد تحميته في جلده على النار

الليم: من الحوامض من فصيلة النارنج.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري ٤/ ٨٨]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٠٤٥هـ) وقع الموت والفناء في الخيل بمكة، وسمته العامة أبو

مشفر، وفنيت الخيل حتى أنه لم يبق بمكة إلا فرس واحدة أخذوه للشريف زيد، وصارت الأشراف تركب الحمير.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ١٧٧)]

* * *

من غرائب الأمور ما ذكره رفعت باشا في كتابه «مرآة الحرمين» في أول الجزء الثاني منه قال: إنهم لما وصلوا مكة في غرة ذي الحجة عام (١٣٢٠هـ) ذهبوا لزيارة شريف مكة الشريف عون الرفيق فقال لهم: إني مسرور من قلة الحجاج في هذا العام مراعاة للحالة الصحية.

[«التاريخ القويم لمكة وبيت اللّٰه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي (٢/ ٢٢٩)]

* * *

كانت أيام منى أول الإسلام من أصيب أيام الحياة من الجمع بين اللذات الروحية والبدنية والاجتماعية، فلما قربت المواصلات بين الأقطار الإسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء إلى الحجاز مع الحجاج الموبوئين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى، فصارت أيام منى أيام غم وكدر يتعثر الناس فيها بالموتى في كل مكان، وتعد الحكومة لها الألوف من الأكفان، ونحمد اللّٰه أنه لم يمت فيها أحد في هذا العام، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي.

[«رحلة الحجاز» محمد رشيد رضا]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ٩١١)]

* * *

أشهر أوبئة الكوليرا في القرن الحالي هو الوباء الذي نشب سنة (١٨٣١م) والذي جاء إلى الحجاز من الهند، وآنذاك كما يقال مات ثلاث أرباع جميع الحجاج وانتشر الوباء في عموم أوربا، والوباء التالي نشب في سنة (١٨٣٤م)، ثم في سنة (١٩٣٧م)، وسنة (١٨٤٠م)، ثم عاثت الكوليرا فساداً

طوال خمس سنوات على التوالي في سنوات (١٨٤٦-١٨٤٧-١٨٤٨-١٨٤٩-١٨٥٠م)، ولكن وباء سنة (١٨٦٥م) تميز بفتك شديد، وقد بدأ من الحجاج القادمين من الهند، ودام في السنة التالية (١٨٦٦م).

[«الحج قبل مائة عام» ص ١٢٤ لعبد العزيز دولشتين]

* * *

في سنة (١٣١١هـ - ١٨٩٣م) أصبحت شوارع مكة تمثل مشهداً مروعاً، فقد كان الأشخاص الذين يمشون فيها يحدقون إلى الأمام دون أن يلتفتوا يمنة أو يسرة لكي يتجنبوا رؤية أكوام الجثث الملقاة على الجانبين، لذا فر معظم الحجاج إلى جدة، مات كثير منهم في الصحراء، وأصيب آخرون بالمرض حين وصولهم الميناء، حصروا في حظائر، منع الغذاء والماء عن أولئك الذين استنفدوا مؤنهم، أما البقية الباقية منهم الذين ما زال في حوزتهم قليل من المال فقد استُغلوا دون شفقة من الحراس.

[«مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى» لأغسطس رالي]

* * *

في سنة (٩٦٨هـ) انتشر مرض الجدري بين غالب سكان مكة والوافدين إليها، سواء كانوا من الرجال أو النساء أو الأطفال، وأخذوا في الاستلقاء على جوانب الطرق والحارات، وكان يموت في كل يوم من هذه الأجناس أعداد لا حصر لها، وبلغ الأمر من كثرة الموتى أن كان يحمل كل شخصين أو أكثر في نعش واحد.

[«الدرر الفرائد المنظمة» للجزيري (٢/ ١٠٠٨)]

* * *

أداء فريضة الحج كان محفوفاً في ذلك الوقت بخطر نقل أوبئة الطاعون والتيفوس والكوليرا المشؤومة العواقب إلى داخل الإمبراطورية الروسية، علماً بأن هذه الأوبئة كانت تزهق ملايين الأرواح في الشرق الأوسط وفي آسيا

الوسطى، وآنذاك مثلًا نسبوا نشوب وباء الطاعون في محافظة استراخان إلى الحج، وفي كانون الثاني (يناير) (١٨٩٧م) أنشئت لدى وزارة الداخلية لجنة خاصة لمكافحة عدوى الطاعون برئاسة الأمير أ. ب اولدنبورغسكي.

وكان من صلاحية هذه اللجنة البت في مسألة تنظيم حج المسلمين من رعايا روسيا.

كان أعضاء اللجنة يدرسون التقارير عن الحج من السفارة الروسية في القسطنطينية والقنصليات في جدة ومشهد وبغداد. وإلى جدة أرسل في مأموريات كل من الأطباء «سوكولوف»، و«دالغات»، و«تولانوف»، و«تاكايف»، وهؤلاء أرسلوا بدورهم التقارير إلى اللجنة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٤٥]

❊ ❊ ❊

في سنة (١٨٩٢م) كما يروي الحاج سلطان تطابق وباء الكوليرا مع موسم الحج وكان رهيباً، كان الموتى متمددين مجموعات كبيرة متراصة ولم يتسن الوقت لدفنهم، بدأت الوفيات بأعداد كبيرة في عرفات، وبلغت أوجها في منى، وفي تلك السنة كان تدفق الحجاج كبيراً جداً.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٨٣]

❊ ❊ ❊

كل شيء ينتهي بسلامة إذا كان الطقس في منى صحوا في أيام تجمع الحجاج هناك، وأن المصائب تقع إذا تعتم الجو نوعاً ما بسبب الغيوم وإذا أخذت السماء ترذ.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص١٢١]

❊ ❊ ❊

يستفاد من أقوال جميع من تسنى لي أن أتحادث معهم أن هذا الوباء يبدأ أحياناً عند عرفات، ولكن بشكل ضعيف لذا لا يسترعي الانتباه، ولكنه ينشب في أغلب

الأحيان في منى ويبلغ هنا قوته القصوى.

وقالوا لي أنه إذا سرت جميع الأموال ما يرام عند الانطلاق إلى عرفات وحتى مساء اليوم الأول من الإقامة في منى فمن الممكن الأمل في أن الوباء لن ينشب في هذه السنة.

ويتبين من الآراء العامة أن هذا الوباء يتميز هنا بطابع الانفجار الرهيب ويتواصل بشدة مخيفة طوال (٥ - ٧) أيام ثم يهدأ كذلك بسرعة.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٠٨]

❊ ❊ ❊

أشهر أوبئة الكوليرا في القرن الحالي هو الوباء الذي نشب سنة (١٨٣١م) والذي جاء إلى الحجاز من الهند آنذاك كما يقال، مات ثلاث أرباع جميع الحجاج وانتشر الوباء في عموم أوربا، والوباء التالي نشب في سنة (١٨٣٤م) ثم في سنة (١٨٣٧م) وسنة (١٨٤٠م)، ثم عاث الكوليرا فساداً طوال خمس سنوات على التوالي في السنوات (١٨٤٦-١٨٤٧-١٨٤٨-١٨٤٩-١٨٥٠م).

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٠٩]

❊ ❊ ❊

وباء سنة (١٨٦٥م) تميز بشدة خاصة، وقد بدأ من الحجاج القادمين من الهند، ودام في السنة التالية (١٨٦٦م).

إليكم ما رواه لي شيخ زاهد هذا الوباء بأم عينيه: قال شاهد عيان: الحج الكبير (يوم الجمعة ٥/ نيسان - إبريل) وقد توافد عدد خارق من الحجاج الإقامة عند عرفات كما بدا جرت بسلامة انتقلوا إلى منى وهنا كان أيضا اليوم الأول هادئا، صحيح أن حجاج ماتوا، ولكن عدد الموتى كان قليلًا، وآنذاك لم تكن قد ظهرت القاعدة القاضية بطمر الخرفان المذبوحة على سبيل التضحية، كان كل حاج يذبح ويرمي قرب خيمته، وقرب الخيمة كانوا يرمون بقايا الأغنام

المذبوحة لأجل الأكل، قبيل مساء اليوم الأول انتشرت من تعفن جيف الأغنام رائحة كريهة إلى حد أنه كان من المستحيل التنفس، في المساء ازداد في الحال عدد الموتى المنقولة من الجثث للدفن، وفي الخيام المجاورة لنا وقعت أيضاً حالات مرض وموت، ولكن لم يخطر بعد في بالنا أن هذا وباء، في اليوم التالي ازداد عدد الموتى إلى حد أنه لم يكن يتسنى دفنهم، وقبيل مساء ذلك اليوم كان شار منى مكسوا بجثث الحجاج الذين ماتوا أثناء أداء شعيرة رمي الأحجار، ولأداء هذه الشعيرة كان يتعين السير على الجثث حقاً وفعلًا، من أصل ثمانية أشخاص كانوا في خيمتنا، بقي اثنان فقط على قيد الحياة، بقي الحجاج في منى بحكم العادة ثلاثة أيام، وعندما وصلوا فيما بعد إلى مكة كان الوباء هناك أيضاً على أشده، قمنا ببالغ السرعة بالطواف والسعي، وانطلقنا في الطريق إلى جدة وكانت الطريق مزروعة بجثث الحجاج الموتى، وفي جدة كان المرض قد سبقنا إليها، رحنا بالباخرة المنطلقة إلى السويس. آنذاك لم تكن المحاجر الصحية قائمة، والباخرة التي كانت تكتض بالركاب فرغت كثيراً في آخر الرحلة، في السويس لم يسمحوا لنا بالنزول إلى المدينة بل أركبونا في القطار وأرسلونا إلى الإسكندرية، وهنا نقلونا بالطريقة نفسها إلى باخرة راسية في المكلأ، وأثناء مواصلة السفر ظلوا يرمون في البحر كل يوم بضع عشرات من الموتى، ولكن المرض على ما يبدو أخذ يضعف، وحدثت حالات نقاهة وشفاء بعد زهاء (١٠) أيام من وصولنا إلى القسطنطينية بدأ الوباء في هذه المدينة أيضاً.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٠٩]

* * *

وباء الكوليرا الأخير الذي تسبب هو أيضاً بكثرة كثيرة من الضحايا وقع سنة (١٨٩٣م) (الحج الكبير يوم الجمعة ٢٣/ حزيران - يونيو)، ويستفاد من أقوال شهود العيان أن هذا الوباء مثله مثل وباء سنة (١٨٦٥م) قد بدأ بصورة

غير ملحوظة عند عرفات، وتفجر في منى نحو مساء اليوم الأول من إقامة الحجاج هناك، وانتقل بسرعة إلى مكة وجدة، ولكن بفضل المحاجر الصحية لم يتجاوز حدود الحجاز.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١١]

* * *

في سنة (١٨٩٥م) نشب أيضاً وباء ما يشبه حسب أوصاف حمى التيفوئيد أو الزحار (الدوسنطاريا)، بدأ هذا الوباء في قلة انطلقت من المدينة المنورة إلى مكة، واستمر بدرجة ضعيفة عند عرفات، ولكنه لم ينتشر فيما بعد، وانتهى في منى كما يفترضون، ومن هذا الوباء الأخير عانى «قرغيزيونا» أشد من غيرهم، فمن أصل (٦٠) قرغيزيا جاؤوا في تلك السنة من كوستاناي عاد (١٨) فقط كما يقول شاهد عيان.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١١]

* * *

الحجاج الذين يتوافدون من أقطار بعيدة يشكلون بيئة مستعدة تماماً لتقبل شتى الأمراض، فإن السفر المضني والطويل والازدحام الخارق وكتمة الهواء الفائقة في البواخر، والمآكل السيئة وغير الصالحة، والمناخ الحار الرطب، واللباس غير المألوف المفرط الخفة (ثوب لإحرام) كل هذا ينهك الجسم ويضعفه إلى حد أقصى.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣١٢]

* * *

بعد حياة مديدة بالجوع ينقض هؤلاء الفقراء هنا بنهم على اللحم المجاني ويستغلون وفرته فلا يحاولون سد جوعهم بفيض وحسب بل يحضرون أيضاً اللحم المجفف لأجل مواصلة السفر.

وقد قال لي طبيب من الأطباء المحليين عاش طويلًا في مكة وشهد من أوبئة الكوليرا في منى أو هذا الوباء يبدأ دائماً حسب مراقباته من أمثال هؤلاء الحجاج الذين لا مأوى لهم رغم أنه فسر السبب لا بالظروف التي يواجهونها بل بكونهم يرتدون ألبسة من قماش الأكياس التي ينقل بها الرز من الهند، ومع هذه الأكياس برأيه تتنقل مسببات الأمراض.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٣٢٢]

❊ ❊ ❊

إن هذا المرض (الكوليرا) يظهر في منى على أغلب الأحوال، وقد يظهر قبل أيام منى أو بعدها، ولكن ثبت بالتجارب العديدة أن ظهوره في منى هو الأغلب، وليس لأحد أن ينكر ذلك لأنه شيء ثابت علمياً، وسرعة انتشار هذا المرض نتيجة من عدم إتباع قواعد النظافة، وإذا أخذنا بالحسبان كثرة عدد الحجاج في منى ووقوع المكان في مضيق بين جبلين مما يؤدي إلى فساد الهواء وشح المياه الذي ينعكس سلباً على النظافة، فإن هذا المكان بيئة صالحة لانتشار الأمراض السارية بين الحجاج.

[«العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم» ص٩٤٢]

❊ ❊ ❊

الكوليرا لم تظهر في مكة إلا سنة ست وأربعين ومائتين وألف هجرية أي في نحو سنة ١٨٢٥ ميلادية، وفدت إليها من حجاج الهند ولا تزال تفد إليها معهم. ولو كانت الحكومة تعتنى بشدة الحجر على حجاج الهنود والجاوه في جزيرة قمران قبل دخولهم إلى جدة بزمن لأمكنها الحيلولة بين حجاج بيت اللّه الحرام وهذا الداء الوبيل.

[«الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر» ص٦٣ لمحمد البتنوني]

❊ ❊ ❊

وهنالك تحققت أسباب طروّ المرض على الحجاج يتعود في مدة سفره للحج على أكل المجففات من الخبز وغيره فتحصل لأبدانهم رياضة مع ضعف تفضي إليه المجففات وحالة السفر، فإذا كانوا في يوم العيد بمنى ذبحوا ضحاياهم وتناولوا لحومها بشره زائد، وربما تساهلوا في شأن طبخها فتؤثر فيهم آثاراً غير ملائمة للصحة.

[«الرحلة الحجازية» لمحمد بن عثمان السنوسي

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٦٠٧)]

❊ ❊ ❊

يستفاد من أحاديث الطبيب عثمان أفندي الذي تسنى لي أن أتحادث معه أحياناً كثيرة أن المرض الأكثر انتشاراً في زمن القيظ وبخاصة بين الحجاج القادمين من الشمال هو أبو الركب وهو ضرب من الانفلوانزا (أصلها أنف العنزة)، وكذلك اختلال في أعضاء الجهاز الهضمي يتخذ أحياناً شكل الزحار (الدوسنطاريا)

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٠٠]

❊ ❊ ❊

وجيه

في سنة (١٠٤٩هـ) حج بشير أغا الطواشي من مماليك السلطان مراد بن أحمد خان، وكان حظياً عنده قد بلي بمحبته فأراد الحج، فأذن له وأخرج له دستوراً مكرما بيده، ومعناه جواز تصرفه في كل ما يريد من عزل وتولية.

فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر إلى خارج البلد، فلما نظر إليه ترجل عن فرسه، وسار إلى أن أقبل ركبته، ومشى إلى أن أمره بالركوب، فدخل مصر وطار الخبر بما وقع إلى الشريف زيد بن محسن فأخذته أنفة الأريحية، والهمة العلية، وأقلقه ما ورد عليه من الخبر، وحدوث هذه العبر، فعزم على الخروج من مكة ليكون عذراً في عدم اللقاء وحاجزا عن التسفل بعد الارتقاء.

أخبرني والدي قال: ولما تزايد عليه هذا الطارئ قصد مولانا قطب دائرة الوجود وبركة كل موجود مولانا السيد عبد الرحمن بن أحمد المغربي النوناني نزيل مكة، وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله، فقال: مولانا السيد: دع عنك هذا فاللَّه يكفيك من لك أذى، وطب نفساً فما يقع إلا الخبر، وللَّه التدبير، فاعتمد على قوله، وكان على قوله ذا اعتماد لتيقنه بأنه لهذه البلدة كالعماد.

فلما أن وصل البشير أغا إلى رابغ المرحلة المعروفة، وبينها وبين مكة ثلاثة أيام أتاه نجاب بخبر وفاة السلطان، فبطل ما بيده من الأحكام، وصار أحد الناس بعد أن كان ريس الحكام.

وجاء الخبر إلى الشريف بالتأييد، وأن السلطان توفي في أوائل شوال.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ١٨٧)]

* * *

وحدة

ما أجمل وأبهى تلك الساعات اللطيفة التي تتجلى فيها على الحاج نفحات الرحمة الربانية، فهاهي ذي وهاد جبل عرفات قد امتلأت بالحجيج، وباللذين هجروا الوطن والأهل وانتشروا في موطنهم الديني الأول الذي سطعت فيه أنوار الهدى والتقى وعمت العالم أجمع، وها نحن أولًا قد أقبلنا على اللَّه حفاة عراة، لففنا أجسامنا بالقماش الأبيض مثلما يلف الأموات، جئنا إلى هذا الوطن لنقطع على أنفسنا عهداً أمام اللَّه بارئ النسيم بأن نخلع عنا كل ما يشين المرء في حياته ونتطهر من جميع الأرجاس، وان نقبل على أنفسنا فنصلحها ونزكيها ونرتفع بها إلى حيث بحبوحة الصلاح والقوة والوحدة، وما أحوجنا إلى هذه الوحدة ولم الشعث. تداعى له سائر الجسد، لقد أكلتنا الفرقة وفرقت بيننا الدعايات وشتت وطننا فجعلته أوطاناً كثيرة العدد، ضعيف

العدة، وكبلتنا بالحواجز الجمركية، فالسوري لا يدخل الحجاز، والحجازي لا يدخل مصر، والمصري لا يدخل العراق، والعراقي لا يدخل اليمن، واليمني لا يدخل فلسطين إلا بجواز سفر، ولا يستطيع مسلم منا الحصول على هذا الجواز إلا بشق النفس، فلنعمل على القضاء على هذه الحواجز، ولنتحد جميعاً على أن نكون أمة واحدة قوية غنية يقظة.

[«بجوار الكعبة المشرفة» بقلم محيي الدين رضا ص ٤٢]

❊ ❊ ❊

وداع

في سنة (١٠٩٤هـ) ورد أمر سلطاني بإخراج الغرباء من مكة بعد الحج لتعاطيهم الأسباب، فأمر مولانا الشريف بالنداء بذلك، فنادوا عليهم يوم الثاني عشر من ذي الحجة من العام المذكور، فوقع الاضطراب من المجاورين ولاذوا بأحمد باشا، وأخبروه بأن بقائهم عمارة بندر جدة، وأملوه ما أراد من الحسنات، فراجع مولانا الشريف وصرفه عن هذا الأمر بالكلية.

[«منائح الكرم» لعلي بن تاج الدين السنجاري (٤/ ٥٠٨)]

❊ ❊ ❊

ولقد كانت الحكومة المصرية في الزمن الغابر تُخرج إلى الشارع والحوارات في أشهر الحج أناساً يتغنون بأناشيد، ويسمونها تحانين، تحرك عواطف الناس إلى أداء هذه الفريضة، كما كانت خطباء المساجد تحث عليها وترغب الناس فيها، ولا يزالون كذلك إلى الآن.

[«الرحلة الحجازية» للأستاذ محمد لبيب البتنوني]

[«المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف (٢/ ٨٠٤)]

❊ ❊ ❊

ينطلق الحجاج عند نهاية رمضان بالذات أي قبل موعد الحج بشهرين،

ويودعهم بمهابة واحتفال جميع أقاربهم ومعارفهم إلى نقطة التجمع المعينة سلفاً، وعادة إلى أقرب مدينة أو إلى محطة كبيرة للسكة الحديدية.

[«الرحلة السرية» لعبد العزيز دولتشين ص٢٥١]

❊ ❊ ❊

كان الحجاج قبل توفر وسائط النقل الحديثة كالسيارات والطائرات يعانون الكثير في رحلتهم لأداء فريضة الحج من صعوبة الطريق إذا كانوا يسيرون على هيئة قوافل من دولهم ومدنهم رجلًا ونساءً وأطفالًا وهم يحملون معهم زاد الطريق الطويل على ظهور الإبل.

وكان حجاج بيت اللّه الحرام في العراق يتهيأون لموسم الحج قبل أشهر معدودات، وكانت تخصص مواقف لتجمع الحجاج الذين يرمون السفر، ويبكر الناس في صباح يوم السفر إلى الموقف الذي يشهد تجمعاً للناس كافة وهم يودعون حجاجهم، وغالبا ما كان الأب يترك لابنه الكبير الأموال الكافية لمصروف أهل بيته ويوكل أقاربه لرعاية صغاره في غيابه الذين يلقون كل عناية منهم إلى حين عودتهم عقب عيد الأضحى.

[«مجلة تراث» عدد ٥١/ ٢٠٠٣ ص٢٢]

❊ ❊ ❊

يختلف الطقس الدمشقي للاحتفاء بالحجاج، فالإعداد لوداع القافلة قبل أشهر عدة من انطلاقها، ففي ثاني أيام عيد الفطر السعيد تنظم الاحتفالات الشعبية، وأول مظاهرها جلب (زيت الحرم المكي) من ضاحية كفر سوسة إلى دار الحكومة ضمن أجواء من العرضات (رقصات الرجال) ورقصات السيف واستعراضات الخيول العربية الأصيلة، وقيام الفرق الدينية بإنشاد الابتهالات، وكلها تختص بمدح الرسول ﷺ وإطراء جماله.

[«مجلة تراث» العدد ٢٨/ ٢٠٠١ ص٢٧]

في فلسطين اقتصر أداء فريضة الحج قديماً على الميسورين، وكان عددهم محدوداً بفعل الأحوال الاقتصادية، ولكن لأهمية وقداسة هذه الفريضة اعتاد الناس على ظاهرة (عونة الحاج) فإذا تردد للأسماع أن بعض كبار السن قد تمنوا أداء الفريضة وغالباً ما يكون الإعلان عن ذلك خلال شهر رمضان فيبادر الأغنياء لجمع المال اللازم لتسيير قافلة حجيج من هؤلاء المؤمنين كانت تستغرقها رحلة تمتد لمدة خمسة أشهر على ظهور الجمال طمعاً في رضا اللَّه وتحقيق حلم طالما تاق إليه المؤمنين.

[«مجلة تراث» العدد ٢٨/ ٢٠٠١ ص٢٨]

* * *

وفاة

غريبة: في سنة (٥٦١هـ) أطلق الحاج من غرامة المكس إكراماً لصاحب عدن عمران بن محمد بن الزريع إلياس الهمداني، فإنه حمل في هذه السنة إلى مكة ميتاً لكونه كان شديد الغرام إلى حج بيت اللَّه الحرام واخترمه الحمام قبل بلوغه المرام ووُقف به بعرفات والمشعر الحرام، وصُلي عليه خلف المقام، ودُفن بالمعلاة في السنة المذكورة.

[«المنتقى بأخبار أم القرى» للفاسي ص٢٥٦]

* * *

أخرى: في سنة (٧٢٨هـ) حج العراقيون ومعهم تابوت جوبان نائب أبي سعيد بن خداينده ملك العراق ليدفن بالتربة التي بناها بالمدينة عند باب الرحمة، فلم يدفن بها لعدم تمكين أمير المدينة من ذلك حتى يأذن فيه صاحب مصر، وأحضروا تابوته في الموقف بعرفة، ودخلوا به مكة ليلًا، وطافوا به حول البيت، ثم ذهبوا به إلى المدينة، فكان من أمره فيها ما ذكرناه.

[«المنتقى بأخبار أم القرى» للفاسي ص٢٥٦]

الأمير جوبان كان متصفاً بمحاسن الصفات، وله آثار كثير بالشام ومصر، وقتل شهيداً، قتله السلطان أبو سعيد آخر أولاد هولاكو بالعراقين سنة (٧٢٨هـ) لوقوع اختلاف بينه وبين السلطان المذكور، وكان الأمير جوبان هيأ لنفسه ضريحاً في المدينة المنورة بقرب سيدنا الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأوصى قبل موته أن يحمل نعشه إلى المدينة المنورة ليدفن هناك، وكان السلطان متزوجاً بابنة الأمير جوبان، فكلفت بإجراء وصية أبيها، فأنفذ السلطان وصيته وأرسل نعشه مع نعش ولده الشاب المسمى بجلاد خان الذي قتل معه بعد غسلهما وتكفينهما والصلاة عليهما بجمع عظيم إلى المدينة المنورة، وأعطى لمن حملهما من جيبه أربعين ألف دينار زيادة على المال الذي عينه الأمير المشار إليه من ماله، وبعد أن صحبوا التابوت في جميع المنازل صلى عليه الحجاج كلهم بعد صلاة عيد الأضحى واستغفروا له، ولعن أهل مكة والمدينة قاتله، وقالوا كلهم: لعنة اللَّه على قاتل جوبان، ثم حملوا نعشه إلى المدينة المنورة، وصلى عليه أشراف البلدة الطيبة وأعيانهم ثالث مرة، ودفنوه في جوار الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البقيع في الموضع الذي بناه وعيّنه لنفسه ليدفن فيه، وقيل: إن الموضع الذي بيّنه وعيّنه لنفسه ليدفن فيه كان عند باب الرحمة، فمنع من دفنه فيه بسبب عدم تمكين أمير المدينة من ذلك حتى يأذن فيه صاحب مصر، وأنه دفن بالبقيع في جوار الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[«بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين» لعبد اللَّه الزواوي ص١١]

* * *

في سنة (٢٣١هـ) حج بالناس محمد بن داود، وأصاب الحجّاج في عودهم من مكة عطش شديد بلغت الشربة فيه عدة دنانير، ومات منهم خلق كثير من العطش.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٠٥]

* * *

في سنة (٢٦٧هـ) حج بالناس هارون بن محمد العباسي، ورجع خلق كثير من الحجاج من طريق مكة لشدة الحر، مضى خلق كثير، فمات منهم عالم عظيم من الحر والعطش وذلك في البيداء.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣١٢]

* * *

في سنة (٣٩٥هـ) حج بالناس جعفر بن شعيب السلّار، ولحق الناس عطش شديد في طريقهم، وهلك خلق كثير ولحق قوم منهم الحج، وأصاب حاج العراق رياح وأهوال، وطرحت العرب من خفاجة الحنظل في المياه، فهلكوا عطشاً، ثم أخذوهم ونهبوهم.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٣٦]

* * *

في سنة (٦٥٩هـ) وقعت صاعقة على مئذنة باب علي من المسجد الحرام، مات فيها المؤذن علي بن محمد بن عبد السلام الكازروني.

[«الدرر الفرائد المنظمة» لعبد القادر الجزيري ص٣٣٨٤]

* * *

في (١٩٣١م) كان هناك أربعون حالة وفاة فقط من ١٠٠٠٠٠ حاج؛ وشهدت كل سنة تالية لها تحسناً عن تلك النسبة، إذ كانت الوفيات مجرد خمس عشرة في (١٩٣٤م) من ٨٠٠٠٠ شخص. وخلال السنوات الست عشرة لحكم ابن سعود.

[«حاج في الجزيرة العربية» ص٥١ لهاري سانت فيلبي]

* * *

حين وصلنا (بحرة) كان الليل قد حل، وشاهدنا الكلوبات (الإنارة) بأضوائها الزرقاء في كل استراحة، تُنير المكان، كانت الاستراحات مكتظة بالحجاج، وقررت أن استريح، ووافقني السيد تشان، فجلسنا بين الزحام، كنا نسمع

الناس من جميع الجهات تلهج ألسنتهم بالتلبية: لبيك اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك..، استرحنا قليلًا ثم بدأنا نتحرك ثانية، وبدأت مشاعر متنوعة تنتابني، وأنا أمضي على طريق الحج، كنت أرى الاحجار التي تدل على دفن الموتى هنا، كانت هناك أحجار صغيرة مرصوصة بعضها فوق بعض، كأنها قباب صغيرة متلاصقة، شاهدنا كثيراً منها بجوار «بحرة» عندئذ شعرت بالأسف والحزن، وسألت السائق عن هذه الأحجار فقال: هذه الأحجار كلها مقابر، وهي لحجاج كانوا في طريقهم للحج، وماتوا من التعب والإرهاق وضربات الشمس.

[«ياباني في مكة» ص١١٠ لتاكيشي سوزوكي]

* * *

سبب وفاة الحاج الكويتي عبد اللّه أحمد الحبشي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه في عام (١٩٥٩م) وفي إحدى رحلات الحج حينما وصل الحجيج إلى مدينة الزلفي في القصيم بحثوا عن الماء فوجدوا بئر في إحدى المزارع فنزل (٦) من العمال من حملة أخرى في البئر لفتح ما كينة الماء التي توجد في البئر بسحب الماء فتلوث البئر من الداخل فأصيبوا بالتسمم من الغازات الخارجة منها فلم يستطع العمال الخروج بأنفسهم فأخرجهم هو من البئر وأنقذ حياتهم، وحينما جاء دوره للصعود من البئر شعر بالإعياء الشديد فلم يستطع أن يصعد بواسطة الحبل فسقط داخل البئر، ولم يستطع من هم خارج البئر إنقاذه إلا بعد مرور نصف ساعة حين تطوع رجل بالنزول ليفجأ بوفاته، رغم أنه كان رَحِمَهُ اللَّهُ قوي االبنية حيث استطاع أن يربط هؤلاء العمال الستة وينقذ حياتهم، وتوفي وعمره يقارب (٤٤) عاما.

[«حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي]

* * *

وقف

في قلب مدينة حيدر آباد التجاري المزدحم رأينا مبنى كبيراً واسعاً في أسفله الحوانيت التجارية الغالية، وفي أعلاه وهو عدة طبقات عدد من المساكن الجيدة اسمه (مبنى المدينة المنورة) وذلك لأن حكومة المسلمين في الدولة الآصفية المسلمة قد بنت هذا المبنى ووقفته على المدينة المنورة بمعنى أن ريعه يذهب إلى المدينة المنورة هدية منها للمدينة يصرف في عدة مصترف في المدينة وكان هذا الأمر جارياً مرعياً إلى أن سقطت الدولة الآصقية المسلمة باحتلال الجيوش الهندية، لهذه المملكة أو الإمارة ثم أغنى اللَّه المدينة المنورة بما منحنا إياه من أسباب الرزق فتوقف إرسال ريع المبنى هذا.

[«في جنوب الهند» ص١٢٧، لمحمد العبودي]

❊ ❊ ❊

السلطان (مراد الثاني) أوقف حاصلات قرى منطقة» باليق حصارى» أي قلعة باليق من أعمال آنقرة على مكة المكرمة، وكذلك أوقف في وصيته المؤرخة بأواخر رجب سنة (٨٥٠هـ - سبتمبر ١٤٤٦م) مبلغاً وقدره ٣٥٠٠ ثلاثة آلاف وخمسمائة فيلورى ذهباً؛ لكل من مكة، والمدينة، ولكي يُوزع المبلغ على فقراء المدينتين.

[«الرحلة الحجازية» ص٣٥ لأوليا جلبى ترجمة الصفصافي المرسي]

❊ ❊ ❊

المصادر

١ - «أئمة المسجد الحرام ومؤذنوه في العهد السعودي» لسعيد عبد اللّه الزهراني.

٢ - «إتحاف الورى إتحاف بأخبار أم القرى» النجم عمر بن فهد بن محمد بن محمد ابن محمد بن محمد بن فهد.

٣ - «إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن» لمحمد بن علي بن فضل الطبري المكي.

٤ - «أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي» للدكتور عبد المجيد البيانوني.

٥ - «أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه» لأبي عبد اللّه محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي.

٦ - «أخبار مكة» لمحمد بن عبد اللّه بن أحمد الأزرقي.

٧ - «إعلام الأنام بتاريخ بيت اللّه الحرام» لمحمد صالح بن أحمد بن زين العابدين بن الشيبي العبدرى الحجبي.

٨ - «أعلام الشناقطة في الحجاز والمشرق جهودهم العلمية وقضاياهم العامة» تأليف بحيد بن الشيخ يربان القلقمي الإدريسي.

٩ - «إفادة الأنام بذكر بلد اللّه الحرام» للعلامة عبد اللّه بن محمد الغازي.

١٠ - «ال ١٠٠٠ سنة الغامضة من تاريخ نجد» لعبدالرحمن السويداء.

١١ - «الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم» لصالح بن سليمان الوشمي.

١٢ - «الآثار المبرورة لسلاطين آل عثمان» لمحمد أمين المكي.

١٣ - «الأحكام السلطانية» أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي.

١٤ - «الأحكام السلطانية» لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي.

١٥ - «الأرج المسكي في التاريخ المكي في أخبار الحرم والكعبة وتراجم الخلفاء والملوك»، لعلي بن عبد القادر الطبري الحسيني.

١٦ - «الأساس الجيومورفولوجي لتحديد منطقة الحرم» لمعراج نواب مرزا.

١٧ - «الإعلام بأعلام بيت اللَّه الحرام» لقطب الدين النهروالى.

١٨ - «الأعلام بأعلام بيت اللَّه الحرام» لقطب الدين بن احمد بن محمد بن محمود المكي الحنفي.

١٩ - «الأعلام بأعلام بييت اللَّه الحرام» لقطب الدين محمد بن أحمد النهرواني.

٢٠ - «الاغتباط بتراجم الرباط» لأبي عبد اللَّه محمد بن الحاج مصطفى بو جندار الرباطي.

٢١ - «الأم» للشافعي.

٢٢ - «الإمام الفقيه محمد عابد السندي» بقلم سائد بكداش.

٢٣ - «البحر العميق في فضائل البيت العتيق» لمحمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء.

٢٤ - «البحر العميق في مناسك العمرة والحج إلى البيت العتيق» لمحمد بن أحمد ابن محمد بن الضياء القرشي.

٢٥ - «التاريخ القويم لمكة وبيت اللَّه الكريم» لمحمد طاهر الكردي المكي .

٢٦ - «التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام» لعبد القدوس الأنصاري.

٢٧ - «التلخيص الحبير» أحمد بن علي بن حجر العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين.

٢٨ - «الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» جمال الدين محمد جار اللَّه بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القريشي.

٢٩ - «الجامع لأحكام القرآن» لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي أبو عبد اللَّه.

٣٠ - «الجرح والتعديل» لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي.

٣١ - «الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» لمعراج نواب مرزا.

٣٢ - «الحج إلى مكة المكرمة من شبه القارة الهندية» لمعراج نواب مرزا، Bullarium, p,66.

٣٣ - «الحج في التاريخ حكايات ونوادر» لفراج علي سالم.

٣٤ - «الحج قبل مائة عام» لعبد العزيز دولشتين.

٣٥ - «الحرم المكي الشريف والتوسعات العمرانية وتطور الخدمات» لخالد سليمان العبيد.

٣٦ - «الدر النقي في شرح الفاظ الخرقي» يوسف بن حسن بن عبدالهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بابن المبرد.

٣٧ - «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» لعبد القادر ابن محمد بن عبد القادر بن محمد الأنصاري الجزيري الحنبلي.

٣٨ - «الدعوة إلى اللّه في أقطار مختلفة» للدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

٣٩ - «الدليل الشافى على المنهل الصافى» يوسف بن الأمير سيف الدين تغرى بردى الأتابكى اليشبغاوى الظاهري.

٤٠ - «الدين وتاريخ الحرمين» للحاج عباس كرارة.

٤١ - «الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف محمد يوسف نواب.

٤٢ - «الرحلات المغربية والأندلسية» لعواطف نواب.

٤٣ - «الرحلة الحجازية» لأوليا جلبى ترجمة الصفصافي المرسي.

٤٤ - «الرحلة الحجازية» للحافظ محمد يحيى المختار الولاتي.

٤٥ - «الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني.

٤٦ - «الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني.

٤٧ - «الرحلة الحجازية» لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديو مصر» لمحمد البتنوني.

٤٨ - «الرحلة السرية» للعقيد الروسي عبد العزيز دولتشين.

٤٩ - «الرحلة السعودية الحجازية النجدية. . . » لمحمد سعود العورى.
٥٠ - «الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية» للحسن بن محمد الغسال.
٥١ - «الرحلة المعينية» لماء العينين بن العتيق.
٥٢ - «الرحلة المغربية» لمحمد بن محمد بن محمد بن مسعود العبدرى.
٥٣ - «الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» لسيدي الحسين الورثيلانى.
٥٤ - «الرحلة الورثيلانية الموسوعة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار» لسيدي الحسين الورثيلاني.
٥٥ - «الروض الأنف» لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي.
٥٦ - «الرياض النضرة في فضائل الحج والعمرة» للدكتور السيد العفاني.
٥٧ - «السالنامة الحجازية الصادرة من الدولة العثمانية» - مكتبة الحرم المكي الشريف.
٥٨ - «السعادة النامية الأبدية في السكة الحجازية الحديدية» لمحمد عارف المنير الحسيني.
٥٩ - «السلسلة الذهبية في الشجرة الذهبية» لعبد الستار الدهلوي.
٦٠ - «السلوك لمعرفة دول الملوك» لتقي الدين أحمد بن علي المقيريزي - مطبعة دار الكتب المصرية.
٦١ - «السنن الكبرى» أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
٦٢ - «السنن الكبرى» للنسائي.
٦٣ - «السيرة الحلبية» لعلي بن برهان الدين الحلبي.
٦٤ - «السيرة النبوية» لمحمد عبد الملك بن هشام.
٦٥ - «الضوء اللامع» لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي.
٦٦ - «الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد بن منيع الزهري.
٦٧ - «الطريق إلى السلام» لأبو بكر أحمد باقادر.

٦٨ - «الطريق إلى السلام» لأبو بكر أحمد باقادر.

٦٩ - «الطريق إلى مكة» لمراد هوفمان.

٧٠ - «العالم الإسلامي في رحلات عبد الرشيد إبراهيم بدايات الإسلام في اليابان وأوضاع المسلمين في وسط وشرق وجنوب وغرب آسيا قبل مائة عام» ترجمة صبحي فرزات - كمال خوجة.

٧١ - «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لمحمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي تقي الدين.

٧٢ - «العقد الثمين» لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي.

٧٣ - «العقد الفريد» لأحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حُدير بن سالم أبو عمر.

٧٤ - «الفتوحات الكوازية إلى الاراضي الحجازية» للشيخ عبداللَّه أفندي أعيان.

٧٥ - «القرى لقاصد أم القرى» لأحمد بن عبد اللَّه بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري.

٧٦ - «القرى لقاصد أم القرى» للحافظ أبي العباس أحمد بن عبد اللَّه بن محمد ابن أبي بكر محب الدين الطبري.

٧٧ - «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي.

٧٨ - «الكعبة المشرفة» ليلماز طرجان.

٧٩ - «الكعبة والحج في الصور المختلفة مع مناسك الحج على المذاهب الأربعة» لأبي القاسم زين العابدين.

٨٠ - «الكعبة والمسجد الحرام في عهد إبراهيم عليه السلام إلى الآن» لفتحي فوزي عبد المعطي.

٨١ - «الكويت في دليل الخليج» لخالد سعود الزيد.

٨٢ - «اللمحة اللطيفة في ذكر أحوال الكسوة الكعبة الشريفة» للإمام الحافظ أحمد ابن حجر العسقلاني.

٨٣ - «المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث» لمحمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني.
٨٤ - «المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث» محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني.
٨٥ - «المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية» للدكتور محمد ابن حسن بن عقيل موسى الشريف الطبعة الأولى.
٨٦ - «المختار من الرحلات الحجازية» للدكتور محمد بن حسن الشريف.
٨٧ - «المدونة الكبرى» لمالك بن أنس الأصبحي.
٨٨ - «المعارف» أبو محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
٨٩ - «المعجم الكبير» للطبراني.
٩٠ - «الملامح الجغرافية لدروب الحجيج» لسيد عبد المجيد بكر الطبعة الأولى.
٩١ - «المنتقى بأخبار أم القرى» لتقي الدين أبي الطيب محمد بن احمد الفاسي.
٩٢ - «المنتقى في أخبار أم القرى» لأبي عبد اللَّه محمد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، توزيع مكتبة الأسدي، الطبعة الخامسة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٩٣ - «المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية» لمحمد بن عيسى بن كنانا لصالحي الدمشقي.
٩٤ - «النفحة المسكية في الرحلة المكية» للشيخ عبداللَّه السويدي.
٩٥ - «النهاية في غريب الحديث والأثر» لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير.
٩٦ - «إمتاع الفضلاء بتراجم القراء في ما بعد القرن الثامن الهجري» لإلياس بن أحمد حسين بن سليمان البرماوي.
٩٧ - «أودية مكة المكرمة» لعاتق بن غيث البلادي.

٩٨ - «بجوار الكعبة المشرفة وكيف حج النبي ﷺ» بقلم محيي الدين رضا، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٩٩ - «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي.

١٠٠ - «بدائع الزهور في وقائع الدهور» محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري.

١٠١ - «بغية الراغبين وقرة عين أهل البلد الأمين» لعبد اللَّه محمد صالح الزواوي.

١٠٢ - «بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت» لعبدالكريم رافق.

١٠٣ - «بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت اللَّه الحرام» تأليف/ المُرادى، تحقيق محمد زينهم.

١٠٤ - «تاج المفرق في تحلية علماء المشرق» لخالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، أبو البقاء.

١٠٥ - «تاريخ الأمم والملوك» لمحمد بن جرير الطبري.

١٠٦ - «تاريخ الكعبة المشرفة» لحسين با سلامة.

١٠٧ - «تاريخ الكعبة» للدكتور علي حسني الخربوطي.

١٠٨ - «تاريخ الكويت السياسي» لحسين خزعل.

١٠٩ - «تاريخ اليمامة» لعبداللَّه بن محمد خميس.

١١٠ - «تاريخ أمراء مكة» لعارف عبد الغني.

١١١ - «تاريخ خليفة بن خياط» لخليفة بن خياط بن أبي هبيرة، تحقيق أكرم ضياء العمري - دمشق دار القلم - الطبعة الثانية.

١١٢ - «تاريخ سينا» لنعوم بك شقير.

١١٣ - «تاريخ عمارة الحرم المكي» لفوزية حسين مطر الطبعة الأولى.

١١٤ - «تاريخ عمارة المسجد الحرام» لحسين عبد اللَّه با سلامة.

١١٥ - «تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف» لأبي البقاء محمد ابن الضياء المكي.

١١٦ - «تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران » لأحمد السباعي.

١١٧ - «تاريخ مكة» حمد إلياس عبد الغني.

١١٨ - «تاريخ مكة» لأحمد السباعي.

١١٩ - «تاريخ مكة» للأستاذ أحمد السباعي.

١٢٠ - «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام» لمحمد بن أحمد بن سالم المايكي المكي المعروف بالصباغ.

١٢١ - «ترحال في الجزيرة العربية يتضمن تاريخ مناطق الحجاز المقدسة عند المسلمين» لجون لويس بور كهارت ترجمة وتقديم صبري محمد حسن.

١٢٢ - «تهذيب الأسماء واللغات» للإمام يحيى بن شرف للنووي.

١٢٣ - «تهذيب الأسماء» ليحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي.

١٢٤ - «تهذيب السنن» لابن القيم الجوزية.

١٢٥ - «تهذيب اللغة» لمحمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحه بن نوح الأزهري.

١٢٦ - «تهنئة أهل الإسلام» لإبراهيم المأموني المكي الشافعي.

١٢٧ - «جامع البيان في تفسير القرآن» لمحمد بن جرير الطبري.

١٢٨ - «جريدة القبلة».

١٢٩ - «جريدة الوطن الكويتية».

١٣٠ - «جريدة أم القرى».

١٣١ - «جغرافية شبه الجزيرة العربية» لعمر رضا كحالة.

١٣٢ - «حاج في الجزيرة العربية» لهاري سانت فيلبي، ترجمة عبدالقادر عبداللّه.

١٣٣ - «حاشية ابن حجر الهيثمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج» لابن حجر الهيتمي.

١٣٤ - «حاشية ابن عابدين» لمحمد أمين بن عمر عابدين.

١٣٥ - «حدود الصفا والمروة التوسعة الحديثة دراسة تاريخية فقهية» لعبد الملك ابن عبد اللَّه بن دهيش.

١٣٦ - «حدود الصفا والمروة» للدكتور عبد الملك بن عبد اللَّه بن دهيش الطبعة الثالثة.

١٣٧ - «حدود المشاعر المقدسة منى مزدلفة عرفات» لعبد الملك بن عبد اللَّه الدهيش.

١٣٨ - «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» لعبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خن الخضيري الأسيوطي السيوطي.

١٣٩ - «حكايات وذكريات كويتية» للدكتور عادل عبد المغني.

١٤٠ - «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني.

١٤١ - «حملات الحج الكويتية عبر التاريخ» لعدنان سالم الرومي وصالح خالد المسباح وخالد يوسف الشطي.

١٤٢ - «حوادث بلاد الشام والامبراطورية العثمانية» لحسن آغا العبد.

١٤٣ - «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي، بيروت دار صادر.

١٤٤ - «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» لمحمد أمين بن فضل اللَّه ابن محب اللَّه بن محمد المحبي.

١٤٥ - «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام» للشيخ احمد بن زيني بن احمد دحلان المكي.

١٤٦ - «خلاصه الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلي وقتنا هذا بالتمام» لأحمد بن زيني دحلان.

١٤٧ - «دار الوثائق: دفتر إيرادات ومصاريف خزينة عامرة حميت عن الأوقاف والأصر عن أول توت الواقف في ١٧ رمضان ١٠٩٤هـ».

١٤٨ - «درر الفرائد المنظمة» عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري.

١٤٩ - «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» لمحمد باشا صادق.

١٥٠ - «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» لمحمد صادق باشا.

١٥١ - «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» لمحمد صادق باشا.

١٥٢ - «ديوان الشاعر الكويتي الشعبي فهد بورسلي» الطبعة الثانية.

١٥٣ - «ديوان الشاعر سالم بن تويم الداوي» الطبعة الأولى.

١٥٤ - «ديوان حمود الناصر البدر» جمع عبد العزيز الدويش الطبعة الثانية.

١٥٥ - «ذكرى من مكة المكرمة» لخالد محمد حامد.

١٥٦ - «ذكريات علي الطنطاوي» لعلي بن مصطفى الطنطاوي.

١٥٧ - «رحلة ابن بطوطة» لمحمد بن عبد اللّه بن محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة.

١٥٨ - «رحلة ابن جبير» لأبي الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني المعروف بابن جبير.

١٥٩ - «رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام» لسعد بن أحمد الربيعة.

١٦٠ - «رحلة الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني» لعبدالسلام بن محمد العمراني.

١٦١ - «رحلة الصديق إلى البيت العتيق» للسيد صديق خان.

١٦٢ - «رحلة العبدري» لمحمد بن محمد بن علي العبدري.

١٦٣ - «رحلة القلصادي» لأبي الحسن القلصادي.

١٦٤ - «رحلة إلى الحجاز» لإبراهيم المازني.

١٦٥ - «رحلة إلى رحاب الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة» لشارل ديدييه.
١٦٦ - «رحلة جنوب الهند» لمحمد العبودي.
١٦٧ - «رحلة جوزيف بتس الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة » ترجمة عبد الرحمن عبد اللّه الشيخ.
١٦٨ - «رحلة في بلاد العرب الحجاز» لمحمد بن آل زلفة.
١٦٩ - «رحلة في قلب نجد والحجاز» لمحمد شفيق أفندي.
١٧٠ - «رعاية الحرمين الشريفين منذ صدر الإسلام حتى عهد خادم الحرمين الشريفين» لمحمد عبد اللّه السبيل.
١٧١ - «زبدة الأعمال في فضائل مكة» للشيخ سعد الدين الإسفرائيني.
١٧٢ - «زمزم طعام طعم وشفاء سقم» حمزة كوشك.
١٧٣ - «ستة أشهر في الحجاز» لجون كين.
١٧٤ - «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» لمحمد خليل المرادي.
١٧٥ - «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» لعبد الملك بن حسين ابن عبد الملك للعصامي.
١٧٦ - «سنن أبو داود».
١٧٧ - «سنن الترمذي».
١٧٨ - «شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية» للدكتور محمد عبد اللطيف هريدي.
١٧٩ - «شرح صحيح مسلم» للنووي.
١٨٠ - «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» لتقي الدين أبي الطيب محمد بن احمد الفاسي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ.
١٨١ - «صبح الأعشى» لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي.

١٨٢ - «صبح الأعشى» لأحمد بن علي القلقشندي.
١٨٣ - «صحيفة أم القرى».
١٨٤ - «صفحات من تاريخ تونس» لمحمد خوجة.
١٨٥ - «صفحات ونفحات» لعمر بهاء الدين الأميري.
١٨٦ - «صلة الناسك» لعثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح.
١٨٧ - «طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» لعبداللّه سعد الدريس.
١٨٨ - «طريق حاج اليمامة عبر وادي نعام والحريق» لعبداللّه سعد الدريس.
١٨٩ - «علماء نجد خلال ثمانية قرون».
١٩٠ - «عمارة المسجد الحرام في العهد السعودي» للدكتور عبد اللطيف بن عبد اللّه بن دهيش.
١٩١ - «عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي» لعبد اللطيف بن دهيش.
١٩٢ - «عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي» للدكتور عبد الملك بن عبد اللّه بن دهيش الطبعة الأولى.
١٩٣ - «عمارة المسجد الحرام» لحسين سلامة.
١٩٤ - «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني.
١٩٥ - «فتح الباري» لابن حجر العسقلاني.
١٩٦ - «فتح القدير» محمّد بن علي بن محمّد الشوكاني.
١٩٧ - «فتوح البلدان» لأبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري.
١٩٨ - «في جنوب الهند» لمحمد العبودي - الطبعة الأولى ١٩٩٠ م - ١٤١٠ هـ.
١٩٩ - «في رحاب البيت الحرام» محمد علوي المالكي الحسني المكي.
٢٠٠ - «فيض القدير» محمد عبد الرءوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، دار المعرفة - بيروت.
٢٠١ - «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» لأحمد أمين.

٢٠٢ - «قدسيه الحرمين الشريفين والتضامن الإسلامي» لعبد المنعم احمد النمر.
٢٠٣ - «قرة العين في الرحلة إلى الحرمين الشريفين» للحضرمي بن الشيخ أبي بكر.
٢٠٤ - «قصة التوسعة الكبرى» لحامد عباس الطبعة الأولى.
٢٠٥ - «قصة التوسعة الكبرى» لحامد عباس.
٢٠٦ - «قوافل الحج المارة بالعارض» لراشد بن محمد بن عساكر الطبعة الأولى.
٢٠٧ - «كتاب المناسك...» لأبي إسحاق الحربي.
٢٠٨ - «كتاب المنتقى في أخبار أم القرى» لأبي عبد اللَّه محمد بن إسحاق الفاكهي.
٢٠٩ - «لسان العرب» لمحمد بن مكرم بن منظور.
٢١٠ - «لطائف المعارف» لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي.
٢١١ - «مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام» لمحمد بن إسماعيل الصنعاني.
٢١٢ - «مجتمع مدينة دمشق» يوسف جميل نعيسة.
٢١٣ - «مجلة الحج والعمرة».
٢١٤ - «مجلة الدارة».
٢١٥ - «مجلة الزهراء» لمحب الدين الخطيب.
٢١٦ - «مجلة المنار».
٢١٧ - «مجلة تراث».
٢١٨ - «مختصر منهاج القاصدين» لأحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي.
٢١٩ - «مخصصات الحرمين الشريفين في مصر أبان العصر العثماني» لمحمد علي فهيم بيومي.
٢٢٠ - «مذكرات سائح في الشرق العربي» لأبي الحسن الندوي.
٢٢١ - «مرآة الحرمين» إبراهيم رفعت باشا.

٢٢٢ - «مرآة الحرمين» للواء إبراهيم رفعت باشا.
٢٢٣ - «مرآة جزيرة العرب» لأيوب صبري باشا.
٢٢٤ - «مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة للَّهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية» للدكتور سليمان عبد الغني مالكي.
٢٢٥ - «مروج الذهب» لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودى.
٢٢٦ - «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» أحمد بن يحيى بن فضل العمري شهاب الدين.
٢٢٧ - «مستدرك الحاكم».
٢٢٨ - «مستفاد الرحلة والاغتراب» للقاسم بن يوسف التجيبي السّبتي.
٢٢٩ - «مسك الكلام في أخبار البلد الحرام» لمحمد زكي الخولي.
٢٣٠ - «مسند الإمام أحمد».
٢٣١ - «مصنع كسوة الكعبة المشرفة» الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.
٢٣٢ - «مصنف عبد الرزاق» لعبد الرزاق بن همام الصنعاني.
٢٣٣ - «معالم مكة التأريخية والأثرية» لعاتق غيث البلادي.
٢٣٤ - «معان دراسة في الموقع» للدكتور سعد أبودية.
٢٣٥ - «معجم البلدان» شهاب الدين أبو عبد اللَّه ياقوت بن عبد اللَّه الحموي.
٢٣٦ - «مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين» للدكتور حمد عبد الكريم دواح الطبعة الأولى.
٢٣٧ - «مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى» لأغسطس رالي نقله للعربية حسن سعيد غزالة.
٢٣٨ - «مكة في حياة العلم والعلماء» للدكتور محمد بن عمر بن سالم بازومل.

٢٣٩ – «مكة في عصر ما قبل الإسلام» لأحمد أبو الفضل عوض اللَّه.
٢٤٠ – «ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة» لأبي عبداللَّه محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي.
٢٤١ – «من نفحات الحرم» لعلي الطنطاوي.
٢٤٢ – «منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم» لعلي بن تاج بن تقي الدين السنجاري.
٢٤٣ – «مواقيت الحج الزمانية والمكانية من النواحي الفقهية والتاريخية والجغرافية» للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان والدكتور معراج مرزا.
٢٤٤ – «موسوعة مرآة الحرمين الشريفين» لأيوب صبري باشا.
٢٤٥ – «نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية» للحسن بن محمد الورثيلاني.
٢٤٦ – «هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك» لعبد العزيز بن محمد ابن إبراهيم بن جماعة الكناني الشافعي.
٢٤٧ – «وفاء الوفاء» لنور الدين علي بن عبد اللَّه السمهودي.
٢٤٨ – «وقفة أمام الكعبة» فايز بدر.
٢٤٩ – «وقفة أمام الكعبة» لفايز بدر.
٢٥٠ – «ياباني في مكة» لتاكيشي سوزوكي.
٢٥١ – «F. E. Peters, Jerusalem and Mecca, 1986».
٢٥٢ – Anon., in Hakluyt, V. pp.340, 342, 346, my emphasis.
٢٥٣ – Gibb and Bowen, I, pp.301-2.
٢٥٤ – Bernard Lewis, ed., Islam. From the prophet Muhammad to the capture of Constantinople, New York, 1974, 2vols., II, P.32.
٢٥٥ – The Independent London quoted in the Sydney morning Herald, June2, 1991.

٢٥٦ - (Carsten Niebuhr, Travels through Arabia and other Countries in the East, 1792, 11, p.27).

٢٥٧ - (Joao de Barros, Da Asia, Lisbon, 1778-88,1,vi, p.3).

٢٥٨ - Joao de Barros, Da Asia, Lisbon, 1778-88. II, PP. II، 6.

٢٥٩ - (Hurgronje, p.222).

٢٦٠ - «Rooke, op. cit.,p76».

٢٦١ - «Sir John Mandeville, al, London, 1848, p.301».

الفهرس

السيرة الذاتية للمؤلف

- ولد في الكويت في ٢٧/ ٥/ ١٣٩٤ هـ الموافق ١٨/ ٦/ ١٩٧٤م.
- حاصل على شهادة الماجستير في علم النفس من جامعة الزقازيق بجمهورية مصر العربية.
- مرشد نفسي في مركز ثوابت للاستشارات والتدريب.
- إمام وخطيب وداعية إسلامي في الكويت.
- قدم وحاضر في العديد من الدورات والمحاضرات الشرعية داخل وخارج الكويت.
- أعد وقدم العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية التاريخية، والتي صور أكثرها في مواقع الأحداث.
- **له العديد من المؤلفات، صدر منها:**

«معجم مساجد الكويت».

«معجم شوارع الكويت» (عربي - إنجليزي).

«صناع التاريخ خلال ثلاثة قرون».

«الثمر المستطاب في روائع الآل والأصحاب».

«نفائس المعارف».

«على أطلال الأندلس».

«تغريدات».

- **وتحت الطبع:**

«من القيروان إلى القيروان».

«في ضيافة الباب العالي».

«معجم أدب الرحلات».

«سحابة الكويت تمطر العالم».

«إنجازات قرآنية كويتية».